

العشرة الطيبة

مع الرجل – مع المرأة
مع الأولاد وتربيتهم

محمد حسين

العشرة الطيبة

مع الرجل – مع المرأة

مع الأولاد وتربيتهم

محمد حسين

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على خير خلقه وخاتم رسله، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. وبعد:

فهذه نصائح غاليات، كتبها مجرب حكيم، جمع شتاتها ورتب أولها وآخرها، فصارت باقة ورد، ريحها طيب وشكلها يسر الناظرين، فما من أحد رآها إلا قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

لقد وفق الله المؤلف الكريم -هو أكرم الناس خلقًا وأفقههم علمًا، نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله فهو حسيبه- إلى المختصر المفيد في أسباب نجاح الأسر والعائلات، وإقامة البيوت المسلمة على أسس الإسلام الصحيح ومنهج الفذ الفريد، فلا حقد أو ضغينة، أو حتى شكوى وضجر، وإنما هي البيوت التي تدخلها الملائكة فلا تبرحها، وترفرف عليها السعادة من كل ركن وناحية. فاللهم زده علمًا وحلمًا ويقينًا، ووفق يا ربنا كل من بلّغ عن نبيك خلقًا من أخلاقه .. إلى ما تحبه وترضاه يا أكرم الأكرمين.

سوف تعيش -عزيزي القارئ- بين أغصان ورياحين تلك الواحة الجميلة **«العشرة الطيبة» التي قسمها أخونا المؤلف إلى ثلاثة أجزاء: العشرة الطيبة مع الرجل، مع المرأة، مع الأولاد في تربيتهم**. وسوف تدرك بعد خروجك منها -وقد صنعها لك المؤلف على أسس القرآن والسنة وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومَنْ بعده من الصالحين- أننا نستطيع أن نُسْعِد أنفسنا بأنفسنا، أو أن نشقيها إن أردنا ذلك.

إن النماذج والأنماط التي ساقها المؤلف في هذا الكتاب، إنما جاءت في سياقها الطبيعي، لتؤكد أن إسلامنا الجميل، ما ترك صغيرة ولا كبيرة إلا عالجها، كما لم تأتِ هذه النماذج خاصة بالنبي وحده، وإنما يستطيع كل مسلم أن يطبقها على نفسه وأهل بيته، فهي مثالية الواقع أو واقعية المثال، فلا يحتج أحد بعدم القدرة أو بُعد المثال.

لقد شرّق الناس وغرّبوا، فشقوا أكثر مما سعدوا، فآن الأوان لكي يؤوب التائهون ويتذكر

الناسـون، ويسـتيقظ الغافلـون، مردديـن: {هَـذِهِ بِضَاعَتُنَـا رُدَّتْ إِلَيْنَـا} فـلا حـل إلا في الإسـلام، ولا سـعادة إلا في الإيمـان، ولا خـير إلا فيـما جـاء بـه القـرآن وسـنة النبـي العدنـان صـلى اللـه عليـه وسـلم.

ونحـن لا يسـعنا إلا الصـلاة عـلى النبـي، أشرف الخلـق، أفضـل صـلاة وأتمهـا، وأن يبعثـه اللـه مقامًا محمـودًا الـذي وعـده. وأن يكافـئ أخانـا المؤلـف، بتيسـير أمـره وإكرامـه في الدنيـا والآخـرة، وأن يوفـق قراءنـا الأعـزاء إلى العمـل مـن أجـل دينـه ونـصرة المسـلمين .. اللهـم آمـين

الناشر

العشرة الطيبة

[مع الرجل]

* حسن الاختيار سبب عمران الدار.
* قواعد بناء الدور على الهناء والسرور.
* صيانة الصحبة بالمودة والرحمة.
* غذاء الأرواح بالرحيق المباح.

عشرة الأرواح تسبق عشرة الأبدان

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا. والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**» رواه مسلم، ورواه البخاري عن عائشة من «الأرواح جنود» لآخره فقط.

* رحلة الأرواح سبقت حدود الأجساد ونَفْخ الأرواح فيها، فالدنيا مرحلة لاحقة لالتقاء الأرواح وتعارفها في هذه الدنيا، ثم الرحيل إلى دار البقاء والسرور الدائم. فمن التقى قبل الدنيا بإلفه ونوعه فتقابل في هذه الدار مع إلفه القديم انجذب إليه ومال إليه وصحبه بالمودة والمعاشرة الطيبة حتى يلتقيان في الدار الآخرة، فتقول الزوجة لزوجها في الجنة كما جاء في الحديث: «**والله لا أرى في الجنة أجمل منك ولا أحب إليّ منك**».

فإنْ قوي تجانس الأرواح قوي الائتلاف به، فالتجانس أصل المودة والاتفاق، فتثمر المواصلة والمؤانسة والمصافاة ثم المحبّة.

واختلاف الناس في ظاهرهم وباطنهم وتباين طباعهم أمر مقدر وواقع من الأزل. لذلك قال أحد الحكماء: الناس كالشجر، شرابه واحد وثمره مختلف، فلزم الاختيار قبل الاصطفاء.

فمن رغب في اتخاذ صاحب بالجنب يكون معه دنيا وآخرة، تدور السعادة مع وفاقه وتفتقد مع خلافه، لا بد أن يبحث ويعتني بأصل السجايا والطباع بجانب الصورة المنظورة.

لذلك كانت من البداية وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر «**فاظفر بذات الدين**» لأن الدين يقف بأهله على الخيرات، وإن تارك الدين عدوّ لنفسه فكيف يُرجى منه مودّة غيره. وما أجمل وأنفع لكل من يرغب في اختيار الزوج المصاحب من قول النبي صلى الله عليه وسلم «**لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي**» .. وقوله: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» والخلّة صفاء المحبة، وقوله: «المرء مع من أحب**».

***

شُرعت الخطبة لضمان المحبة

* روى الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والدّارمي عن المغيرة بن شيعة رضي الله عنه قال: خطبتُ امرأة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**هل نظرت إليها؟ قلت: لا، قال: فانظر إليها، فإنه أحْرى أن يؤدم بينكما**» وروى أحمد وأبو داود عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل**» وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنظرت إليها؟ قال: لا، قال: فاذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئًا**».

نعم وصدق الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فإنه أحرى أن يؤدم بين الزوجين، أي أجدر أن يتم التواصل والمعاشرة الطيبة إذا نظر الخاطب ورأت المخطوبة فوقع في قلب كليهما التوافق والرغبة في التصاحب، فإن للرؤية ما ترتاح به النفس، فجأة دون سبب واضح ومحدّد، بل أحيانًا تتحير العقول في توافق روحين والتقاء زوجين، على غير قوانين الظواهر. وصدق المثل المصري العامي «كل فولة ولها كيّال» ولذلك لا نعجب أيضًا أن كل الناس يتزوجون رغم تباين أشكالهم وطباعهم، والله في خلقه شؤون.

روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «**إن امرأة جاءت رسول الله صلى الله عليه وسم فقالت: يا رسول الله جئت لأهب لك نفسي -فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعّد النظر إليها وصوّبه ثم طأطأ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئًا جلست. فقام رجل من أصحابه فقال: أي رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوِّجْنيها، فقال: هل عندك من شيء؟ قال: لا والله يا رسول الله. قال: اذهب فقد مَلَّكْتُكَهَا بما معك من القرآن**» ومعنى «فصعّد النظر إليها وصوَّبه»؛ أي: نظر أعلاها وأسفلها مرارًا، و«طأطأ رأسه»؛ المراد: صمت، ففي الحديث ما يدل على إباحة

النظـر وتكـراره، وأن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم لم يكـسر خاطـر الصحابيـة ويرفضهـا واكتفـى بالصمـت المفيـد للرفـض، وكيـف أُعجـب الصحـابي بالمـرأة في نفـس الوقـت وتزوجهـا، كـما أن المـرأة لم تمنعهـا أنوثتهـا مـن طلـب الـزواج لأنهـا لم تقصـد النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم فقـط ولكنهـا رضيـت بالصحـابي رغـم فقـره.

روى أبـو داود في بـاب العتـق مـن سـننه، وروت كتـب السـيرة، عـن عائشـة رضي اللـه عنهـا قالـت «لمـا قسـم رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم سـبايا بنـي المصطلـق وقعـت جوَيْريـة بنـت الحـارث في السـهم لثابـت بـن قيـس، فكاتَبَتْـه عـلى نفسـها -أي أعتقـت نفسـها مقابـل مالٍ تدفعـه لـه- وكانـت امـرأة حلـوة مُلاحـة لا يراهـا أحـد إلا أخـذت بنفسـه، فأتـت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم لتسـتعينه في كتابهـا، قالـت عائشـة: فـو اللـه مـا هـو إلا أن رأيتهـا عـلى بـاب حجـرتي فكرهتهـا وعرفـت أنـه سـيرى منهـا مـا رأيـت. فدخلَـتْ عليـه فقالـت: يـا رسـول اللـه أنـا جويريـة بنـت الحـارث سـيد قومـه وقـد أصابنـي مـن البـلا مـا لم يَخْـفَ عليـك، فوقعْـتُ في السـهم لثابـت بـن قيـس فكاتبتـه عـلى نفـسي فجئتـك أسـتعينك عـلى كتابتـي. **قـال: فهـل لـك في خـير مـن ذلـك**؟ قالـت: ومـا هـو يـا رسـول اللـه؟ **قـال: أقـضي عنـك كتابـك وأتزوجـك**. قالـت: نعـم يـا رسـول اللـه قـد فعلـت. قالـت: وخـرج الخـبر إلى النـاس أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـد تـزوج جويريـة بنـت الحـارث، فقـال النـاس: أصهـار رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم. فأرسـلوا مـا بأيديهـم -أي أعتقوهـم- قالـت: فلقـد أعتـق بتزويجـه إياهـا مائـة أهـل بيـتٍ مـن بنـي المصطلـق، فـما أعلـم امـرأة أعظـم بركـة عـلى قومهـا منهـا».

وقـول عائشـة رضي اللـه عنهـا (فكرهتُهـا وعرفـت أنـه سـيرى منهـا مـا رأيـت) ذلـك منهـا غـيرة فطريـة لأنهـا أدركـت أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم سـيرى منهـا مـا يرضيـه فيتزوجهـا. ففـي هـذه القصـة والتـي قبلهـا نـدرك كيـف تـرك رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم امـرأة لم تعجبـه وأعجـب بهـا صحـابي، وكيـف زهـد صحـابي هـو ثابـت بـن قيـس في امـرأة وأعجـب بهـا النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم، فالشـكل الخارجـي والحـلاوة والملاحـة ليسـت وحدهـا التـي تأخـذ بنفـس الخاطـب فتدعـوه للـزواج، ولكـنَّ هنـاك أمـرًا لا دخـل كبـير للمشـاهدة فيـه لتوافـق النفـس وتنافرهـا.

***

أحكام وفقه الخطبة

* قال الإمام النووي في الروضة: ويباح هذا النظر وإن خاف الفتنة لغرض التزوج، ووقت هذا النظر بعد العزم على نكاحها وقبل الخطبة؛ لئلا يتركها بعد الخطبة فيؤذيها. وإذا نظر فلم تعجبه فلْيسكت ولا يقل لا أريدها لأنه إيذاء لها -وقال أيضًا: إذا رغب في نكاحها استُحِبَّ أن ينظر إليها لئلّا يندم، ويجوز تكرير هذا النظر ليتبين هيئتها، وسواء النظر بإذنها وبغير إذنها فإن لم يتيسّر النظر بعث امرأة تتأملها وتصفها له، والمرأة أيضًا تنظر إلى الرجل إذا أرادت تزوجه، فإنه يعجبها منه ما يعجبه منها، ثم المنظور إليه الوجه والكفان ظهرًا وبطنًا، وقيل إنه ينظر إليها نظر الرجل إلى الرجل.

* يجوز الصدق في ذكر مساوئ الخاطب ليحذر وليس هذا من الغيبة المحرمة. ولكنه لا يزيد على النصيحة ولا يقصد التشهير.

الخطبة مجرد وعد بالزواج ولا تُحِلُّ حرامًا ولا تحرم حلالًا، فلا يجوز للمخاطبين الخلوة أو المخالطة إلا في حدود الحاجة، ومثل الخطيب والمخطوبة مثل غيرهما، فهما أجنبيان، وما تعارف عليه المجتمع حاليًا من التساهل والرضا وعدم إنكار بعض المصائب التي يفعلها الخاطبان مثل الخروج سويًّا والمجالسة والمؤانسة داخل المنزل أو خارجه كما لو كانا عاقدين، فهذا كله منكر شرعًا وإن كان مقبولًا عرفًا، فإن كان لا بد لطول مدة الخطبة فعليهما بالإسراع بإتمام العقد الشرعي لرفع هذا الحرج الشرعي.

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تُنْكِحوا المرأة الرجل القبيح الدّميم، فإنهنّ يحببن لأنفسهن ما تحبون لأنفسكم. وروى ابن الجوزي عن الزبير بن العوام رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يعمد أحدكم إلى ابنته فيزوجها القبيح الدميم، إنهن يُرِدْن ما تريدون».

* وقال الحسن البصري: زوِّجْ ابنتك لمن يتقي الله، فإنه إنْ أحبَّها أكرَمَها، وإن أبغضها لم يظلمها. وأقول: وإن طلقها لم ينس الفضل بينهما.

***

وجعل بينكم مودة ورحمة

* قال السُّدِّيّ: المودة: المحبة، والرحمة: الشفقة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: المودّة حب الرجل امرأته، والرحمة رحمته إياها أن يصيبها بسوء. وقال أيضًا: المودّة الجماع، والرحمة الولد. قاله أيضًا مجاهد والحسن. وقيل: المودة والرحمة عطف قلوبهم بعضهم على بعض. وقيل: مودّة للكبير ورحمة للصغير. وقيل: مودة للشابة ورحمة للعجوز.

* قال الإمام الألوسي في تفسيره «روح المعاني»: أي جعل بينكم بالزواج الذي شرعه لكم توادًّا وتراحمًا، من غير أن يكون بينكم سابقة معرفة، ولا رابطةٌ مصحِّحةٌ للتعاطف من قرابةٍ أو رحم، فالمودّة والرحمة من الله تعالى، والفرْك وهو بغض أحد الزوجين للآخر من الشيطان.

* قال ابن كثير في تفسيره: ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهنّ مودّة هي المحبة ورحمة وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها أو لرحمته بها بأن يكون له منها الولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما.

* قال البغوّي في تفسيره معالم التنزيل: جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادّان ويتراحمان وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما. وقال الزمخشريّ في تفسيره «الكشاف» قريبًا من هذا.

* ويقول سيد قطب في ظلاله: والناس يعرفون مشاعهم تجاه الجنس الآخر وتشغل أعصابهم ومشاعرهم تلك الصلة بين الجنسين، وتدفع خطاهم وتحرّك بساطهم تلك المشاعر المختلفة الأنماط والاتجاهات بين الرجل والمرأة، ولكنهم قلّما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجًا، وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر، وجعلت تلك الصلة سكنًا للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب، واستقرارًا للحياة والمعاش وأنسًا للأرواح والضمائر، واطمئنانًا للرجل والمرأة على السّواء. والتعبير القرآني اللطيف الرفيق

يصوّر هـذه العلاقـة تصويـرًا موحيًـا وكأنمـا يلتقـط الصـورة مـن أعـماق القلـب وأغـوار الحـسّ: {لِتَسْـكُنُوا إِلَيْهَـا} [الـروم:٢١] **{وَجَعَـلَ بَيْنَكُـمْ مَـوَدَّةً وَرَحْمَـةً}** [الـروم:٢١].

وقـال الطيبـي: إنـه لمـا كان القصـد مـن خلـق الأزواج والسـكون إليهـا وإلقـاء المحبـة بـين الزوجـين ليـس مجـرّد قضـاء الشـهوة التـي يشـترك فيهـا البهائـم، بـل تكثـير النسـل وبقـاء نـوع المتفكريـن الذيـن يؤديهـم الفكـر إلى المعرفـة والعبـادة التـي مـا خلقـت السـماوات والأرض إلا لهـا، ناسـب كـون المتفكريـن فاصلـة للآيـة. أي قولـه تعـالى: **{إِنَّ فِي ذَلِـكَ لَآيَـاتٍ لِقَـوْمٍ يَتَفَكَّـرُونَ}** [الـروم :٢١].

***

* الزواج تزاوج بين بشرين لكل منهما صفاته الحسنة والسيئة، وتصوراته وآماله وقدراته، ولكنهما من البشر وليسا من الملائكة، بمزايا وعيوب البشر، ويعيشان معًا على الأرض، في هذه الحياة، بإمكاناتها ومقدَّراتها، حلوها ومرّها. والإنسان في طبعه الخيال والشوق والمثال. فإياكِ وإياكِ من طلب الخيال والمثال عند اختيار الزوج. إياك من الإغراق في الخيال عن الزوج والزواج.

* يكفي أن تغلب المزايا السيئات، يكفي في كمال البشر أن تعد عيوبه وتعرف. وقد جاء في حديث شريف. «**إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثًا**» والدين يزكي النفس ويرقيها ويطهرها «**فاظفر بذات الدين**» «**إن جاءكم مَنْ ترضون دينه فزوّجوه**».

* يكفي القبول جملة واحدة، وخاصة لأول وهلة من حيث الشكل العام، وعشرة الروح تحتاج إلى وقت، فستغلب إن شاء الله فإذا لم يوجد النّفور والصدّ دفعة واحدة من اللقاء الأول فيمكن المعاشرة، وتظهر بعد ذلك المودة والرحمة وتنمو بالخلطة وسوف يُرى من بعد جمال النفس إن شاء الله.

* إذا لم يوجد القبول من أي الطرفين فلا يَقُلْ أحد في الآخر إلا خيرًا، بل إذا علم بمناسبة الخطبة شيئًا يشين الآخر، فيجب عليه الستر ويكتم ما رأى وعلم.

* فإذا حاز أحدهما القبول فعليه أن يسارع في استخارة ربه. عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن، يقول: «**إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر -ويسمي حاجته مثل زواجي من ...- خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسرّه لي ثم بارك لي فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاصرفه عني**

واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضّني به» رواه البخاري.

وهذه الاستخارة عبادة لله، فينظر الإنسان بعقله ويشاور من أراد ثم يشاور ويستخير ربه، ولا علاقة لهذه الاستخارة بإعمال النظر والمشاورة البشرية فيتخذها كاملة فإن مضت كما يشير العقل والنظر فبعلم الله وقدرته، وإن لم تمضِ وتوقف الأمر لأي سبب فهذا فيه أيضًا الخير لأنه بعلم الله وقدرته.

* ترجم النسائي في سننه –صلاة المرأة إذا خُطِبت واستخارتها ربها- وذكر حديث استخارة سيدتنا وأمّنا زينت بنت جحش رضي الله عنها عندما خطبها النبي صلى الله عليه وسلم. وهل هناك أفضل خاطب من النبي صلى الله عليه وسلم حتى تستخير فيه؟ ولكنها العبادة. فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة رضي الله عنه «**ما أجد في نفسي أوثق منك فاخطب زينب عليّ**» قال: فذهبت ووليتها ظهري توقيرًا للنبي صلى الله عليه وسلم، وخطبتها ففرحت وقالت: ما أنا بصانعةٍ شيئًا حتى أُوَامر ربي، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن، فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ودخل بها».

***

قبل الزفاف وإعداد بيت السكن

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: «تزوجني النبي صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج، فوعكْت فتمزق شعري وقد وفت لي جُميْمة، فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي، فصرخت بي فأتيتها ما أدري ما تريد مني، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي، ثم أخذت شيئًا من ماء فمست به وجهي، ورأسي ثم أدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني، فلم يرَعْني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضُحى فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين» رواه البخاري، ورواه أحمد وفيه قالت عائشة: «فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بيتنا واجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء، فجاءتني أمي وإني لفي أرجوحة بين عذقين يرجح بي، فأنزلتني من الأرجوحة ولي جميمة ففرقتها ومسحت وجهي بشيء من ماء ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب وإني لأنهج حتى سكن من نَفَسي ثم دخلت بي فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على سرير في بيتنا وعنده رجال ونساء من الأنصار فأجلستني في حجره ثم قالت: هؤلاء أهلك، فبارك الله لك فيهم وبارك لهم فيك، فوثبت الرجال والنساء فخرجوا، وبنى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا، ما نُحرت عليّ جزور ولا ذُبحت عليّ شاة، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دار إلى نسائه، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين» قال ابن كثير: وبُني لرسول الله صلى الله عليه وسلم حول مسجده الشريف حُجر لتكون مساكن له ولأهله وكانت مساكن قصيرة البناء قريبة الفناء. قال الحسن البصري -وكان غلامًا مع أمه خيرة مولاة أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم- لقد كنت أنال أطول سقف في حُجرة النبي صلى الله عليه وسلم بيدي. وقال السّهيْلي: كانت مساكنه عليه السلام مبنيّة من جريد عليه طين،

بعضها من حجارة مرضومة، وسقوفها كلها من جريد.

* هكذا بهذه البساطة والسهولة والصدق النبيل كانت تقام الحياة الزوجية، مثل سائر أمور حياة المسلمين الصادقين، بلا تكلفة ولا تعقيد ولا إرهاق، وما أجمل اللقاء والحياة في هذا الجو الصادق، فليست هناك عوائق مادية ولا اجتماعية ولا شرعية تعوق تدفّق العواطف النبيلة والسعادة الزوجية والالتقاء السهل المعبّر عن كل شيء سهل في الحياة إذا ترك الناس التكلف المرهق بينهم في المعاملات وسبل الحياة، وقامت في المجتمع المسلم أسس وقيم للحياة كلها الصدق واليسر والبساطة، وقامت العلاقات بينهم على قواعد من نبذ التكلف والتنافس المقيت على الاقتناء للعرض الزائلي لتكميل ومحاولة تجميل النفوس من خارجٍ بمظاهر مادية بعد أن تفقد الجمال والكمال الروحي الداخلي، فلا يمكن ستر عوار النفوس بستر وطلاء البيوت وزخرفتها، ولا يمكن تعويض فقد صفات النفس وكمالها بملء البيوت بالأثاث والتحف وبريق المظهر.

* وهكذا ذاق مجتمع الإسلام الأول طعم السعادة والمحبة والمودّة، فبهذا الأمر اليسير السهل عاش أسعد قلبين: قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلب أحب الخلق إليه عائشة رضي الله عنها. وهكذا كان الرضا والغنى والعفاف وهناء العيش ويسره، وهكذا كانت تنطلق الحياة الاجتماعية بهذا الجمع الصادق في كل أمر، رجال ونساء في بيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه يحضرون حفل بناء الرسول صلى الله عليه وسلم على أهله في حجرة متواضعة دون عناء التكلف بالأحفال المادية، تفيض بينهم العواطف والمحبة وتُدْخِل أم العروس ابنتها بعد قليل إصلاح لمظهرها على أفضل الخلق وهي تقول: أهلك يا رسول الله، وتدعو بصدق بالبركة، ويستحي الجمع ويثب خارج البيت بوقار وبساطة وسهولة، وتمضي الحياة الطيبة.

* لم يكن هذا النموذج يخصّ حضرة النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه صلى الله عليه وسلم القدوة التي يبدأ منها بيان أسس الحياة الطيبة والممكنة لكل الناس، وإلا ما استطاع محب أن يلحق بالركب.

* عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: خطبت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مولاة لي: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم؟ قلت: لا، قالت: قد خُطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزوّجك؟ فقلت: وعندي شيء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجك. قال علي: فو الله ما زالت ترجِّيني حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أن قعدت بين يديه أُفْحِمْتُ فو الله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **ما جاء بك ألك حاجة؟ فسكتُّ، فقال: لعلك جئت تخطب فاطمة؟** فقلت: نعم. **فقال: وهل عندك من شيء تستحلها به؟** فقلت: لا والله يا رسول الله. **فقال: ما فَعَلَتْ درْع سلَّحْتُكَها؟ فو الذي نفس عليٍّ بيده إنها لخطميّة ما قيمتها أربعة دراهم**، فقلت: عندي **فقال: قد زوجتُكها، فابعث إليها بها فاستحلها بها.** رواه البيهقي في كتابه دلائل النبوة. ثم روى البيهقي عن علي رضي الله عنه قال: جهز رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة في خميل وقربة ووسادة أُدْم -أي جلد- حشوها: إذْخر -أي حشائش. وكان علي قد تزوج فاطمة بعد سنة من الهجرة وابتنى بها بعد ذلك بسنة أخرى. وذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه قال: قال علي: ما كان لنا إلا إهاب كبش ننام على ناحيته، وتعجن فاطمة على ناحيته، ونعلف عليه الناضح بالنهار، وما لي خادم عليها غيرها.

* بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها وسيدة نساء أهل الجنة وأبوها صاحب أرفع منصب في الوجود، ورئيس الدولة الإسلامية المنتصرة الذي بين يديه ما أحلّ الله له، خمس الغنائم، وهذا عليّ بن أبي طالب ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وأبوه رئيس قريش كلها ومقدمها، كان الصداق أي المهر بينهما ما قيمته أربعة دراهم، وكان تجهيز بيتهما بهذا القدر الرائع الكافي المقنع لنفسين وزوجين هما من أنبل وأكمل خلق الله تعالى.

* واستمر ركب الحياة الراقي، ملوك الحياة وملوك الجنة، في أبهج وأهنأ وأرغد عيش، حتى جاء عهد الفاروق عمر بن الخطاب أمير المؤمنين واتسع العيش وفاضت البركة ودوّنت الدواوين ووزّعت الرواتب على أهل الإسلام، وأمير المؤمنين عمر يلبس ثوبًا مرقّعًا باثنتي عشرة رقعة، وأشفق عليه بعض أصحابه وتكلموا في أمر التوسعة في العيش لأميرهم، فبلغ عمر ذلك، فدخل على ابنته حفصة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله

عليه وسلم فقال: أنشدك بالله: ما أفضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك من الملبس؟ قالت: ثوبين مُمَشّقين كان يلبسهما للوفد ويخطب فيهما للجمع. قال: فأي الطعام ناله عندك أرفع؟ قالت: خبزنا خبزة شعير فصببنا عليها وهي حارة أسفل عكّة لنا، فجعلناها هشّة دسمة فأكل منها وتطعّم منها استطابة لها. قال: فأي مبسط كان يبسطه عندك كان أوْطأ؟ قالت: كساء لنا تخين كنّا نربّعه في الصيف فنجعله تحتنا، فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثّرنا بنصفه. قال: يا حفصة فأبلغيهم عني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدّر فوضع الفضول مواضعها وتبلّغ بالتزجية، وإني قدّرت فو الله لأضعن الفضول مواضعها ولأتبلَّغَنَّ بالتزجية. أخرجه الطبري وابن عساكر في تاريخهما ومعنى التزجية الاكتفاء.

* لقد كان هذا النمط من الحياة عن قناعة واقتدار نفسٍ طيبة تطلعت للمعالي، فملكوا أنفسهم وملكوا الدنيا وكانوا أهلها وأحق الناس بها فسعدوا وأسعدوا الخلق، فلم يبالغوا في تنميقٍ ويتفاخروا بالعرض الزائل ويتكلفوا للناس ويعنِّتُوا على أنفسهم مراءاة لغيرهم، ولم يجاروا أنماط عيش أهل الدنيا، بل ألزموا أنفسهم قوانين الرحمة بأنفسهم وغيرهم فتبعهم غيرهم على أسس الفطرة. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجْدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**» رواه البخاري ومسلم. وعن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنهما، قالت: «قلت له: مالك لا تطلب ما يطلب فلان وفلان؟ قال: إني سمعتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **إن وراءكم عقبة كؤودًا لا يجوزها المثقلون، فأنا أحب أن أتخفّف لتلك العقبة**» رواه الطبراني بإسناد صحيح، والكؤود: الصعبة. وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**رأيت أني دخلت الجنة فإذا أعالي أهل الجنة فقراء المهاجرين وذراري المؤمنين، وإذا ليس فيها أحد أقل من الأغنياء والنساء، فقيل لي: أما الأغنياء فإنهم على الباب يحاسبون ويمحّصون، وأما النساء فألهاهن الأحمران: الذهب والحرير**». رواه أبو الشيخ ابن حبان والمنذري.

***

صحة النية في بداية الصحبة
علامة حسن العاقبة في نهاية الرحلة

* عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره**» رواه الترمذي وابن خزيمة وغيرهما. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم**» رواه الطبراني. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ لَقِيَ أخاه المسلم بما يحبّ ليسرّه بذلك، سرّه الله عز وجل يوم القيامة**» رواه الطبراني وأبو الشيخ. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورًا لم يرضَ الله له ثوبًا دون الجنة**» رواه الطبراني، وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما أدخل رجل على رجل مؤمن سرورًا إلا خلق الله عز وجل من ذلك السرور ملكًا يعبد الله عز وجل ويوحدّه، فإذا صار العبد في قبره أتاه ذلك السرور فيقول: أما تعرفني؟ فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا السرور الذي أدخلتني على فلان. أنا اليوم أونس وَحْشَتك، وألقنّك حجّتك، وأثبّتك بالقول الثابت، وأشهدك مشاهدك يوم القيامة، وأشفع لك إلى ربك، وأريك منزلك من الجنة**» رواه ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ.

* ليكن شعارنا في الحياة: إدخال السرور على الغير. والجزاء من جنس العمل، وقد قال الله عز وجل {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**البر لا يبلى**» فمردود الخير يعود أولًا على صاحبه «كما تدين تدان» ولنتصوّر معًا حياة زوجية، كل زوج همّه وأمله إسعاد زوجه، كيف تثمر هذه العلاقة من البركة والسعادة لكل من خالط واتصل بهذه الحياة الزوجية؟

* الحياة في نفسها مليئة بالأكدار والمتاعب، وقليل من أيامها يصفو لأهله، فكيف تضيع هذه الأيام القليلة الصافية منّا ولا نسعد فيها؟ فالحرص كل الحرص على أيام السعادة

لا نكدّرها نحن بأنفسنا، فنغنم وننعم بأوقاتنا قبل أكدار الحياة، ولا نكون أبدًا سببًا في تكدير عيش الزوج أو غيره، بل نغتنم صفو الأوقات، بل نحرص على إزاحة كل ما يكدّر صفوها، ولنسعد سويًّا قبل مضي الحياة، ولنحافظ معًا على ما أتاح الله لنا من المودّة والرحمة فهي أمانة الله للزوجين، والحياة حلوة هنيئة ما دام أهلها طيبين مستبشرين مؤمنين مشتاقين للجنة.

***

بداية العشرة تكيّف وتأقلم وترقب للعشير وتأهب للمصير

* منذ أبعاد عميقة من الزمن في نفوسنا، قد عشناها تخيّلًا وتصورًا للزوج المرتقب وللحياة معه. وها هو الزوج ملاصق معايش مصاحب بالجنب، جمعنا الله بقدره وقدرته، وبدأت العلاقة بعقد زواج على كتابه وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم، وأغلق علينا بيت دون خلق الله جميعًا، فلم يلتصق ويتقارب مع النفس مثل الزوج، لا أم ولا أب ولا أخت ولا أحد، يلتقي الروحان، ويتصل قلبان، وتتمازج عاطفتان، وتتعاطف نفسان، ويكتمل جسدان، وتثمر غريزتان، وصدق الله العظيم {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} [البقرة:١٨٧] ألبس الله عز وجل الزوج بالزوج لباس الستر والعفّة، ولباس الوقاية من حرّ الغريزة وبرد الوحدة، لباس الزينة والمتاع {يَا بَنِي آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآَتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آَيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَا بَنِي آَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا ...} [الأعراف: ٢٦، ٢٧] فهذه جنتك، زوجك وبيتك، وإياك وإياك أن يدخل الشيطان عليكما فيخرجكما من الجنة، فقد قصَّ الله علينا قصة أول التقاء لزوجين، آدم وحواء عليهما السلام {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤)} [طه: ١١٦-١٢٤] قد جعل الله لك جنة لا تجوع لك فيها عاطفة ولا غريزة، ولا تعرى لك فيها سوءة ولا نفس، ولا تظمأ لك فيها رغبة ولا روح. فشجرة الخلد

والملك الذي لا يبلى أنت سائرة إليه، فاجعلي الإحسان وحسن العشرة للزوج الشجرة التي تغرسينها في قلب الزوج فتظلك بوارف ظلها، واجعلي الملك الذي لا يبلى المودّة والرحمة لزوجك تملكين قلبه إلى الأبد، فالإنسان عبد الإحسان، فكوني له أمةً يكن لك عبدًا، وإياك من وساوس العدو ففيها المعيشة الضنك، والنفس فيها سوءات يبديها ويظهرها مخالفة الشرع، فعليك بلباس التقوى ذلك خير. واسمعي هذه الحكاية عن إحدى الزوجات لعلّ الله ينفعك بها: تزوج سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه امرأة من كِنْدة، قبيلة من العرب، فدخل بها، فلما خلا بزوجته قال لها: هل أنت مطيعتي في شيء آمرك به؟؟ قالت: جلستَ مجلس من يطاع. فرحمها الله تعالى، فقد فهمت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تجب بأكثر من هذا: جلست مجلس من يُطاع، أي أصبحت لي زوجًا وحقك عليّ الطاعة فأمر بما شئت. فهنيئًا لمن كانت هذه بدايتها.

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**المؤمن كالنحلة، تقع فلا تكسر، وتأكل فلا تفسد، ولا تضع إلا طيبًا**» أنت مؤمنة إن شاء الله تعالى، وأنت في عشك الجميل الجديد مثل النحلة، في نشاطها ونظافتها ونظامها وترتيبها، لا تحط إلا على الأزهار ولا تكسر الأعواد وتأكل الرحيق ولا تفسد الزهور، ولا تعطي إلا عسلًا طيبًا فيه الغذاء وفيه الدواء، فلا يشمنّ زوجك إلا طيبًا، ولا يسمع إلا حسنًا، ولا ينظر إلا جميلًا.

***

* قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: النساء ثلاث: امرأة عاقلة، مسلمة، عفيفة، لينة، ودود ولود، تعين أهلها على الدهر، ولا تعين الدهر على أهلها، وقليلًا ما تجدها. وأخرى وعاء للولد لا تزيد على ذلك. وأخرى غُلٌ قَمِلٌ يجعله الله في عنق من يشاء، ثم إذا شاء أن ينزعه نزعه.

* قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: خير نسائكم الطيّبة الرائحة، الطيبة الطعام، التي إن أنفقت أنفقت قصدًا، ون أمسكت أمسكت قصدًا، فتلك من عمّال الله، وعامل الله لا يخيب.

* سئلت عائشة رضي الله عنها: أي النساء أفضل؟ فقالت: التي لا تعرف عيب المقال، ولا تهتدي لمكر الرجال، فارغة القلب إلا من الزينة لبعلها، والإبقاء في الصيانة على أهلها.

* قال الحسن البصري رحمه الله: ينبغي للوجه الحسن ألا يشين وجهه بقبيح فعله، وينبغي لقبيح الوجه ألا يجمع بين قبيحين.

* قيل لأعرابي: أي النساء أفضل؟ قال: العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، التي في حجرها غلام، وفي بطنها غلام، ولها في الغلمان غلام.

* قال حكيم: ما تقول زوجة في زوجها الذي ترك كل النساء واختارها هي؟ وما تفعل زوجة مع زوجها الذي ترك الوالدين والأهل والأصدقاء ولم يرضَ أليفًا ولا أنيسًا له غيرها؟ وما حرص زوجة على عرض زوج وبيته وعرضها عرضه وبيته لها؟ وما صنع زوجة في نفسها لزوجها، وشياطين النساء رافلات في الزينة خارج البيت يفتنّ زوجها؟

* قال الفقيه ابن عبد ربه الأندلسي: البلاء كله موكل بالزوجة السوء، التي لا تسكن النفس إلى كريم عشرتها، ولا تقرّ العين برؤيتها.

* خطب عمرو بن حُجْر إلى عوف بن محلّم الشيباني ابنته أم إياس، فقال: نعم أزوّجكها على أن أسمّي بنيها وأزوج بناتها. فقال عمرو بن حجر: أما بنونا فنسميّهم بأسمائنا وأسماء

آبائنا وعمومتنا، وأما بناتنا فننكحهن أكفاءهن من الملوك، ولكني أصدقها عقارًا في كندة، وأمنحها حاجات قومها لا تردّ لأحد منهم حاجة، فقبل ذلك منه أبوها وأنكحه إيّاها، فلما كان بناؤه بها خلت بها أمها فقالت: أي بُنيّة، إنك فارقت بيتك الذي منه خرجْتِ، وعشَّكِ الذي فيه درجت، إلى رجلٍ لم تعرفيه، وقرينٍ لم تَأْلَفيه، فكوني له أَمَةً يكن له عبدًا، واحفظي له خصالًا عشرًا تكن لك ذُخرًا: أما الأولى والثانية، فالخشوع له بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة، وأما الثالثة والرابعة، فالتفقد لموضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشمّ منك إلا أطيب ريح، وأما الخامسة والسادسة، فالتفقد لوقت منامه وطعامه، فإن حرارة الجوع مُلْهبة، وتنغيص النوم مغضبة، وأما السابعة والثامنة، فالاحتفاظ بماله، والإرعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التدبير، وفي العيال حسن التقدير، وأما التاسعة والعاشرة، فلا تعصين له أمرًا، ولا تفشين له سرًّا؛ فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره وإن أفشيت سره لم تأمني غدره، ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مهتمًّا والكآبة بين يديه إذا كان فرحًا. وكانت أم إياس هذه من أجل ما وصفت العرب.

سئل أعرابي عن النساء، وكان ذا تجربة وعلمٍ بهن، فقال: أفضل النساء أطولهن إذا قامت، وأعظمهن إذا قعدت، وأصدقهن إذا قالت، التي إذا غضبت حلمت، وإذا ضحكت تبسمت، وإذا صنعت شيئًا جوّدت، التي تطيع زوجها، وتلزم بيتها، العزيزة في قومها الذليلة في نفسها، الودود الولود، وكل أمرها محمود.

* قيل: المرأة السوء كلامها وعيد، وصوتها شديد، تدفن الحسنات، وتفشي السيئات، ليس في قلبها لزوجها رحمة، قليلة الإرْعاء، تُوسِعُ الناس ذمًا، صخوب غضوب، صبيّها مهزول، وبيتها مزبول، إذا حدّثت تشير بالأصابع، تبكي وهي ظالمة، وتشهد وهي غائبة، قد دُلّي لسانها بالزور، وسال دمعها بالفجور.

* وقيل: آخر عمر الرجل خيرٌ من أوّله: يثوب حلمه، وتثقل حصاته، وتُحمد سريرته، وتكمل تجاربه، وآخر عمر المرأة شر من أوله: يذهب جمالها، ويذرب لسانها، وتعقم رحمها، ويسوء خلقها.

***

الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم يبين حقائق الدين ووصاياه للزوجين

* عـن ثوبـان رضي اللـه عنـه قـال: (لمـا نزلـت: {وَالَّذِيـنَ يَكْنِـزُونَ الذَّهَـبَ وَالْفِضَّـةَ}، كنـا مـع رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم في بعـض أسـفاره، فقـال بعـض أصحابـه: أُنزلـت في الذهـب والفضـة لـو علمنـا أي المـال خـيرٌ فنتخـذه؟ فقـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: **أفضلـه لسـان ذاكـر، وقلـب شـاكر، وزوجـة مؤمنـة تعينـه عـلى إيمانـه**» رواه ابـن ماجـة والترمـذي وقـال: حديـث حسـن.

* وعـن أبي أُمامـة رضي اللـه عنـه عـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم أنـه كان يقـول: «**مـا اسـتفاد المؤمـن بعـد تقـوى اللـه عـز وجـل خـيراً لـه مـن زوجـة صالحـة، إن أمرهـا أطاعتـه، وإن نظـر إليهـا سرّتـه، وإن أقسـم عليهـا أبرتـه، وإن غـاب عنهـا نصحتـه في نفسـها ومالـه**» رواه ابـن ماجـة، ومعنـى إن أقسـم عليهـا أبّرتـه أي إن حلـف عـلى شيء سـارعت بتنفيـذه.

* عـن عبـد اللـه بـن عمـرو بـن العـاص رضي اللـه عنهـما أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «**الدنيـا متـاع، وخـير متاعهـا المـرأة الصالحـة**» رواه مسـلم والنسـائي وابـن ماجـة ولفظـه: «**إنمـا الدنيـا متـاع، وليـس مـن متـاع الدنيـا شيء أفضـل مـن المـرأة الصالحـة**» وذكـره رزيـن ولفظـه «**الدنيـا متـاع ومـن خـير متاعهـا امـرأة تعـين زوجهـا عـلى الآخـرة، مسـكين مسـكين رجـل لا امـرأة لـه، مسـكينة مسـكنة امـرأة لا زوج لهـا**».

* وعـن أنـس رضي اللـه عنـه أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «**مـن رزقـه اللـه امـرأة صالحـة فقـد أعانـه عـلى شـطر دينـه، فليتـقِ اللـه في الشـطر الباقـي**» رواه الطـبراني في الأوسـط والبيهقـي والحاكـم وقـال: صحيـح الإسـناد.

فانظـري هـداك اللـه ورعـاك مَـنْ أنـت في هـذا الوجـود؟ هـذا الوجـود الـذي خلقـه اللـه ليعبـد، فأنـت بعـد تقـوى اللـه!!! فتقـوى اللـه بهـا سـعادة الدنيـا والآخـرة، وأنـت بـك سـعادة الدنيـا، والعـون عـلى سـعادة الآخـرة. أنـت مفتـاح السـعادة وليـس للرجـل بعـد تقـوى اللـه مـن مطلـب وغايـة واسـتفادة إلا أنـت.. أنـت بصلاحـك، أنـت بإيمانـك، أنـت في طاعتـك، سـعادته أن تطيعيـه،

سروره أن ينظر إليك، متاعه في الدنيا، بل خير متاعه أنت، دنياه ومبتغاه، لا الولد ولا المنصب ولا المال ولا الأهل، ليس بعد تقوى الله، إلا امرأة صالحة، تسرّه وتعينه وتنصحه وتحفظه وتمتعه وتبرّه، فمسكين ألف مسكين رجل لا يجدك فيستكمل بك الدين، وينعم برزق رب العالمين.

* بك يتحصّن من الشيطان، ويكسر التوقان ويدفع غوائل الشهوة، ويغض البصر، ويحفظ الفرج، ويروّح النفس، ويأنس بالمجالسة والنظر، والمداعبة وإراحة القلب، فيقوى على العبادة، فإن النفس ملول وهي عن الحق نفور، ويفرغ القلب عن تدبير المنزل. قال أبو سليمان الدّاراني: الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فإنها تفرغك للآخرة، وإنما تفريغها بحسن تدبير المنزل وبقضاء الشهوة. وقال محمد بن كعب القرظي: المرأة الصالحة هي معنى قول الله تعالى: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً}.

* عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئًا، ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرّقت بينه وبين امرأته، فيدنيه منه ويقول: نِعْم أنت فيلتزمه**» رواه مسلم وغيره.

* «**إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**» رواه مسلم، والتحريش هو الإغراء وتغيير القلوب والتقاطع.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ليس منا من خبب امرأة على زوجها**» رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه، ولفظه: «من أفسد امرأة على زوجها فلس منا» ومعنى خبّب: خدع وأفسد.

* وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أيّما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس، فحرام عليها رائحة الجنة**» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه.

فانظري رحمك الله وأعانك، كيف حِرْص شياطين الجن والإنس على إفساد السعادة

الزوجيـة، والحيـاة الأبديـة؟ والشـجار والنفـار بعـد المـودّة والرحمـة؟ بالتحريـش والتفريـق، وإفسـاد الحيـاة الطيبـة، فـإن العـدوّ المبـين عـلى الضـد مـن أمـر الديـن. فأمـر اللـه للزوجـين أن تكـون بينهـما المـودة والرحمـة، وأمـر الشـيطان القطيعـة والبغضـاء. يقـول المـولى عـز وجـل {وَقُـلْ لِعِبَـادِي يَقُولُـوا الَّتِـي هِـيَ أَحْسَـنُ إِنَّ الشَّـيْطَانَ يَنْـزَغُ بَيْنَهُـمْ إِنَّ الشَّـيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَـانِ عَـدُوًّا مُبِينًـا} [الإسراء: ٥٣] وينـزغ أي يفسـد.

***

الطاعة للرجل والقوامة على المرأة
هل هي تنقيص للمرأة وحط لمنزلتها؟

توطئة:

* الرجل والمرأة مخلوقان لعبادة الله وحده، والدنيا ليست مقصودة لذاتها وإنما هي مزرعة الآخرة. يقول عز وجل: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [آل عمران: ١٨٥] وكل ما يصيب العبد في هذه الدنيا امتحان ليفوز من يفوز ويخسر من يخسر {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [آل عمران: ١٨٥]. والغرور هو الخداع والوهم. ويقول عز وجل: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الكهف: ٧] فكل أوضاع الدنيا وكل عطاء فيها مقصود به الامتحان. والرجل والمرأة في ذلك سواء لا خلاف ولا اختلاف في غاية الأمر.

* تكاليف الشرع للرجل وللمرأة راعت العدل والرحمة. يقول الله تعالى: {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى} [آل عمران: ٣٦] لا في القدرات والجنس، فكل ميسّر لما خلق له، يقول الله عز وجل: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: ١٤] ويقول عزَّ مِنْ قائلٍ {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: ٢٨٦] فالتكاليف التي كلف الشرع بها الرجل مناسبة له ولما خلق له وهي في وسعه ومقدوره، والتكاليف التي كلف الشرع بها المرأة مناسبة لها ولما خلقت له وهي في وسعها ومقدورها.

* الرجل إذا قام بما كُلف به شرعًا فهو كريم على الله بقدر تقواه، وكذلك المرأة إذا قامت بما كلفها به الشرع كانت كريمة على الله بقدر تقواها لله، يقول المولى عز وجل {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: ١٣] بلا تفرقة بين رجل وامرأة، فهو مقياس واحد في شرع الله لا غير، الأفضل هو الأتقى، لا دخل للمقاييس الأخرى التي تعارف عليها الناس، لا الحسب، ولا الجاه، ولا المال، ولا الذكورة ولا الأنوثة ولا شيء من ذلك.

* يختلف الرجل عن المرأة في تكاليف وواجبات كل منهما، فهذه ضرورة شرعية وفطرية وعقلية وواقعية، فلن يكون الرجل كالمرأة ولا المرأة كالرجل بهذا الزعم، فليس الذكر

كالأنثى، وسنن الله في الخلق لا تتغير بتغير الأزمان {فطرت الله التي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم: ٣٠] فالرحم للمرأة والصلب للرجل ولن يحمل ذكر ويلد، ولن يكون إلا ذكر أو أنثى فيمن يولدون. ولو كلّفْنا المرأة بتكاليف مخالفة لفطرتها لكان فيه العنت والظلم والحرج، بل والعبث والمستحيل.

* ولكن العدل المطلق سوّى بين الذكر والأنثى فيما خُلقا من أجله، العبادة والطاعة والجزاء في الدنيا والآخرة، بلا فرق ولا أدنى فرق، وهذا مقصود الوجود، هذا جوهر القضية فما عداه مقصود له. يقول البارئ الخالق {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧] ويقول سبحانه: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا} [النساء: ١٢٤] ويقول جل وعلا {يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ} [غافر: ٣٩، ٤٠] ويقول سبحانه: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ} [آل عمران: ١٩٥] فانظري وتفكري وفقك الله، فهل ترين الله فضل الرجل على الأنثى؟ هل من أدنى فرق؟ هذه هي المساواة الحقة من خالق الخلق ومجازي الخلق، هذه هي حقيقة الأمر يخبر بها الله الخلق. فكم من أنثى هي عند الله أفضل من ملايين الذكور بتقواها وبفجورهم وكفرهم. وكم من زوجة مطيعة لربها هي أفضل من زوجها المضيع للدين.

* من مقصود الشرع والدين أن يكلفنا بما نحب وبما نكره، فليست كل تكاليف الدين محببة للمؤمنين يقول عز وجل {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ } [البقرة: ٢١٦] ويقول من قائل: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} [النازعات: ٤٠، ٤١] فمقصود الأوامر والنواهي امتحان العبد والجائزة للفائزين هي الجنة،

لذلـك يكلفنـا اللـه بـترك مـا تحـب نفوسـنا مـن شـهواتها وقـد زيّنهـا لنـا وحببنـا فيهـا مـن أمـور ماديـة ومعنويـة كالزنـا والنظـر للعـورات وحـب المـدح وغـير ذلـك، ومـما تكرهـه النفـوس الطاعـة للغـير والخضـوع لـه، لذلـك حـضّ القـرآن عـلى الطاعـة للـه ولرسـوله ولأوليـاء الأمـر، وأخـذ الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم بيعـة الصحابـة عـلى السـمع والطاعـة في المنشـط والمكـره والعـسر واليـسر وعـلى ألا ننـازع الأمـر أهلـه.

***

طاعة ولي أمر المرأة والزوج تكليف شرعي من أعظم التكاليف

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أعظم حقًّا على المرأة؟ قال: زوجها. قلت: فأي الناس أعظم حقًّا على الرجل؟ قال: أمه» رواه البزار والحاكم وإسناده حسن. فما أعظمه شرع من عند الله العليم الحكيم، تكليف عظيم على المرأة وفاءً بحق الزوج وهو رجل، وفي المقابل تكليف عظيم على الرجل وفاء بحق الأم وهي امرأة.

* عن حُصين بن مِحْصن رضي الله عنه أن عمّةً له أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها: أذاتُ زوج أنت؟ قالت: نعم. قال: فأين أنت منه؟ قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه. قال: فكيف أنت له؟ فإنه جنتك ونارك» رواه أحمد والنسائي والحاكم وهو صحيح الإسناد، ومعنى ما آلوه أي ما أستطيعه، أي أفعل معه كل شيء يحبه إلا إذا عجزت عنه. لقد عرفت نساء الصحابة حق الله وحقوق العباد ومنها حق الزوج فاجتهدن وشمّرن للجنة، ولم تردّ أمر الله ولم تناقشه ولم تكرهه عندما أمرها بطاعة الزوج وحسن التبعّل له.

* عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة» رواه ابن ماجة والترمذي والحاكم وحسنه الترمذي وقال الحاكم: صحيح الإسناد. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا صلّت المرأة خمسها، وحصّنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت» رواه ابن حبان في صحيحه. ورواه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: «إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت» رواه أحمد والطبراني. إنها تكاليف واحدة، الصلوات الخمس، صيام رمضان، حفظ الفرج، طاعة الزوج، كلها تؤديها المرأة لله، طاعة له وحده، واستجابة لشرعه، فليس النظر في الأمر

نفسه ولكن النظر فيمن هو صاحب الأمر الذي به أمر، فالطاعة له وحده، إن صمت الشهر فله وحده، وإن أطعت زوجك فله وحده، فكلها طاعة لله، والغاية الجنة، بل حتى طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ليست له ولكنها لله {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}.

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن يصيبوا أجروا، وإن قتلوا كانوا أحياءً عند ربهم يرزقون، ونحن معشر النساء نقوم عليهم، فما لنا من ذلك؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبلغي من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافًا بحقّه يعدل ذلك، وقليل منكن من يفعله» رواه البزار ورواه الطبراني ولفظه «ثم جاءته يعني النبي صلى الله عليه وسلم امرأة فقالت: إني رسول النساء إليك وما منهن امرأة علمت أو لم تعلم إلا وهي تهوى مخرجي إليك. الله رب الرجال والنساء وإلهُهُن، وأنت رسول الله إلى الرجال والنساء، كتب الله الجهاد على الرجال فإن أصابوا أجروا وإن استشهدوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة؟ قال: طاعة أزواجهن والمعرفة بحقوقهن، وقليل منكن من يفعله».

فانظري هداك الله وأعانك قول وافدة النساء وهي أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: ما من امرأة علمت أو لم تعلم إلا وهي تهوى مخرجي إليك، إنه إجماع من النساء على طلب واحد محدد: ما هو الشيء الذي تلحق به النساءُ الرجال الذين يقاتلون في سبيل الله لأنه أمر من تكاليف الرجال دون النساء؟ وهو أمر علم من الدين أنه سنام الدين وذروته بالنسبة للرجال. وكانت إجابة النبي صلى الله عليه وسلم محددة أيضًا واضحة: طاعة أزواجهن والمعرفة بحقوقهن. وهذا هو الأمر الذي تكرهه نفوس النساء من فروض وتكاليف الدين، تمامًا كما أخبر الله تعالى أن الجهاد المكتوب على الرجال تكرهه نفوسهم {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ} [البقرة: ٢١٦] وانظري أيضًا رعاك الله ما هو المطلب المجمع عليه من نساء المسلمين!! الأجر والثواب والمساواة في ذلك مع الرجال لأن الله

رب الرجال والنساء وإلههن، والرسول رسول الله إلى الرجال والنساء، ثم انظري أنار الله بصيرتك ما هو مطلب نساء المسلمين اليوم!! المساواة مع الرجال في أمور الدنيا بما جلب للحياة الشقاء للجميع.

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه، أي يسقون عليه الماء من البئر، وإنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وإن الأنصار جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنه كان لنا جمل نسنى عليه وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل؟ فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: قوموا، فقاموا فدخل الحائط، أي الحديقة، والجمل في ناحيته، فمشى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه، فقالت الأنصار: يا رسول الله قد صار مثل الكلْب الكلِب نخاف عليك صولته؟ قال: ليس عليَّ منه بأس، فلما نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خرَّ ساجدًا بين يديه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله هذا بهيمه لا يعقل يسجد لك، ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك، قال: لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها، لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه» رواه أحمد والنسائي بإسناد جيد رواته ثقات مشهورون، ورواه البزار وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة، وليس فيه لو كان إلى آخر الحديث. نعم يا أختي في الله، إنها حقوق قدرها الله تؤمن بها المؤمنة بالله، وتخالف طبعها وكبرياءها لتدخل جنة ربها، فالله الله ثم الزوج. والجزاء من الله مودة ورحمة ووعد بالسعادة القلبية والعيش والهنيء. قد سعدت في الدنيا النساء المؤمنات القانتات الحافظات لله بالغيب من سلفنا الصالح، وشقيت أكثر النساء في حياتنا اليوم لأن القلوب أنكرت شرع الله وخالفت أمره، ولم يحدث أن سجدت امرأة لزوجها لأن ذلك يخالف الشرع ولكنها خضعت لربها وأطاعت زوجها فأخضع الله قلب زوجها لها فملكته وتربعت فيه، فهيئتها أنها ذليلة لزوجها وحقيقتها أنها عزيزة ملكت قلبه وبيته، فالجزاء جنس العمل.

***

هل المرأة أقل من الرجل في العقل والدين؟

* عـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه قـال: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**اسـتوصوا بالنسـاء. فـإن المـرأة خلقـت مـن ضلـع، وإن أعـوج مـا في الضلـع أعـلاه فـإن ذهبـت تقيمـه كسرتـه، وإن تركتـه لم يـزل أعـوج، فاسـتوصوا بالنسـاء**» رواه البخـاري ومسـلم وغيرهـما. وفي روايـة لمسـلم «**إن المـرأة خلقـت مـن ضلـع لـن تسـتقيم لـك عـلى طريقـة، فـإن اسـتمتعت بهـا، اسـتمتعت وفيهـا عـوج، وإن ذهبـت تقيمهـا كسرتهـا، وكسرهـا طلاقهـا**».

* عـن أبي سـعيد الخُـدْري رضي اللـه عنـه قـال: «خـرج رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم في أضحـى أو فطـر إلى المصـلّى فمـر عـلى النسـاء فقـال: **يـا معـشر النسـاء... مـا رأيـت مـن ناقصـات عقـل وديـن أذْهـب للـبّ الرجـل الحـازم مـن إحداكـن.** قلـن: ومـا نقصـان ديننـا وعقلنـا يـا رسـول اللـه؟ فقـال: **أليـس شـهادة المـرأة مثـل نصـف شـهادة الرجـل**؟ قلـن: بـلى. قـال: **فذلـك مـن نقصـان عقلهـا، أليـس إذا حاضـت لم تصـلِّ ولم تصُـمْ؟ قلـن: بـلى. قـال: فذلـك مـن نقصـان دينهـا» رواه البخـاري ومسـلم.**

* معنـى العقـل: قـال ابـن منظـور في لسـان العـرب: العقـل التثبـت في الأمـور. قـال ابـن الأنباري: رجـل عاقـل هـو الجامـع لأمـره ورأيـه، مأخـوذ مـن عقلـت البعـير إذا جمعـت قوائمـه، والعاقـل الـذي يحبـس نفسـه ويردهـا عـن هواهـا. فالعقـل غـير الـذكاء، وقـد تكـون المـرأة أكـثر ذكاءً مـن الرجـل أو يكـون الرجـل أكـثر ذكاءً مـن المـرأة، ولكـن الرجـل في العمـوم أعقـل مـن المـرأة أي أكـثر حزمًـا وتثبتًـا في الأمـور. وذلـك أن طبيعـة عامـة النسـاء الرقـة ووفـور العاطفـة وغلبتهـا، فالمـرأة بطبعهـا شـديدة التأثـر بالأمـور، موفـورة العاطفـة، رقيقـة الأحاسـيس، زائـدة الحنـان والرحمـة والشـفقة، وهـذا فـرق نفـسي وبيولوجـي تفـترق فيـه المـرأة عـن الرجـل، إن المـرأة تفـترق عـن الرجـل في العوامـل الجسـمية فتمـر بمراحـل مختلفـة مـن حيـض ونفـاس وحمـل وولادة ورضاعـة تجعلهـا أكـثر اسـتجابة للسـلوك الانفعـالي والمتقلـب، وبالتـالي يصعـب عـلى المـرأة بعامـة حبـس انفعالاتهـا وحـزم أمورهـا وإدارة الـرأي والتثبيـت فيـه غالبًـا، وهـذا معنـى نقصـان

العقـل، أي نقصـان النشـاط العقـلي عنـد النسـاء بتأثـير تلـك العوامـل.

* قـال ابـن تيميـة: قولـه تعـالى: {فَـإِنْ لَـمْ يَكُونَـا رَجُلَـيْنِ فَرَجُـلٌ وَامْرَأَتَـانِ مِمَّـنْ تَرْضَـوْنَ مِـنَ الشُّـهَدَاءِ أَنْ تَضِـلَّ إِحْدَاهُـمَا فَتُذَكِّـرَ إِحْدَاهُـمَا الْأُخْـرَى} [البقـرة: ٢٨٢] فيـه دليـل عـلى استشـهاد امرأتـين مـكان رجـل إنمـا هـو لإذكار إحداهـما الأخـرى إذا ضلـت، وهـذا إنمـا يكـون فيـما فيـه الضـلال في السـعادة وهـو النسـيان وعـدم الضبـط. وإلى هـذا المعنـى أشـار النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم حيـث قـال: «**وأمـا نقصـان عقلهـن: فشـهادة امرأتـين بشـهادة رجـل**» فعلـم بذلـك أن عـدل النسـاء بمنزلـة عـدل الرجـال، وإنمـا عقلهـا ينقـص عنـه. وأمـا مـا كان مـن الشـهادات مـما لا يخـاف فيـه الضـلال في العـادة لم تكـن فيـه المـرأة عـلى النصـف مـن الرجـل، وتقبـل فيـه شـهادتين منفـردات، لأنهـا أشـياء تراهـا يعينهـا أو تلمسـها بيدهـا أو تسـمعها بأذنهـا مـن غـير توقـف عـلى العقـل كالـولادة والارتضـاع والحيـض والعيـوب تحـت الثيـاب، فـإن مثـل هـذا لا ينـسى في العـادة ولا تحتـاج معرفتـه إلى إعـمال العقـل.

* وقـال ابـن قيـم الجوزيـة: والمـرأة العـدل كالرجـل في الصـدق والأمانـة والديانـة إلا أنهـا لمـا خيـف عليهـا السـهر والنسـيان قويـت بمثلهـا، وذلـك قـد يجعلهـا أقـوى مـن الرجـل الواحـد أو مثلـه.

* والـذي عليـه جمهـور العلـماء أنـه لا تجـوز شـهادتهن في الحـدود والقصـاص، واتفقـوا عـلى قبـول شـهادتهن مفـردات فيـما لا يطلـع عليـه الرجـال كالحيـض والـولادة وعيـوب النسـاء. وذلـك لغلبـة الجانـب العاطفـي ولخطـورة مـا ينبنـي عـلى الشـهادة مـن قتـل نفـس أو قطـع عضـو، أمـا الديـون والأمـوال فـلا خطـر مـن شـهادتهن.

* وأمـا نقـص الديـن فحـدّده النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم بنقـص الصـلاة والصـوم في أيـام الحيـض والنفـاس، والـذي أمـر بالصـلاة والصـوم هـو سـبحانه الـذي حـرم عـلى المـرأة في أيـام حيضهـا ونفاسـها ذلـك وكتبـه عـلى بنـات آدم، وهـو نقـص محصـور في ذلـك تعوضـه المـرأة بغـير هاتـين الشـعيرتين بـأداء شـعائر أخـرى أو بزيـادة النوافـل مـن الصـلاة والصـوم في أيـام طهرهـا. بـل إن بعـض العلـماء منهـم ابـن حجـر العسـقلاني في كتابـه «فتـح البـاري شرح صحيـح البخـاري» رجَّـح احتـمال أن المـرأة تثـاب عـلى تـرك الصـلاة أيـام الحيـض كـما يثـاب المريـض عـلى

النوافـل التـي كان يفعلهـا في صحتـه وشُـغل بالمـرض عنهـا.
وأمـا مـا في المـرأة مـن عـوج وهـو عـدم تثبتهـا في الأمـور، وسرعـة انفعالهـا وغضبهـا وتقلـب رأيهـا ومزاجهـا للأسـباب السـابق شرحهـا، فإنـه لا يمنـع مـن الاسـتمتاع وهنـاء العيـش وحسـن وطيـب العـشرة، والحديـث صحيـح في ذلـك حيـث يقـول: «**فـإن اسـتمتعت بهـا، اسـتمتعت وفيهـا عـوج**» فهـي قـادرة رغـم طبيعتهـا الانفعاليـة عـلى اسـتمرار المتـاع بالخلـق الـذي خلقهـا اللـه عليـه مـع زوجهـا الـذي يعـرف طبائـع المـرأة فيجاريهـا ويداريهـا ليعيـش بهـا. فـإن حـرص عـلى تغيـير طباعهـا الخلقيـة الأنثويـة فلـن يقـدر لأنـه يغالـب السـنن الإلهيـة في الخلـق وسـيقع في كـسر المعـوج لا تقويمـه، فعليـه أن يسـتمتع معهـا بالحيـاة ولا يقـاوم سـنن الحيـاة.

* **وخلاصـة الـرأي**: أن مـا يعتقـده البعـض عيبًـا في المـرأة هـو عـين مـا يميزهـا كأنثـى، إن المـرأة مخلـوق رقيـق خلقتهـا مشربـة بالعواطـف التـي تنـدّي الحيـاة شـديدة القيـظ، إنهـا منـذ حملهـا للإنسـان وبعـد ولادتـه ترضعـه مـن عواطـف المحبـة والرحمـة والشـفقة وتغـذي روحـه بأنبـل ما في الحيـاة مـن مشـاعر، فكـما يصـح بدنـه وينمـو بالغـذاء المـادي، فـإن روحـه ونفسـه لا تصـح، ولا تنضـج وتكـبر نفسـه بـدون هـذا الغـذاء الـذي لا تملكـه في الدنيـا غـير امـرأة هـي أمُّـه بـل في طفولـة هـذا الإنسـان وسـنين مراهقتـه لـو لم يجـد في الأم وعندهـا مـا يتعلـق بـه ويكتفـي بـه لتشـوهت خلقتـه البشريـة، بـل هـذا الـزوج الـكادح في الحيـاة الـذي تجـف عواطفـه وتقسـو جوانحـه وتجـوع غرائـزه، لا يجـد في العـالم مـن يعطيـه المـودة والرحمـة والسـكن حتـى يواجـه الحيـاة كرجـل، لـن يجـد ذلـك إلا عنـد امـرأة هـي زوجتـه. فعواطـف الرجـل وغرائـزه وروحـه ونفسـه بـل وعقلـه لا غنـى لـه إلا في امـرأة تتـمازج كلهـا معـه في سـنة بشريـة وصـورة شرعيـة فتصبـح آيـة مـن آيـات اللـه في الوجـود.
إنهـن القواريـر، إنهـن الرياحـين، إن المـرأة التـي ليـس لهـا نصيـب مـن موفـور العاطفـة وتأججهـا، ولـو كان لهـا نصيـب مـن العقـل مثـل الرجـل أو زيـادة، ليسـت أنثـى يرغـب الرجـال فيهـا، واسـألوا كوامـن ودخائـل الرجـال لتعرفـوا أن الرجـل لا يريـد امـرأة بطبـاع الرجـال، يريدهـا امـرأة لا غـير، كـما خلقهـا لـه اللـه العليـم الخبـير، يلاعبهـا وتلاعبـه ويداعبهـا وتداعبـه، وصـدق رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم «سـاعة وسـاعة يـا حنظلـة».

***

* **أيتها الأخت البارة الكريمة،** أسعدك الله وهداك، اعلمي أنك وبيتك لزوجك الكريم الذي رضي بصحبتك دون بني جنسك أجمعين، في دنياه وآخرته، فكوني ملكة له في بيتك تكوني ملكة متربعة على عرش قلبه بعد الله تعالى، أنت وبيتك لزوجك ... أولًا.

* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا التقى المسلمان، فسلم أحدهما على صاحبه، فإنَّ أحبهما إلى الله أحسنهما بشرًا لصاحبه، فإذا تصافحا نزلت عليهما مائة رحمة، وللبادي منهما تسعون وللمصافح عشرة**». رواه البزار، وعن شيبة الحجبي عن عمه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ثلاث يصفين لك وُدّ أخيك: تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه**» رواه الطبراني في الأوسط. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من لقي أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله عز وجل يوم القيامة**» رواه الطبراني وأبو الشيخ.

* **أيتها الأخت الراشدة،** الدقائق الأولى عند استقبال زوجك لها تأثير السحر سلبًا وإيجابًا، فقد جاء في الأثر أن الشيطان يأخذ بعين الرجل إذا دخل منزله فلا تقع إلا على ما يكره، إن العدو لا يريد الهدوء والسعادة في منزل للمسلمين ولا لبني آدم أجمعين، **لذلك لا بد أن تعلو الابتسامة وجهك بمجرد أن تقابليه:**

- لقد جاء الصاحب والأنيس بتعبه وإرهاقه وعنائه لبيت السكن والمودة والرحمة، إنه عائد من عناء، داخل في هناء، أنت وحدك جعلك الله بحنانك وبشاشتك عوضًا عن كل شيء.

- قابليه عند الباب واحرصي أن يقع نظره على وجهك الباسم الحبيب أول ما يقع، بل واحرصي أن يرى اللهفة عليه والفرح بقدومه، والعيون تبدي ما في القلوب، والقلوب لها لغة لا تعرف الكذب. فصدقي أيتها الأخت أن هذا الوجه لن يُنْسى، إنه طيف خاطره

كلما خرج من بيتك، فيحرص على سرعة العودة ليقف بالباب في انتظار أن يفتح ليتبدّى وجهك له بإشراقه وبشاشته كقطعة القمر، فتغيب كل مظاهر العناء والتعب من نفسه، وسوف يبتسم لك، فتسري في جنبات النفس والبيت إشراقة الحياة.

- حاولي أن تكون مواعيد عودته محسوبة ومترقبة، فتكوني في أبْهى مظاهرك. عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرقن أهله ليلًا**» وفي رواية «**نهى أن يطرق الرجل أهله ليلًا كي تمتشط الشعثة وتستحد المعينة**» رواه البخاري ومسلم، والطروق هو المجيء في الليل، الشعثة التي تلبّد شعرها واغبرَّ وانتشر، وتستحد المعينة أي تزيل شعر العانة، وهذا الهدي النبوي يدل على حرص الدين على أن تبدو الزوجة دائمًا وخاصة عند قدوم زوجها من سفر في أبهى وأحسن هيئة لها، والأمر لا يحتاج منك إلى طول استعداد، بل يكفي أن تصففي شعرك بسرعة، وتبدلي ثوب المهنة والمطبخ بثوب نظيف، بل مجرد إظهار هذا الحرص منك يكفي مع الاعتذار اللطيف قبل قولك: آسفة يا حبيبي أني لم أستعد لاستقبالك.

- التجاوب السريع غير المفتعل بالترحيب به والعمل على إراحته، والتفرغ له ولو لدقائق قليلة تعرفين خلالها إن كان مهمومًا أو فرحًا أو متعبًا فتتعاملين معه حسب حالته النفسية هو لا حالتك أنت، وإياك أن تكدري فرحه أو تجرحي حزنه أو تستهيني باهتمامه.

- عادة يعود الزوج جائعًا متلهفًا بعد لقائك للطعام، ومرارة الجوع ملهبة، لذلك يكون عصبي المزاج، فكوني معدة لطعامه مستعدة لتقديمه له والجلوس معه والمشاركة في الطعام، ولا تعتذري بالشبع أو الانشغال عنه، فليس في البيت ولا مشاغله أهم منه، وإذا تعذر تقديم الطعام ففي تقديم شيء مما يتاح ويقدم للضيف أو فنجان من الشاي، والمشاركة فيه عوض يريه اهتمامك به.

* الاستقبال الجميل يدل على رجاحة العقل وحسن الخلق والدين، فقبيح بالزوجة أن تستقبل زوجها بوابل من الشكوى أو العتاب، فيا أختي العزيزة احتفظي بشكواك للوقت المناسب، فلكل مقام مقال، فللأسف أن أكثر الزوجات تمطر الزوج بالشكوى بمجرد دخوله المنزل، نعم الهموم ثقيلة يحتاج المرء لتخف عن قلبه أن يشاركه مخلص وفيّ، لكن

المطلـوب تحـيُّن الوقـت المناسـب، وليـس وقـت قـدوم الـزوج دائمًـا وقتًـا مناسـبًا لذلـك.
- مشـاكل الأطفـال، عـدم الطاعـة، عـدم المذاكـرة ... إلـخ، عليـك بتأجيلهـا إلى أن يأخـذ قسـطه مـن الراحـة ويفـرغ مـن طعامـه واهتماماتـه، ثـم اسـتأذنيه في الحديـث عـن أولاده الحلويـن ومشـاكلهم المعتـادة والمكـررة، لاطلاعـه عـلى أحوالهـم وطلـب النصـح منـه وانتظـار توجيهاتـه بخصوصهـم، كل ذلـك بعيـدًا عنهـم وفي غـير حضورهـم. إن الأولاد في حاجـة لقضـاء بعـض الوقـت القصـير المتـاح للـزوج في البيـت، فـلا تسـتَعْدي دون قصـد منـك الأب عليهـم بتكـرار الشـكوى لـه منهـم فيـسرع إليـه الغضـب عليهـم فـلا يعطيهـم مـن حلـو حديثـه وحنانـه ومزاحـه وشـوقه لهـم. واعلمـي يـا أختـاه أن الوقـت القليـل الـذي يقيـم فيـه الـزوج والأب مـن الأولاد نـادر وقليـل فـلا تكـدِّري صفـوه كل يـوم بـسرد المشـاكل وإلا نـدرت أوقـات السـعادة العائليـة وربمـا اختفـت، والأولاد يتشربـون جـو الحيـاة العائليـة، فتعتـل نفوسـهم أو تصـح في هـذه الأجـواء، فرفقًـا بالـزوج، ورفقًـا بـأولادك، ورفقًـا بنفسـك، فالنتيجـة دائمًـا تعـود عليـك، فجـو المنـزل مـن حيـث السـعادة والكـدر مثـل نظريـة الأواني المسـتطرقة، تفيـض القلـوب بمـا فيهـا عـلى مـن حولهـا حتـى تتسـاوى في الأحاسـيس والمشـارب.
- العتـاب في أوقـات الصفـاء مـن الجفـاء، فقـد تعمـد الزوجـة إلى عتـاب زوجهـا عنـد قدومـه مـن خـارج البيـت لتأخـره أو لعـدم إحضـار مطلـوب .. إلـخ وهـذا مـن تعكـير الصفـو، وسـوء الفهـم، لقـد أوصـدت هـذه الزوجـة بسـلوكها أبـواب القبـول والرضـا عنـد الـزوج، وأصابتـه بخيبـة أمـل، وتغـير المـزاج والاسـتعداد، وانحـرف الحـال وسـاءت النيـات، وانفتـح بـاب الوسـواس الخنـاس. كـما قـد تظـن زوجـة حريصـة أن أوقـات الصفـاء مـع الـزوج هـي المناسـبة لمعاتبتـه عـلى أمـور أخَّرتهـا بحـرص حتـى ذلـك الوقـت المناسـب، وهـذا خطـأ شـائع آخـر تقـع فيـه الزوجـات، فعليها أن تعلـم أن أوقـات الصفـاء، مـع قلتهـا فرصـة للهنـاء والـسرور والبهجـة، وليسـت فرصـة للكـدر وتعكـير الصفـو وتغيـير النفـوس. فـما بالـك بمـن تكـثر العتـاب وتكـرره، ومـن لا تـدع وقتًـا يخلـو مـن العتـاب واللـوم، فنعـوذ باللـه مـن قلـة التوفيـق.
* عـن أنـس بـن مالـك رضي اللـه عنـه قـال: «مـات ابـنٌ لأبي طلحـة مـن أم سـليم، فقالـت لأهلهـا: لا تحدثـوا أبـا طلحـة بابنـه حتـى أكـون أنـا أحدثـه، فجـاء فقربـت إليـه عشـاءً، فـأكل

وشرب ثـم تصنعـت لـه أحسـن مـا كانـت تصنـع قبـل ذلـك، فوقـع بهـا، فلـما أن رأت أنـه قـد شـبع وأصـاب منهـا قالـت: يـا أبـا طلحـة، أرأيـت لـو أن قومًـا أعـاروا عاريتهـم أهـل بيـت فطلبـوا عاريتهـم، ألهـم أن يمنعوهـا؟ قـال: لا، فقالـت: فاحتسـب ابنـك. قـال: فغضـب ثـم قـال: تركتنـي حتـى إذا تلطخـت ثـم أخبرتنـي بابنـي، فانطلـق حتـى أتى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فأخـبره بمـا كان، فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «بـارك اللـه في ليلتكـما ...» الحديـث، وهـو متفـق عليـه، رواه البخـاري ومسـلم، فهـذه امـرأة صالحـة تزينـت لزوجهـا وقـد مـات ولدهـا حتـى لا يقبـل فيسـتقبل بأخبـار غـير سـارة ثـم أراحتـه وأطعمتـه وتقربـت منـه حتـى أصـاب منهـا، ثـم تفننـت في توصيـل الخـبر إليـه بأسـلوب عاقـل وصـبر واسـع فـرضي اللـه عنهـا وعـن أتباعهـا مـن بنـي جنسـها الـلاتي حَرِصْـن عـلى حسـن اسـتقبال الـزوج.

* التَزيّـن للـزوج واجـب عليهـا لـه، وحـق لزوجهـا ولنفسـها، بـل ولربهـا فـإن النظافـة رأس الزينـة، والنظافـة مـن الإيمـان.

- **أيتهـا الأخـت الفاضلـة**، احـرصي أن تكـوني أنثـى، وعـلى الفطـرة التـي فطـر اللـه عليهـا النسـاء مـن حُـب الجـمال والتجمـل، والتجمـل فـن مـن فنـون المعـاشرة الزوجيـة، وأظنـك أيتهـا الأخـت الفاضلـة أنـك كنـت حريصـة عـلى ذلـك منـذ عقـد عليـك زوجـك حتـى لا تقـع عينـه إلا عـلى مـا يرضيـه ويزيـده رغبـةً وتعلقًـا بـك، وأنـت تعلمـين أنـه يحـب ذلـك، وقـد يـصرِّح بذلـك وقـد يسـكت عـن غـير رضى منـه، فهـل تظنـين أنـه لم يعـد لـه عـين تحـب أن تـرى ذلـك منـك؟ وهـل بـتركك للتزيـن لـه تضمنـين أنـه لم يعـد يرغـب في أن يـرى امـرأة ذات زينـة؟ وهـل تضمنـين رغـم كل شيء جميـل منـك وفيـك أن رغبتـه في ذلـك ماتـت أو ضعفـت؟ مهـما كان الأمـر أنـت واهمـة، إن لم تتزينـي لـه، أن قلبـه لم يتغـير وأنـه راضٍ كل الرضـا.

- **أيتهـا الأخـت الفاضلـة**، اعلمـي أن شـياطين الإنسـان والجـن تزيـن لزوجـك كسـائر النـاس، فزوجـك رجـل ابتـلاه اللـه، يقـول تعـالى: {زُيِّـنَ لِلنَّـاسِ حُـبُّ الشَّـهَوَاتِ مِـنَ النِّسَـاءِ} الآيـة، وعـن أبي سـعيد الخـدري رضي اللـه عنـه قـال: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**مـا مـن صبـاح إلا وملـكان ينـاديـان: ويـل للرجـال مـن النسـاء، وويـل للنسـاء مـن الرجـال**» رواه ابـن ماجـة والحاكـم وقـال صحيـح الإسـناد. وعـن ابـن مسـعود رضي اللـه عنـه قـال: قـال رسـول

الله صلى الله عليه وسلم: «**أيما رجل رأى امرأة تعجبه فليأتِ إلى أهله، فإن معها مثل الذي معها**» رواه الدارمي. وعن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى أصحابه فقال لهم: «**إن المرأة تقبل في صورة شيطان فمن وجد من ذلك فليأت أهله فإنه يضمر ما في نفسه**» رواه أبو داود وهو عند مسلم والترمذي بقريب من ذلك. ومعنى فإنه يضمر ما في نفسه أي يضعف ويقلل ما في نفسه من الميل إلى النساء والنظر إليهن. لذلك أيتها الأخت الفاضلة اللوم كله عليك إن أنت لم يجد زوجك عندك من الزينة والتجمل ما عند النساء الشياطين في خارج بيتك وما أكثرهن وأحرصهن على جذب أنظار زوجك وسائر الرجال، وإياك إياك هداك الله أن تتزيني لغير الزوج أو عند الخروج من المنزل فتستجلبين غضب الجبار، واسمعي هذا الحديث لعل فيه زاجر، عن ميمونة بنت سعيد خادمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مثل الرافلة في الزينة في غير أهلها كمثل الظلمة يوم القيامة لا نور لها**» رواه الترمذي ومعناه: المتبرجة بالزينة لغير زوجها».

- **أيتها الفاضلة** اسمعي هذه الوصيّة من أمّنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي توجز القول النافع الجامع لكل زوجة «فعن بكرة بنت عقبة أنها دخلت على عائشة رضي الله عنها فسألتها عن الحناء فقالت: شجرة طيبة وماء طهور، وسألتها عن الحفاف فقالت: إن كان لك زوج فاستطعت أن تنزعي مُقْلتيْك فتصنيعهما أحسن مما هما فافعلي» رواه الإمام مسلم. نعم إلى هذا الحد تخبر زوج النبي صلى الله عليه وسلم ما يجب أن تبذله الزوجة من التزين للزوج فتخرج عينيها لتصنعهما أحسن مما هما تحبيبًا للزوج وتطميعًا في الإقبال عليها.

- واسمعي رعاك الله لهذه القصة اللطيفة التي تحدثنا عن منافسة زوجات النبي صلى الله عليه وسلم في التزين له والخوف عليه من أن يرى غيرهن في صورة من الزينة أفضل منهن. فعن رزينة رضي الله عنها مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم «أن سودة اليمانية جاءت عائشة تزورها وعندها حفصة بنت عمر رضي الله عنهما، فجاءت سودة في هيئة وفي حالة حسنة، عليها بُرْد من دروع اليمن وخمار كذلك، وعليها نقطتان مثل الفرستين

مـن صبر وزعفـران إلى عينهـا، قالـت إحـدى راويـات الحديـث واسـمها عليلـة: وأدركـتُ النسـاء يتزيَّـنَّ بـه، فقالـت حفصـة لعائشـة: يـا أم المؤمنـين يجـيء رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وهـذه بيننـا تـبرق، فقالـت أم المؤمنـين: اتقـي اللـه يـا حفصـة، فقالـت: لأفسـدنّ عليهـا زينتهـا، قالـت سـودة: مـا تقلـن؟ -وكان في أذنهـا ثقـل- قالـت لهـا حفصـة: يـا سـودة خـرج الأعـور- أي المسـيح الدّجـال –قالـت: نعـم، عليـك بالخيمـة- خيمـة لهـم مـن سـعف النخـل يختبئـون فيهـا –فذهبـت فاختبـأت فيهـا- وفيهـا القـذر ونسـيج العنكبـوت، فجـاء رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وهـما تضحـكان لا تسـتطيعان أن تتكلـما مـن الضحـك، **فقـال: مـا ذا الضحـك**؟ ثـلاث مـرات، فأومأتـا بأيديهـما إلى الخيمـة، فذهـب فـإذا سـودة تُرعـد، فقـال لهـا: يـا سـودة مـا لـك؟ قالـت: يـا رسـول اللـه خـرج الأعـور!! **قـال: مـا خـرج وليخرجـن**، مـا خـرج وليخرجـن. فأخرجهـا فجعـل ينفـض عنهـا الغبـار ونسـيج العنكبـوت» رواه الطـبراني وأبـو يعـلي.

***

حق الزوج الصراح في الرحيق المباح

* من أهم مقصود الزواج الجماع، وهو أصل في وجود الحياة للكائنات، وهو من أهم حاجات النفس البشرية وأقوى شهواتها، تجتمع فيه إشباعات العواطف والغرائز والروح والبدن والفكر والتصور والذوق والرغبة والشوق والإحساس والخيال، والسمع والبصر والشم واللمس والذوق والمشاعر والأعصاب وسائر الأعضاء لكلا الزوجين، ثم إن الله تعالى يجعله سببًا في تخليق وتصوير كائن بشري آخر يصوره في الأرحام كيف يشاء، ذكرًا أو أنثى في أحسن تقويم، نعم إن الجماع عملية حيويّة في غاية الإبداع البشري يسمو فيه النوع البشري عن كافة المخلوقات، وخاصة الحيوانية، بهذا الفيض الغامر من العواطف والمشاعر النفسية والروحية للوصول إلى أقصى استمتاع متكامل لانطلاق الحياة واستمرارها، ولقضاء الاحتياج في انكشاف نفسي وروحي وبدني صريح، تغلفه الفطرة بستار من الحياء الفطري الراقي، والإيمان الديني الذي تؤسس عليه العلاقة الزوجية، والعطاء الرباني من المودة والرحمة. فيرتفع الحرج الإنساني، وتنساب الحياة في يسرها في متعة وعبادة {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ}.

* اعلمي حفظك الله أن صبر الرجل على الجماع أضعف من المرأة، ودواعي الجماع عنده دائم؛ لما يجتره عليه النظر لشياطين الإنس من بني جنسك، ولو كان نظر الفجأة، والأيام التي تطرأ عليك في حيضك ونفاسك ومرضك يقلل من الفرص المتاحة له، وقد ينشط الرجل لهذا الأمر لكل هذه الدواعي وغيرها ولا يستطيع ذلك إلا معك حتى لا يقع في حرج شرعي أو نفسي، وقد تأبى عليه كبرياء رجولته أن يصرح أو يلح في الطلب، لكل هذا وغيره فرض الشرع عليك الإجابة ودفع سائر الأعذار منك.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته، فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح**» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. فامتناعك كبيرة تستجلب اللعن من الملائكة، فهل تدرين ما

معنى اللعن؟ هو الطرد من رحمة الله تعالى والعياذ بالله، فإياك أيتها الزوجة الصالحة من غضب الزوج ثم غضب الجبار سبحانه الذي يغضب وملائكته لغضب عبده، وهذا الحديث نفسه رواه مسلم والنسائي بلفظ «**إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح**» مجرد هجر الفراش وعدم الاستعداد توجب اللعن.

- إن الأمر يزداد سوءًا إذا دعا الرجل امرأته فتأبى وتتمنع، لأن المسألة أصبح فيها جرح لكرامة الرجل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها**» رواه البخاري ومسلم. نعم إنه سخط الله تعالى وغضبه لها حتى يرضى عنها زوجها!! النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أكد حديثه وخبره بالحلف بالله الذي نفسه بيده أن أي رجل، مهما كان هذا الرجل طالما هو زوج، يدعو زوجته للوفاء بحقه الذي شرعه له الله فتأبى عليه إلا استوجب سخط الله تعالى ودوام هذا السخط إلى أن يرضى صاحب هذا الحق ويتنازل عنه برضاه، نعم يا أختاه في الله إن إباءك لهذا الأمر في غاية الجرم شرعًا لأنه امتناع عن حق، وهو جرح للكرامة، وهو طعن في الرجولة، وهو إيذاء لمسلم، وهو مظهر لكبرياء امرأة وهو اتباع لطريق الشيطان في إبائه الطاعة لله، وهو تعريض علاقة مقدسة للفساد، وهو كفران للعشرة مع الزوج، وهو اعتراض على قوامة الزوج، وهو استخفاف بمهام الأمور، وهو مطل في أداء الحق مع القدرة على أدائه، وهو في الشرع ظلم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَطْل الغَني ظلم ...**» رواه البخاري ومسلم.

- **أيتها الأخت الحَريصة والزوجة الوفية،** إن حدوث هذا الإباء وتكراره منك يجعل الزوج كرجل طعن في رجولته، ولا يصرح به لكبريائه فينفخ الشيطان في نفسه حتى يشتاط غضبًا عليك لأتفه الأسباب، ويجعله يعدد عليك الهفوات ويضخمها وكلها أمور لا تستدعي هذا الغضب منه، ولن يصرح لك بالذات ولا لغيرك عن السبب الحقيقي لكبريائه، وهذا من خفي الأسباب التي تجعل العلاقة غير صحيحة ولا مُرْضية، وفي نفس الوقت تفسّر كثير من المشاكل الزوجية التي تقوم على أمور عند عرضها نجدها من التفاهة والبساطة،

ولكـن السـبب فيهـا خفـي لا يُـصرّح بـه. فمثـلًا يحـدث نـزاع بسـبب التأخـر في إحضـار كـوب مـن المـاء، ويتبـادل الـزوج والزوجـة النقـاش ويـصر الـزوج عـلى تخطئـة الزوجـة وتعلـو الأصـوات وتسـتحكم المشـكلة!! لهـذا السـبب وقـع الشـجار؟ لا. إنـه سـبب آخـر لا يـصرّح بـه، الـزوج مغتـاظ مـن داخلـه، لا يتحمـل الطعـن في رجولتـه، إنـه باللسـان الـدارج «بيَتْلَـكّكْ».

- **أيتهـا الزوجـة العاقلـة،** قـد لا تتفطنـين لهـذا الأمـر فتمتنعـي عـن فراشـه بلسـان الحـال، وقـد تقصـدي بـذكاء الأنثـى منـع الـزوج مـن قضـاء حقـه بأسـلوبك المكـرر، فمثـلًا يحـضر الـزوج فيجـدك نائمـة أو متناومـة، أو يجـدك بملابـس المطبـخ، أو الشـكوى مـن الصـداع المـلازم والـذي اسـتدعى شـدّ ربـاط الـرأس ... إلـخ. والـزوج في هـذه الأمـور يفهـم بمجـرد الإشـارة .. ويغتـاظ.

- اسـمعي هـذه النصيحـة مـن ناصـح أمـين، مـن سـيدنا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، عـن طَلْـق بـن عـلي رضي اللـه عنـه أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «**إذا دعـا الرجـل زوجتـه لحاجتـه فلتأتـه، وإن كانـت عـلى التنـور**» رواه الترمـذي والنسـائي وابـن حبـان في صحيحـه، والتنـور هـو -الفـرن- أي تسـارع في طلـب زوجهـا مهـما كانـت في عمـل صعـب وشـاق. وعـن زيـد بـن أرقـم رضي اللـه عنـه. قـال: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**المـرأة لا تـؤدي حـق اللـه عليهـا حتـى تـؤدي حـق زوجهـا كلـه، ولـو سـألها وهـي عـلى ظهـر قتـب لم تمنعـه نفسـها**». رواه الطـبراني بإسـناد جيـد، والقَتَـبْ: رحـل البعـير يُجلـس عليـه فـوق سـنمه. وهـو في غايـة المثـل حيـث لـو سـألها نفسـها وهـي فـوق البعـير سـائرة في الطريـق عليهـا أن تتهيـأ لطلبـه.

- وأخـيرًا احـذري العقوبـة الربانيّـة، فعـن ابـن عبـاس رضي اللـه عنهـما عـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**ثلاثـة لا ترتفـع صلاتهـم فـوق رؤوسـهم شـبرًا: رجـل أمّ قومًـا وهـم لـه كارهـون، وامـرأة باتـت وزوجهـا عليهـا سـاخط، وأخـوان متصارمـان**» رواه ابـن ماجـة، وابـن حبـان في صحيـه، ورواه الترمـذي بنحـوه عـن أبي أمامـة وحسـنه. ومعنـى متصارمـان أي متخاصـمان.

- عـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «**لا يحـل لامـرأة أن تصـوم وزوجهـا شـاهد إلا بإذنـه، ولا تـأذن في بيتـه إلا بإذنـه**» رواه البخـاري ومسـلم. والصـوم هنـا هـو صـوم التطـوع غـير الفـرض، وذلـك صيانـة لحقـه في جـماع زوجتـه، لأنـه قـد يكـون

لـه إليهـا حاجـة فيمنعـه عـن ذلـك الصـوم، ورغـم أن لـه أن يفطرهـا فـلا يكـون صومهـا مانعًـا لـه، ولكنـه قـد يهـاب ذلـك، فأحـاط الـشرع رغبتـه، وصـان شـعوره، بـأن أعطـاه ذلـك الحـق فـلا تضيّعـه عليـه ولـو بعبـادة. أمـا إذا غـاب الـزوج في مثـل سـفر فـلا يكـون شـاهدًا، أي حـاضرًا فلهـا أن تصـوم التطـوّع بغـير إذنـه. وهـي بذلـك تحصّـن زوجهـا مـن الشـيطان، وتكـسر عنـده التوقـان، وتدفـع عنـه غوائـل الشـهوة فيغـض بـصره ويحفـظ فرجـه، فيبدلهـا اللـه بذلـك كلـه خـيرًا مـن صـوم التطـوّع.

- ونختـم هـذا الفصـل بهـذا المشـهد الغيبـي، وأنـت أيتهـا الأخـت مؤمنـة إن شـاء اللـه، فعـن معـاذ بـن جبـل رضي اللـه عنـه عـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «لا تـؤذي امـرأة زوجهـا في الدنيـا إلا قالـت زوجتـه مـن الحـور العـين: **لا تؤذيـه قاتلـك اللـه، فإنمـا هـو عنـدك دخيـل، يوشـك أن يفارقـك إلينـا**» رواه ابـن ماجـة والترمـذي وقـال: حديـث حسـن. والدخيـل هـو الضيـف والنزيـل. نعـم إن زوجـك ضيـف، نـزل في الدنيـا عنـدك في منزلـك، ضيـف اللـه وعبـده فأكرميـه وأكرمـي صحبتـه «ومـن كان يؤمـن باللـه واليـوم الآخـر فليكـرم ضيفـه» فأيـن أنـت مـن عبـد ترقُبـهُ الحـور العـين في الجنـة وهـو بـين يديـك لا تقدّريـن منزلتـه، وأيـن غيرتـك عـلى زوجك والحـور العـين تطلبـه وتنظـر إليـه، فأكرمـي مثـواه عنـدك عـسى أن ينفعـك ذلـك وتتخذيـن منـه الولـد.

***

حفظ الأسرار دليل نبل الأحرار

* قال الله تعالى في التنزيل الحكيم {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٤] وعن أنس رضي الله عنه قال: «**ما خطب نبي الله صلى الله عليه وسلم إلا قال: لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**» رواه الإمام أحمد.

- **أيتها الأخت والزوجة الصادقة**، إن الزوج مثلك بشر، يضعف عن حمل السر، وهو من أثقل هموم القلب، فلا صبر له أحيانًا كثيرة عن كتم مكنون قلبه، فمن غيرك يثق فيه، ومن غيرك يخلو به منفردًا؟ ومن غيرك يلتصق بروحه وعواطفه، وبدنه فيتوحد معه؟ ومن غيرك مصلحته مصلحتك، وحفظه حفظك وضرره ضررك، ومستقبله مستقبلك؟ فأنت موضع الأسرار ومعدنه، يبث لك همومه ومتاعبه ومواعيده ومواضيعه، الصغير منها والكبير، فيسري عن نفسه يتنفس الصعدا، ويرتاح قلبه، ويخف حمله، ويضع سره، فتحمليه عنه وتقبليه أمانة وعهدًا ألا تفشيه ولا تذيعيه، فأنت أمينة على كل دقائق حياة زوجك وأسراره، واعلمي أن القلوب أوعية الأسرار، والشفاة أقفالها، والألسن مفاتيحها، فاحفظي مفاتيح سره.

- البيت أخص ما يملك الرجل، فيه سكنه وأمانه، يضع فيه حوائجه وخصائصه وما لا يحب أن يراه أو يعلمه الناس، بل أقاربه وأهله، وبلا حرج ولا خوف، إنه بيته وفيه زوجته راعية البيت، والإنسان يحتاج ويحب أن يستأثر بخصوصية لا يطلع عليها أحد، ولو لوقت وحين، لأمور يعلمها قد لا يحب أيضًا أن يخبر عنها، فعليك أيتها الزوجة المخلصة أن تعيني زوجك على الثقة فيك وبك، فيشعر بالأمانة، والأمان من أمس وأعز ما يحتاجه البشر، فإذا لم توفريه لزوجك وفي بيته فكيف العيش؟ إنه عيش فاقد المضمون والروح، بسلوكك وأمانتك وخلقك الحسن، فبارك الله فيك وأعانك على حسن معاشرتك.

- يقول الله عز وجل {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} [المائدة: ١٠١] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا**

يعنيـه» رواه الترمـذي وغـيره. فإيـاك أيتهـا الزوجـة العفيفـة أن تتبعـي أسرار زوجـك، أو تحـرصي عـلى معرفتهـا أو تطالبيـه بإخبـارك بهـا، فـما أخـبرك بـه يكفيـك حملـه، ومـا لا يحـب ولا يريـد إخبـارك بـه فـلا تطلبيـه، بـل سـاعديه عـلى كتـمان أسراره، ولا تحـاولي فـض رسـائله وأوراقـه أو تفتيـش مكتبـه وحافظتـه، فأنـت نبيلـة تصاحـب زوجًـا نبيـلًا، تتبـادل معـه الثقـة، ويحـترم كلاكـما خصوصيـات صاحبـه، فينشـأ الأولاد عـلى الثقـة والاحـترام، وتعيـش الأسرة بـكل أفرادهـا في وئـام تـام، لا تعمـل ولا تسـلك طـرق اللئـام، فيهنـأ الجميـع وتصفـو القلـوب والأوقـات.

- **أيتهـا المـرأة الكريمـة،** اقبـلي نصيحـة اللـه ورسـوله، وإيـاك أن تفتـشي وتعتنـي ... بمـاضي الـزوج، لا تصـل أنانيتـك في حـب التملـك أن تحـرصي عـلى جعـل مـاضي زوجـك ملـكك تطلعـين عليـه، وتحاسـبينه عليـه، ونصيحتـي ألا تعـرفي عنـه شـيئًا مـن ذلـك، ولا تخبريـه أنـت بـشيء مـن ذلـك مهـما كان الأمـر والسـبب وإلا فالنـدم كل النـدم، والسـلامة لا يعدلهـا شيء، فـما بالـك بسـلامة الصـدر!! وهـذا أكمـل الخلـق خلقًـا ودينًـا ورأيًـا بقـول صـلى اللـه عليـه وسـلم لأصحابـه: «**لا يبلغنـي أحـد مـن أصحـابي عـن أحـد شـيئًا، فـإني أحـب أن أخـرج إليكـم وأنـا سـليم الصـدر**» رواه البخـاري وغـيره عـن ابـن مسـعود رضي اللـه عنـه.

* عـن أبي سـعيد الخـدري رضي اللـه عنـه قـال: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**إن مـن أشر النـاس عنـد اللـه منزلـة يـوم القيامـة الرجـل يفـضي إلى امرأتـه أو تفـضي إليـه ثـم ينـشر أحدهـما سر صاحبـه**» رواه مسـلم وأبـو داود وغيرهـما. وعـن أسـماء بنـت يزيـد رضي اللـه عنهـما «**أنهـا كانـت عنـد رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم والرجـال والنسـاء قعـود عنـده، فقـال: لعـل رجـلًا يقـول مـا فعـل بأهلـه، ولعـل امـرأة تخـبر بمـا فعلـت مـع زوجهـا، فـأرمَّ القـوم، فقلـت أي واللـه يـا رسـول اللـه إنهـم ليفعلـون وإنهـن ليفعلـن، قـال: لا تفعلـوا فإنمـا مثـل ذلـك مثـل شـيطان لقـي شـيطانة فغشـيها والنـاس ينظـرون**» رواه أحمـد وغـيره ومعنـى أرم القـوم أي سـكتوا، وروى البـزار عـن أبي سـعيد عـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «**ألا عـسى أحدكـم أن يخلـو بأهلـه يغلـق بابًـا ثـم يرخـي سـترًا ثـم يقـضي حاجتـه ثـم إذا خـرج حـدث أصحابـه بذلـك، ألا عـسى إحداكـن أن تغلـق بابهـا وترخـى سـترها فـإذا قضـت حاجتهـا حدثـت صواحبهـا، فقالـت امـرأة سـفعاء الخديـن واللـه يـا رسـول اللـه إنهـن ليفعلـن وإنهـم**

ليفعلـون، قـال: فـلا تفعلـوا فإنمـا مثـل ذلـك مثـل شـيطان لقـي شـيطانة عـلى قارعـة الطريـق فقـضى حاجتـه منهـا ثـم انـصرف وتركهـا».

أيتهـا الأخــت الزوجــة، إن الأسرار الواقعــة بــين الزوجــين بســبب الــوطء ومقدماتــه، ذكرهـا والحديـث عنهـا لا يليـق إلا بالشـياطين والأشرار، بـل أشر النـاس هـم يـوم العـرض بـين يـدي الجبـار، فاللهـم سـترك علينـا في الدنيـا ويـوم القيامـة ونجنـا مـن الخـزي والعـار.

***

الودود الولود جزاؤها من جنس عملها

* في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها..**» الحديث رواه البخاري ومسلم، أنت حفظك الله راعية البيت، أنت المسؤولة عن البيت فاحفظي أو ضيعي والله رقيب، أنت راعية البيت ويسألك الله عن رعيتك، أنت في البيت صاحبة مسؤوليات مهمة .. وأمام العلي الكبير، أنت ذات شأن في الحياة وفي الآخرة بحسن رعايتك، إذ جزاؤك عند الله تعالى أن تكوني ملكة في جنات ذات حدائق وأنهار وقصور وخدم وجواري، طالما أنت هنا ملكة في بيت زوجك تقومين برعايته، والجزاء من جنس العمل. وأسوتك في هذا أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت نعم الزوجة، فخفف الله بها عن رسول أول الدعوة فلا يسمع شيئًا يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه بها، فإذا خرج إلى قومه ينذرهم ويدعوهم ثم رجع إليها تثبته وتهون عليه أمر الناس، رضي الله عنها وأرضاها، حتى نزل جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيتها وأبلغ النبي أن الله يرسل بالسلام إلى خديجة وأخبرها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقالت: الله السلام ومنه السلام. كما طلب جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم أن يبلغها سلامه فردت عليه، وبشرها بجزائها عند الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب، لا صخب فيه ولا نصب**» رواه البخاري ومسلم، والقصب هو اللؤلؤ المجوف، والنصب هو التعب. فكما جعلت بيت النبي صلى الله عليه وسلم هادئًا يرتاح فيه نفسيًّا وجسديًّا من التعب، ولم يكن بيتها فيه صخب ولا ضجيج بشرت بهذا القصر في الجنة. فالله الله أيتها الزوجة الوفية في بيتك ومملكتك وحبك زوجك فهو جنتك.

- **أيتها الزوجة الودود،** يدخل عليك زوجك من خارج المنزل مهمومًا متعبًا جائعًا، يتلهف على البسمة منك، والكلمة منك، والحنان منك، وأن تهوني عليه أعباء الحياة وما أثقلها عليه.. بدونك أنت، واسمعي وتفكري في هذه القصة التي رواها البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم التي أوحى الله له بها قال: «**بينما رجل وامرأة له في السلف الخالي لا يقدران على شيء، فجاء الرجل من سفره فدخل على امرأته جائعًا قد أصابته سغبة شديدة، فقال لامرأته: عندك شيء. قالت: نعم، أبشر أتاك رزق الله. فاستحثها فقال: ويحك أبتغي إن كان عندك شيء. قالت نعم هنيهة نرجو رحمه الله. حتى إذا طال عليه المطال قال. ويحك قومي فابتغي إن كان عندك شيء فأتني به فإني قد بلغت الجهد وجهدت. فقالت: نعم الآن ينضج التنور فلا تعجل. فما أن سكت عنها ساعة وتحينت أيضًا أن يقول لها قالت من عند نفسها: لو قمتُ نظرت إلى تنوري، فقامت فوجدت تنورها ملآن من جنوب الغنم، ورحاها تطحن فقامت إلى الرحا فنفضتها واستخرجت ما في تنورها من جنوب الغنم**». قال أبو هريرة: والذي نفس أبي القاسم بيده عن قول محمد صلى الله عليه وسلم: لو أخذت ما في رحيها ولم تنفضه لطحنت إلى يوم القيامة.

أيتها الأخت والزوجة الصالحة تدبري هذه القصة وانظري، في معاملة ومعالجة هذه المرأة من الأزمان البعيدة الخالية وليس في بيتها أي شيء يؤكل أو يباع أو له قيمة وقد جاء زوجها من سفر وسألها الطعام وهو مجهود متعب جائع فلم تقدر أن تخيب رجاءه، بل أسمعته شهي الكلام وأعطته الأمل بقولها: أبشر أتاك رزق الله، ثم مرة ثانية: هنيهة نرجو رحمة الله، ثم قالت من عند نفسها وطمعًا في رزق ربها: الآن ينضج التنور، وهي تعلم أن التنور أي الفرن ليس فيه شيء ولكنها لا تقوى على كسر خاطر زوجها، فيأتيها رزق الله الذي رجته ووثقت فيه كرامة من كرامات الله لعبده وزوجه وفية حرصت على مرضات زوجها رغبة فيما عند ربها. وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم يقول ما روته

عنـه عائشـة رضي اللـه عنهـا: «**مـن أدخـل عـلى أهـل بيـت مـن المسـلمين سرورًا لم يـرضَ اللـه لـه ثوابًـا دون الجنـة**» رواه الطـبراني.

- قـد يصيبـك أنـت التعـب والإرهـاق مـن كـثرة العمـل في البيـت، فتقولـين: أنـا التـي تحتـاج مـن زوجهـا الملاطفـة والتسريـة عـن النفـس وتهويـن الأمـور والهمـوم عـلي. وهـل كل المسـؤولية عـليَّ أنـا كزوجـة والـزوج ملـك معـزز مكـرم؟ أقـول لـك أنـت محقـة في كل ذلـك ولكـن نحـن نعـرض عليـك واجباتـك نحـو زوجـك وأهلـك ولسـنا في معـرض مناقشـة الحقـوق والواجبـات المتبادلـة، وأنـا أعـرض عليـك هـذه القصـة مـن حيـاة سـيدة نسـاء أهـل الجنـة، فاطمـة بنـت النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم ورضي اللـه عنهـا، وهـي تعيـش مـع زوجهـا عـلي بـن أبي طالـب ابـن عـم النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم ورضي اللـه عنـه وهـو مـن المبشريـن بالجنـة، والـذي يحـكي لنـا هـذه الحكايـة هـو عـليٌّ نفسـه رضي اللـه عنـه حيـث جلـس إليـه أحـد التابعـين واسـمه ابـن أعبـد فقـال لـه عـلي: «ألا أحدثـك عنـي وعـن فاطمـة رضي اللـه عنهـا بنـت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وكانـت مـن أحـب أهلـه إليـه، وكانـت عنـدي؟ قلـت: بـلى. قـال: إنهـا جـرّت بالرحـا حتـى أثـرت في يدهـا، واسـتقت بالقربـة حتـى أثـرت في نحرهـا، وكنسـت البيـت حتـى اغـبرت ثيابهـا، فـأتى النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم خـدم، فقلـت لهـا: لـو أتيـت أبـاك فسـألته خادمًـا، فأتتـه فوجـدت عنـده حدثـاء فرجعـت، فأتاهـا مـن الغـد فقـال: مـا كان حاجتـك؟ فسـكتت، فقلـت: أنـا أحدثـك يـا رسـول اللـه، جـرت بالرحـا حتـى أثـرت في يدهـا، وحملـت بالقربـة حتـى أثـرت في نحرهـا، فلـما أن جـاء الخـدم أمرتهـا أن تأتيـك فتسـتخدمك خادمًـا يقيهـا حـر مـا هـي فيـه. قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**اتقـي اللـه يـا فاطمـة، وأدي فريضـة ربـك، واعمـلي عمـل أهلـك، وإذا أخـذت مضجعـك فسـبحي ثلاثًـا وثلاثـين، واحمـدي ثلاثًـا وثلاثـين، وكـبري أربعًـا وثلاثـين، فتلـك مائـة، فهـو خـير لـك مـن خـادم. قالـت فاطمـة: رضيـت عـن اللـه وعـن رسـول اللـه**» رواه البخـاري ومسـلم. فيـا أيتهـا الزوجـة الحكيمـة: هـذه بيـوت أسـعد خلـق اللـه في الدنيـا والآخـرة، هـذه هـي حيـاة الزوجـات الراضيـات بحكـم اللـه وحكـم رسـوله، هـذه

بسـاطة العيـش وصدقـه، هـذا عـليٌّ الـوفي رضي اللـه عنـه يـترضى عـن زوجـه رضي اللـه عنهـا ويحـكي بـكل فخـر، كيـف العيـش مـع الرضـا في بيـت زاده التقـوى، وعونـه ذكـر اللـه تعـالى، تنزل فيـه السـكينة وتغشـاه الرحمـة والمـودة والقناعـة والرضـا، جنـة معجلـة، وهـما رضي اللـه عنهـما الآن في الجنـة، فهنيئًـا لهـما ولمـن اقتـدى بهـما جنـة الدنيـا وجنـة الآخـرة.

***

حسن الاعتذار مجلبة السعادة في الدار

* كلمات تتردد في جنبات البيت تحكم إغلاقه أمام شياطين الإنس والجن، وتستدعي تنزل الملائكة: **بارك الله لك، جزاك الله خيراً، حفظك الله لنا، آسفة جدًّا يا حبيبي، ليس لنا بعد الله إلا أنت، أمرك، أنت تأمر، طلبك مجاب، أبشر، من فضلك، ما أجمل منظرك وأحبه إلى نفسي، لا أجد السعادة إلى في حضورك وذكراك، وكل ما تشتريه وتحضره يدل على ذوق وجمال.** مثل هذه الكواكب النيرة في بيت تشيع فيه رنة السعادة، ونور الهداية، وهناء العيش، وبهجة اللقاء، وأنس القلوب والأرواح. أليس ذلك ممكنًا؟ أليس ذلك واجبًا؟ إن كان صعب التنفيذ عليك لعدم استجابة الزوج، أو لعدم تقديره هذه الأمور منك، أو لعدم تعودك عليه، فاعلمي أن ذلك من تلبيس عدوك إبليس الذي لا يحب لك الخير، فأنت لديك القدرة لأنك مكلفة بذلك من ربك الذي يحبك ويأمرك بالخير، وهو سبحانه لا يكلف نفسًا إلا وسعها، حاولي، ابدئي من عندك أنت، وأؤكد لك أن زوجك مهما كان سلوكه، ومهما كانت عواطفه، فسوف يتغير، فالقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، بل سيتعود أن يبادلك هذه الكلمات الطيبات، بل وأولادك سيفعلون معك ومعه ومع الناس.

- تزوج سيدنا سلمان الفارسي امرأة من قبيلة كندة، وهم ملوك اليمن، فدخل على زوجه فسلم وجلس وقال لزوجته: هل أنت مطيعتي في شيء آمرك به؟ قالت: جلستَ مجلس مَنْ يُطاع. رضي الله عنهم عرفوا كيف يتغلب على متاعب الحياة. تقول له أنت كالملك ليس لك إلا أن تطاع. ما أحلى هذا الكلام، وما أعظم موقعه على القلوب والنفوس، وما أحوج بيتك أن تتردد فيه هذا الأنوار والنغمات.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ألا أخبركم برجالكم في الجنة؟ قلنا بلى يا رسول الله. قال: النبي في الجنة، والصديق في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله في الجنة، ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟**

قلنا بلى يا رسول الله. قال: ودود، ولود، إذا غضبت أو أسيء إليها أو غضب زوجها قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى» رواه الطبراني. ومعنى لا أكتحل بغمض أي لا ترى عيني النوم.

أيتها الزوجة العاقلة، جربي مرة هذا الدواء المر لعلاج أي مشكلة إن وقعت مع الزوج، فقد جربته زوجة أعرفها أكرمها الله مع زوجها وكانت قد سمعته مني وكنت تدخلت بينهما، فذكرا لي بعد وقت مضى من سماعه، أن الخلاف استحكم بينهما ذات ليلة حتى ظنا أن العلاج في الطلاق، وفجأة تذكرت الزوجة المباركة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكور، فقامت لتوها دون أدنى تفكير وهي تقول: اللهم صلي عليك يا نبي. وذهبت للحجرة التي فيها زوجها وقالت يا فلان هات إيدك أبوسها أنا مش جاي لي نوم. وكانت المفاجأة، حيث قام دون كلام وأخذ هو يقبل يدها ويعتذر وهما يبكيان معًا، وذاب الخلاف مع الدموع، وخرج الشيطان بغير رجعة بكبريائه لتواضع هذه الزوجة، وحتى الآن هما من أسعد وأرضى خلق الله، أدام الله عليهما التوفيق والسعادة والهناء، ولم يعد الشيطان، لأنه احترق غيظًا لطاعة هذه المرأة لربها ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

أسألك أيتها الزوجة: كم يكلف مثل هذا الموقف؟ إنها الكبرياء الزائفة، والعناد البغيض، بعد هذا الموقف، بل الدواء الوحيد للخلافات الزوجية، نندم لضياع الوقت في العناد والشقاق والخلاف، فلم يعد ما كان يلقيه الشيطان في النفس من كبرياء أهبطه الله تعالى بسببه من منزله إلى الدرك الأسفل من الجحيم، وهو -لعنه الله- لا يسكت علينا حتى نكون تبعًا له لا لله رب العالمين فنعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم.

- قد يلقي إليكِ الشيطان حباله وشباكه حتى لا تفلتي منه ومن طرقه فيوسوس لك ويقول: أنت تفعلين ما تفعلين وزوجك لا يقدِّر لك ذلك، بل سيتعود على هذا الأسلوب و(يأخذ عليه)، ولا يبادلك نفس الأسلوب ودائمًا ينتظر منك ذلك، وأقول لك يا أختاه: هذا هو الشيطان بعينه وهذا أسلوبه فاسمعي أمر ربك يخبرك بقوله عز وجل: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ} [آل عمران: ١٧٥] ويقول عنه {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ

الشَّـيْطَانُ إِلَّا غُـرُورًا} [النسـاء: ١٢٠] والغـرور الوهـم والخـداع. ثـم أيتهـا الزوجـة المؤمنـة، ومـا عليـك لـو فعلـت وأطعـت اللـه ورسـوله، ولم تجـدي قبـولًا مـن زوجـك –وهـذا مسـتبعد- وقبـل اللـه عملـك؟ فعـن معـاذ بـن جبـل رضي اللـه عنـه عـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: **«لا يحـل لامـرأة تؤمـن باللـه أن تـأذن في بيـت زوجهـا وهـو كاره ولا تخـرج وهـو كاره، ولا تطيـع فيـه أحـدًا، ولا تعـزل فراشـه، ولا تضربـه، فـإن كان هـو أظلـم فلتأتـه حتـى ترضيـه، فـإن قبـل منهـا فبهـا ونعمـت، وقبـل اللـه عذرهـا وأفلـج حجتهـا ولا إثـم عليهـا، وإن لم يـرض، فقـد أبلغـت عنـد اللـه عذرهـا..»** رواه الحاكـم وهـو صحيـح الإسـناد، ومعنـى أفلـج حجتهـا أي أظهـر حجتهـا وقوَّاهـا.

***

إن الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه

- الغيرة هي الحمية والأنفة، ومنها المحمود والمذموم، قال الإمام ابن القيم: ملاك الغيرة وأعلاها ثلاثة أنواع: غيرة العبد لربه أن تنتهك محارمه وتضيع حدوده، وغيرته على قلبه أن يسكن إلى غيره وأن يأنس بسواه، وغيرته على حرمته أن يتطلع عليها غيره: فالغيرة التي يحبها الله ورسوله دارت على هذه الأنواع الثلاثة وما عداها فإما خدع الشيطان وإما بلوى من الله كغيرة المرأة على زوجها أن يتزوج عليها. وقال ابن الجوزي: قد يشكل هذا الأمر على من لا يعرفه فيقول: الرجل إذا رأى المرأة خيف عليه أن يفتتن بها فما بال المرأة؟ والجواب أن النساء شقائق الرجال فكما أن المرأة تعجِب الرجل فكذلك الرجل يعجب المرأة وتشتهيه كما يشتهيها، ولهذا تنفر من الشيخ. كما ينفر الرجل من العجوز، ولهذا لما دخل ابن أم مكتوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة وحفصة أمرهما بالقيام فقالتا: إنه أعمى، فقال صلى الله عليه وسلم: **أفأنتما عمياوان**؟ وقد أمر الله الرجال والنساء معًا بغض البصر.

أيتها المرأة التقية والزوجة الوفية، ترفَّقي في غيرتك على زوجك، والاعتدال في كل الأمور من كمال الدين والعقل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عائشة أرفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفق» حديث صحيح رواه أحمد بن حنبل والبزار. فعليك بتخفيف غيرتك على زوجك، لأنها إن زادت عن حد الاعتدال صارت تهمة له، واشتعلت نارًا في قلبك قد لا تنطفئ، وأوقدت نار الخصومة بينك وبين زوجك وأوغرت صدره وأطعت عدوك وعدوه. فالغيرى ترى بهواجس صدرها لا بعيون وجهها، وترسل الكلام بلسان شيطانها لا بثبت عقلها فتنقلب الأمور على عقبها، وللأسف أنه لا تخلو امرأة من الخروج عن حد الاعتدال في الغيرة، روى البيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع عنه ثوبيه، ثم لم يستتم أن قام فلبسهما، فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنه يأتي بعض صويحباتي، فخرجت أتبعه**

فأدركته بالبقيع يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء، فقلت: بأبي وأمي أنت في حاجة ربك وأنا في حاجة الدنيا، فانصرفت فدخلت حجرتي ولي نفس عالٍ، ولحقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا النفس يا عائشة؟ قلت: بأبي وأمي أتيتني فوضعت عنك ثوبيك ثم لم تستتم أن قمت فلبستهما فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنك تأتي بعض صويحباتي حتى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع، فقال: يا عائشة أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟» كما أنها رضي الله عنها قصت علينا قصة أخرى لما سألها رجل من بني سراة قال: قلت لعائشة: أخبريني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: أما تقرأ القرآن {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فصنعت له طعامًا وصنعت له حفصة رضي الله عنها طعامًا، فسبقتني حفصة فقلت للجارية: انطلقي فاكفئي قصعتها، فأهوت أن تضعها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فكفأتها، فانكفأت القصعة فانتشر الطعام، فجمعها النبي صلى الله عليه وسلم وما فيها من الطعام على الأرض وهو يقول: غارت أمكم غارت أمكم، فأكلوا، ثم بعثتُ بقصعتي فدفعها النبي صلى الله عليه وسلم إلى حفصة فقال: «**خذوا ظرفًا مكان ظرفكم وكلوا ما فيها**» والظرف هو الإناء الذي فيه الطعام.

- **أيتها الزوجة الحريصة على صفاء الحياة واقتناص أوقات السعادة وفرصها، قد تقولين:**

هذه زوجة النبي صلى الله عليه وسلم تغار وهي مَنْ هي وزوجها هو مَنْ هو صلى الله عليه وسلم، أقول لك: وفقك الله وحفظك فالنبي صلى الله عليه وسلم بشرٌ مثلنا، وزوجاته رضي الله عنهن بشر أيضًا، ومن أجل ذلك فهن قدوة لك، وهذه حوادث نادرة في حياتهن، بل إن عائشة رضي الله عنها كانت شابة صغيرة تعامل معاملة الصغيرة حتى تفهم، ولذلك لما كبرت أخذت تروي ذلك على سبيل النصح، فقد توفي صلى الله عليه وسلم وعمر عائشة تسع عشرة سنة، بل لقد حدث منها بسبب غيرتها ما هو أشد من ذلك فتقول: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فأخرج معه نساءه وكان متاعي فيه خف فكنت على جمل ناجٍ، أي قوي سريع، وكان متاع صفية بنت حيي فيه ثقل وكانت على جمل بطيء فتباطأنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«**حولـوا متـاع عائشـة عـلى جمـل صفيـة، وحولـوا متـاع صفيـة عـلى جمـل عائشـة ليمـضي الركـب**» فلـما رأيـت ذلـك قلـت: يـا لعبـاد اللـه!! غلبتنـا هـذه اليهوديـة عـلى رسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم!! فقـال النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**يـا أم عبـد اللـه إن متاعـك كان فيـه خـف ومتـاع صفيـة كان فيـه ثقـل فبطـأ بالركـب فحولنـا متاعـك عـلى بعيرهـا وحولنـا متاعهـا عـلى بعـيرك**» قلـت: ألسـت تزعـم أنـك رسـول اللـه؟ قالـت: فتبسـم رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فقـال: «**أفي شـك أنـت يـا أم عبـد اللـه؟**» قلـت: ألسـت تزعـم أنـك رسـول اللـه؟ فهـلا عدلـت؟! فسـمعني أبـو بكـر رضي اللـه عنـه وكان فيـه ضرب مـن حـدة فأقبـل عـليّ يلطـم وجهـي، فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**مهـلًا يـا أبـا بكـر**» قـال يـا رسـول اللـه أمـا سـمعت مـا قالـت؟ قـال: «**إن الغـيرى لا تبـصر أسـفل الـوادي مـن أعـلاه**» رواه أبـو يعـلى وأبـو الشـيخ ابـن حبـان. فتذكـري يـا أيتهـا الزوجـة أن زوجـك ليـس هـو رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ولا هـو عـلى خلقـه، ثـم أنـت لسـت أحـب خلـق اللـه إلى قلـب زوجـك كـما كانـت عائشـة رضي اللـه عنهـا أحـب النـاس إليـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فاحـذري شـدة الغـيرة.

- احـذري أيتهـا الزوجـة المباركـة أن تشـعلي غـيرة زوجـك عليـك بـأن تمتدحـي رجـلًا أمامـه أو تصفـي أجنبيًّـا في حضـوره، أو تبـدي إعجابـك برجـل في ملبسـه أو حديثـه أو قوتـه أو حسـن رأيـه وعقلـه أمـام مسـامع زوجـك، وأشـد مـن ذلـك حديثـك عـن زوجـك الآخـر قبلـه حتـى ولـو كان قـد توفـاه اللـه، فالرجـال يكرهـون ذلـك، ويدركـون أنـه طعـن في رجولتهـم وتنقيـص لهـم، مهـما كان الغـرض مـن الحديـث. وحتـى لـو كان هـو الـذي يطلـب منـك ذلـك، بـل لـو أقسـم لـك أن ذلـك لا يغـيره فـلا تفعـلي فإنـه لـن ينـسى ذلـك مـدى عمـره كلـه، إن أعـماق الرجـل ومطلبـه دائمًـا ألا يكـون في قلبـك ونفسـك غـيره ولا أحـد عنـدك أحسـن منـه ولا أفضـل منـه، ولعـل ذلـك يُلحـظ مـن أن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم أخـبر الرجـال مـن أمتـه بنعيـم الجنـة فقـال: «.. **فتقـول لـه زوجتـه: واللـه لا أرى في الجنـة أحسـن منـك ولا أحـب إليّ منـك**..».

أيتهـا الزوجـة العاقلـة، اجعـلي مـن غيرتـك عـلى زوجـك سـببًا لتقريبـه إليـك، فـلا تجعليـه ينظـر إلى أجمـل منـك فتجمـلي لـه وتعـرضي لـه بحسـن الحيـل والتلطـف، وأحبيـه حبًّـا عظيـمًا فـلا يسـتغني عنـك ولا عـن حبـك لـه، وتجمـلي لـه حتى لا يحـب النظـر إلا إليك، وأسـعديه بنشـاطك

وظرفك وبهجتك حتى لا يحب فراقك، ووفري له الراحة وسبلها حتى لا يحتاج من الخلق سواك، وأسمعيه أطايب ما يشتهي من الحديث عنه وما يحب الرجال سماعه من النساء فلا يدرك غايته ويحس برجولته وأهميته إلا أمامك أنت، فيستغني عن كل النساء بك.

أيتها الزوجة الحريصة، لا تلومي إلا نفسك إذا حضر زوجك ودخل البيت والكدر يعلو وجهه فاستمر كدره، ولا تتهمي إلا نفسك إذا أمعن زوجك النظر إلى غيرك فانصرف فكره عنك وزهدك، ولا تشتكي إلا نفسك إن أحب زوجك البقاء خارج بيتك ولهى عنك وسلاك، أين حرصك عليه، وانشغالك به، وانتقاؤك أطايب الكلام له، وتهيؤك له وحسن مظهرك أمامه، وإشراق وجهك وعريض تبسمك؟ لقد تغيرت فتغير لك، وتوجست تهمة له فتنبَّهْ لغيرك، أيتها الزوجة الغالية، زوجك لم يطلب امرأة في الدنيا غيرك، وسعى إليك وعمل من أجلك، وعاش لك ويود أن يعيش بك دون غيرك، فاتقي الله وثوبي إلى رشدك، وثقي بزوجك بعد الثقة بربك الذي يحفظ من حفظ أمره وأدى ما يُطلب منه، وألقي عنك وساوس عدوك الذي يحرص على فساد قلبك وتكدر عيشك، واسمعي لمن هو حريص عليك رؤوف بك رحيم عليك صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «**لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغنى عنه**» رواه النسائي والبزار والحاكم وقال صحيح الإسناد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

***

لا عقل كالتدبير ولا عز إلا في القناعة

* **أيتها الزوجة الصالحة،** أي إنسان لا يقنع بقدر حاجته من الدنيا فلا سبيل إلى رضاه، إنَّ طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر المالح، فكلما ازداد شربًا ازداد عطشًا وظمأً. وفي الحديث «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب**» رواه البخاري ومسلم، فالقصد في الطلب، وهو ضد الإفراط، هو استقامة الطريق، والقصد في كل الأمور هو التوسط والاعتدال الذي لا يميل إلى حد الإفراد والتفريط. وقد روى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «**ما عال من اقتصد**» رواه الإمام أحمد ومعناه ما افتقر من لا يسرف في الإنفاق ولا يقتر، كما جاء في حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عندما سأل عن صحف إبراهيم وموسى «.. لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف..» الحديث ومعناه ليس مثل حسن التصرف في المتاح عقل، فالتدبير وهو النظر في عواقب الأمور أي أدبارها، فيعمل في الحاضر عملًا حسنًا لضمان حسن العاقبة، سواء في المال أو الصحة أو الوقت أو المعايش والنفقات.

- **أيتها الزوجة الفاضلة والمرأة الصالحة،** قد يكون رزقك المادي ورزقك زوجك قليلًا لا يكفيك أو يكفي بالكاد، ويحتاج الأمر إلى الاقتصاد في المعيشة والرضا بقليل المتاع، وعدم المطالبة للزوج بالتوسع في النفقة والنظر إلى ما في أيدي الناس. قالت أم الدرداء رضي الله عنها: قلت لأبي الدرداء: مالك لا تطلب كما يطلب فلان وفلان؟ قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن وراءكم عقبة كؤود لا يجوزها المثقلون**» فأنا أحب أن أتخفف لتلك العقبة. رواه الطبراني بإسناد صحيح والكؤود الصعبة، وفي رواية البزار «**إن بين أيديكم عقبة كؤود لا ينجو منها إلا كل مخف**» وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب**» رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد، ومعنى يحمي أي يمنع. فيا أيتها المرأة المؤمنة لا تغتمي لقلة ذات اليد واعملي بالرضا والقناعة

واقتصدي في المعيشة وأعيني زوجك على أعباء الحياة ولا تكلفيه ما لا يطيق، ولا تضطريه إلى اكتساب الحرام ليرضيك ويوفي بحوائجك وحوائج بيتك، وفي الحديث «قليل يكفي خير من كثير يلهي» وحاجاتك الكثيرة التي لا يستطيع الزوج لها قضاء، الصبر عليها يورث الغنى في الآخرة، واسمعي لهذه البشرى التي زفها لك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم حيث قال: «**هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله عز وجل؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: الفقراء المهاجرون الذين تسد بهم الثغور وتتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجتهم في صدره لا يستطيع لها قضاء، فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته: ايتوهم فحيوهم، فتقول الملائكة: ربنا نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم؟ قال: إنهم كانوا عبادًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا، وتسد بهم الثغور، وتُتَّقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار**» رواه أحمد والبزار، ورواتهما ثقات، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

- **أيتها الزوجة المؤمنة**، أنا لا أدعوك إلى الفقر ولكني أدعوك إلى حسن العمل في الفقر، وهو الرضا والقناعة بما قدر لك الله، والصبر على مشاكل الحياة الشاقة، وسلوك المؤمنة التقية مع زوجها وأهلها بعدم التبرم والشكوى والمطالبات له، وزوجك عينه بصيرة ويده قصيرة، بل هو أحرص الناس على أن يجلب لك متع الحياة وييسر لك سبل العيش الواسع، ومن الإيمان الرضا بالقضاء خيره وشره، حلوه ومره، ومن أسس السعادة، القناعة، واغتنام فرص الطاعة، روى الإمام أحمد بإسناد جيد قوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**التقى مؤمنان على باب الجنة، مؤمن غني، ومؤمن فقير كانا في الدنيا، فأدخل الفقير الجنة، وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس، ثم أدخل الجنة فلقيه الفقير فقال: يا أخي ما حبسك؟ والله لقد حبست حتى خفت عليك، فيقول: يا أخي إني حبست بعدك محبسًا فظيعًا كريهًا ما وصلت إليك حتى سال مني من العرق ما لو ورده ألف بعير كلها أكلة حمض لصدرت عنه**

رواء». ولذلك يا أختي في الإسلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اللهم أحيني مسكينًا وتوفني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين، وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة**» رواه ابن ماجة والحاكم وقال: صحيح الإسناد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفي صحيح مسلم والترمذي وغيرهما عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما آتاه**» والكفاف ما يكفيك عن السؤال. والقناعة كنز لا يفنى، وفي الحديث «**عز من قنع، وذل من طمع**» وفسر المفسرون قوله الله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} [النحل: ٩٧] أن المراد بالحياة الطيبة هي القناعة. وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: يا بني إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة فإنها مال لا ينفد، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وعليك بالإياس مما في أيدي الناس فإنك لا تيأس من شيء إلا أغناك الله عنه. فإياك أيتها المرأة الأبية أن تكون حاجاتك فيما يتنافس فيه المترفون من فضول الدنيا والمعيشة، فإنه قطع لأيام العمر فيما لا ينتهي ولا ينقطع ثم يؤول إلى التراب.

- **أيتها الزوجة المؤمنة**، لقد خير الله زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بين أن يخترن الدنيا وزينتها، وبين أن يخترن الله والدار الآخرة، وذلك حتى تعلمي أن الأمر يحتاج لتحديد الاختيار بينهما، ولأن الدنيا والآخرة ضرتان لا يلتقيان، فاختارت زوجاته رضي الله عنهن الله ورسوله والدار الآخرة، واسمعي قول الله عز وجل وهو يعرض هذا الاختيار والاختبار. {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٢٨] أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنهما، وأخرج أحمد عن جابر رضي الله عنه قال: «**أقبل أبو بكر رضي الله عنه يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ببابه جلوس، والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر رضي الله عنه فاستأذن فلم يؤذن، ثم أذن لأبي بكر وعمر فدخلا والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وحوله نساؤه وهو صلى الله**

عليه وسلم ساكت، فقال: عمر لأكلمن النبي صلى الله عليه وسلم لعله يضحك، فقال عمر: يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد -امرأة عمر- سألتني النفقة آنفًا فوجأت -أي ضربت- عنقها، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال: هن حولي يسألنني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة، كلاهما يقولان: تسألان النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده!! فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلن: والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا المجلس ما ليس عنده، قال: وأنزل الله عز وجل الخيار، فبدأ بعائشة فقال: إني أذكر لك أمرًا ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك، قالت: وما هو؟ قال: فتلا عليها {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ} الآية، قالت عائشة: أفيك أستأمر أبويّ؟ بل أختار الله تعالى ورسوله، وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت، فقال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى لم يبعثني معنفًا ولكن بعثني معلمًا ميسرًا، لا تسألني امرأة منهن عما اخترتِ إلا أخبرتها، ثم خيَّر نساءه كلهن، فقلن مثل ما قالت عائشة» فانظري هداني وهداك الله إلى هذا المجتمع الفاضل، وهذه البيوت الكريمة، كيف كان عيشها البسيط جدًّا، السهل جدًّا، القليل جدًّا، ولمجرد الرغبة والسؤال للزوج عن زيادة النفقة والتوسعة وتتدخل السماء بتوجيهاتها، يقول سيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن: في حادث التخيير نقف أمام الرغبة الطبيعية في نفوس نساء النبي صلى الله عليه وسلم في المتاع، كما نقف أمام صورة الحياة البيتية للنبي صلى الله عليه وسلم ونسائه رضي الله عنهن، وهن أزواج يراجعن زوجهن في أمر النفقة فيؤذيه هذا، ولكنه لا يقبل من أبي بكر عمر رضي الله عنهما أن يضربا عائشة وحفصة على هذه المراجعة. فالمسألة مسألة مشاعر وميول بشرية، تصفي وترفع، ولكنها لا تخمد ولا تكبت، ويظل الأمر كذلك حتى يأتيه أمر الله بتخيير نسائه، فيخترن الله ورسوله والدار الآخرة، اختيارًا لا إكراه فيه ولا كبت ولا ضغط. ثم يقول: وحكمة الله واضحة في أن يختار رسله من البشر، لا من الملائكة ولا من أي خلق آخر غير البشر، كي تبقى الصلة الحقيقية بين حياة الرسل وحياة أتباعهم قائمة، وكي يحس أتباعهم أن

قلوبهـم كانـت تعمرهـا عواطـف ومشـاعر مـن جنـس مشـاعر البـشر وعواطفهـم، ويطمعـوا في تقليدهـم تقليـد الإنسـان الصغـير للإنسـان الكبـير. انتهـى كلامـه رحمـه اللـه. وأقـول: كانـت عـادة السـلف الصالـح لا يـردون موجـودًا، ولا يتكلفـون مفقـودًا، بـل كانـت حالتهـم التسـليم للعليـم الحكيـم، فـإذا وجـدوا الطيـب لم يمتنعـوا منـه، وإذا حصـل لهـم الخشـن لم يأنفـوا منـه، وكل شـؤونهم كانـت منطبقـة عـلى هـذا الشـأن، فينبغـي للعاقـل أن يكـون تـارة هكـذا وتـارة هكـذا، وهـذا شـأن العبـد مـع سـيده إن منحـه شـكر، وإن منعـه صـبر، والمعتـبر مـن الإنسـان المعنـى والصفـات، لا الملابـس والـذات.

***

النشاط والبكور ضمان للراحة والسرور

* عن صخر بن وداعة الغامدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها**» رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**باكروا الغدو في طلب الرزق، فإن الغدو بركة ونجاح**» رواه البزار والطبراني في الأوسط. وعن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها قالت: «**مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجعة متصبحة، فحركني برجله، ثم قال: يا بنية قومي اشهدي رزق ربك، ولا تكوني من الغافلين، فإن الله عز وجل يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس**» **رواه البيهقي. وعن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** «**نوم الصبحة يمنع الرزق**» رواه أحمد والبيهقي وغيرهما.

أيتها الزوجة الصالحة، اليقظة في البكور، أي في الأوقات المبكرة، والانتباه في الصبح، واستقبال اليوم من أوله بثغر باسم، وصدر منشرح، وعزيمة قوية، ونفس فتية ندية وثابة، فيها إقبال الحياة وإشراقها وتفاؤلها وبركتها، وسعة الرزق والصدر، واستثمار الوقت والعمر والاستمتاع به، والعجب أن دين الإسلام وهو يحض على ذلك، بل يوجب الاستيقاظ لصلاة الفجر مبكرًا، ورغم ذلك اعتاد المسلمون النوم في هذه الأوقات المباركة، ومن سافر في بلاد غير المسلمين وخالطهم يعرف أنهم يستيقظون في هذه الأوقات دائمًا ويبدؤون نشاطهم من بداية يومهم.

- **أيتها الزوجة والمرأة المخلصة**، اعلمي أن أحسن وأفضل ما تفعلينه بعد واجب ربك، أن يستيقظ الزوج فيراك مبتسمة، مشرقة الوجه، نشيطة، قد أصلحْتِ نفسك وثيابك، وبيتك، وجددت هواء بيتك، فيسري في البيت روح النشاط والحياة المشرقة مع إشراقة الشمس. ما أجمل أن تتفتح عين الزوج فيجد زوجته بوجهها الوضَّاء تلقي عليه كلمات الصباح الندية، فيرى بعينه، ويسمع بأذنه، فتسري في أوصاله قوة ونشوة يواجه بها اليوم، وكل يوم. ما

أروع أن يجد الزوج طعامه معدًّا نظيفًا، وتدعوه إليه وتشاركه فيه، وتبادله، غَزَل الصباح وقبلاته، مع أمنيات يوم سعيد.

- **أيتها الزوجة المباركة**، لا تنسي مهما كانت الظروف والمشاغل، أن يكون وجهك الباسم آخر ما ينظر إليه الزوج وهو يغادر البيت، مع كلمات رقيقات عند الباب، ونظرات معبرات، وضغطات باليد مع المصافحة تستدعيه للعودة لهناء البيت وأنسه، مع الدعوات الصالحات. **أيتها الزوجة السعيدة**، أتظنين بعد ذلك أن زوجك يرغب في البعد عنك وعن بيتك إلا لأداء واجبات عمله خارج البيت؟ أتظنين بعد ذلك أن زوجك يقدر على المكوث خارج البيت إلا ليجلب لك أسباب السعادة ويكون في مرضاتك؟ إن الزوجة التي تشكو تغيب زوجها خارج بيتها هي المقصرة في حق نفسها قبل حق زوجها.

- **أيتها الزوجة الذكية**، بيتك ومملكتك الذي فيه تقضي معظم عمرك، يحتاج منك بذل عناية، في تنظيفه، وترتيبه، وتجميله، روحك وشخصيتك لا بد أن يكون لها بصمات تميزك عن غيرك، وتميّز بيتك لكل من يطالعه ويراه، البيت البسيط الجميل النظيف المرتب البهيج المشرق، ألا يشير إلى امرأة بهذه الصفات؟ البيت الهادئ المريح في ألوانه، وقطع أثاثه، وترتيب حجره، ألا ينبئ عن طباع امرأة لها ذوق جمالي؟ إعداد الطعام والمائدة تقديمه بروح وثَّابة كريمة راضية، ألا يوحي بنفس وخلق نبيل؟

أيتها الزوجة الصالحة، أنت روح البيت وعبيره، ونسمة الحياة فيه، إنك تصلحين الحياة وتجددين دماءها وأوصالها، بتقديم الطعام للأبدان، والسرور للنفس، وتنشيط العواطف لدفع حركة الحياة، والمودة والمحبة والحنان للروح، أنت وبيتك خير متاع الدنيا لعبد صالح يصحبك في جنتك حتى بلوغ جنة الآخرة، احذري من عدوك وشيطانك أن يجعلك شؤم الدار، فلا يدخل بيتك الزوج إلا ويأخذ نفسه بالاضطرار، فيتحين الفرصة ليلوذ بالفرار، واعلمي أن حقيقة حسن الخلق هي إراحة الغير، والخدمة بغير الإراحة قشر بلا لب، ويمكن الحصول عليها من خادم، أما خدمة الزوجة في بيتها فلها شأن آخر، بل هي عبادة تكفر الذنوب، روت عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من أمسى كالًّا من عمل يده، أمسى مغفورًا له**» رواه الطبراني.

- **أيتهـا الزوجـة الحنـون،** اهتمـي بإعـداد الطعـام الـذي يحبـه زوجـك قـدر اسـتطاعتك ولا تهملي الأصنـاف التـي يفضلهـا بزعـم أن أطفالـك لا يحبونـه، أو أنـك لم تتعـودي طهيـه، أو لا تحبيـه، ولـو أنـك أضفـت نيـة طيبـة أثنـاء إعـدادك للطعـام كأن تتقـربي إلى زوجـك بهـذا العمـل طاعـة لربـك، وذكـرت اللـه كثـيرًا أثنـاء إعـداده حتـى تتنـزل البركـة في الطعـام، وتفكـرت في زوجـك وإراحتـه وإسـعاده وضيوفـه ومـن دخـل بيتـك، لـو فعلـت ذلـك لـذاق مـن يتنـاول طعامـك طعـم روحـك المؤمنـة المباركـة، ولأصبـح للطعـام -شَـمْخَة ونَفَـس- ولـن تسـمعي مـن زوجـك عندمـا يـأكل ترحمـه عـلى أمـه وعـلى أيـام زمـان، ولـن يمضـغ غيظـه وحسرتـه عـلى المائـدة التـي أنفـق فيهـا المـال وهـي خاويـة مـن البركـة والـروح والرائحـة.

***

امرأة أفنت عمرها لإسعاد امرأة أخرى

* **أيتها الزوجة السعدية والمرأة الصالحة**، أمّ زوجك، أنت مدينة لها دينًا عظيمًا، الوفاء به صعب، فزوجك الذي تحبينه وتقدرينه وتحترمينه وتسعدين به وبعشرته وتفخرين به، ربته أمه، فحملته وولدته وأرضعته وأطعمته وسهرت عليه طويلًا، صغيرًا وكبيرًا، واعتنت براحته وتعبت هي، وأطعمته وجاعت هي، وأنامته وسهرت هي، وأضحكته وبكت هي، أذاقته الحنان والحب حتى امتلأ قلبه، وحفظت عليه عواطفه، وهذبت أخلاقه حتى عانت وكابدت الكثير، وأنفقت عليه صحتها وعمرها لتريحه وتربيه، وأرهقت نفسها خوفًا ورجاءً على مستقبله حتى أهلته رجلًا مؤهلًا، وزوجًا كريمًا، ها هو نتاج التعب والكفاح بين يديك أنت أمانة أم عند زوجة، بل أنت أيتها الزوجة، لقد كنت أمل أم زوجك وأمانيها العظام منذ نعومة أظفار زوجك، كم كان يراود خيالها الطموح أن ترى ابنها الحبيب رجلًا يتزوج ويسعد بأعظم امرأة، كم كانت تسمع ممن يعاشرونها الدعوات بأن يشب ويكبر ومعه -عروسة- حلوة طيبة يسعد بها، إنه أنت التي كنت الأمل والخيال، حتى سعدت بزواجه منك، واختياره لك، وفرحه معك، فكوني الأمل والفرح والراحة والمحبة لها يسعد هو بك، وكوني لزوجك كذلك تسعد هي بك وبه، والله يوفقك ويصونك.

- **أيتها الزوجة البارة والمرأة المؤمنة**، إن من أهم أسباب السعادة في الدنيا والآخرة، أن يحب المسلم للناس ما يحبه لنفسه، وأن يأتيه ما يحب أن يؤتوه، والجزاء من جنس العمل، واعلمي أن من أعظم واجباتك نحو زوجك، ومن أهم حقوقه عليك، أن تعينيه على أمر دينه، وأداء فرائض الله عليه وحقوق الناس عنده، وزوجك مأمور شرعًا ببر والديه وخاصة أمه، وهو فرض عليه، وعليك أن تعينيه عليه، بل تحضيه على أن يأتيه، وتذكريه به، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «**جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله. قال: فهل من والديك أحد حي؟ قال: نعم بل كلاهما حي. قال: فتبتغي الأجر**

من الله؟ قال: نعم قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما» رواه مسلم. وعن معاوية بن جاهمة، أن جاهمة رضي الله عنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «**يا رسول الله أردت أن أغزو، وقد جئتك أستشيرك؟ فقال: هل لك من أم؟ قال: نعم. قال: فالزمها، فإن الجنة عند رجلها**» رواه ابن ماجة والنسائي والحاكم وقال: صحيح الإسناد. فهل هناك أيتها الزوجة تكليف على زوجك نحو أمه أحق من ذلك؟ ما هي جهودك ودورك مع زوجك حتى يفي بهذا الحق؟ ثم احذري غضب الله على زوجك الذي يلحقك منه ويلحق أبناءك إذا هو كان عاقًّا لوالديه، أو مسخطًا لهما أو لأيهما. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه. قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة**» رواه مسلم ورغم أنفه: دعاء بالفقر والإهانة، والرغام هو التراب.

أيتها الزوجة والمرأة المؤمنة، لا تحيري زوجك وتضعيه بين شقي الرحا، عندما تضطريه أن يرضيك فيغضب أمه ويسخط ربه، ويصلك ويبرك ويقطع أمه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك**» رواه البخاري ومسلم. فأين أنت من هذا الترتيب عنده؟ وما مدى عونك لزوجك لإحسان صحبته لوالديه؟ ثم زوجك وأبو أبنائك وعشيرك وحبيبك، هل تحبين له الخير؟ بالقطع إجابتك بنعم، فإن علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه ومدمن الخمر، والمنان بالعطية، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث والرجلة» رواه النسائي والبزار والحاكم وابن حبان وهو حديث صحيح. والديوث هو الذي يقر أهله على الزنا مع علمه به، والرجلة هي المتشبهة بالرجال.

- **أيتها الزوجة والمرأة الصالحة**، إنك تودين من كل قلبك أن يهبك الله أبناءً صالحين مطيعين لله ثم لك ولزوجك، وسبيلك إلى ذلك، بجانب حرصك وتربيتك، هو العلم بالسبب الذي لا يقدر عليه إلا الله الحكيم العدل، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بروا آباءكم تبركم أبناؤكم، وعفوا تعف نساؤكم**» رواه الطبراني بإسناد حسن وغيره عن عائشة، والحاكم وصححه عن أبي هريرة. فما أسلم أن نربي أبناءنا بحسن صلتنا وبرنا بآبائنا، وما أصدق وأنفع أن يزيد البر والخير في بيوتنا وأبنائنا، بصدق برنا وصلتنا لذوينا وأهلينا وخاصة لأبوينا، فعودي نفسك وزوجك، أصلحني الله وإياك، على حسن بره لأهله ولأبويه تغنمي البركة في بيتك وولدك وزوجك وأنت الفائزة والسعيدة والمحبوبة من الجميع. وثقي أيتها المرأة الصالحة في ميزان عدل ربك، وفي عطائه وأرزاقه، التي يقسمها بأسباب ظاهرة وباطنة، واسمعي من رسول البشرية صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «**من سره أن يمد له في عمره، ويزاد في رزقه، فليبر والديه، وليصل رحمه**» رواه أحمد ومعناه ورد في الصحيح. أفلا تحبين أيتها الحريصة أن يزيد الله في عمرك وعمر زوجك بالخير، وأن يزيد الله في أرزاقك؟

* **أيتها الزوجة والمرأة الكريمة**، اقبلي هذه النصائح من المجربين واجعليها منهجًا تسيرين عليه في معاملة أم وأب الزوج:

- أنزليهما منزلة أبويك في المعاملة والصلة، وعليك أن تناديهما بلفظ، ماما، بابا، فإن لذلك أثرًا عجيبًا في إلانة قلبيهما نحوك. والشرع يطلب منك ذلك، لأن المصاهرة قرابة شرعية.
- أشعري أم زوجك بأهمية خاصة بها لا تجدها إلا منك، مثل دوام السؤال عنها ولو تليفونيًا، وتحري زيارتها، وتقديم بعض الهدايا من طعام أو ملبس ونحو ذلك، وخاصة ما تفضله وتحبه هي، واحرصي أن تعرفي ما تفضله من ابنها وهو زوجك، فإنه سيسعد جدًّا لحرصك، وسوف يبادلك مع أهلك هذا الفعل الجميل.
- ادفعي زوجك بالنصائح والتذكير أن يبر والديه وأهله، ويا حبذا لو استشعر أهله أنه زاد في برهم بعد ارتباطه بك، فإن ذلك سيجعلهم أكثر حبًّا لك وستكسبين ثقتهما وودهما.
- إذا سمعت صوت أم زوجك. فتهللي وافرحي، ولو كان ذلك من خلال المحادثة التليفونية فإن الشعور ينتقل، وإذا استقبلتيها في بيتك فاستبشري وأشعريها بكل الطرق أنها في بيتها وبيت ابنها وابنتها، واطلبي ذلك وأعلميها به.
- إذا دخلت أنت على أم زوجك في بيتها، فأشعريها أنك لست غريبة ولا تدعيها تتكلف

لـك، وإن كانـت مشـغولة في أي عمـل فأسرعـي في أدائـه بـدلًا منهـا وأصري عـلى ذلـك، حتـى تشـعر نحـوك بشـعور الأمومـة والرحمـة بهـا.

- تحـدثي أمامهـا ومـن ورائهـا وفي غيبتهـا عنهـا بـأدب واحـترام وأكـثري مـن مدحهـا والثنـاء عليهـا، بـل والثنـاء دائمًـا عـلى حسـن تربيتهـا لزوجـك.

- أظهـري إعجابـك بحديثهـا وبمنزلهـا وطهيهـا للطعـام وتدبيرهـا للمنـزل، واطلبي منهـا أن تعلمك ذلـك، حتـى لـو كنـت تجيدينـه، فسـوف تفـرح وتفخـر بذلـك، وتشـعر أنهـا تعلـم ابنتهـا وليسـت زوجـة ابنها.

- اطلبـي مشـورتها في أمـورك المهمـة، وأظهـري احـترام رأيهـا وحـاولي تنفيـذه بقـدر مـا ينفعك ولا يـضرك. ولا تدخليهـا في خلافاتـك مـع زوجـك، وتحمـلي محاباتهـا للـزوج إن علمـت بهـذا الخـلاف فهـي أم قبـل كل شيء.

- تجنبـي مجادلتهـا في الأمـور، وإذا لم ترتاحـي لـرأيٍ فاكتفـي بابتسـامتك، وغـيري أسـلوب الحديـث، ولا تكـثري مـن معاتبتهـا، واقبـلي عذرهـا مهـما كان، وخاطبيهـا بأسـلوب مهـذب مثـل أن تقـولي لهـا دائمًـا -حضرتـك-.

- ضعيهـا موضـع الاحـترام وخاصـة أمـام الآخريـن، بـأن تقومـي عنـد رؤيتهـا ولا تجلسي حتـى تجلـس، وإذا خرجـت معهـا فقدميهـا أمامـك دائمًـا وأفسـحي لهـا الطريـق، وأمسـكي بيدهـا عنـد الركـوب والنـزول وأشـعريها خوفـك عليهـا، واحمـلي مشـترياتها ومـا تحتـاج لحملـه، وأركبيهـا السـيارة قبلـك ودعيهـا تجلـس بجـوار ابنهـا زوجـك في السـيارة.

- لا تنـسي دعوتهـا وأسرتهـا عـلى طعـام كل فـترة وقدمـي لهـا مـا تعلمتيـه منهـا واذكـري ذلـك لهـا، وليكـن أفضـل مـا تحبـه مـن الأطعمـة هـو أسـاس المائـدة. واذكـري لهـا أن كل ذلـك -مـن فضلـة خيرهـا- لأن ابنهـا زوجـك هـو الـذي ينفـق عـلى البيـت. وإذا دعتـك أو دعـت زوجـك فافرحـي ولبـي الدعـوة مـع شـكرها.

- تغافـلي عـن زلاتهـا وأخطائهـا في بيتـك، ولا تسـتثقلي وجودهـا وأصري عـلى مكوثهـا واسـتضافتها في بيـت ابنهـا أطـول مـا يمكـن، وأظهـري لهـا أن البركـة -تحـل بحضورهـا- في البيـت، ولا تتضايقي مـن دخولهـا المطبـخ وحرصهـا عـلى معرفـة مـا فيـه، وكشـفها -للحلـل- وسـؤالها الأولاد عـما

يحـدث في البيـت وعـما يحـضر إليكـم، فهـذه عـادة معظـم النسـاء وطبعهـن، وهـي لا تقصـد مضايقتـك والتفتيـش عـن أسرار بيتـك.

- تـصرفي بمـا يجعـل أولادك يحبـون جدتهـم ويفرحـون بهـا، فهـم أولادهـا مثلـك بـل -أعـز الولـد ولـد الولـد- وعلميهـم احترامهـا والسـؤال عنهـا وحـب معاشرتهـا، فسـوف تعينـك عـلى حسـن تربيتهـم فهـي مجربـة، وسـوف تحتاجـين لهـا لتربيـة أولادك دائمًـا وتركهـم معهـا.

- حبـذا لـو هيـأت الفرصـة لاصطحابهـا في نزهـة أو رحلـة سـويًّا فتدخلـين عليهـا وعـلى زوجـك الـسرور، وكلـما سـمحت الظـروف بالمبيـت عندهـا مـع كل أولادك، ولـو عـلى فـترات متباعـدة، فـإن ذلـك يزيـل الفـوارق، ويقـرب بـين النفـوس، وتـزداد الروابـط.

- وأخـيرًا إيـاك وذم أم زوجـك أمامـه، أو ذم زوجـك أمامهـا، خاصـة إذا كانـت أسرة زوجـك أدنى اجتماعيًّـا أو ثقافيًّـا مـن أسرتـك، فـإن ذلـك يجـرح كبريـاءه، ويـورث في نفسـه الضغينـة فتظهـر عـلى سـلوكه لأتفـه الأسـباب.

***

لا خير فيمن لا يُضيِّف، ولا يصل الرحم

* البيت الكريم، بيت فيه كِرام، في الجود والبشاشة، وإكرام الأضياف، يُسرع الخير إلى أهله، ويتعدّى الخير والإحسان إلى كل من يتصل به ويدخله، يرتاح فيه أهله وكل من دخله، النفوس فيه فيها سماحة، والوجوه فيها إشراقه، والقلوب فيه صافية، والموائد فيه معدّة ومهيأة للضيفان، لا يخلو من نعم الرحمن، وأجمل ما فيه حُسن اللقاء وصدْقه، الملائكة تتناوب فيه للدعاء لأهله ولتنزّل البركات والرحمات. روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الخير أسرع إلى البيت الذي يؤكل فيه من الشّفْرة إلى سنام البعير**» رواه ابن ماجة وغيره، ومعناه أن الله تعالى يسوق النعم بكثرة للبيت الذي فيه الجود وإكرام الضيف مثل سرعة السكين في سنام الجمل عند قطعه. وروت عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الملائكة تصلي على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة**» رواه الأصبهاني، وقد مدح الله تعالى نبيّه إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فقال: {وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ} [هود: ٦٩] أي بعجل مشْوِيّ.

- **أيتها الزوجة والمرأة الحريصة على الخير**، أيقني بأن أهل زوجك، وخاصة والديه، أحق بالإكرام والصلة قبل غيرهم. فإنها في الحقيقة بضاعتهم تردّ إليهم، والولد وماله لأبيه، والأقربون أولى بالمعروف، ثم إنك أنت الذي يعود عليه الخير بحساب الإيمان والجزاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من سرة أن يُبْسط له في رزقه، وأن يُنسَأ له في أثره، فليصل رحمه**» رواه البخاري والترمذي ولفظه: «تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبّة في الأهل مَثْراةٌ في المال منسأة في الأثر» وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم سمعه يقول: «**إن الصدقة، وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر، ويدفع بهما ميتة السوء ويدفع بهما المكروه والمحذور**» رواه أبو يعلي، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «**أتى**

النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: إني أذنبت ذنبًا عظيمًا فهل لي من توبة؟ فقال: هل لك من أم؟ قال: لا. قال: فهل لك من خالة؟ قال: نعم. قال: فبرّها» رواه ابن حبان والحاكم.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال: من يضيف هذا الليلة رحمه الله؟ فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني. قال: فعلّليهم بشيء، فإذا أرادوا العشاء فنوّميهم، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السّراج، وأريه أنّا نأكل، فقعدوا وأكل الضيف، وباتا طاويين، فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: قد عجب الله من صنيعكما**» رواه مسلم وغيره. فانظري رعاك الله وحفظك كيف كان إكرام الضيف حتى إنه لما لم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيوته كلها غير الماء قام بعرض الضيف على أصحابه فإذا بواحد يقبله، وإذا ليس في بيته غير قوت العيال فينوّمهم بلا طعام ويتحايل هو وزوجته حتى يأكل الضيف ما عندهما ويناما جائعين هما وأولادهما ابتغاء الثواب وإيمانًا بالحساب «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» رواه البخاري ومسلم. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، قالها ثلاثًا. قال رجل: وما كرامة الضيف يا رسول الله؟ قال: ثلاثة أيام، فما زاد بعد ذلك فهو صدقة» رواه أحمد والبزار وأبو يعلي.

- **أيتها الزوجة والمرأة البارّة**، الكرم والإكرام خلق وليس كثرة مال، والمثل يقول: (القيني ولا تغدّيني) فكم من بيوت أغنياء لا يحب الناس دخولها، وكم من بيوت فقراء لا يرتاح الناس إلا فيها ورؤية أهلها. عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا خير فيمن لا يضيّف» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ولكن ليس معنى

هـذا أن تتكلفـي لضيوفـك إلى حـدّ الإسراف، أو أن تحرجـي زوجـك وترهقـي ميزانيتـه في النفقـة. فعـن عبـد اللـه بـن عمـيرة قـال: دخـل عـلى جابـر رضي اللـه عنـه نفـر مـن أصحـاب النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم فقـدّم إليهـم خبْـزًا وخـلًّا، فقـال: كلـوا فـإني سـمعت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يقـول: «**نِعْـمَ الإدام الخـلّ. إنـه هـلاك بالرجـل أن يدخـل إليـه النفـر مـن إخوانـه، فيحتقـر مـا في بيتـه أن يقدّمـه إليهـم، وهـلاك بالقـوم أن يحتقـروا مـا قُـدّم إليهـم**» رواه أحمـد والطـبراني وأبـو يعـلي.

- ومـن آداب الضيافـة في بيـت المـرأة المسـلمة: أن تحـدّث ضيوفهـا بمـا تميـل إليـه نفوسـهم، وألا تنـام في حضورهـم إلا بعـد أن ينامـوا، ولا تشـكوا الزمـان وغلـوّ الأسـعار بحضورهـم، وأن تظهـر البشاشـة لقدومهـم والتـألم عنـد وداعهـم، وألا تغضـب عـلى أحـد بحضرتهـم، وألا تعنّـف أولادهـا عـلى الاسـتذكار وغـيره أمامهـم فتشـعرهم أنهـم سـبب في ضيـاع الوقـت عليهـم، وأن لا تجعـل أحـدًا مـن بيتهـا يعبـث في أشـيائهم وحقائبهـم، وأن تتعاهـد مـن معهـم مـن أطفالهـم وتهتـم بهـم، وتقـدم لهـم لعـب أطفالهـا وترغِّـب أطفالهـا باللعـب معهـم، أو تخفـي هـذه اللعـب عـن أطفالهـم حتـى لا تتطلـع أطفالهـم لمثلهـا وقـد لا يقـدرون عـلى تحصيـل مثلهـا. وأن تعـرّف ضيوفهـا بأولادهـا، وتسـألهم عـن أولادهـم وتعتنـي بهـم، وإذا قدّمـت لهـم الطعـام تعجـل بـه وتقـدم الفاكهـة قبـل غيرهـا، ولا تكـثر النظـر إلى وجـوه الآكلـين، ولا تقـوم عـن الطعـام حتـى يرفـع الضيـوف أيديهـم منـه، ولا تتحـدث عـن شيء تكرهـه نفـوس الحاضريـن أثنـاء الطعـام. وينبغـي أن تخـرج مـع ضيوفـك إلى بـاب المنـزل مـع حسـن توديعهـم ودعوتهـم لتكـرار الزيـارة، وشـكرهم عـلى قدومهـم عنـدك في بيتـك، وإذا رأيـت مـن ضيوفـك مـا تكرهـين فـلا تواجهيهـم بـه وتغافـلي عنـه مـا دامـوا في بيتـك، وإن ظهـر منهـم شيء مخالـف للديـن وأمكنـك بالرفـق تعريفهـم بالـشرع فهـو أولى، وإن تأكّـد لـك أن كلامـك لهـم لا يؤثـر فيهـم فأمسـكي عـن الـكلام معهـم في هـذا الأمـر. وإذا كان الضيـوف مـع زوجـك فاحـرصي عـلى –تشريفـه- بتلبيـة الطلبـات برفـق ودون تضجـر منـك، ولا رفـع للصـوت حتـى يصـل لمسـامعهم، ولا اعـتراض عـلى دخولهـم في مواعيـد لا تناسـبك، فـإن كل ذلـك يحرجـه ويجرحـه.

***

من الإيمان حُسن معاشرة الجيران

* عن أبي شريح رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**والله لا يؤمن والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**. قيل: يا رسول الله لقد خاب وخسر، من هذا؟ **قال: من لا يأمن جارُه بوائقه**. قالوا: وما بوائقه؟ قال: شرّه» رواه البخاري. وفي الصحيحين «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره» وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل قسَّم بينكم أخلاقكم كما قسّم بينكم أرزاقكم، وإن الله عز وجل يعطي الدنيا من يُحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من أحب، فمن أعطاه الدين فقد أحبّه، والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه. قال: يا رسول الله وما بوائقه؟ قال: غُشْمه وظلمه**» الحديث رواه أحمد وغيره.

- **أيتها الزوجة المسلمة**، حفظ الجار من كمال الإيمان وسبب لحسن العشرة وراحة البال، فيجب عليك الامتثال لوصايا النبي صلى الله عليه وسلم، بل ولصريح القرآن الذي وصّى فيه رب العزة بقوله: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} [النساء: ٣٦] فعليك وفّقك الله أن تحسني إلى جيرانك بإيصال ضروب الإحسان إليهم بحسب الطاقة كالهدية والسلام وطلاقة الوجه عند اللقاء، وتفقّد أحوالهم، ومعاونتهم فيما يحتاجون إليه، وقبل كل شيء بكفّ أسباب الأذى عنهم، حسيّة كانت أو معنوية، فالإضرار بأي جار من الكبائر.

- لقد سألت عائشة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم، بعد أن وصّى جبريل عليه السلام بالجار وصايا مؤكدة وكثيرة حتى ظن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أصبح مثل الأرحام يرث مثلهم قالت: «قلت: يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيّهما أهدى؟ قال: **إلى أقربهما منك بابًا**» رواه البخاري، أي أشدّهما لك قربًا. وكانت عائشة رضي الله عنها تقول:

حدّ الجوار أربعون جارًا من كل جانب وهو قول كثير من العلماء، والأقرب أوْلى لأنه أسرع في الإجابة لما يقع للجار من الملمّات ولا سيما في أوقات الليل والغفلة، فإنه هو الذي يسمع الاستغاثة فيغيث.

- **أيتها الزوجة والمرأة المؤمنة**، إن للمسلم على المسلم حقوقًا كثيرة، والجار المسلم له حقّان، حق الإسلام وحق الجوار، والجار القريب في النسب له ثلاثة حقوق بزيادة حق القرابة، والجار غير المسلم له حق الجوار. ومن الحقوق، ستْر العورة، وإقالة العثْرة وقبول العذر، وردّ الغيبة، وإدامة النصيحة، ومراعاة الذّمّة، وإجابة الدعوة، وقبول الهديّة، والشكر على النعمة، والنصرة وقضاء حاجاته، والشفاعة لمسألته، وموالاته ونصرته على ظالمه، وكفه عن ظلم غيره، وأن يحب له ما يحب لنفسه، وألا يتجسّس عليه ولا يتنصت عليه، وإن اطّلع منه على ريْبة وجب أن يسترها مع وعظه وتخويفه برفق، وأن يتواضع لهم ولا يفخر عليهم ولا يختال، ويعامله باللين، ويغض طرفه عنه، ويوقر الكبير منهم ويرحم الصغير فيهم، وحسن المصاحبة، وسهولة الكلمة، وإصلاح ذات البين، ولا يقف مواقف التهم، ويحلم على من جهل عليه، ويعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر برفق ولين وعلم. عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله فليس ذلك بمؤمن، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه. أتدري ما حق الجار؟ إذا استعانك أعنته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا افتقر عُدْت عليه وإذا مرض عدته، وإذا أصابه خير هنّأته، وإذا أصابته مصيبة عزّيته، وإذا مات اتَّبعت جنازته، ولا تستطيع عليه بالبنْيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذه بقُتار ريح قِدْرك إلا أن تغرف له منها، وإن اشتريت فاكهة فأهْدِ له، فإن لم تفعل فأدخلها سرًّا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده**» رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق. وروى مثله الطبراني عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه.

أيتها الزوجة والمرأة المسلمة، أرأيت أخلاقًا مثل ما جاد بها الإسلام؟ أرأيت حياة مع الجيران تتعاملين أنت وهم بهذه المكارم فيعيش الناس في هناء ووئام؟ أرأيت هل نحن

في حاجة إلى الأخذ عن الغرب أو الشرق وبين أيدينا هذا التراث؟ كم ضيّعنا فشقينا، وكم تركنا أخلاقنا فتعسنا، فشمري يا أختاه وابدئي الحياة، مع الله ورسوله والناس.

- **أيتها الزوجة والمرأة الصالحة،** ربّما يؤدي بك الفكر إلى أن العزلة والبعد والاقتصار عن الناس والجيران فيه الهدوء والبعد عن المشاكل، بل هو أحسن في الدين، وأقول لك، إن معاشرة الناس وخاصة الجيران هو اللائق بالإنسان السويّ، بل هو الإسلام بعينه، لأن المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم، بل إن الصلاة والصوم دون معاملة الناس بالحسنى يضرّ بالدين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رجل: يا رسول الله إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها. قال: هي في النار. قال: يا رسول الله، فإن فلانة يُذكر من قلّة صيامها وصلاتها وأنها تتصدّق بالأثوار من الأقِط، ولا تؤذي جيرانها. قال: هي في الجنة» رواه أحمد والبزار وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد وأبو بكر بن أبي شيبة بإسناد صحيح والأثوار جمع ثور وهي قطعة من الأقط وهو شيء يتخذ من مخيض لبن الغنم.

- **أيتها الزوجة والمرأة الصالحة، اسمعي هذه النصائح من المجربين نفعك الله بها:**

* تعرفي على جيرانك في العمارة واحدة بعد أخرى بالبدء بالسلام مع الابتسام للجارة عند رؤيتها أو المرور بها، فالسلام والابتسام مفتاح القلوب المغلقة.

* التهادي ولو بشيء قليل. عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا أبا ذر إذا طبخت مَرَقَةً فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك**» رواه مسلم، وعنده أيضًا: «**إن خليلي صلى الله عليه وسلم أوصاني: إذا طبخت مرقًا فأكثر ماءه، ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصِبْهم منها بمعروف**» واسمعي نفعك الله بكلام حبيبه صلى الله عليه وسلم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرْسَن شاة**» رواه البخاري ومسلم، والفرسن هو ظلف ساق الغنم وهو أقل شيء من لحمها يؤكل.

* قيل من الحلوى، أو –حبة كرم لله- تعطينه لأولاد جارتك، تجعل الأولاد يحبونك ويطيعونك،

ولا يتصرفون بما لا تحبينه من ضوضاء وخلافه، ويكون سببًا لتتعامل معك الجارة أم الأولاد بمثل معاملتك لأولادها.

* قدّمي لجارتك دعوة لطيفة للزيارة في بيتك، خاصة إن كانت هناك مناسبة، وبلا مناسبة، لتعرف أنك تخصينها بالدعوة. ولا مانع من زيارة بيت جارتك في أوقات مناسبة لها بعد فراغها من واجبات بيتها، وإلا -فاعزمي عليها- أن تساعديها في العمل. ولكن تذكري حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا**» رواه الطبراني والبزار عن أبي هريرة. أي لا تكثري من الزيارة ولا تطيليها حتى لا تصبحي ثقيلة في الزيارة فيكون سببًا للبغضاء.

* لا تطلعي جارتك على أسرارك، ولا تتطلعي لمعرفة أسرارها، وإن علمت شيئًا لا تنشريه، ولا ترمقي بعينيك ما في بيتها، ولا تسأليها عن معيشتها وأشباه ذلك حتى لا تضطر للتكلف والكذب، أو تخاف الحسد.

* شجعي أولادك على اللعب مع أولادها، إذا أمِنَتْ سوء الطباع والخلق.

* التعاون مع الجارة في نظافة -بسطة السلم- فيما بينك وبين بيت الجارة، وعدم إلقاء القاذورات على السلم أو في مدخل العمارة أو داخل المصعد، ويكون أجمل وأنفع أن تتعاوني معها على زرع شيء أخضر لتجميل المدخل أو البيت.

* عادة الجارة أن تطلب بعض ما تحتاجه للمطبخ: شوية ملح، مفتاح الأنبوبة، جلدة للحنفيّة، أنبوبة البوتاجاز الاحتياطي -فسارعي في إعطائها ما تحتاجه، حتى لو لم تعتادي أنت طلب هذه الأشياء. وفي نفس الوقت إياك أنت من مطالبتها بكثرة لهذه الأشياء وأخذها بسيف الحياء، ولكن عند الحاجة والضرورة.

* احذري التحدث مع الجارة بصوت عالٍ، خاصة من النوافذ، أو أمام الباب. وكذلك لا ترفعي من صوت المذياع فتؤذي الجيران.

* عليك بالصبر على الأذى واحتماله من الجيران، وصوْن اللسان من الكلام الذي يغضب، ومحاولة الاقتصار على إلقاء السلام والردّ عليه إذا كانت جارة سوء.

- **أخيراً أيتها الزوجة والمرأة الكريمة**، هناك نوع من النساء وصفهن النبي صلى الله عليه وسلم بأنهن من دواهي الدهر القاصمة للظهر، فعن فَضَالة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ثلاثة من الفواقر: إمام إن أحسنت لم يشكر، وإن أسأت لم يغفر، وجار سوء إن رأى خيراً دفنه، وإن رأى شرًّا أذاعه، وامرأة إن حضَرْت آذتْك، وإن غِبْتَ عنها خانتك**» رواه الطبراني. فنعوذ بالله الحنَّان من دواهي الزمان، ومن شر النسوان، ومن معاشرة اللئام. ونسأله سبحانه صلاح الحال، وراحة البال، والعوْن على التّزوّد للارتحال، بحسن الصفات والخلال.

***

نصائح نبوية للحياة الزوجية

* عـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه قـال: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**رحـم اللـه رجـلًا قـام مـن الليـل، فصـلّى وأيقـظ امرأتـه، فـإن أبَـتْ نضـح في وجههـا المـاء، رحـم اللـه امـرأة قامـت مـن الليـل فصلَّـتْ، وأيقظـت زوجهـا، فـإن أبى نضحـت في وجهـه المـاء**» رواه أبـو داود بإسـناد صحيـح.

* عـن أبي هريـرة وعـن أبي سـعيد الخـدري رضي اللـه عنهـما قـالا: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**إذا أيقـظ الرجـل أهلـه مـن الليـل فصلّيـا أو صـلى ركعتـين جميعًـا، كُتبـا في الذاكريـن والذاكـرات**» رواه أبـو داود بإسـناد صحيـح.

* عـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه، أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «**يعقْـد الشـيطان عـلى قافيـة رأس أحدكـم، إن هـو نـام، ثـلاث عُقـد، يـضرب عـلى كل عقـدة: عليـك ليـل طويـل فارقـد، فـإذا اسـتيْقظ فذكـر اللـه تعـالى انحلّـت عقـدة، فـإن توضـأ انحلّـت عقـدة، فـإن صـلى انحلـت عقـدة، فأصبـح نشـيطًا طيـب النفـس، وإلا أصبـح خبيـث النفـس كسـلان**» رواه البخاري و مسلم.

* عـن عـلي رضي اللـه عنـه، أن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم طَرَقَـهُ وفاطمـةَ ليـلًا فقـال: «**ألا تصلّيـان؟**» رواه البخـاري ومسـلم.

* عـن عبـد اللـه بـن سـلام رضي اللـه عنـه، أن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «**أيهـا النـاس أفْشـوا السـلام، وأطعمـوا الطعـام، وصلـوا بالليـل والنـاس نيـام، تدخلـوا الجنـة بسـلام**» رواه الترمـذي وهـو حديـث حسـن صحيـح.

* عـن أوْس بـن أوس رضي اللـه عنـه قـال: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**إن مـن أفضـل أيامكـم يـوم الجمعـة، فأكـثروا عـليّ مـن الصـلاة فيـه، فـإن صلاتكـم معروضـة عـليّ**» رواه أبـو داود بإسـناد صحيـح.

* عـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه قـال: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**يقـول اللـه**

تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منه» رواه البخاري ومسلم.

* عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مثل البيت الذي يُذكر الله فيه، والبيت الذي لا يُذكر فيه، مثل الحيّ والميّت**» رواه مسلم.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**» رواه البخاري ومسلم.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، والحمد لله رب العالمين.

***

ميثاق الزوج مع الزوجة

١- الزوجية نظام ربَّاني، وفطري، وواقعي، ومصلحي.

٢- الزواج يلبي احتياجات الفطرة، نفسيًّا، وعقليًّا، وعاطفيًّا، وغريزيًّا، واجتماعيًّا.

٣- السعادة والخير، هما الأصل في الحياة الزوجية، والشقاء والشر عارض، بسبب خارج عنه، إما للجهل بالمقاصد، وإما بتخلف القيام بما يجب على الطرفين، وإما للأقدار المقدّرة.

٤- من أهم مقاصد الزواج: إعانة كلا الطرفين للآخر على القيام بمهام الحياة، وتوفير ما أمكن من مطالب الطرف الآخر، والتعاون والتَّشارك في القيام بالواجبات، وبسدّ حاجات الفطرة لدى الآخر، وبتخفيف أعباء الحياة بالتآزر والتفاهم، وبتفادي المصاعب والمشاكل، وبتيسير الأمور وتسهيل المصائب، والتضحية بالجهد والمال والراحة. فهي رحلة حياة وسفر إلى الجنة والآخرة يختار كلا الطرفين صاحبه في السفر، وخير الأصحاب خيرهم لصاحبه في السفر.

٥- من أخلاق وآداب السفر مع الزوج حتى تُقطع رحلة العمر في صفاء: الإيثار والشفقة، وإدخال السرور، والمُلاينة في المعاملة، وتحمل الأذى، والتوقير والاحترام المتبادل، وحسن الظن والثقة.

*** المظاهر العملية لتحقيق الميثاق مع الزوجة:**

١- أن ينوي دائمًا التعامل مع الزوجة لوجه الله تعالى، وفاءً لعهده في عقد الزواج على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

٢- أن يعتاد سؤال نفسه: لو كان الرسول القدوة مكاني الآن، ما كان يفعل؟ فإذا استحضر الإجابة اختار فعلها وحاول تطبيقها.

٣- أن يكون معها دائم البشر، ملازم الابتسام خاصة عند دخوله البيت.

٤- يحرص على ألا يجرح مشاعرها أو يكسر خاطرها، ويراعي أحوالها.

٥- يحترم آراءها، ولا يسفِّه أقوالها ووجهة نظرها، ويريها فيما فيه مصلحة أنه آخِذٌ بها،

ويشـاورها في شـؤونه اسـتجلابًا وتدعيـمًا للثقـة بينهـما.

٦- يسـتمع لهـا، ويعوِّدهـا أن تعـرض عليـه أمورهـا، وينصـح لهـا، ولا يلزمهـا بتنفيـذ آرائـه فيـما يخصهـا، مثـل تصرفهـا في أموالهـا الخاصـة، أو علاقاتهـا الشـخصية بصديقاتهـا إذا كان ذلـك لا يؤثـر عـلى العلاقـة الزوجيـة أو لا يمثـل مخالفـة شرعيـة.

٧- يخصهـا ببعـض أسراره الشـخصية والتـي لا يـضره التصريـح لهـا بهـا، لتأكيـد الثقـة ولـكي تبادلـه الأمـر، وليـزداد التجـاوب النفـسي، ولا يَـدع للشـيطان مجـالًا لإقناعهـا أنـه لا يـزال هنـاك صنـدوق مغلـق فيـزداد تلهفهـا وقلقهـا عـلى فتحـه.

٨- يتعاهدهـا بالهدايـا في حـدود الإمكانـات، ولـو بقطعـة حلـوى، إدامـة لأيـام البدايـات الحلـوة، أيـام الخطبـة وعقـد الـزواج وشـهر العسـل، وحبـذا لـو تخـير مـا تحبـه وتشـتهيه، مـن فاكهـة أو مأكـولات، مـع خطـاب مطـوي يفاجئهـا بذكـر أيـام الهنـاء والـسرور، ليعيـد إليهـا إشراق الحيـاة داخـل البيـت.

٩- يحـرص عـلى تذكـر المناسـبات الطيبـة التـي تخصهـا أو تخصهـما معًـا، وإبـداء الفـرح ومـا يناسـب ذلـك مـن تعبـير.

١٠- يناديهـا بمـا تحبـه مـن الأسـماء، وخاصـة اسـم الـدلال الـذي تحبـه، ولا يخجـل أن يذكـر اسـم الـدلال أمـام أهلـه وأهلها.

١١- يكـثر التعبـير لهـا عـن حبـه لهـا بألفـاظ رشـيقة ومختـاره بينـه وبينهـا، ولا يحجـب حبـه لهـا عـن الآخريـن، ولنـا في رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـدوة مـع زوجاتـه، وعائشـة خاصـة -رضي اللـه عنهـن- فقـد كان صـلى اللـه عليـه وسـلم يعـبر عـن حبـه بالقـول والفعـل أمـام أصحابـه، فـلا خجـل مـن حـب الزوجـة وإبدائـه، فـإن ذلـك مـن سـنن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم وهديـه.

١٢- يتعاهـد الأوقـات، ليجعـل معهـا وقتًـا ملائمًـا للـسرور والاختصـاص بهـا، بخـلاف أوقـات حجـرة النـوم، لاسـتعادة الذكريـات الجميلـة.

١٣- مصاحبتهـا والخـروج معهـا خـارج البيـت للتنـزه، عـلى انفـراد تـارة، وتـارة أخـرى بصحبـة

الأولاد أو الغير، وكذلك لزيارة أهلها أو أهله أو أصدقاء الأسرة.

١٤- يخصص لها مصروفًا خاصًّا، مهما كانت في غير حاجة إليه.

١٥- يبالغ في مدحها والثناء على أعمالها في البيت، ويشكر لها صنيعها في خدمته وخدمة أولادها وضيوفهما.

١٦- يجاملها بالمدح والثناء عل مظهرها المحبوب له، وجمالها في ثيابها واختيارها لملابسها الخاصة، وتجليها في زينتها وحرصها على إدخال السرور عليه، حتى يستديم ذلك منها ولا تمله لعدم انتباهه لما تقدمه له وتخصه به.

١٧- ينفذ معها وصية النبي صلى الله عليه وسلم: «**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا..**» فيبدي معها بعض التساهل فيما ليس فيه معصية لله، ويتغافل عن بعض حقوقه ومطالبه شفقة ورحمة بها، ويتسامح في بعض ما له عليها فلا يعاتبها أو يكثر من عتابه لها، خاصة أمام أولاده وأمام الغير.

١٨- يصرح لها ويظهر الشفقة عليها عند مرضها، أو أثناء حملها، وأيام عادتها الشهرية، أو لظهور الإرهاق عليها، أو عند شكواها له، ولا يستهين أو يبدي تبرمه من تكرار ذلك منها، فهي في هذه الأوقات والأحوال أحوج ما تكون للشفقة أو التعبير بالكلمة الطيبة، وليس التغير لما يحدث.

١٩- يكرم أهلها ويتحملُهم بقدر الطاقة، ويبدي لهم ولها السرور، ويثني عليهم أمامها وفي غيبتهم، ويحضها على وصلهم والإحسان إليهم، ولا يشعرها بفارق المستوى إن كانوا أقل من مستواه، بل يبالغ في احترامهم.

٢٠- يحرص على مساعدتها بالقيام ببعض مهام البيت، أو بشراء بعض المستلزمات، أو الوقوف والجلوس معها أثناء قيامها بذلك، لإشعارها بأنها ليست مثل الخادمة، وأن هذا العمل لا مهانة فيه، ولكي يتواضع مع أهله اقداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم.

٢١- يتزيَّن لها ويحرص على إرضائها في مظهره، لأنها تحب منه مثل ما يحب هو منها، من حيث النظافة والتعطر وغسل الأسنان والتنقية من الروائح وجمال الملبس.

٢٢- يتيح لها التمتع معه في حجرة النوم ويكثر المداعبة والملامسة وإبداء الرغبة.

٢٣- الغضب جمرة من النار، والغضب من الشيطان، والشيطان من نار، والإنسان عندما يتمكن منه شيطانه فيغضب ينقلب إلى كائن آخر يتقمصه شيطانه فينطقه بما يريد ويجعله يفعل ما يمليه عليه، فالذي كنت تعرفها قبل الغضب غير الزوجة المغضبة، فاستنقذ زوجتك من شيطانها وسيطرته عليها، فهي الآن وقت غضبها، ضعيفة منخزلة، فأشفق عليها فهي في خطر، واغضب على شيطانها لا عليها، ابعده عنها فلا قوة لها على دفعه الآن، أدِّ واجبك واستنقذها بكلمات ولو كذبت، عدها ومنِّيها وتأسف لها فهذه هي أسلحة دفع الغضب، وإياك وإياك أن يغرك شيطانك فتغضب أو تتكبر مثله فلا تنقذ زوجتك، الرجولة أن تنقذ زوجتك من عدوكما، وعندما ترجع زوجتك لرشدها فسوف تقدر لك هذه الرجولة، وعندها ستطيعك أنت وتتأسف لك، وسيرضى عنك ربك، ويبقى لك صلاح بيتك، ويشقى الشيطان.

٢٤- إذا رفعت زوجتك صوتها عليك فتحمل ذلك منها، لا تدري ما دوافعها؟! ثم بعد الهدوء علِّمْها وطالبها بحقك من التوقير.

٢٥- بادِرْ أنت بمصالحتها بعد تعكير الصفو الزوجي، فلا تخلو علاقة في الدنيا من التعكير بعد الصفاء، تواضع لله فليس بين الزوجين كبر وتعاظم وقد أفضى بعضهم إلى بعض وانكشف بينهما ما لا يطلع عليه غير الله سبحانه.

٢٦- لا تعاقب كثيرًا، ولا تجادل ولو كنت مُحقًّا، وكن كبيرًا تصغر مشاكلك، وكن رفيقًا ودودًا معلمًا لها الدين والخلق تدم سعادتك.

***

العشرة الطيبة

[مع المرأة]

إشراق البدايات دليل التوفيق للنهايات

* **روعة الالتقاء تستجلب الصفاء.**

* **قلب محب وجمال معد:**

كن لها كما تحب هي أن تكون لها، تكن هي أفضل مما تحب أن تكون لك، افتح لها القلب لتسكن فيه، دعها ترَ الترحاب في عينيك وفي امتداد ذراعيك، وفي تمتمة شفتيك، أهلًا وسهلًا في القلب قبل الدار، اجعلها في جنتها منذ الليلة لا ترى أجمل منك ولا أحب إليها منك.

* **جراحة بلا ألم ولا تخدير:**

أكرم حياءها ورفقًا بالقوارير، وأودع في خزينة قلبها رصيد الاحترام والتقدير للمستقبل المنشود، إياك من وثبة وهجوم الجوع الغريزي فترسم في نفسها صورة الافتراس والاقتناص، فكن مثل الطبيب الذي يجري الجراحة أثناء التخدير بلا ألم ولا تكدير.

* **أفراح في الأرض وفي السماء:**

أنت الآن تمر بك لحظة هي متعة الأذهان وعطر الأيام، بالدعاء والركعتين يرتفع لكما الذكر والثناء مع أفراح السماء، وتزف البشرى للعروسين أن بورك من في الدار.

* **ما لا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق:**

لا تدع طربات الهوى وضراوة الشهوة واستعارها تستخفك فيطيش العقل وتفقد الرزانة «وقدموا لأنفسكم» قدموا التسمية والكلام والقبلة، قالوا: التقديم بالملاعبة والمداعبة والملاطفة والتقبيل يزيد في اللذة.

* **تجمَّلْ في موطن الضرورات:**

مهما تكشفت الأبدان فالنفوس دومًا متحفظة، فحافظ على النفس ولا يغرنك زوال احتشام الجسد، فلباس الزفاف يُتَخَفَّفُ منه ولكن لباس صيانة النفس لا يُخلع.

روعة الالتقاء تستجلب الصفاء

* في عـالم الخلـق الأول خُلقـت حـواء مـن آدم عليهـما السـلام، فصـار التوافـق والتعاشـق بـين الزوجـين كـما بـين آدم وحـواء فـلا تكتمـل نفـس أحدهـما إلا مـع الآخـر، بـل يصير كل منهـما يـذوق المـوت بمفارقـة صاحبـه وتـدب الحيـاة في كليهـما بالامتـزاج، فسـبحان مـن قـال: {وَجَعَـلَ مِنْهَـا زَوْجَهَـا لِيَسْـكُنَ إِلَيْهَـا} [الأعـراف: ١٨٩].

* إنـه التـزاوج الفطـري قـد بـدأت لحظتـه، منـذ تقابـل الرضـا وتجانـس الوفـاق، مـن مـاء الزوجـين، فانعقـد ربـاط مقـدس مغلـظ مؤسـس عـلى كتـاب اللـه وسـنة رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فتحـرك في أحشـاء الزوجـين نبتـة المـودة والرحمـة تخلّـق منهـما علقـة المحبـة بالقلـب، ووسـعت مشـيمة النفـس هـذه الآيـة التـي نفـخ فيهـا روح السـكينة إيذانًـا بمولـد جديـد تفـرح بـه الحيـاة وبـه تسـتمر، إنهـا ولادة جديـدة وبدايـة جديـدة لحيـاة، ولكـن لمولـود، لا يسـتهل بصرخـة البـكاء، كالطفـل إيذانًـا ببـدء الحيـاة خـارج الرحـم، بـل برنـة الفـرح إيذانًـا بصحبـة الأبـد {وَمِـنْ آَيَاتِـهِ أَنْ خَلَـقَ لَكُـمْ مِـنْ أَنْفُسِـكُمْ أَزْوَاجًـا لِتَسْـكُنُوا إِلَيْهَـا وَجَعَـلَ بَيْنَكُـمْ مَـوَدَّةً وَرَحْمَـةً إِنَّ فِي ذَلِـكَ لَآَيَـاتٍ لِقَـوْمٍ يَتَفَكَّـرُونَ} [الـروم: ٢١]، {وَمِـنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَـا زَوْجَـيْنِ لَعَلَّكُـمْ تَذَكَّـرُونَ} [الذاريـات:٤٩].

***

قلب محب وجمال معدّ

* الزوجة التي بين يديك هي غاية إعداد السنين في كل عمرها من والدين محبين، أوقفا حياتهما ومشاعرهما وآمالهما وما يملكان لتدرج وتشب هذه العروس بينهما، حتى أعداها كزوجة جميلة مكتملة الصفات البدنية والعقلية والنفسية والعاطفية في تفانٍ صادق، ودون أدنى مقابل، يحدوهما الأمل الكبير أن تصبح زوجة لزوج رفيق شفيق ودود، يقدمانها له أيضًا دون أي مقابل مادي، بل عادة كل أهل للعروس أن يردوا على الزوج أعظم ماديًّا مما قدمه هو مهرًا للعروس، فعروسك وما تملك وما يقدرون هم عليه سلمت إليك هدية كالأمانة، أو أمانة كالهدية، لا يطمعون منك في غير إكرام مثواها وقد حلت في دارك وانتقلت إلى جوارك بقلبها المحب وجمالها المعدّ.

* لقد تركت الزوجة بيتها وأهلها وأحبابها وجيرانها وجاءت إليك ترغب في الصحبة والجوار، وتبحث عن السكن والاستقرار، غير مرغوب عنها من أهلها ولا مستغنًى عنها من أحبابها، ولكنها سنن الاجتماع، وطبائع الاستمتاع، ولبقاء الأنواع، لذلك شرع الزواج، فحلت الزوجة في بيتك أسيرة السنن في افتقار إليك بتعزز، وانكسار في ترفع، ترفل في ثوب من الحياء في أبهى زينة من الصيانة والعفاف، تجلس منك مجلس من يطاع، فأنت فارس الأحلام، عاشتك عمرًا قبل أن تراك فارسًا لأحلام يقظتها، تستحضر الآن معك الخيالات التي راودتها منذ المهد وهي تسمع الدعوات والأماني أن تصبح عروسًا في بيت زوجها، فكن لها الفارس النبيل، وحقق الخيال بواقع منك جميل، وإياك أن تخيب الآمال، فتعيش معك وفارس أحلامها لم تقابله، بل كن لها كما تحب هي أن تكون لها، تكون هي أفضل مما تحب أن تكون لك، افتح لها القلب لتسكن فيه، دعها ترَ الترحاب في عينيك، وفي امتداد ذراعيك، وفي تمتمة شفتيك، أهلًا وسهلًا في القلب قبل الدار، فهي ما تركت دارها وحلت عندك طمعًا في دار، ولكن طمعًا في ساكن القلب، ومحب الجوار، اجعلها في جنتها منذ الليلة، لا ترى أجمل منك ولا أحب إليها منك.

***

جراحة بلا ألم ولا تخدير

* لقد تعدت المشاعر والوجدانات كل مألوف من الحدود، وتصاعدت في أروقة النفس، وملأت كل الحنايا والأحشاء عواطف متولدة، فتلاقت وامتزجت وافترقت وتعانقت وافترقت وتشابكت وتضاربت، والنفس متحفزة مترقبة لمجهول كالمُدْرَك، تملأ النفس الرغبة والرهبة مع الحياء الفطري والوقار المتكلَّف، وتتكتم أشواق العمر وتدافع اللوعات والمهج، وتتحرق النوازع المختزنة والمحبة المكتنزة، وتتكسر العيون حياءً والنفس كلها عيون مشرعة، لقد خفَتَتْ الأصوات الصاخبة مع فرح الأهل في الخارج، وارتفعت دقات طبول القلب المتوتر فرحًا، والنفس تبث وتستقبل على موجات أثيرها أغاريد الأرواح المحبة مع أغنية المستقبل الرائع، التي تُدنْدن بها الحياة، فاعزف أيها الزوج السعيد على أوتار هذه النفس المرهفة ألحان الوداد وبث أشجان الغرام، فالليلة محفل الخلود.

* ولقد صقلت النفس فصفت مرآتها، وسطع على وجهها إشراق فجر الحياة الجديدة، فكل ما يتصل بالنفس هذه الليلة يرتسم على صفحتها، ويثبت في المشاعر والحافظة، وكل جميل فيها سيسترجع، إنها ليلة مولد المحبة المقدسة للنفس، ترتفع فيها ما ينبت لحمة الوفاق والوصال، فلحظاتها تبقى وتخلد مثل القطعة الأثرية النادرة، تزداد مع الأيام قيمتها والحرص على اقتنائها، لذلك أيها الزوج الحريص فما ينكسر في هذه الليلة لا ينجبر في باقي العمر، وما ينجرح ويُخدش في هذه الحالة لا يلتئم خرقه وجرحه، ويا أيها الزوج النبيل أكرم حياءها ورفقًا بالقوارير وأودع في خزينة قلبها رصيد الاحترام والتقدير للمستقبل المنشود، وإياك من وثبة وهجوم الجوع الغريزي، فترتسم في نفسها صورة الافتراس والاقتناص، فكن مثل الطبيب الذي يأتيه من سيُبتر عضوه برغبته لعلمه أنه يجري الجراحة أثناء التخدير بلا ألم ولا تكدير، فيعقب ذلك الراحة وللطبيب الأجر والتقدير.

***

أفراح في الأرض.. وفي السماء

* ثوب الزفاف المرصع بالجمال والمعد بالمقاييس لمفاتن الأبدان، ونصيف وجهها المتهلل خلفه وجه ساطع بالبشر تبديه سحابة رقيقة من حياء وفرح وجزلان، ونسيم عليل للنفس في نشوة قوة الحياة تتدافع مع رياح مستحرة تحركها وتثيرها كوامن الرغبات والشهوات، ولكنك أيها الزوج أنت إنسان اجتمعت فيك أربعة أنواع من الأوصاف وهي: الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية، والربانية.

وأنت الآن تمر بك لحظة هي حافظة الزمن التي لا تنسى، فكن الإنسان الذي يبقى تاريخه متعة الأذهان وعطر الأيام، أيها الزوج الإنسان قدوتك الرسول الكريم وسلفك رجال الدنيا وصفوة التاريخ، ابتسم في نشوة الرجال الفتيان، وارفع نصيف الوجه واشكر للخالق وقل: بسم الله، وبكل الرفق والحنان اجعل ناصيتها بين أصابع يدك اليمنى واهتف بقلب عارف: «**اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جُبلت عليها وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت عليه**» حديث أخرجه أبو داود وابن ماجة بسند جيد، وبذلك تتم لك البركة فيها ويجمع الله بينكما في خير، وإن أطاعت منك النفس ورزقت التوفيق وكملت المقاصد فقومًا وصليا ركعتين ليرتفع لكما الذكر والثناء مع أفراح السماء، فمعكما ملائكة محبون، وبتوفيق الله وطاعته يفرحون وبالصالح من العمل يصعدون، وعند مليك العرش يثنون ويمتدحون، فبهذا العمل القليل وفي هذا الوقت الجليل تتفتح بركات السماء والأرض، ويسمو الإنسان في نفسه وعند أهله باقتدار ويندحر شيطانه وتتكسر أسلحته ويخيب كيده وتحرس الملائكة النفس والدار، ويهتف الوجود بالحمد لله، وتُزف البشرى للعروسين أن بورك مَنْ في الدار {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧].

***

ما لا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق

* أيها الزوج السعيد: لا تدع طربات الهوى وضراوة الشهوة واستعارها تستخفك فيطيش العقل وتفقد الرزانة، فتصبح في خفة الفراشة وطيشها عندما ترى نور النار فتهجم عليها فيكون حتفها.

إنما النار يستدفأ بها وينتفع بنورها وإبداء الحرص جهل وشره قال تعالى: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ} [البقرة: ٢٢٣]، قالوا قدموا التسمية والكلام والقبلة وما أعظم القدوة والمعلم للبشرية صلى الله عليه وسلم وهو يشرح أسباب المتاع المباح والطيب الحلال، ويجعل ذلك دينًا وقربة. روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول**» قيل: وما الرسول يا رسول الله؟ قال: «**القبلة والكلام**».

وقال صلى الله عليه وسلم: «**ثلاث من العجز في الرجل أن يلقى من يحب معرفته قبل أن يعلم اسمه ونسبه، والثاني أن يكرمه أحد فيرد عليه كرامته، والثالث أن يقارب الرجل زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤانسها ويقضي حاجته منها قبل أن تقضي حاجتها منه**» رواهما الديّلمي في كتابه مسند الفردوس ورواه أبو يعلي في مسنده بلفظ «**إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها فإذا قضى حاجته قبل أن تقضي حاجتها فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها**».

قال أبو طالب المكي في كتابه قوت القلوب: وأوفق ما يكون الجماع بينهما إذا اتفقت الشهوتان منهما معًا، وأكثر ما يكون التباغض بين الزوجين لاختلافهما من طبع الإنزال، أن يكون طبعه سابقًا لطبعها أيضًا.

وقالوا: التقديم بالملاعبة والمداعبة والملاطفة والتقبيل، يزيد في اللذة، لأن المرأة المشتهية للجماع أعون على اللذة، وقد مدح الله تعالى نساء الجنة بذلك فقال عز وجل: {عُرُبًا} جمع عرُوب، وهي المرأة المتعشقة والمشتهية للجماع، يقال رجل شبق وامرأة عروب،

فهـذه اللـذة التـي لا تدانيهـا لـذة لـو دامـت تُنَبِّهُـه عـلى اللـذات الموعـودة في الجنـة، ولأن مـا لا يـدرك بالـذوق لا يعظـم إليـه الشـوق.

وجـماع الرجـل أهلـه مـن القربـات والصدقـات، فقـد روى الإمـام مسـلم في صحيحـه أن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «**ولـك في جـماع زوجتـك أجـر**»، قالـوا يـا رسـول اللـه: أيـأتي أحدنـا شـهوته ويكـون لـه فيهـا أجـر. قـال: «**أرأيتـم لـو وضعهـا في حـرام أكان عليـه وزر، فكذلـك إذا وضعهـا في حـلال كان لـه أجـر**».

***

تجمل في مواطن الضرورات

* مهما تكشفت الأبدان فالنفوس دومًا متحفظة، فحافظ على النفس ولا يغرنك زوال احتشام الجسد قال الله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [الأعراف: ٢٦] فتجمل في مواطن ترخص الضرورات، وتميز بألطاف النبل البشري عند نيل الرغبات، ولا تنزع عنك لباس الاحتشام عند استقضاء الحاجات، فقد ذم الله أقوامًا فقال: {يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ} [محمد: ١٢]، وما أكمل التشريع الإسلامي في ربطه بين الدنيا والآخرة بين الفاني والباقي، بين عالم الغيب وعالم الشهادة، إذ يقول عز من قائل: {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: ٢٧]، فأنت في أخص الخصوصيات لست وحدك، معك من لا تراه وهو يراك، إنه عدو مبين؛ لذلك شرع لك النبي صلى الله عليه وسلم ذكرًا يُغيب عنك العدو فلا يحضرك، وسترًا إذ لم تأمن به عدوك ينظرك، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ستر ما بين الجن وعورات بني آدم إذا دخل الكنيف أن يقول باسم الله**» رواه الترمذي وغيره، وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «**وقدموا لأنفسكم**» أي قدموا ذكر الله عند الجماع كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لو أن أحدكم إذا أتى امرأته قال باسم الله اللهم جنِّبْنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقْتَنا فإنه إن يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدًا**» رواه البخاري ومسلم، لذلك أيها الزوج المسلم: تعرف هتاف النبي صلى الله عليه وسلم داعيًا ربه سبحانه ومتلبسًا بحال التجمل في كل أحواله «يا من أظهر الجميل وستر القبيح ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر» كذلك خُلُق المؤمنين يظهرون في كل الأمور ما هو جميل، ويسترون كل قبيح ولا يهتكون سترًا وخاصة ستر حياء النفس فإنه مصان الدهر كله. فلباس الزفاف يُتَخَفَّف منه، لكن لباس صيانة النفس لا يخلع.

همُ الرجالُ وعيبٌ أنْ يُقال لِمَنْ *** لَمْ يتَّصِفْ بمعاني وَصْفِهِمْ رجلُ

***

المفاتيح المرعية للصحبة طوال العشرة الزوجية:

* مَـنْ تعاشرهـا لهـا نفـس مثلـك تـرضى وتسـخط وتحـب وتبغـض وتفـرح وتحـزن وتحسـن وتـسيء وتشـعر وتتـألم وتفكـر وتعقـل فهـي ليسـت آلـة للخدمـة والترفيـه، نعـم ... ولكـن بمقابلـة المثـل، بقـدر مـا تسـعدها يعـود ذلـك عليـك فبقـدر مـا تـزرع تحصـد، إن خـيرًا فخـير، وإن تشـقها تشـقى بهـا.

* العمـر قصـير وإنمـا أنـت أيـام والدنيـا كـدر فصـفِّ أكـدار الأيـام، والسـفرُ طويـل يحتـاج إلى رفيـق أليـف، وأنيـس موثـوق بـه.

* العواطـف العظيمـة والنوايـا الحسـنة المخفـاة في داخلـك لا تقنـع الزوجـة ولـو تحققـت منهـا لا بـد مـن فعـلٍ جميـل وقـول حسـن {قـل هاتـوا برهانكـم إن كنتـم صادقـين} فالعليـم بالبواطـن يطلـب عمـل الظواهـر.

* أخبرهـا بـكل إحسـاس نحوهـا جميـل دائمًـا، ودائمًـا تكتـم مشـاعرك غـير المرغـوب فيهـا بقـدر مـا تطيـق.

* اجعل لك رصيدًا من الاحترام عندها، حافظ عليه إن لم تنمه الأحداث.

* مـا كنـت تحـرص عليـه عنـد بدايـة العلاقـة بينكـما مـن تأنـق في الملبـس وتخـير للألفـاظ، وتجمـل في إبـداء الإعجـاب والمديـح، وحـرص في إبـداء وتوصيـل العواطـف لا تتركـه أبـدًا، وليكـن لـك عـادة، وجـه بالبـشر صبيـح ولسـان بالحـب صريـح.

***

كل شيء تراه عليه كسوة القلب

* لقد أصبح يوم ليس له مثل في الأيام، والشمس أشرقت كما كانت تشرق والناس هم الناس والأشياء هي الأشياء، ولكن النفس أشرقت فيها شمس أمل جديد، أمل كلها الحياة، كن جميلًا ترَ الوجود جميلًا، جدران المنزل تكاد تتهلل والأثاث كأنه يستحي ويطلب المؤانسة وأصوات العصافير اليوم كالمهنئة، واهتزاز الستائر يعبر عن الرقة وتناغم المشاعر، وباقات الزهور أمام الحجرة تتناغى ألوانها وتفصح عن روعة الحياة، حتى جلبة الشوارع تنتظم بهتافات الفرح، كما كان مجنون ليلى صادقًا حين رأى ضوء الشمس على بيوت ليلى أضوأ من غيرها، وأعظم منه ما يصح عن رسولنا صلى الله عليه وسلم أنه كان يجعل للأشياء اللازمة لصحبته العظيمة أسماء يتعامل بها معها، لناقته، لسيفه ... إلخ وصدق الله العظيم: {إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} [الإسراء: ٤٤].

إن الهموم إذا انزاحت عن القلب بثقلها سمت النفس، وصفت الرؤية، فاستقبلت مرآتها أرواح الأشياء، وفقهت لغاتها، ولم يجد العامة من الناس أصلح في تعبيرهم عن ذلك كله من قولهم (صبحية مباركة) وأهل السلوك يقولون: (تجلية الأمور على تصفية الصدور).

* في هذا المناخ المستجد وداخل هذا المسكن المعد، ومع من يصحبك اليوم وفي الغد، يبدأ سير الحياة الزوجية نحو سعادة الدنيا ورجاء الجنة في الآخرة.

* وفي هذا الجو البهيج، وتوثب الروح الوئيد، تنمو مشاعر جديدة وتكتمل فضائل لا تكتمل إلا فيه، وترتوي فيه الغرائز بما أحل الله، وتطمئن فيه العواطف بمطارحة الحبيب، ويذهب عن النفس عناء وحشة الغُربة.

* فدعني أيها الزوج وأنت في نشوتك أحادثك سرًّا، واستسمح زوجتك عذرًا، فأنا أهيئ لها القلب والقالب، ومن قبل ساررتها في القسم الأول من العشرة ويوم لكَ ويوم ... لكِ.

***

املأ قارورتك بما تحب أن تشرب

* قال أبو طالب المكي: المرأة تحتاج إلى فضل مداراة، ولطيفة من الحكمة، وطرف من المواساة وباب من الملاطفة، واتساع صدر للنفقة، وحسن خلق ولطف لفظ، وهذا لا يحسنه إلا عالم حليم، ولا يقوم به إلا عارف حكيم، ولا يصلح لذلك: ضيّق القلب، بخيل الكف، سيئ الخلق، غليظ القلب، فظ اللفظ، ولو تزوج هذا عُذّب وآذى وتأذى، وأنا أقول مع القائل: إذا كانت المرأة سيئة الخلق فأسوأ منها من يحوجها إلى سوء الخلق.
* بجميل المفاوضة، ولطيف المداراة، وصدق العاطفة تحتل السويداء في قلب الزوجة، المرأة مخلوق لطيف ويرقّ لك قلبها ويصفو إلى غير حدود، فقط رفقًا بالقوارير، واملأ قارورتك بما تحب أن تشرب.
* ما أعظم أخذ العلماء الأئمة عن الله حيث قالوا: شبّه الله تعالى حسن النظام والعشرة مع الزوجة بحسن القيام على الوالدين فقال فيهما: {وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [لقمان: ١٥] وقال في حق المرأة: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [النساء: ١٩]، وقال في عظيم حقهن: {وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} [النساء: ٢١]، وقال سبحانه: {وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ} [النساء: ٣٦] قيل هي الزوجة، وقالوا: كلما طالت الصحبة توكدت المراعاة. فكن أيها الزوج المصاحب لها زيْنًا في الرخاء وعَوْنا لها في الشدائد، كن معها كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، عاملها باحترام وتقدير كما تعامل الصديق الحميم، تضمن منها المودة، والتكريم، إذا دنت منك هششت لها، ورحبّت بها وإذا تحدثت أقبلت عليها وأصغيت إليها، وإذا جلست أوسعت لها، يدم لك قربها وقبولها، فإن القلوب جُبلت على حب من أحسن إليها، انظر أيها الزوج المسلم صنيع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نفوس أصحابه ليعلم أمته كيف يحسنون المعاملة ويتعلمون استجلاب المودة، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بيدي ثم قال: «**يا أبا أمامة إن من المؤمنين من يلين له قلبي**» رواه أحمد في المسند والطبراني ورواته ثقات، فما أروع وأنفع

مـن يفقـه ويقتـدي بـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فانظـر كيـف أخـبر هـذا الصحـابي الجليـل بحبـه لـه وأوصـل لـه الخـبر في هـذا الأسـلوب البـارع، إذ أخـذ بيـده عندمـا رآه، بمـودة ورغبـة، لأنـه صاحـب لـه مؤمـن، ثـم أخـبره أن قلبـه يلـين لرؤيتـه، فدامـت صلـوات اللـه عليـك يـا ذا القلـب الرحيـم الحريـص عـلى مـودة المؤمنـين، قلـب النبـي يلـين ويـرق وينفعـل بمجـرد رؤيـة صاحبـه؟ ويتواضـع ويخـبره بهـذا الأمـر في أرقـى صـور الخطـاب، أخـبر أيهـا الـزوج صاحبتـك ودائمًـا بـكل مشـاعرك الجميلـة نحوهـا، خـذ بيدهـا بحنـان المحـب وقبـل يدهـا رحمـة ورغبـة ومحبـة، وقـل لهـا مـا في قلبـك، إنهـا في تلهـف دائـم لتسـمع منـك ذلـك، فإنـه غـذاء قلـوب المحبـين، وذلـك السـلوك شرع وديـن: فعـن أبي كريمـة المقـداد بـن معـد يكـرب رضي اللـه عنـه عـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «**إذا أحـب الرجـل أخـاه فليخـبره أنـه يحبـه**» رواه الترمـذي وأبـو داود، وقـال الترمـذي حديـث صحيـح، إنـه اللـه الخالـق العليـم بخلقـه، وهـذا رسـوله يخـبر عنـه، وإنهـا القلـوب العطـشى لمـاء القلـوب، فـإذا رويـت اهتـزت وربـت، وأنبتـت مـن كل العواطـف مـا هـو بهيـج.

***

وا شوقاه للبدايات

* أتذكر أيها الزوج الفاضل كيف كانت البدايات مع زوجتك الحبيبة؟ كيف ارتاح لها القلب وانشرح لها الصدر ووجدت معها السرور والفرح، وأدركتك الوحشة بفقدها وغيابها عنك وبلغ بك التلهف على رؤيتها كل مبلغ؟؟

أتذكر أيها الزوج الكريم كم كنت تسترجع بعد لقائك بها كل قولك وشأنك تلذذًا وتشبعًا بكل ما قدمت عندها من أسباب سرورها ورضاها، بل خوْف أن يكون بدر منك ما يشينك عندها.

ألم تكن تستعيد كل صور اللقاء وتسعد بها وتعيشها بكل أحاسيسها مرات، وتبتسم وتضحك مما أضحكك وسرك أثناء اللقاء. أيها الزوج الكريم أبشر ثم أبشر، فهذا منك رائع وجميل، وأنت صاحب نفس مدركة للجمال ومحبة للسرور وراغبة في السعادة مع الحبيب، ولديك القدرة على إدخال السرور على من شئت، وعلمت أن نفسك تفرح للجميل من القول والعاطفة، وتأكد لديك أنه كلما حرصت على إسعاد زوجتك كانت هي أحرص على ما ترغب أنت فيه، لذلك أيها الزوج الحكيم أدعوك تستفيد من رصيد خبرتك، وأبدع أيها الزوج فيما حباك الله به من قدرات لطيفة وحلوة ومحبوبة ومطلوبة ... في كل وقت ... دائمًا وليس فقط في بدايات الارتباط.

لا تجعلها تتنهد في حسرة وتقول: واشوقاه للبدايات.

* أيها الزوج الراعي والمسؤول: حلت في رعايتك أمانة الله وأُخِذ عليك العهد المغلظ، وهي ترغب أن تنشأ عندك على خير ما تحب أنت، فقلبها ونفسها صفحة بيضاء، فسطّر فيه منهاج حياتك الذي تحب أن تحيا به وعليه، وعوّدها واعتد معها على الاحترام المتبادل والمخاطبة الكريمة، ومراعاة الشعور، وإدخال السرور، والتحمل وقت ملل النفس (وما أكثره دون أن يُعلم سببه)، وحب النظام والترتيب في كل شيء والنظافة، وفهم الرغبات بالإشارات وانتقاء الألفاظ والعبارات، والتأنق مع البساطة في الملبس والمأكل، والحرص على

تبادل الهدايا الرمزية كلما استدعى أمر، وتبادل التّحايا وعبارات الشكر، وعدم مفارقة طلاقة الوجه في وجود الحبيب والإقبال عند الحديث وإظهار الاهتمام بالآخر، وعدم تسفيه الرأي مهما كان منطقه، والثقة عند الأخبار، والتغاضي عند حدوث بعض الزلات، والصبر عند غضب الآخر، وترك مجال شخصي جدًّا للآخر لا يتدخل فيه، وعدم الإلحاح في السؤال، وخاصة في أمور المال والدخول وغير ذلك مما تحب أن تعود عليه زوجتك وتعتاده معها، وهذه الأمور ممكنة مع الحب والعاطفة القوية الصادقة بينكما، فبادر واستنبت في حقل حرثك ما تود أن تجنيه من بستان عمرك، وتعاهد نماءه تعش في وارف ظلاله وتنعم بنُزَه الأيام في رياضه، وتقتطف أزهاره وثماره وتحيا في جنة حوائك، فالله الله ما أحلى البدايات لو استقامت لك هذه الأمور مع حسن النيات، ولا تتأخر عن هذا الخير فيفوتك العون والمدد فقد قال صلى الله عليه وسلم: «**لا يزال الرجل يتأخر حتى يؤخره الله**» وقال مولانا جل في علاه: {وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج: ٧٧].

***

المشاعر الآدمية قبل الشعائر التعبدية

* قال سادتنا العلماء: حق المرأة بسبب الزفاف سواء كان عنده امرأة غيرها أم لا، أن يؤثرها بسبع ليالٍ، والزوجة الثيب بثلاث -الثيب من سبق لها الزواج- وهذا ما قاله جمهور العلماء أي غالبيتهم. بل قال الإمام النووي الشافعي إن ذلك مستحب إذا لم يكن عنده غيرها وإلا يجب، وقال الإمام الشافعي: ولا أحب أن يتخلف عن صلاة الجماعة. ولا يمنعه ذلك من عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا إجابة وليمة. وأفرط بعض فقهاء المالكية فجعل مقامه عندها عذرًا في إسقاط الجمعة إذا جاءت في أثناء المدة قياسًا على أن المقام عندها واجب، رواه ابن القاسم من المالكية عن مالك لأنه تعارض عنده بين واجبين فقدّم حق الآدمي.

* وقالوا في علة ذلك: إنه حق للمرأة على الزوج لأجل إيناسها وإزالة (الوحشة) عنها وأقول: ما أجمل الشرع الحنيف في أخذ المسائل بموضوعية واعتدال بشري واهتمام بالمشاعر الآدمية قبل الشعائر التعبدية.

وأقول أيضًا: أسبوع عسل سبق به الإسلام فاعتدل الحكم بدلًا من شهر عسل الغرب، وما أجمل تعبير العامة (إن كان حبيبك عسل ما تلحسوش كله).

***

* إكسير السعادة عند المرأة هو ... الكلمة، وإفساد طبائع المرأة بالكلمة، فالشأن كل الشأن أيها الزوج المعاشر لمن اختارتها نفسك دون نساء العالمين هو أن تحسن الكلام معها، فيكون كلامك غذاءً ودواءً لها، ويكون لسانك بذلك هو -عجلة القيادة- لمركب السعادة الزوجية الذي به تضمن التحكم في أي اتجاه ترغب الوصول إليه، وتسلس لك القيادة كلما وافق الثناء موضوعًا. اسمع -زادك الله فهمًا- لقول الله عز وجل: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا} [الإسراء: ٥٣]، قال السادة العلماء: فلو كانت خصلة هي أصلح للعبد، وأجمع للخير، وأعظم للأجر وأعظم في القدر، وأولى في الحال وأنجح في المآل من هذه الخصلة لكان الله سبحانه أمر بها عباده.

أقول أيها الزوج المتبع لهدي السماء: هي هي الكلمة، إن كانت حسنة محببة لسامعها كانت من الله فتصلح ولا تفسد، وإن كانت الكلمة غير مستحسنة ولا مرغوب فيها فهي من الشيطان، يفسد بها القلوب ويقطع بها ما بين المحبين عداوة لله وللمؤمنين. الكلمة لسائر الناس كعصا موسى عليه السلام، هي لمن آمن بها تفجر الحجر ينابيع الحياة، ولمن لا يتبّعها تصير حيّة عظيمة تبتلع حياتهم. ففجّر ينابيع الرضا والهناء والراحة في قلب زوجتك حتى تزرع فيه محبتك، وتدنو لك ثمارها اليانعة وتستظل بوارف عطفها وتلتذ بألوان وفنون جمالها {كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ} [البقرة: ٢٦٥]، وما أعظم المثل المضروب في كتاب الله للكلمة التي هي أصل كل كلام طيب {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا} [إبراهيم: ٢٤، ٢٥]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أو لا أدّلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم. أفشوا**

السـلام بينكـم» رواه مسـلم، فـأي روعـة في البيـان مـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم؛ حيـث ربـط دخـول الجنـة، التـي هـي غايـة كل العاملـين المؤمنـين وبـين الحـب بـين المؤمنـين، فجعـل مفتـاح بـاب الجنـة هـو التحابـب ثـم أوصلهـم إلى المطلـوب لتحقيـق ذلـك كلـه «إفشـاء السـلام» ولا يضيـق عنـد العلـماء مفهـوم إفشـاء السـلام في إلقـاء السـلام المـشروع، وإن كان يدخـل في الحديـث، ولكنـه إفشـاء كل كلام يُحـدث الوئـام، ويربـط القلـوب في مـودة وحنـان، ويغـرس في واحـة العيـش للزوجـين رياحـين الأمـل للسـير نحـو الجنـان.

***

* يعتمد كثير من المتحابين والمتصادقين والمتزوجين على رصيد الثقة فيهم وفي حبهم لدى الآخرين، ويظن أحدهم لصدقه في المحبة لزوجته ولسابق معرفتها لحبه لها أن ذلك يكفي لاستدامة حبه عندها وبقاء علمها بذلك، وذلك خطأ فادح يقدح في المحبة، وغفلة شديدة لواقع العلاقات الزوجية ورعايتها.

* إن الله تعالى لم يخلق لنا العواطف إلا لنتبادلها ونتعامل بها وينفع بها بعضنا البعض، وهي كسائر ما خلق الله لنا فيه حكمة ومنفعة، وبقدر ما ينتفع الناس بنعمه يعبدونه ويشكرونه، وبقدر ما ينفع العبد الخلق بهذه النعم، بقدر ما يكون مؤديًا للغاية التي خُلق لها وخلقت لها النعم، ونعمة ترابط القلوب بالمحبة أعظم نعم الله على المؤمنين بعد إسلامهم، قال الله تعالى: {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران: ١٠٣]، ولقد كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه وأزواجه مثالًا لإظهار المودة والتعبير عنها بكل وسائل التعبير تصريحًا وتعريضًا وإشارة بالقول والعمل والحال، وقد مرّ بنا بعض الأمثلة، وسنرى بعضها فيضًا من فيض النبوة.

* أرأيت أيها الزوج العاقل لو أن إنسانًا أعطاه الله نعمة المال الكثير فكنزه ولم يستثمره، ولم ينفق منه على نفسه ولا على من يجب عليه النفقة عليهم، ما تقول فيه؟ وهل هناك بخلٌ وتعطيلٌ للمال مثل ذلك؟ إن المال جعله الله ليتداول بين الناس لا ليكتنزوه، وهل أهل ذلك الرجل الغني البخيل انتفعوا بغناه، رغم علمهم أنه صاحب كنوز عظيمة يملكها ولا ينفقها عليهم. كذلك كنوز العواطف التي تملكها في قلبك لزوجتك، ولا يصل منها إليها ما يكفيها ولا يقنعها ملكك وكنزها في قلبك، بل ستتشكك في وجودها عندك، أنفق أيها الغني على أهلك ولا تحرمها رِفْدك فيزدد منها بعدك، قل لها بملء الفم واعترف مما في القلب، لا تجعلها تشعر أبدًا أنك بخيل القلب حتى لو كنت سخي اليد،

لا تجعلها شديدة العطش لماء القلوب وتضنّ عليها بشربة من أعماق قلبك، وهي ترى الماء ولا تصل إليه لأنه في الأعماق (كمن هو شديد العطش للماء ويراه في بئر عميقة لا حيلة له في الوصول إلى الماء). فهل تنفعه رؤية الماء وعلمه بوجوده؟ وهل علم من يقف على شاطئ البحر بوجود اللؤلؤ في أصدافه في الأعماق ينفع دون استخراج اللؤلؤ وتداوله؟ إن قلب البدن يدفع الدم إلى سائر أجزاء الجسم حتى لا تنقطع عنه مادة الحياة، وكذلك قلب الروح والنفس لا بد أن يدفع مادة حياة الروح والنفس لمن لا حياة لقلوبهم ونفوسهم إلا به.

والكلمة الطيبة حياة المرأة القلبية والنفسية، فلا تبخل بكلمة لا تُنْقصك ولا تكلفك، وفيها حياة قلب ونفس.

***

فيتامينات الصحة النفسية

* المرأة مخلوق لطيف، على الفطرة غالبًا، سهل الانقياد كالطفل لأن نفسها في بساطتها الفطرية، وغلبة عواطفها الجبلّية تحتاج لمعاملة رقيقة، لطيفة، بسيطة تتلخص في القدرة على الثناء والإطراء الذي يوافق موضعًا، وأنت أيها الزوج قد جرَّبْتَ بالضرورة ذلك ولاحظته عند ابتداء علاقتك بزوجتك كما مرّ سابقًا، حيث كنت تنتقي كلمات الثناء والإطراء سواء عليها جملة أو على طريقتها، أو مظهرها، أو حديثها، وعلمت أثر ذلك على علاقتكما من القوة والتّمتين ومن فرحها العظيم بكلامك، وبرغبتها الدائمة لسماعه وإسماعه صديقاتها.

* اعلم أيها الزوج أن هذه فطرة ملازمة لأي امرأة، وزوجتك بالحتم منهن، فلا تحرمها الثناء، والإطراء دائمًا، لأنك لو لم تفعل ستَفْتَقده وتحتاجه بالضرورة الفطرية، حتى لو لم تفهم هي عن نفسها ذلك، وهي في هذه الحالة -أي إذا فقدت منك الثناء عليها- إحدى امرأتين: إما أنها تصبر، ثم تصبر ثم يدركها الملل، ثم تصاب باكتئاب دائم، وإحساس بعدم الرضا، رغم رغد العيش إن كان هناك رغد منه، ورغم المعاملة التي تراها أنت كريمة، وقد تتدبّر هي في أمرها أو أنت أو أنتما معًا، فلا يُعرف سبب هذا الملل وهذا الاكتئاب. لقد أصاب القلب نقص المادة الفعّالة الضرورية لحيويته، يقول الأطباء: إن الجسم يلزم له الفيتامينات بأقدار صغيرة جدًّا، وإذا نقصت بدت مظاهر وأعراض مرضية كثيرة للجسم فإذا زوّد الجسم بهذا القدر الناقص، سرعان ما يعود له الحيوية والنشاط والقوة. أما في حال المرأة الثانية التي لا تجد الصبر على افتقاد الثناء والإطراء، فتضطر المسكينة للتحايل على الخروج بأي سبب لتسمع وتُشبع نفسها من ثناء الغرباء، في الطريق أو في العمل، أو في أي خلطة (تدخلت في مشكلة زوجية مرة، واحتدّ الخلاف حول مسألة خروج الزوجة للعمل وزوجها لا يرغب في خروجها لعدم حاجتها للمال، وحاجته لوجودها في المنزل، ودهشتُ لإصرار الزوجة على الخروج للعمل، حتى مع التهديد بالطلاق، فخلوْت بالزوج،

وكان مما سألته عنه، هل أنت معتاد أن تقول لها إذا ارتدت فستانًا إنه جميل ورائع؟ قال وهو ينظر لي بدهشة رغم احترامه لي: وما دخل ذلك في الموضوع يا أستاذ؟ فسألته هل ... هل ... كل ذلك يقول: لا، فقلت له مما أكتب عنه الآن، وطلبت منه أن يجرب ذلك، ولا يطلب من زوجته الآن أن تترك العمل، فوافقني وبعد مدّة ليست بالطويلة أخبرني أن زوجته تركت العمل، وعلى حدّ تعبيره قال: وأنا ماشي على الروشتة).

* **أخي أيها الزوج:** لماذا تُحوج زوجتك لأن تشحذ منك الثناء؟ كأن تقول لك: عاجبك الأكل -هيه إيه رأيك في الفستان ده؟؟ صحابك عجبهم الأكل؟؟ وأمثال ذلك من الأسئلة المتكررة وأنت في غفلة تامة، وقد تثني بعد السؤال، جزاك الله خيرًا على هذه الصدقة منك، ولكن أتحب أن تمد يد طبعها لك كل يوم لتشحذ منك الكلمة؟؟ ما أبخل مثل هذا الزوج! وما أبلد حسه وشعوره ونحو المتحرقة والمتعطشة للكلمة، احذر أن تضطرها للشحاذة من الغرباء، أبْقِ عليها حياءها ودينها. واحذر أن ينفد صبرها، وتملّك، وتميل إلى غيرك، وهي لا تدري، وأنت الآخر لا تجد لسلوكها تفسيرًا، تدارك من الآن واغرس لك جنة في قلبها، ولا تبخل بجميل الثناء العاطر، فقد روت أسعد زوجة في النساء، عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عنه، أن الجنة دار الأسخياء، فاصنع جنتك وادخلها بسخاء الكلام الطيب، تطب لك معها الحياة بلا ملل، واسمع لهذا التحذير اللطيف من الشاعر محمد إقبال:

لحظةً يا صاحبي إنْ تَغْفَلِ *** ألفَ ميلٍ زاد بُعْدُ المنزلِ

***

٣ الفصل الثالث

غنائم المباهج تكون عند مراعاة المصاحب

* مفاتيح القلوب لمعاشرة المحبوب:

* حسن الخلق مع الأهل دين وكسب لطيب العيش في الدنيا.

* المودة جوهرة تحتاج للرعاية الدائمة حتى لا تُفقد.

* ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف مَنْ ليس من معاشرته بد.

* حب الزوجة دين ومفخرة لا يُستخذى منه ولا يستخفى.

* طاعة الزوجة لك مفتاحها بيدك أنت.

* المرأة في أعماق فطرتها استكانة للرجل وحاجة لحمايته، فانتفع منها بذلك ولا تستثر تمرُّدها عليك بتنقيصك لها.

* الأهل أوْلى الناس منك بالمفاكهة والتحمل ممن تتعامل معهم خارج البيت.

اعتراض وإعجاب

* عـن عائشـة رضي اللـه عنهـا قالـت: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**مَـن أدخـل عـلى أهـل بيـت مـن المسـلمين سرورًا لم يَـرْضَ اللـه لـه ثوابًـا دون الجنـة**» **رواه الطـبراني، وروي عـن ابـن عبـاس رضي اللـه عنهـما أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «إن أحـب الأعـمال إلى اللـه تعـالى بعـد الفرائـض إدخـال الـسرور عـلى المسـلم».**

* أخـي المسـلم راعِ الأهـل والبيـت: كـم يكـون جميـلًا منـك، أن ترفـع شـعار الإسـلام في إسـعاد الآخريـن، وأولهـم أهـل بيتـك، فـترضي ربـك قبـل زوجـك، وتضمـن الجنـة، نعـم يـا أخـي: إدخـال الـسرور. مـا أجملـه مـن تعبـير، قبـل أن يكـون توجيهًـا نبويًّـا للمسـلمين، إنـه لمجـرد تفكـيرك في إدخـال الـسرور سـيجلب لـك التوفيـق والعـوْن الرّبـاني، إنـه سـيظهر عـلى سـلوكك كلـه مـن حيـث لا تـدري، وإنـه سـيقنع زوجتـك دون أدلّـة إقنـاع برغبتـك الصادقـة في إسـعادها، فيلـين لـك القلـب ويهـش لـك الوجـه وتـشرف بـك النفـس. اسـتمع يـا أخـي العزيـز إلى هـذه الحكايـة التـي حدثـت لي في إحـدى زيـاراتي لأمريـكا. كنـت أتحـدث في أحـد المراكـز الإسـلامية عـن مبـادئ العلاقـات الاجتماعيـة في الشريعـة الإسـلامية، وذكـرت هـذا الحديـث النبـوي في مبـدأ التعامـل بـين المسـلمين، وضربـت بعـض الأمثلـة العمليـة التـي تدخـل الـسرور بـين المسـلمين، وبعـد انتهـاء المحـاضرة قابلنـي رجـل مـن أصـل عـربي يحمـل الجنسـية الأمريكيـة ويبـدو أنـه متأثـر بالجـو المـادي للحيـاة هنـاك، فسـألني وأخـبرني عـن حديثـين وردا في المحـاضرة أعجبـاه جـدًّا، الأول يوافـق عليـه تمامًـا، عـلى حـد قولـه -لأنـه يلخـص أهـم أخـلاق التعامـل في مجتمعهـم الأمريـكي- والحديـث يقـول: «**مـن حسـن إسـلام المـرء تركـه مـا لا يعنيـه**» أمـا الحديـث الثـاني الـذي يعجبـه ولا يوافـق عليـه -حسـب تعبـيره أيضًـا- هـو حديـث إدخـال الـسرور، وملخـص اعتراضـه وإعجابـه في نفـس الوقـت: هـل بـين النـاس مَـنْ يمكنـه فعـل ذلـك؟ فقلـت: ولم لا؟، فقـال: الطبـع البـشري وواقـع النـاس هـو: إدخـال الـسرور عـلى النفـس وليـس عـلى الغـير، فقلـت لـه مـا ملخصـه: لقـد توصلـت أنـت إلى المقصـود مـن الحديـث لأن مـن يدخـل الـسرور عـلى غـيره ممـن يعاشرهـم

إنما يستجلب مودتهم له وحبهم واحترامهم له، وكف أذاهم عنه كما أن المعاشر لك وهو سعيد يدخل عليك السرور وبالعكس، زدْ على ذلك أنه يفعل ما يُطلب منه شرعًا فيرضي ربه، فيعود عليه من عطايا وإنعام الرب ما أخبر عنه بقوله سبحانه: {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} [الكهف: ٣٠]، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: «البرّ لا يبْلى» وانتهى حديثه، وابتسم، والله أعلم بالسرائر.

***

مسكين وألف مسكين .. رجل لا امرأة له

* الفكر يحتاج إلى مسامرة، والنفس تحتاج إلى محادثة ومطارحة، ولكل وقت للنفس حال ولغة تطلبها وتفهمها، وخاصة وقت المصافاة، فإن وجد الزوج مع الزوجة تفريح النفس، وراحة البال والقلب، وسكون العواطف الجيّاشة، فذلك من آيات الله ونعمه، فليحمد الله حتى تربو تلك النعمة، وليسارع في بذر الخير في قلب الزوجة، وعزّز محاسنها عندك، وحببها في شخصك وقربها من قلبك، يصفو لك ودّها ويسلس لك قيادها، وتعطيك كل رفدها، لذلك أيها الزوج المملوء أملًا بالسعادة في الحياة: أنصح لك من كل قلبي نصيحة غالية من شفيق أمين: لا تضن على الزوجة الحبيبة مع المودّة والرحمة، بعاطفة الاحترام والتقدير فالقليل منه له أثر السحر.

* **أخي وسامعي الزوج الفاضل**: المرأة لم تُخلق من أجل الرجل، كما أن الرجل لم يخلق للمرأة، ولكن كل منهما خلق لعبادة الله، وقد جعل الله لكل منهما حاجة للآخر، لذلك يجب أن تحترم المرأة لنفسها، وتقدر بقدر ما تسدّ به حاجة الرجل ويقدر الرجل في علاقته بالمرأة بقدر ما يسدّ حاجاتها.

* ذكر في مجلس سيدنا معاوية رضي الله عنه النساء فذمّهنّ قوم، فقال رضي الله عنه: لا تفعلوا، فما علَّل المريضَ، ولا ندب الميت، ولا عمّر البيوت مثلهن، ولا احتاجت الرجال إلى مثلهن. وتدبّر يا عزيزي الزوج قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**حُبّب إليّ من دنياكم: الطيب والنساء، وقرة عيني في الصلاة**» عن أنس رضي عنه ورواه النسائي والحاكم بإسناد جيد، فانظر إلى هذا القلب الذي لا تخللّه إلا محبة الله تعالى، إذا أحب شيئًا سوى الله فالطيب والنساء والصلاة، وانظر رعاك الله إلى ربطه بين أجمل ما في الدنيا عند رسول الله، ريح تطيب به النفس، وعلاقته بزوجه من النساء، ووقت يقضيه مع لله في محراب الصلاة. ألم يخبر بالحق صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «**الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**»، فمسكين وألف مسكين رجل لا امرأة له، أو له امرأة لا يستمتع في دنياه بخيرها،

يخـرج مـن الدنيـا ولم يحصـل عـلى حسـن متاعهـا. قـال سـيدنا عمـر رضي اللـه عنـه: المـرأة الصالحـة ليسـت مـن الدنيـا لأنهـا تفرغـك للآخـرة. وقـال أبـو سـليمان الـداراني: المـرأة الصالحـة تفرغـك للآخـرة وتمتعـك في الدنيـا.

***

الحب المتخاذل

* **أخي الزوج العاقل:** أعرف بعض الناس يرى أن حبه لزوجته يُنقص رجولته، ويعتمد في قوامته التي يتمادح بها مع الأقران أنه ليس ضعيفًا مع زوجته ويتطارح معها الحب ودواعيه، ويخفي أمر حبه لها -إن كان محبًّا- كما يخفي عيوب بدنه، وقد يتمازح البعض ويتندرون بمن يحب زوجته، وقد يغضب البعض إن نسب إليه ذلك، كما لو اتهم في عرضه، بل إذا رُئِيَ مع زوجته في جلسة منفردين، أو متماشيين في نزهة، يسارع هو في درء تهمة الحب للزوجة كما لو كان قد ارتكب شيئًا غير مشروع، بل أعرف رجلًا فاضلًا لا يسير في الطريق بجانب زوجته ويتقدمها كأن مجرد السير مع الزوجة عيب اجتماعي ينكر.

* **أخي الزوج،** لا أحسبك أحد هؤلاء، لأنك بالضرورة قد علمت أن سيد الخلق أجمعين كان يحب زوجاته، وأنَّ حبه للصديقة عائشة أشهر من أن يخفى على مسلم، فأعظم قصة حب عظيم بين المسلمين كانت قصة حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصرح بهذا الحب لكل الناس، وكان أصحابه يتحرون يوم عائشة ليهدوا له هداياهم، وسأل سيدنا عمرو بن العاص النبي صلى الله عليه وسلم قال: قلت يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ **قال: عائشة،** قل: ثم من، **قال: أبوها»** الحديث في الصحيح. فتدبّر معي يرحمك الله كيف يصرح النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحب لزوجته، وأنها أحب الخلق إليه وقبل أبيها أبي بكر الصديق، صفيِّه وخليله من الرجال، كما صرح صلى الله عليه وسلم باسمها، فيا للمسلمين الملتزمين بسنة رسولهم!! لماذا تعتبرون مجرد ذكر اسم الزوجة نقصًا وعيبًا يجب ألا يذكر، وأن الحب للزوجة مما يخجل منه، وكيف آمنا بكتاب الله وقد امتن علينا بأن جعل بيننا وبين زوجاتنا مودّة ورحمة؟ بل ذلك من آياته لمن له عقل يتفكر به.

فأنا أدعوك يا أخي الزوج أن تعلن، بل تفْخر أن جعل الله لك قلبًا محبًّا لزوجتك وأن لك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة، بل احرص أن تكون زوجتك أحب الناس إليك وبلا خجل.

***

* يحلو لبعض الأزواج أن يذكر لزوجته بمناسبة وبغير مناسبة: أن الله أوجب عليها طاعته، وأن يلزمها أن تنفذ أمر ربها معه فتطيعه في كل أمر ولا تغضبه، وقد يكون هذا الزوج مع زوجته من أكثر الناس تضييعًا لأوامر الله، علاوة على أنه لا يكون مطيعًا لله أصلًا أو في كثير من أمره، وأخشى أن تصدق فيه آية الله، أو يدخل في وصفها بنحو من الأنحاء، وهي قوله تعالى: {وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [النور: ٤٩-٥٠].

* نعم أيها الزوج بدايةً أطمئنك على حقك، فما أعطاه الله لا ينزعه أحد، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث عدّة صحيحة ذلك صراحة، وهاك بعضها: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، وعن ابن أبي أوْفى رضي الله عنه قال: لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول صلى الله عليه وسلم: «ما هذا؟»، قال: يا رسول الله قدمت الشام فوجدتهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم فأردت أن أفعل ذلك بك. قال: «**فلا تفعل، فإني لو أمرت شيئًا أن يسجد لشيء، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفسي بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها**» رواه ابن ماجة وابن حبان في صحيحه واللفظ له، ولفظ ابن ماجة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**فلا تفعلوا فإني لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده، لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه**»، وروى الحاكم المرفوع عنه من حديث معاذ ولفظه قال: «**لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ولا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على ظهر قتب**» أي وهي فوق ظهر الجمل أثناء السفر، وجاء في قصة الجمل الذي سجد بين يدي رسول الله صلى الله

عليه وسلم حين أقبل عليه، فأخذ بناصيته وأدخله العمل بعد أنكان قد استصعب على أصحابه، فقال أصحابه: يا رسول الله هذا بهيمة لا يعقل يسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك، قال: «**لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها، لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيْح الصّديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه**» رواه أحمد بإسناد جيد والبزار بنحوه، والنسائي مختصرًا وابن حبان في صحيحه، ولم يذكر قوله: «لو كان إلى آخره».
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من خثعم أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله: أخبرني ما حق الزوج على الزوجة فإني امرأة أيّم فإن استطعت وإلا جلست أيّمًا. قال: «**فإن حق الزوج على زوجته إن سألها نفسها وهي على ظهر قتب أن لا تمنعه نفسها، وفي حق الزوج على الزوجة أن لا تصوم تطوعًا إلا بإذنه فإن فعلت جاعت وعطشت، ولا يقبل الله منها، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء وملائكة الرحمة وملائكة العذاب حتى ترجع، قالت لا جرم لا أتزوج أبدًا**» رواه الطبراني ولم يعلق عليه المنذري في الترغيب.
* أخي الزوج الحريص: هيّا معًا نتوصل إلى المقصود من هذه الأحاديث وأمثالها، ليزال بعض اللبس عند هؤلاء البعض، أولًا الأحاديث تذكر (حق) والحق للزوج على زوجته ما يقتضيه العقد الصحيح النافذ الذي تترتب عليه آثاره، وأول هذه الحقوق هو حل العشرة الزوجية واستمتاع كل من الزوجين بالآخر، ولا يحصل إلا بمشاركتهما معًا، لأنه لا يمكن أن ينفرد به أحدهما. وقد جعل الله المرأة مرغوبة ومشتهاة، قال تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ} [آل عمران: ١٤]، ولم يقل سبحانه ما يقابلها، لذلك يطلب الزوج زوجته لهذا الأمر تصريحًا أو تلميحًا، فيجب على الزوجة طاعته في ذلك تحت كل الظروف وحتى لو كانت في سفر وهي راكبة فوق القتب، أو كانت أمام التنّور -أي الفرن- كما جاء في بعض الأحاديث، هذا هو الحق الطبيعي للزوج وهذا هو الواجب المقابل له من الزوجة، ولذلك أيضًا يحرم عليها أن تمنعه هذا الحق بحجة الصيام تطوّعًا لله، أو أن لا تحتبس في بيتها لهذا الغرض فتصوم أو تخرج بغير إذن الزوج فتفوّت عليه الحق، وقد

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ليُّ الواجد ظلم**» أي من كان عليه دين وحق للآخر ويملكه فلا يتعلل بالتأخير في أداء الحق لأن ذلك ظلم وتماطل في أداء الحق.

* أخي وصديقي الزوج المحترم: هب أن لك الطاعة على زوجتك في كل حال، وأن لك عليها التقدير والتبجيل لدرجة لو كان البشر يسجد أحدهم للآخر لكان على الزوجة السجود لك، إن القاعدة الفطرية أن المحب مطيع، وأن الإنسان عبد الإحسان، كما أن الله العزيز سبحانه وتعالى خلقنا وأنعم علينا كل النعم وهو غني عنّا وعن طاعتنا له، استوجب الطاعة والسجود له ومن عصاه ولم يطعه قبل عذره وتوبته، ومد له من العمر ومن النعم ولم يمنعه فضله، ومهما كفر به وعصاه رحمه وقبل توبته، تحبب إلينا بسائر النعم وأعدّ لنا دارًا بجواره فيها نعيم الأبد، ودعانا إليها، وهو قاهر عزيز قادر لو شاء لقهرنا على طاعته، ولكنه سبحانه تحبب إلينا وأرشدنا وعذرنا، فهل يا أخي الحبيب الذي يطلب من زوجته الطاعة لدرجة السجود، هل تحبْبتَ إليها؟ هل عذرتها وقبلت عذرها، هل من خلقك معها الإنعام والتكريم، أخي الكريم: المحبة قرب وتقديم القربات: «ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه» اجعلها أولًا تحبك، أحبَّني وأحبك الله.

* عزيزي الزوج: الرسول القدوة صلى الله عليه وسلم كانت زوجته أحب الخلق إليه، فكيف لا تطيعه زوجته في ظل هذا الحب الغامر؟ إن أردت من زوجتك الطاعة لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم، فأطع الرسول وتأسَّ أنت به، لم تأخذ ما لك ولا تؤدي ما عليك، كن عادلًا فالعدل أساس نظام الحياة كلها والله يأمر به، وهل مر بك فيما علمت أو قرأت أو سمعت أن إنسانًا يحب من يتبغض إليه، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ مفتاح طاعة الزوجة لك أنت تملكه وهو بيدك، فافتح قلبها لك ينفتح، ولكل شيء مفتاح وستجد كنوز العواطف وأطايب ثمار ما زرعت أنت. أنصح لك بصدق لا تضيع الوقت وابدأ ولو بكلمة.

* في أحد الدروس بأحد مساجد الإسكندرية أخبرتني إحدى الحاضرات مُستفتيةً، قالت: زوجي أعيش معه منذ كذا وكذا ولي منه أولاد ويحبني وأحبه، وأثنت كثيرًا عليه جزاها الله خيرًا، قالت: ولكنه منذ مدّة بدأ يقول لها بسبب ولو بسيط ومعتاد (.. هيه ..

أغضب عليك وتبات الملائكة تلعنك، أو يقول: أنت عارفة زعلي يعمل فيكي إيه، وغيرها من التهديدات) وسألتني: صحيح لو منفذتلوش كل طلبه تلعني الملائكة؟، وأحيانًا بيبقى غصب عني!! وطمأنت هذه السيدة الفاضلة ونصحت لها بعض النصائح ولا أدري ما فعل الله بهما.

إن بعض الأزواج قد يظن أن الشرع قد أعطاه مفاتيح الجنة والنار، له أن يدخل زوجته ما شاء منهما، نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم لإحدى الزوجات عن زوجها: «**هو جنتكِ ونارك**» ينصحها أن تحسن في أداء حقوق الزوج عبادة لينفعها ذلك في دخولها الجنة وألا تقصر في ذلك فيضرها عند المطالبة بحقوق العباد يوم المعاد فتقصر حسناتها ويخف ميزانها فتدخل النار.

وهذا مع كل الناس، ويجب التنبيه عليه مع الزوج خاصة لما سبق من الأسباب قريبًا، وقلت في نفسي إن ذلك من عجز هذا الزوج أن يتوصل إلى حقوقه بهذا الأسلوب التهديدي الذي أخشى معه أن يوصل الزوجة لبغض هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

وتذكرت المقابل اللطيف المعنى جدًّا الذي أسرّ لي به أحد الأصدقاء الظرفاء، حيث أخبرني أن زوجته تتغافل وتتناوم بذكاء الأنثى كثيرًا فلا تمكنه من قضاء وطره معها، وأن ذلك أكثر ما يغيظه منها، ثم إذا تذكر أن غضبه سيجلب لأم ولده ومن تبيت معه اللعنة، فيسارع ويسامحها خوفًا عليها. فقلت؟ سبحان الله!! لله في خلقه شؤون.

***

رحمة القسوة!!

* تعيش المرأة في رحابة حنان والديها وأسرتها حتى الزواج، وبعاطفة صادقة تدرك أنها تنتمي عضويًّا واجتماعيًّا وعاطفيًّا لبيت أهلها ولكن يصحب ذلك منذ سن التمييز، شعور بالشوق مع القلق المنير للأمل، بأنها ستنتقل إلى بيت آخر وحياة أخرى، اسمها الحياة الزوجية.

* **أيها الزوج الشفوق:** أنت لها الحياة الأخرى، فكن لها الجنة المأمولة، واصحبها في رغد جنتك حتى تصل معها إلى موعود الله الودود في جنة الخلود.

* **أخي الزوج:** لقد تركت أنت أيضًا صحبة والديك وأهلك، وسيتركك أولادك ويستقلون بحياتهم ولا يبقى معك صاحب ملازم لا يفارقك سوى الزوجة، فإن سبقك بها الموت - بعد عمر مديد سعيد- انتظرتك في الآخرة لصحبة الأبد، وإن سبقت أنت لم يبكِ عليك مثلُها. جاء في سيرة خير الناس في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل المدينة خرجوا يستقبلون ويتسمّعون أخبار غزوة أحد، فقالوا لإحدى النساء: احتسبي ... وكل ذلك تسترجع رضى الله عنها حتى قالوا لها في الرابعة احتسبي زوجك، فَوَلْوَلَتْ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: «**إن زوج المرأة منها لبمكان**».

* **أيها الفاضل:** إنها تستظل بظل حمايتك ورعايتك، وتعتمد في معظم شؤونها عليك، وتشعر دائمًا بحاجتها لمساندتك وتستكين لك استكانة الفرخ بين جناح الرحمة من أمه، ومع ذلك فهي التي تحوّل أوقاتك مسرات، وتبدّل همومك وتسليك، وأنت لو كنت ساذج السلوك معها ستجد نفسك عند استراحة النفس معها نائمًا في حجرها وواضعًا رأسك على فخذها كما كنت تفعل مع أمك الحنون، وبرغم استكانتها لك واستضعافها معك، وانفرادها بحمايتك لها من الآخرين وحبها لمظاهر القوة والرجولة فيك تريد أن تأمن قوّتك عليها، وألا يلحقها منك قسوة القوة إن لم ترحمها، إنها تحمل فطرة الطفلة

ولا تـزال ترغـب في صحبـة مـن يحميهـا، وتحـب فيـك بـبراءة، العيـون الحلـوة والقـوة التـي تهـدّ الجبـال.

* انظـر رعـاك اللـه كيـف فهـم العلـماء عـن اللـه في قولـه تعـالى: {وَلِلرِّجَـالِ عَلَيْهِـنَّ دَرَجَـةٌ وَاللَّـهُ عَزِيـزٌ حَكِيـمٌ}، قـال الإمـام القرطبـي: أي منزلـة، ومدْرجـة الطريـق: قارعتـه، والأصـل فيـه الطّـي، يقـال: دَرَجـوا، أي طَـوَوْا عمرهـم، ومنهـا الدرجـة التـي يُرتقـى عليهـا. ويقـال: رجـل بـيّن الرّجلـة أي القـوة، وهـو أرجـل الرجلـين أي أقواهـما، وفـرس رجيـل، أي قـوي، ومنـه الرّجْـل لقوتهـا عـلى المـشي، فزيـادة درجـة الرجـل بقوتـه وعقلـه وقدرتـه عـلى الإنفـاق والجهـاد.

قـال القرطبـي أيضًـا: قـال ابـن عبـاس: الدرجـة إشـارة إلى حـضّ الرجـال عـلى حسـن العـشرة، والتوسـع للنسـاء في المـال والخلُـق، أي إن الأفضـل ينبغـي أن يتحامـل عـلى نفسـه، قـال ابـن عطيـة المفـسر: وهـذا قـول حسـن بـارع. انتهـى كلام القرطبـي رحمـه اللـه، وقـد قـال الشـاعر:

أهين لهم نفسي لكي يكرموها *** ولن تكرم النفس التي لا تُهانُ

وقال آخر:

لا ينقص الكامل من كماله *** ما جرّ من نفعٍ إلى عياله

وقـال سـيدنا عمـر رضي اللـه عنـه: ينبغـي للرجـل أن يكـون في أهلـه مثـل الصبـيّ، فـإذا التمسـوا مـا عنـده وُجِـدَ رجـلًا.

***

* أُخبرت أو قرأت أن لكل متحرك مع آخر من المعادن يلزم لهما مليّن وملطّف يكون بينهما حتى لا يتآكلا أو ينكسرا من أثر الحرارة التي تتولّد من الاحتكاك بينهما، وهو ما يطلق عليه أهل الصنعة (التشحيم والتزييت) فخطر ببالي أن هذا الأمر لعلّه سنّة من قوانين الوجود كله مع البشر ولكن بصور مناسبة.

ولعل ذلك يلاحظ في تعديد أساليب النصائح الشرعية عن التراحم والبر والصلة وحسن الخلق، لتخفيف قيظ حرارة التعامل بين الناس، وتذكرت بحكم تداعي الأفكار أن أحوج ما يكون لمراعاة هذه السنة الاجتماعية عندما يكون التعامل والاحتكاك كثيرًا ودائمًا، مثل المتزاملين في العمل أو السفر أو الدراسة والبيت وأهمها وأكثرها حاجة، هو التعامل والاحتكاك في المعاشرة الزوجية.

* **أخي الزوج المعاشر الملازم للزوجة الحبيبة:** لعلك أدركت ما أرمي إليه، زوجتك صاحب ملازم ويلزم صحبتها إلى أن يقضي الله أمره، وهذا يحتاج بالضرورة منك أن تتعاهد العلاقة بينكما بالملطّفات التسهيلية حتى لا تتآكل العلاقة أو تنقطع بحكم الاحتكاك الدائم، وسوف أطلعك إن شاء الله في فصول مقبلة على ثروات من هذه الملطفات، ولكن المقصود الآن أن تعرف أهميتها والحاجة إليها.

* **أيها الفاضل:** أنت بغير نصيحة من أحد تتعامل بلين ورفق ومجاملة ومسامحة ومفاكهة مع كل الناس ... خارج بيتك حتى ولو كنت مضطرًّا لهذا السلوك، من أجل أن تسيّر أمورك معهم، وبالطبع هذا يحتاج منك إلى طاقة نفسية كبيرة وإلى صبر يكاد ينفد منك في غالب الأحوال، وهذا ما يجعلك يا مسكين تحتاج بمجرد وصولك إلى البيت إلى راحة نفسية، وإلى تعبئة روحية وعاطفية حتى تسترجع ما فُقد منك خارج البيت!!

* **أخي الزوج:** اصدقني الحديث ما ذنب الزوجة التي يطول انتظارها لك في شوق وأنت

خارج البيت، إنها هيأت لك النفس قبل البيت وأعدّت لك في صبر وتعب كل ما يريحك وما ترغب فيه، وإن كان لك أولاد فهي في رعايتهم وخدمتهم وتتحمل كل ما يصدر منهم حتى بلغ منها التعب البدني والنفسي ما تحتاج منك إلى ... بسمة وكلمة ولمسة حنان، فيهدأ منها الوجدان، ولماذا أيها الزوج العادل لا تعطي لزوجتك مما كنت تحرص على بذله لمن تتعامل معهم خارج البيت؟ من أحق بذلك؟ ومن أكثر معاشرة وأحوج لذلك؟ أمر عجيب لبعض الأزواج أن يصبروا ويسامحوا حتى لمن أساء إليهم خارج البيت، ولا يتحملون شيئًا لمن أحسنت إليهم من زوجاتهم ويجاملون ويتلاطفون مع زملائهم، وجلساتهم خارج البيت ويتجهّمون ويعبثون ويكشرون ويبخلون، حتى بالكلمة الحلوة للحبيبة الحنونة المتفانية في خدمتهم في بيوتهم.

وما أصدق المثل العامي على وصفهم: (زي القرع يمدّ برّه).

***

٤ الفصل الرابع

بذْل المجهود في تأنيس المحبوب

* نفحات الترقيق للمُجالس والرفيق:

* احـرص أن يكـون وجودكـم في المنـزل مرغوبًـا فيـه وبـلا ثقـل، وألا يفتقدونـك لطـول غيابـك عنهـم فتدركهـم الوحشـة والملـل.

* شـارك في البيــت بقليـل العمـل، إكرامًـا وعرفانًـا لعظيـم خدمـة الزوجـة لـك، تسـتزيد منهـا العمـل، بـلا تـبرم ولا كلـل، ويصـح منهـا الجسـم والنفـس بـلا شـكوى ولا علـل.

* النفـوس والقلـوب مـا بـين قبـض وبسـط وإدبـار وإقبـال، والأحـوال مواهــب الــرب، ودوام الحــال مــن المحــال، وللزوجــة مثــل مــا لــك مــن قلـب ونفـس ووجـدان، فـارعَ حالهـا مـع حالـك يتفـق لـك منهـا كل حـال.

* احــذر فإنهــن لا يحبــبن: العبــوس والتكشــير، والعتــب والتوبيــخ، والبخــل، بالمــال والــكلام، والارتيــاب والتجســس، والإهــمال لهــن والتنقيــص.

أبو زرع فما أبو زرع؟

* عـن عائشـة رضي اللـه عنهـا قالـت: جلـس إحـدى عـشرة امـرأة مـن اليمـن فتعاهـدن وتعاقـدن ألا يكتمـن مـن أخبـار أزواجهـن شـيئًا، فـروت الحديـث وفيـه: قالـت الحاديـة عشرة:
زوجـي أبـو زرع، فـما أبـو زرع؟ أنَـاسَ مِـنْ حُـلِيٍّ أُذُنيَّ، ومـلأ مـن شـحمٍ عضُـدَيَّ، وبجحنـي فبجحـت إليَّ نفـسي، وجـدني في أهـل غُنَيْمَـةٍ بشِـقّ فجعلنـي في أهـل صهيـل وأطيـط ودائـس ومُنَـقٍ، فعنـده أقـول فـلا أُقَبّـح، وأرقـد فأتصبَّـح، وأشرب فأتقَمّـح.
أمُّ أبي زرع فـما أم أبي زرع؟ عُكومهـا رَداح، وبيتهـا فسـاح. ابـن أبي زرع فـما ابـن أبي زرع؟ مضجعُـهُ كمِسَـلِّ شَـطْبَة، ويشـبعه ذراع الجفرة.
بنت أبي زرع فما بنت أبي زرع؟ طوع أبيها وطوْع أمها، وملء كسائها وغيظ جارتها.
جاريـة أبي زرع فـما جاريـة أبي زرع؟ لا تبـثُّ حديثًـا تبثيثًـا، ولا تُنقّـث ميرتنـا تنقيثًـا، ولا تملأ بيتنـا تقشيشًـا... الحديـث، وفي آخـره قالـت عائشـة: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**كنـتُ لـك كأبي زرع لأم زرع**» رواه البخـاري، ومسـلم، وغيرهـما.
ومعنـى بعـض كلـمات الحديـث: قولهـا أبـو زرع فـما أبـو زرع: أي شـأنه العظيـم، ومعنـى «**أنـاس مـن حـليّ أذنيَّ**» أي حـرّك وأثقـل أذنيهـا مـن أقـراط الذهـب واللؤلـؤ، «**بجحّنـي فبجحـت إليّ نفـسي**» أي قـدرني وعظمنـي فعظمـت نفـسي، «**وجـدني في أهـل غنيمـة بشـقّ**» أي أهـل رعـاة غنـم مجهوديـن، «**صهيـل وأطيـط ودائـس ومنـقّ**» أي أهـل خيـل وإبـل وطعـام منتقـى ومنخـول، «**أقـول فـلا أقبـح**» أي أُدلّـل فـلا يُـرد لهـا قـول ولا يقبـح عليهـا شيء تأتيـه، «**وأرقـد فأتصبـح»:** أي تنـام في الصبـح فـلا توقـظ، «**وأشرب فأتقمـح»:** أي أشرب اللـبن وجميـع الأشربـة حتـى أرتـوي عـلى مَهـل، «**عكومهـا رداح**» حقيبـة متاعهـا كبـيرة دليـل الغنـى، «**وبيتهـا فسـاح»:** أي واسـع، «**مضجعُـه كمسـل شـطبة»:** أي ينـام فـلا يأخـذ مكانًـا سـوى قـدر غمـد السـيف. «**والجفـرة**» أُنثـى المعـز لأربعـة أشـهر فهـو خفيـف الوطـأة ظريـف لطيـف. «**لا تبـث حديثًـا»:**

أي تحفظ السر، «ولا تنقث»: أي تحافظ على الزاد، «تقشيشًا»: أي مهتمة بالبيت وتنظيفه وترتيبه.

* أخي الزوج الكريم: ما أحسن ملاطفة النبي صلى الله عليه وسلم لزوجته عائشة رضي الله عنها وهو يقرّر أمامها إكرامه لها وحسن معاشرته معها بتواضع: «**كنت لك كأبي زرع لأم زرع**». وما أجمل أن تكون أنت لزوجتك كأبي زرع لأم زرع، بل كما كان النبي صلى الله عليه وسلم لزوجته.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا يقول: «**ما أكرمهن إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم**».

فإهانة الزوجة علامة الخسّة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس**» رواه البزار، فكن لها سادًّا للخلل، وساترًا للزلل، وقابلًا للعلل، تخدمك وتصونك، وإذا نزلت بك مؤنة تعينك، وإذا مددت يدك بخير قدرته لك.

***

جرّب وابتسم من فضلك

* الخروج والدخول إلى البيت أمر متكرر ومألوف، ولكنه مع الزوجة والأهل غياب وافتقاد، وحضور وائتناس.

ومع افتقاد الزوج وغيابه عن البيت، تستحضر الزوجة كل ما يسرّها من خيال، ووجهك الطَّلق الباسم أيها الحبيب هو أوّل ما يرتسم في فؤادها ويمر بخاطرها، وأنت يا مسكين هموم ومشاكل العمل خارج البيت تملأ نفسك، وكلال الجسم وتعبه يرهق الوجه ويفقده حيويته، أنت محتاج إلى الراحة والهدوء أولًا حتى تستعيد نشاطك وحيويتك، لذلك تدخل بيتك بهذا التعب والإرهاق والهم الذي صعد من النفس فَعَلا الوجه.

بالله عليك أيها الزوج الرفيق، ما الشأن مع الزوجة المكدودة مثلك في عمل البيت واحتمال الأولاد، وقد هيّأت لك النفس قبل البيت والطعام؟ قد تقول وأنت على حق: وماذا أفعل معها وأنا على الحال التي ذكرت؟!

أقول يا أخي هوّن عليك فالأمر يسير، ابتسم من فضلك، وفقط، تكلف ذلك حتى تعتاده عند كل دخول، فوقْع ابتسامتك على نفسها أوّل ما ترى مُحيّاك يزيل همومها ويعيد حيويتها ويبهج نفسها، ويستخرج منها إشراقات الودّ والترحاب، وستجد نفسك لتوك أيضًا غير مهموم ولا مجهود لما ينالك من عواطفها المتدفقة والمحبوسة طوال غيابك خارج البيت، إنه فعل يشبه فعل التيار الكهربائي الذي إذا اتصل أضاء، ولا تستبعد هذا الأثر للابتسامة، خاصة عند الدخول على الأهل، وجرب!! أضاء الله بصيرتك.

* من أغرب ما سمعته في هذا الشأن، ما سمعته من زميلة فاضلة في العمل، كانت قد تزوجت ثلاث مرات، طلقت وهي صغيرة من الأول، ومات عنها الثاني، وزوجها الثالث رجل صالح تحبه وتثني عليه، قالت: عندما يدق جرس الباب في موعد عودة زوجي، وبدون تفكير ولا سابق ذكر، أجد صورة زوجي الثاني الذي توفاه الله عند عودته وهو

يبتسـم تسـبق إلى فـؤادي وأسرع في لهفـة ثـم أتذكـر في الحـال أنـه لم يعـد زوجـي بعـد أن مـات. وبالطبـع كانـت تسـألني هـل ذلـك خطـأ منهـا؟ ومـاذا تفعـل؟ ومـن جهتـي نصحتهـا بأهـم أمريـن:

أولًا: ألا تخبر بذلك زوجها تحت أي ظرف.

والثـاني: أن تتلطـف مـع زوجهـا حتـى تعـوّده أن يبتسـم كلـما دخـل عليهـا، فأقسـمت لي أنهـا تحـب زوجهـا جـدًّا وأنهـا لا تقصـد مـا يحـدث لهـا، فعذرتهـا وقلـت في نفـسي: مـات مـن مـات ولم تمـت ابتسـامته، وعـاشر مـن عـاشر ولم ترتسـم لـه صـورة في قلـب زوجتـه.

وتذكـرت الحبيـب الـوَفي محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم إذ تقـول عائشـة رضي اللـه عنهـا: «اسـتأذنت هالـة بنـت خويلـد أخـت خديجـة عـلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فعـرف اسـتئذان خديجـة فارتـاح لذلـك فقـال: «**اللهـم هالـة بنـت خويلـد!!**» فكـم كان صـدق قلـب النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم في وفائـه وحبـه لزوجتـه خديجـة التـي توفّاهـا اللـه حتـى يرتـاع كـما جـاء في لفـظ آخـر ويرتـاح لمجـرد سـماع صـوت أختهـا تسـتأذن في الدخـول عليـه، إنهـا الرَّوْعـة الرائعـة، والشـوق المريـح، والـدرس المفيـد، والصـدق في المشـاعر.

***

ادخلوها بسلام

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا بني إذا دخلت على أهلك فسلّم يكون بركة عليك وعلى أهلك**» رواه الترمذي.

البركة، ما أجمل البركة، وما أحوجنا إليها في بيوتنا، ومفتاحها أن تدخل بسلام، وحيِّ أهلك عند الدخول.

وما أعظم شرعًا يشرعه رب رحيم ودود حتى يجعل في قرآنه طريقة الدخول للبيوت عبادة تقرأ وتحفظ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النور: ٢٧]، فما بين خير لكم، وبركة عليك وعلى أهلك يجول ذكر العبد وفكره، ويعلم حاجته لهذا السلوك المبارك، إنه ليس فقط بيتك وأهلك، بل بيوت الغير يملأها السلام بالخير.

فيا أيها الزوج المسلم هل يليق بزوج أن يدخل على أهله متجهمًا صامتًا؟ «**أفشوا السلام بينكم**» اجعلوا السلام منتشرًا تنشرح الصدور، وترتاح النفوس، وتعمر البيوت بالخير والبركة.

لقد عشت مع أناس طيبين في أرياف بلادنا، كانوا يدخلون ويخرجون دون أن يسلموا على أهلهم، وفي الوقت الذي يسلم الصغير قبل الكبير والمرأة قبل الرجل على من يلقونه خارج بيوتهم، وكأن تسليم الرجل على زوجته من قبيل العيب الذي يتحرجون منه. فلا أحسبك يا عزيزي بحكم الاعتياد لا تسلم على أهلك، وإن كنت ممن يتحرجون من فعل ذلك، فابدأ بسلام وابتسام تدخل قلب جنّتك، أي زوجتك بسلام واحترام. وقد جاء في الخبر «**إذا التقى المسلمان فتصافحا فتبسم أحدهما إلى صاحبه تحاتت ذنوبهما كما يتحات ورق الشجر**» وفي لفظ آخر «**قُسّمت بينهما مائة رحمة، تسعة وتسعون لآنسهما بصاحبه وأحسنهما بشرًا**» وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال: «**ثلاثة كلهم ضامن على الله إن عاش رُزِقَ وكُفِيَ، وإن مات دخل الجنة: رجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله**» فذكر الحديث ورواه ابن حبان في صحيحه.

* عن جابر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله، وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم، ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال الشيطان أدركتم المبيت والعشاء**» رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي والنسائي، وابن ماجة.

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من سرّه ألا يجد الشيطان عنده طعامًا ولا مقيلًا، ولا مبيتًا فليسلم إذا دخل وليسمِّ على طعامه» رواه الطبراني.

* **أخي الزوج المؤمن:** إنك آمنت بالغيب وصدّقت رسولك صلى الله عليه وسلم، فاعلم بيقين أن معك عدوًّا مبينًا لا يفارقك، وله أعوان يرصدونك عند دخولك بيتك وهم أشد حرصًا على إفساد بيتك وإذهاب المودّة منه، من حرصك على إصلاح أمرك مع الزوجة، وإصلاح معاشك.

وقد قرأت حديثًا نبويًّا لا يحضرني تخريجه ولا أذكر مظانه فأستخرجه، ما معناه: إذا دخل الرجل بيته فلم يذكر الله أخذ الشيطان ببصره فأراه ما يكره من بيته وأهله.

* **أخي الزوج:** اسمح لي أن أقص عليك هذه القصة لعل الله ينفعني وينفعك بها: كنت ألقي بعض الدروس في أحد المساجد فذكرت خلال الدرس الحديث الأخير، وفي الدرس الثاني، وبعد انتهائه وأثناء خروجي أعطاني أحد الحاضرين ورقة وقال لي: اقرأها ومش عايز ردّ، وفي البيت قرأت الآتي: أنه تأخر خارج المنزل في إحدى الليالي وعند حضوره أدرك بمجرد دخوله البيت أن زوجته نائمة، وكان قد تفاهم معها أن تظل في انتظاره، وزاد في غيظه منها أنه شاهد البيت غير مرتب وهو ما يغيظه جدًّا، ونظر إلى المائدة فلم يجد العشاء مُعدًّا، فذهب ونام وتركها نائمة وهو متغيظ منها جدًّا، وظل متيقظًا يفكر فيما يفعله مع هذه الزوجة التي، والتي، والتي، وتوصّل أخيرًا وحزم أمره أنه لا بد من

مفارقتها، وعند ذلك سمع زوجته بجانبه تتكلم وهي نائمة، واستمر ذلك لحظات وفجأة وجد نفسه يوقظها فلا تستيقظ كعادتها، كما تنبه أن درجة حرارتها عالية جدًّا، زوجته محمومة وليس معها إلا الله، وهو متأخر مع أصحابه خارج المنزل. ثم يقول لي هذا الزوج الظريف في رسالته: (قل لهم إن الزوجات غلابة) فجزاه الله خيراً.

* **الناس ينقسمون إلى قسمين من حيث الشبه ببعض المخلوقات:**

القسم الأول: من لديه ميول ذُبابيّة وطبائع سُفلية، كالذباب لا يقع إلا على القاذورات ولا ينشغل إلا بالخساسات، ولذلك ينتقل عن طريقهم المرض المؤدي إلى قتل الحياة، ومنهم من لا يلتقط إلا المتروكات والزبالات مثل من يطلق عليهم: -الزبالون- فلو كان أحدهم في داخل حديقة أزهار، لا تقع عينه ولا يلتقط إلا الزبالات وما يلفظه الناس من أمتعتهم.

القسم الثاني: لديهم ميول نحلية وطبائع علويّة، مثل النحلة لا تبحث إلا عن الزهر والورد، ولا تقع إلا على أجمل ما في الحدائق، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصف المؤمن بقوله: «**مثل المؤمن كمثل النحلة، تقع فلا تكسر، وتأكل فلا تفسد، ولا تضع إلا طيبًا**»، إنها أخلاق المؤمنين وشرائع رب العالمين، فكن أيها الزوج الرشيد مؤمنًا كالنحلة في كل أخذك وتركك، فلا تبحث عن العيوب والأخطاء التي من الزوجة، أو لا ترى العيوب وتغفل المزايا:

أيُّهذا الشاكي وما بك داءُ	كيف تغدو إذا غدوت عليلًا؟
وترى الشوْك في الورود وتعمى	أن ترى فوقها النَّدى إكليلًا
أيهذا الشاكي وما بك داءٌ	كن جميلًا ترَ الوجود جميلًا

***

إن الله جميل يحب الجمال

* قال الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ} أي ولهن من حقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي، وما أحب أن أستنظف -أي آخذ كل حقي- الذي لي عليها فتستوجب حقها الذي لها عليّ، لأن الله تعالى قال: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ} أي زينة من غير مأثم.

* **قال القرطبي:** أما زينة الرجال فعلى تفاوت أحوالهم، فإنهم يعملون ذلك على وفق اللياقة والوفاق، فربما كانت زينة تليق في وقت ولا تليق في وقت، وإنما يعمل اللائق والوفاق ليكون عند امرأته في زينة تسرها ويعفها عن غيره من الرجال. قال: ثم عليه أن يتوخى أوقات حاجتها إلى الرجال فيعفها عن التطلع إلى غيره. انتهى.

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**». فقال رجل: يا رسول الله: الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر من بطر الحق وغمط الناس**» رواه مسلم.

* **أخي الزوج المهذب:** أنت إنسان بفطرتك تحب الجمال، فتذكر أن زوجتك لها نفس تحب الجمال مثلك، بل النساء عمومًا لا يشغلهن سوى الجمال، وتحب أن تراك في عينها وعيون الناس جميلًا، بل تحرص على هيئتك في الملبس والمظهر أمام الناس، ألم ترَ اهتمامها بك عند الخروج وحرصها على نظافة ومظهر الملابس؟ فإذا كانت تحب أن يراك غيرها مع شدة غيرتها عليك جميلًا مهندمًا، فكيف بحبها أن تراك لنفسها؟ ولذلك قال سيدنا عمر: تزينوا لنسائكم فإنهن يحببن منكم مثل ما تحبون منهن، فلا يبلغ بك التخفف

وعدم التكلف في بيتك ألا تتجمل لمن تعاشرها كما تحب منها ذلك. ولك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة فقد كان جميلًا في خلقته ومع ذلك كان يكتحل ويدهن شعره ويرجله بالمشط ويفرقه.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتحل في كل عين ثلاثًا**» **رواه الترمذي وابن ماجة، وجاء أنه صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك كل ليلة، وعنه أيضًا** «**كان يفرق شعر رأسه**»، وعن أنس رضي الله عنه قال: «**كان النبي صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ويرجله**» رواه الترمذي وفيه عنه «**كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته**»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستاك بالليل مرارًا**» رواه مسلم، وهو تطهير الفم والأسنان بعود أو فرشاة.

وعن عائشة رضي الله عنها: «**كان لا يفارق مصلاه سواكه ومشطه**» رواه الطبراني.

وعن جابر رضي الله عنه قال: «**دخل على النبي صلى الله عليه وسلم رجل ثائر الرأس، أشعث اللحية، فقال: أما كان لهذا دهن يسكن به شعره**» رواه أبو داود والترمذي وابن حبان.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**من كان له شعر فليكرمه**» وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله يحب من عبده أن يتجمل لإخوانه إذا خرج إليهم**» رواه ابن عدي.

ألا يكفيك ذلك أيها الزوج العزيز، وهذا سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا كيف نحيا مع الزوجات والناس، وهو من هو في عبادته وزهده وسنه الكبير، فاحرص هداك الله للخير حتى ترى أثر ذلك على زوجتك:

تُريك عيونًا ناطقات صوامتا	فما شئت من خجل وما شئت من سحر

***

شاي في البلكونة .. وصدق سلمان

* جاء على لسان سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وصف النبي ومنه: كان إذا أوى إلى منزله جزأ نفسه ثلاثة أجزاء: جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه، ثم جزأ نفسه بينه وبين الناس.

وقال أيضًا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البِشر، سهل الخلق لين الجانب، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا صخاب ولا فاحش ولا عياب، ولا مزاح، يتغافل عما يشتهي، ولا يخيب فئة، قد ترك نفسه من ثلاث: كان لا يذم أحدًا، ولا يعيره، ولا يطلب عورته. انتهى.

فصلى الله عليه وسلم، فقد جعل الله أولًا، ثم أهله قبل نفسه، بل جعل وقت نفسه بينه وبين الناس. وهذا سيدنا سلمان الفارسي حكيم النصرانية والإسلام ينصح أخاه في الله سيدنا أبا الدرداء رضي الله عنهما يقول له: (إن لربك عليك حقًّا، وإن لنفسك عليك حقًّا، وإن لأهلك عليك حقًّا، فأعطِ كل ذي حق حقه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال النبي: «**صدق سلمان**» رواه البخاري.

* **أخي الزوج العاقل**: من فضلك، انتبه لما أقول دون أن تغضب مني، فيعلم الله أني أحبك في الله ومن أجل ذلك أنصح لك في الله:

المنزل يا أخي ليس –لوكاندة- للنوم وتقديم الوجبات وغسل وكي الملابس، والحساب تدفعه آخر الشهر!! إنه منزلك مع زوجتك، فيه من يحبك ويحتاجك وله حق عليك، المنزل ... سكن لنفسك وسكن لزوجتك، وليس مقصوده محلًّا للإيواء، بل سكن وسكينة لكل شيء فيك وفي زوجتك، المنزل عالم جميل وفيه أغلى وأحب الذكريات، المنزل عش الأفراح التي تتولد منكما معًا وتدرج فيه في ظل الحنان والحب والبهجة والرعاية منكما معًا.

أنا أعرف يا أخي أنك حريص على توفير كل شيء لهم ولا تتعب خارج المنزل وتعود متعبًا إلا من أجلهم، ولكن أحلف غير حانث، جلسة مع الزوجة، وإن كان أولاد، ومع الأولاد،

يشعرون فيها بوجودك معهم، ويرون حبك بعيونهم، أهم من كثير مما توفره لهم.

جمعتني الظروف مرّة مع مهندس طيب بسيط في منطقة ما، ودار حديث حول ما يجب على الزوج نحو زوجته بخلاف النفقة عليها، وأثناء الحديث قاطعني وهو يضحك إذ تذكر شيئًا مهمًّا وقال: علشان كده مراتي دائمًا تقول لي: نفسي أقعد معاك، أقول لها ما هو أنا قاعد آهو؟! تقول لي: لأ، عاوزه أقعد معاك في البلكونة نشرب سويًّا شاي، تصدق يا أخي الزوج أنني بمجرد سماعي لهذا الكلام منه نزلت من عيني دمعة شفقة على هذه المسكينة، يبدو أنه أدرك وتأثر لدرجة أنه قال لي: خلاص يا أستاذ دي آخر مرّة وحاشرب معاها شاي في البلكونة من غير ما تطلب، فجزاه الله خيرًا فأسأل الله له التوفيق.

* عن حنظلة الأسدي رضي الله عنه قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة! قال: سبحان الله، ما تقول؟! قلت: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالجنة والنار كأنَّا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافَسْنَا الأزواج والأولاد والضَّيْعات، نسينا كثيرًا. قال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله!! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**وما ذاك؟**» قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنّا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرًا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**والذي نفسي بيده أن لو أنكم تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**» ثلاث مرات رواه مسلم، ومعنى عافسنا أي عالجنا ولاعبنا.

فانظر رعاك الله إلى هدي الإسلام، فهذا نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم يقرّ الصديق أبا بكر وكاتب وحيه وشهيد الإسلام حنظلة، على ملاعبة ومداعبة الزوجة والأولاد، وأن ذلك له وقته والذكر والعلم والعبادة لها وقتها. وهذا كان فعل النبي صلى الله عليه وسلم كما ستعلم إن شاء الله، فملاعبة ومداعبة الزوجة فعل الأنبياء والشهداء والصديقين.

بل كان حرص النبي صلى الله عليه وسلم على متابعة أصحابه لذلك الأمر وتعليمهم الملاعبة والمضاحكة عظيمًا، فقد روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله

عنهما: «**قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل نكحت؟ قلت: نعم. قال: أبكرًا أم ثيبًا؟ قلت: ثيب. قال: فهلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك؟ قلت: يا رسول الله قُتل أبي يوم أحد، وترك تسع بنات، فكرهت أن أجمع إليهن خرقاء مثلهن، ولكن امرأة تمشطهن وتقيم عليهن. قال: أصبت**» وفي رواية «**تضاحكك وتضاحكها وتلاعبها وتلاعبك**» بل إنه صلى الله عليه وسلم شدّد في ذلك، قال أبو أمامة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شر الناس الضيّق على أهله، قالوا: يا رسول الله وكيف يكون ضيقًا على أهله؟ قال: الرجل إذا دخل بيته خشعت امرأته وهرب ولده وفرَّ، فإذا خرج ضحكت امرأته واستأنس أهل بيته» رواه الطبراني، فلا تنس يا صاحبي أنهن يكرهن التكشير.

* أخي الزوج: لا تعجب لحرصي على هذا الأمر وإيراد كل هذه الاستشهادات، فإن بيوتنا لا تشيع فيها السعادة بالقدر اللازم الذي يوفّره وييسره ديننا الحنيف الذي جعل لهو الإنسان المسلم مع الأهل من الدين الحق الذي يعينه على أمر الدنيا والآخرة.

فقد روى الإمام أحمد في مسنده وأصحاب السنن، عن عائشة رضي الله عنها قالت: (سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته، فلبثنا حتى إذا أرهقني اللحم سابقته فسبقني، فقال: «**هذه بتلك السبقة**») رواه أحمد وأبو داود.

وروى أحمد أيضًا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**كل شيء يلهو به ابن آدم فهو باطل، إلا ثلاثًا: رميه عن قوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، فإنهن من الحق**» وجاء في الحديث الطويل عن صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقله ألا يكون ظاعنًا إلا في ثلاث: تزوّد لمعاد، أو مرمّة لمعاش، أو لذة في غير محرم**» رواه ابن حبان في صحيحه، نعم يا أخي فإن ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة للزوجة والنظر والمداعبة، إراحة للقلب وتقوية له على العبادة، وتنشيط للذهن والبدن لاستعادة القوى للعمل الجديد، فإن النفس ملول، فإذا رُوّحت باللذات بعض الأوقات نشطت وقويت، والاستئناس بالزوجة يوفر كل ذلك، فكما يحتاج الجسم إلى النوم للراحة، وإلى الطعام للقوة، فإن النفس تحتاج إلى الاسترواح واللذّة المشروعة من لدن حكيم عليم.

***

* قال الإمام القرطبي: قال ابن خُوَيْز منداد: اختلف أصحاب مالك، هل على الزوجة خدمة أو لا؟

فقال البعض: ليس على الزوجة خدمة، وذلك أن العقد يتناول الاستمتاع لا الخدمة، ألا ترى أنه ليس بعقد إجارة ولا تملك رقبة وإنما هو عقد على الاستمتاع، والعقد به الاستمتاع دون غيره، فلا تطالب بأكثر منه، ألا ترى إلى قوله تعالى: {فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا} [النساء: ٣٤].

وقال البعض الآخر: عليها خدمة مثلها، فإن كانت شريفة المحل ليسارة أبوة أو ترفّه فعليها التدبير للمنزل وأمر الخادم، وإن كانت متوسطة الحال فعليها أن تفرش الفراش ونحو ذلك، وإن كانت دون ذلك فعليها أن تقمَّ البيت وتطبخ وتغسل. قالوا: وقد جرى عُرف المسلمين في بلدانهم في قديم الأمر وحديثه بما ذكرنا، ألا ترى أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يتكلفون الطحين والخبيز والطبيخ وفرش الفراش وتقريب الطعام وأشباه ذلك، ولا نعلم امرأة امتنعت من ذلك، ولا يسوغ لها الامتناع، وكانوا يطالبوهن بذلك، فلولا أنها مستحقة لما طالبوهن.

* أخي الزوج: قد تقرأ مثل هذا وغيره من كلام سادتنا الفقهاء، وهم يبحثون بحثوهم الفقهية المجردة، خاصة عند رفع خلاف أمام القاضي، ونحن في حياتنا المتعارف عليها، والعرف من الشرع ما لم يحرم حلالًا أو يحلل حرامًا، لا يليق بنا وضع الضوابط الفقهية حسب فهمنا، وخاصة على المعروف من حياتنا. أقول ذلك لأمرين:

الأول: أنه والحمد لله لا مشاكل ولا خلاف حول وجوب العشرة بالمعروف.

الثاني: أن فهم البعض يقصر أحيانًا في فهم مراد الفقهاء.

وخذ على ذلك مثلًا واقعيًّا عجيبًا: كنت سببًا في زواج قريبة لي لشخص متديّن ذي خلق،

وسافر بها إلى بلد عربي وعاش معها هناك في وئام وحسن صحبة، وفي زيارة لهما لمصر حضرا إلى منزلي، وسألتني زوجته أمامه عن حقوق الزوجة، فسألتها أنا وقلت: ما السبب وقد مرّ على زواجكما سنوات؟ قالت: زوجي فلان كان يجالسني ويكون بيني وبينه من الحديث وسائر الأمور ما يكون بين الزوجين، ومنذ شهرين فقط وبدون أسباب لم يعد يتعامل معي كعادته الأولى ويقول لي: ليس لك عندي سوى الكسوة والنفقة من الطعام فنظرت إليه وهو يسمع حديثها وكأني أستنطقه، فقال: بيني وبينها حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «**يطعمها مما يطعم ويكسوها مما يلبس**» فهذا كل حقها عندي، ونظر إليها وقال: اسألها هل أنا قصرت معها في شيء من ذلك؟ فقلت له: وعلى فرض أن ذلك للزوجة وليس للخادم، ما الذي حدث بينكما حتى سلكت معها هذا السلوك؟ قال: لا شيء ولكن هذا شرع الله وموجب عقد الزواج.

فأثارني وكدت أرد عليه بما لا يليق بأدب الضيافة وتصبّرت، وقلت له: وهل من حقك بموجب عقد الزواج أن تخدمك زوجتك وتخدم أولادك وضيوفك وتربي لك الأولاد و... و...، فسكت وقال لي بلهجة أهل البلد العربي الذي يعيش فيه: أمال إيش الحديث يا أستاذ؟ وجرى كلام طويل ليس في سرده كثير فائدة، ولكن أهم ما ذُكر قولي له: لقد حَرَمتَ نفسك وأهلك السعادة وظننت أن ذلك شرع الله وعبادة بسبب إسقاط كلام الفقهاء على حالتك بلا فقه، والأمر الآخر الذي ذكر هو أنني علمت منه أنه لم يحدث أي شيء من زوجته يجعله يغير معاملته معها، وأن الذي غيرّه هو سماعه لأحد العلماء في المسجد وهو يشرح الحديث.

* **أيها الزوج الكريم:** بعد هذا الجو الفقهي المجرد هيّا معًا نستروح في ظل المعاشرة النبوية باختصار شديد الآن: فعن الصديقة بنت الصديق زوج أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم تحكي سلوكه في بيته تقول: «**كان يكون في مهنة أهله**» رواه البخاري، «كان يخصف نعله ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته» رواه أحمد في مسنده ورجاله رجال الصحيح. وعنها: «**أرسل إلينا آل أبي بكر بقائمة شاة ليلًا، فأمسكت وقطّع رسول الله صلى الله عليه وسلم**» رواه أحمد.

إذًا الزوجـة تعمـل في البيـت والـزوج يتعـاون، وبـلا ترفـع، وبـكل سـهولة ويـسر الإسـلام تسـير الحيـاة في أجمـل وئـام. وانظـر إلى عمـوم قولهـا رضي اللـه عنهـا: (يعمـل في بيتـه كـما يعمـل أحدكـم في بيتـه)، إقـرار مـن المسـلمات في حيـاة الصحابـة ومعهـم نبيهـم، وانظـر إلى البسـاطة والكـمالات في قولهـا: فأمسـكت وقطـع رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، وهـو مَـن هـو: نبـي اللـه، ورئيـس دولـة كل المسـلمين، وقائـد الجيـوش الإسـلامية ومـا أكثرهـا في ذلـك الوقـت وقـاضي وحاكـم المسـلمين في كل خـلاف بينهـم، ومـع ذلـك يجـد الوقـت الثمـين في خدمـة ومهنـة أهـل بيتـه، فـما أعظمـه مـن معلـم، ومـا أرفـع مقامـه في العالمـين صـلى اللـه عليـه وسـلم.

وما أدْوَنَ وأنقص مَنْ يترفَّع عن فعلٍ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله.

وأدعـوك أيهـا الـزوج المسـلم أن تبـدأ إن لم تكـن كذلـك، وتشـارك برضـا نفـسٍ زوجتـك بقليـل مـن العمـل، وأعتقـد أنهـا لـن تدعـك تفعـل، لأنهـا سـتقدرك وتحترمـك وتسـارع هـي في فعـل الـشيء، ولكـن وهـي سـعيدة بـك جـدًّا، وقـد زال عنهـا كل تعـب، وعلمـت أنـك تقـدر خدمتهـا في البيـت، مجـرد تقديـر منـك، بعمـل قليـل تـدوم لـك السـعادة وتسـلس لـك القيـادة.

***

* وعـادات النـاس تختلـف مـن بلـد إلى بلـد، ومـن منطقـة إلى أخـرى، ومـن مسـتوى معيـشي إلى آخـر، ومـن زمـان إلى زمـان، بـل ومـن شـخص إلى آخـر، وكثـير مـن البيـوت تُعـرف بعـادات معينـة، ويكـون ذلـك في الملبـس والمـأكل والطريقـة التـي يـؤدَّى بهـا ذلـك، وأنواعهـا وألوانهـا، وغـير ذلـك مـن الأمـور إلى مـالا نهايـة، كالفكـر والنـوم والجلـوس والسـير.. إلـخ. وأنـت أيهـا الـزوج قـد تختلـف في قليـل أو كثـير مـع زوجتـك في عـادة أو أكـثر، ومـن العـادات المخالفـة للإنسـان مـا تسـبب لـه امتعاضًـا أو حرجًـا أو ضجـرًا، ومـن العـادات مـا يمكـن التفاهـم حولـه والحديـث فيـه، ومنهـا مـا يتحـرج المـرء مـن الحديـث فيـه، ومـن العـادات مـا يسـهل تغييرهـا ومـا يصعـب تركـه.

* **أخـي الـزوج الحصيـف**: زوجتـك صاحبتـك العمـر كلـه، وصاحـب مـلازم، وقريـب مشـارك، ولا منـاص مـن المعـاشرة، وقـد تكـون لهـا عـادات لا تعجبـك، وقـد لا يعجبهـا بعـض عاداتـك، فأنصـح لك :

أولًا: العـادات التـي لا تـروق لـك في زوجتـك لا تسـكت عليهـا وتسـكت في نفسـك، فـإن ذلـك مـن الأمـور التـي تـؤدي وتتسـبب في البغـض والمشـاكل، ولـو عُولجـت بحكمـة، أو صُرّح بهـا لـكان الأمـر مختلفًـا.

ثانيًـا: تلطـف في تعريـف زوجتـك بهـذا الأمـر، كأن تحـكي لهـا حكايـة تفهـم منهـا ذلـك، أو أن تضحـك بحـب وأنـت تحدثهـا عـن عادتهـا التـي قـد لا تعلـم أنهـا تؤذيـك وتطلـب منهـا أن تهـدي إليـك مـا لا يعجبهـا مـن عاداتـك، وأن تـشرح لهـا أن التصريـح بذلـك خـير مـن إخفائـه لمـا يترتـب عـلى تـرك العـادة مـن زيـادة الألفـة والاستحسـان لهـا.

وأقـول لـك بدايـة إن أثـر ذلـك في البدايـة قـد لا يـرضي زوجتـك، ولكـن الأثـر الجميـل مـن إزالـة كل مـا يعكـر صفـو المـودة، وفي طـول الحيـاة الزوجيـة ينـسي هـذا الأثـر المؤقـت.

وأراك بحرصك على إسعاد الآخرين، وخاصة زوجتك، ستحرص على معرفة ما تكرهه زوجتك من عاداتك، لو انتبهت لمشاعرها نحو سلوكك.

وأحكي لك واقعة تتعجب منها العقول: طلّق أحد معارفي زوجته، وكان وقْع هذا الطلاق في دائرة معارفه مستغربًا جدًّا، لا لأنه طلاق اعتاد الناس أن لا يتقبلونه، ولكن للعلم أنه كان قد تزوجها بعد قصة حب، وحرصه على الزواج منها أغضب بعض ذويه، وكانت الزوجة جميلة وهو بها معجب، ولم يسمع أحد عن خلاف بينهما، كل ذلك دعاني في أحد لقاءاتي معه أن أستفسر عن سبب طلاقه، وإذا به أعجب وأخفى سبب سمعت به: «عَرَقُها لا يطاق».

وتفاهمت معه رغم وقع المفاجأة على مسامعي، لماذا لم تخبرها بذلك من بداية العلم به؟ ولماذا لم تعمل أنت بحصافتك على التخلص منه بشراء مزيل للعرق وإهدائه إليها؟

قال: لم أجرؤ على إخبارها، ولكني اشتريت مزيلًا للعرق ولم تستعمله إلا مرتين تقريبًا وغلبتها عادتها في إهمال ذلك ولم تنتبه إلى اشمئزازي من عرقها.

وقال: لقد كان الأمر في البداية محتملًا لي، ولكني أصبحت متوترًا جدًّا كلما اقتربت منها خاصة أنها غزيرة العرق. ولم أعد بعد ذلك احتملها، حتى في ملاطفتها لي.

وقال: لقد أصبحت أرى كل امرأة جميلة وأقول في نفسي (زمان عرقها وحش) وقلت أنا في نفسي: وعين السُّخط تبدي المساويا.

***

متى تصدّقك زوجتك؟

* **أيها الـزوج العزيـز:** هيَّـا ندخـل بأسـماعنا إلى بيـوت النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم لنعلـم طريقتـه في شـأن مـا يـؤكل في بيتـه.
فقـد أورد الإمـام الغـزالي في إحيـاء علـوم الديـن، قـال: كان صـلى اللـه عليـه وسـلم يـأكل مـا حـضر ولا يـردّ مـا وجـد، إن وجـد تمـرًا دون خبـز أكلـه، وإن وجـد خبـز بُـرّ أو شـعير أكلـه، وإن وجـد حلـوًا أو عسـلًا أكلـه، وإن وجـد لبنًـا دون خبـز اكتفـى بـه، وإن وجـد بطيخًـا أو رطبًـا أكلـه.
قـال الإمـام العراقـي في تخريـج أحاديـث الإحيـاء: هـذا كلـه معـروف مـن أخلاقـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، ثـم أورد الأحاديـث ومنهـا: عـن جابـر رضي اللـه عنـه أن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم سـأل أهلـه الأُدْمَ فقالـوا: مـا عندنـا إلا خـل، فدعـا بـه وقـال: «**نعـم الأدمُ الخـل**» رواه مسـلم، وعنـد الترمـذي قصـة شـبيهة يـوم فتـح مكـة، إذ دخـل عـلى أم هانـئ بنـت أبي طالـب رضي اللـه عنهـا جائعًـا، قالـت: دخـل عـليّ النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم فقـال: «**أعنـدك شيء؟**» قلـت: لا، إلا كـسرات خبـز يابـس وخـل، فقـال: «**هـاتِ نعـم الأدم الخـل**» كـما ورد عنـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أنـه مـا عـاب طعامًـا قُـدم إليـه قـط، إن اشـتهاه أكلـه، وإن عافتـه نفسـه تركـه.
فعـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه قـال: «**مـا عـاب رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم طعامًـا قـط إن اشـتهاه أكلـه، وإن كرهـه تركـه**» رواه البخـاري ومسـلم.
* **أخـي الـزوج الفاضـل:** قـد عشـت دهـرًا في بيـت أهلـك وأحببـت مـا كان يقـدم لـك، وهـا أنـت في بيتـك، وزوجتـك كانـت في بيـت آخـر لـه نظامـه وطريقتـه في طهـي الطعـام، قـد يعجبـك، وقـد لا يـروق لـك، فإيّـاك أيهـا العاقـل أن تقـول ولـو مازحًـا عندمـا تضـع زوجتـك الطعـام (اللـه يرحمـك يـا أمّـي) فـإن هـذه الكلمـة وأمثالهـا تنـزل عـلى صـدر زوجتـك كـما لـو ضُربـت بسـكين، وقـد يكـون ذلـك وأمثالـه مـما يجعلهـا تضيـق بأمـك الغاليـة، بـل وقـد تتسـبب في كراهيتهـا حتـى ولـو كانـت قـد توفاهـا اللـه إلى رحمتـه.

واسمع مني همسة في أذنك: إذا لم يعجبك أمر من صنع زوجتك فأدم مدحها:

أولًا: لأنك ستصدق نفسك مع التكرار.

وثانيًـا: هـي مضطـرة لتصديقـك لحاجتـك وفرحهـا للثنـاء مـن جهـة، ولأنهـا فعـلًا سـتحاول تحسـينه وتقديمـه كل مـرة بأحسـن كيفيـة مـن جهـة أخـرى ليسـتديم الثنـاء.

وبالمناسـبة أيهـا الـزوج العاقـل، الدنيـا كلهـا، والنـاس جميعًـا في حاجـة إلى هـذا الأسـلوب، وليـس ذلـك مـن بـاب المـزاح.

* وبمناسـبة الطعـام ينبغـي لـرب البيـت ألا يسـتأثر بـشيء مـن الطعـام دون أهلـه، فـإن ذلـك مـما يوغـر الصـدور، ويسـقط مـن يفعـل ذلـك مـن العيـون.

* قـال الإمـام سـفيان الثـوري رحمـه اللـه: بلغنـا أن اللـه وملائكتـه يصلـون عـلى أهـل بيـت يأكلـون جماعـة. انتهـى.

وأنـا أذكـر حديـث رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم عـن وحـشي بـن حـرب رضي اللـه عنـه، أن أصحـاب رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قالـوا: يـا رسـول اللـه، إنـا نـأكل ولا نشـبع؟ قـال: «**فلعلكـم تفترقـون؟**» قالـوا: نعـم. قـال: «**اجتمعـوا عـلى طعامكـم، واذكـروا اسـم اللـه يبـارك لكـم فيـه**» رواه أبـو داود. فاحـرص يـا أخـي عـلى نـزول البركـة إلى بيتـك، وأدخـل الفـرح عـلى أهلـك، واجتمـع مـع زوجتـك عـلى الطعـام ومـع أولادك، فكـم هـي في حاجـة لهـذا الأمـر جـدًّا، وكـم هـي حاجـة أولادك لذلـك، فـلا تحرمهـم، لا حرمـك اللـه مـن سـعادة الداريـن.

* **أخـي الـزوج:** هـل جربـت نفسـك مـرة، فأخـذت تحمـل مـع زوجتـك وأولادك آنيـة الطعـام في مـرح وخفّـة، مـع مسـامرة لطيفـة مـع الزوجـة، وثنـاء عـلى طعامهـا ورغبتـك فيـه، وانتظـارك لـه طـوال اليـوم، وأنـك تشـم رائحتـه دون روائـح أطعمـة الجـيران وتميـزه وتشـتهي هـذه الرائحـة؟ لـو فعلـت!! أخـاف فقـط أن ينسـكب الطعـام مـن يـد الزوجـة التـي يطـير عقلهـا فرحًـا عنـد ذلـك. أؤكـد لـك بـأن زوجتـك لـن تشـكي تعبًـا، بـل لـن تحتـاج إلى أدويـة وعـرض عـلى الطبيـب إن كانـت تشـكو مرضًـا.

* وأيضًـا بمناسـبة الطعـام، أذكـر أننـي كنـت أعجـب مـن حـرص والـديَّ رحمـة اللـه عليهـما عـلى مطالبتنـا أثنـاء الطعـام بـأن نمضـغ الطعـام والفـم –مقفـول- حتـى لا يُسـمع للمضـغ صـوت مـؤذٍ

للآخريـن، فـما رأيـك أنـت أيهـا الـزوج في هـذا الأمـر؟
إن كنـت تفعـل فيحسـن الأخـذ بهـذه النصيحـة، وإن كنـت تتـأذى مـن فعـل زوجتـك لذلـك، فطبعًـا عليـك بالتلطـف في إخبارهـا حتـى لا تؤذيهـا في شـعورها بحرصـك عـلى منعهـا فيـما يـؤذي شـعورك.

***

* عـن العربـاض بـن سـارية رضي اللـه عنـه قـال: سـمعت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يقـول: «**إن الرجـل إذا سـقى امرأتـه مـن المـاء أُجـر**» قـال: فأتيتهـا فسـقيتها وحدثتهـا بمـا سـمعت مـن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، رواه أحمـد والطـبراني في المعجـم الكبـير والصغـير.

فـما أجمـل هـذا التّلقّـي عـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم، ومـا أسرعهـم رضي اللـه عنهـم في اغتنـام النصائـح وتنفيذهـا، ومـا أروع سـهولة الحيـاة وانسـياب نفوسـهم مـع زوجاتهـم، وبـلا حواجـز يضعهـا البعـض جهـلًا باسـم الكرامـة والرجولـة والوقـار والاحتشـام.

والـذي يفـوق ذلـك روعـة مـا كان يفعلـه النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم كـما روت السـير، أن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم كان يتحـرى موضـع شرب عائشـة مـن الإنـاء ويـشرب مـن هـذا الموضـع وأمـام النـاس، حتـى يتعلمـوا ويتأدبـوا بأدبـه صـلى اللـه عليـه وسـلم.

فيا الله، ثم يا الله، فهل بعد ذلك جمال وسموّ في المعاشرة!!

* عـن عمـرو بـن أميـة رضي اللـه عنـه قـال: مـر عثـمان بـن عفـان أو عبـد الرحمـن بـن عـوف بمـرط أي كسـاء –واسـتغلاه .. قـال فمـر بـه عـلى عمـرو بـن أميـة فاشـتراه فكسـاه امرأتـه سـخيلة بنـت عبيـدة، فمـر بـه عثـمان أو عبـد الرحمـن فقـال: مـا فعـل المـرط الـذي ابتعـت؟ قـال عمـرو: تصدّقـت بـه عـلى سـخيلة بنـت عبيـدة فقـال: إن كل مـا صنعـت إلى أهلـك صدقـة؟ قـال عمـرو: سـمعت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يقـول ذلـك. فذكـر مـا قـال عمـرو لرسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فقـال: «**صـدق عمـرو، كل مـا صنعـت إلى أهلـك فهـو صدقـة عليهـم**» رواه أبـو يعـلى والطـبراني، ورجالـه ثقـات.

وعـن أبي مسـعود البـدري رضي اللـه عنـه عـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «**إذا أنفـق الرجـل عـلى أهلـه نفقـة يحتسـبها فهـي لـه صدقـة**» رواه البخـاري ومسـلم.

وعـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه قـال: قـال النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**دينـار أنفقتـه في**

سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك» رواه مسلم.

فما أعظم هذا الدين، وما أرحم رب هذا الدين بالمسلمين، إذ جعل عملهم من أجل النفقة على عيالهم وذويهم في سبيل الله مثل المجاهدين، كما جعل نفقتهم على من يحبون ويضطرون للنفقة عليهم بحكم الفطرة صدقة أعظم من النفقة في سبيل الله.

ولكن يا أخانا العزيز ليس هناك عظمة فوق ما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «**وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في فيِّ امرأتك**» رواه البخاري ومسلم.

واسمع ما قاله سادتنا العلماء في شرح هذا الحديث، قالوا: ظاهر الحديث مقصود، وهو أن يضع الرجل الطعام في فم امرأته، وقد ورد ذلك صريحًا في رواية البخاري «**حتى اللقمة ترفعها إلى فيّ امرأتك**» لأن في ذلك تطييبًا لنفسها، ومداعبة للزوجة وإدخال السرور والمرح عليها .

* **أخي الزوج الحبيب:** هؤلاء سادة البشرية وعظماؤها وبينهم أشرف الخلق، وهذا منهجهم في المعاشرة الزوجية: يسقيها بيده الماء، ويتحرى موضع شربها من الإناء ويشرب، ويضع في فمها الطعام. فسبحان الله والحمد لله أن جعل ديننا سعادةً وحبًّا ومرحًا ومداعبةً وملاطفةً وسخاء مع الأهل، ثم أثابنا عليه الجنة والثواب.

* **أخي الزوج:** روى ابن ماجة عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا عقل كالتدبير**»، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من فقه الرجل رفقه في معيشته**» رواه أحمد، وروى الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الرفق في المعيشة خير من بعض التجارة» وقال الله تعالى: {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آَتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آَتَاهَا} [الطلاق: ٧] فالكمال في الاعتدال، فتدبر دائمًا أمر النفقة، ومع الزوجة بعقل ولا تضطرك المواقف أن تكلف نفسك باختيارك فوق طاقتها.

وتذكـر قـول اللـه تعـالى: {وَكُلُـوا وَاشْرَبُـوا وَلَا تُسْرِفُـوا} [الأعـراف: ٣١]، وقـد يكـون الإسراف بالنسـبة لـك أحيانًـا هـو إنفـاق جنيـه، وقـد يكـون لآخـر نفـس الموقـف مائـة جنيـه ليسـت إسرافًـا، وأنصـح لـك بأمريـن:

أولهـما: لا تنظـر، ولا تجعـل زوجتـك تنظـر إلى غـيرك في قـدر النفقـة أو فيـما يقتنـي في البيـت، فـكلٌّ لـه ظروفـه وعـلى قـدر طاقتـه، وحتـى لا تـورط البعـض في اقتنـاء أشـياء بالديـن فأقنـع زوجتـك وكـن حاسـمًا معهـا في ذلـك لتعـرف نهايـة قدرتـك، وفي نفـس الوقـت لا تحرمهـا إن كنـت قـادرًا.

الأمر الثاني: هو أن فتح هذا الباب ليس له غلق وتتأتى منه كثير من المشاكل الزوجية.

اجعـل نفقتـك مـع قدرتـك متلازمـين، لأن الكثـير مـن النـاس يجعـل نفقتـه أكـبر مـن قدرتـه وهذا يكـدر ويعكـر صفـو الحيـاة الزوجيـة وليـس يريـح أو ييـسر المعايـش. كـما جـاء في الحديـث: «**ولا فتـح عبـدٌ بـاب مسـألة إلا فتـح اللـه عليـه بـاب فقـر**» رواه الترمـذي وهـو صحيـح، أي كلـما توسـع العبـد في الطلـب كلـما احتـاج وافتقـر أكـثر.

ولكـن لا يصـل إلى التقتـير فقـد قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**كفـى بالمـرء إثمًـا أن يضيـع مـن يقـوت**» رواه أبـو داود وغـيره وروى مسـلم معنـاه. وليكـن لسـان حالـك مـع الأهـل:

لهم جُلُّ مالي إن تتابع لي غنى وإن قلّ مالي لم أكن لهم رفدًا

* المـرأة خُلقـت بطبـع حـب التملـك بقـدر أكـبر مـن الرجـل، ومـن مظاهـر ذلـك حبهـا في تملـك: وقـت الـزوج، وسره، وجيبـه، ونقـوده، وقلبـه، وكل شـعوره وعواطفـه، ولذلـك تـود أن تعـرف مَـن التـي كان يحبهـا زوجهـا قبلهـا؟ ومَـن التـي يمكـن أن يتزوجهـا مـن بعدهـا إن ماتـت هـي قبلـه؟؟ إنهـا ترغـب أن تملـك الـزوج نفسـه حتـى لـكي تسـعده وتخـاف عليـه!! لذلـك يـا أخـي اختلـف سـادتنا العلـماء حـول مسـألة: هـل يُطلـع الرجـل زوجتـه عـلى أموالـه ومـا في محفظتـه أم لا؟ وجمهـور السـلف كان يـوصي أن يحتفـظ الـزوج بذلـك دون إطـلاع الزوجـة، ولعـل أعـراف النـاس في إطـلاع الزوجـة العاقلـة أوْفـق لراحتهـا وليزيـد الثقـة عندهـا، خاصـة في هـذه الأزمنـة التـي خرجـت المـرأة فيهـا للعمـل وللتكسـب مثـل الرجـل، وحتـى يتـم التفاهـم بينهـما في كيفيـة التـصرف في دخـل كل منهـما.

***

.. فكان كعب لا ينساها لطلحة

* مـاذا تحـب يـا أخـي العزيـز أن تفعلـه معـك زوجتـك إن عـدت إلى بيتـك مهمومًـا محزونًـا لـشيء حـدث لـك وأنـت خـارج البيـت؟ ومـاذا تهـوى مـن سـلوك الزوجـة حيالـك عندمـا تعـود فرحًـا منـشرح الصـدر لأمـر أسرك وأفرحـك؟ ومـا هـي رغبتـك إن عـدت إلى البيـت وأنـت في غايـة الإرهـاق والتعـب؟ ومـاذا تتوقـع أن تراعيـه معـك زوجتـك إن كنـت مشـغولًا بموضـوع مهـم جـدًّا يمـلأ عليـك أقطـار نفسـك؟ وهكـذا يـا أخـي الـزوج ينتـاب كل إنسـان أحـوال مـن الفـرح والتعـب والشـغل وغـير ذلـك مـن الأحـوال، وعـادة الإنسـان أن يعيـش حالـه هـو، دون وضـع اعتبـار حالـة الآخريـن، أو قـد يذهـل عـن ذلـك لمـا هـو فيـه. وحتـى لا نصـدم أو نصـدم مـع مَـن نعـاشره، وخاصـة الزوجـة، فيجـب مراعـاة حـال الآخريـن، وليـس حـال النفـس وفقـط، لأن الآخـر لـه نفـس يعتريهـا مثلـك أحـوال، وقـد لا تكـون أحوالـك متوافقـة مـع حـال الآخـر.

* **أخـي الـزوج**: المـرأة لهـا ظـروف مزاجيـة تعتريهـا -خـلاف الرجـل- أحيانًـا بسـبب مـا يحـدث لهـا مـن تغـيرات أثنـاء مـدّة الحيـض، وقـد تطـول، وبسـبب الحمـل والـولادة والرضاعـة، وفـترات مـا تُسـمى بسـن اليـأس، وغـير ذلـك مـما يتعلـق بهـا كأنثـى. ويُخطـئ مـن لا يتعـرف في زوجتـه تلـك الأمـور، ولا يراعـي أحوالهـا عنـد ذلـك، ويتعامـل معهـا، بـل ويطالبهـا بمـا كانـت تفعلـه في حالتهـا العاديـة، ناهيـك عـما يلحقهـا مـن الأحـوال السـابق ذكرهـا كإنسـان.

وانظـر يـا أخـي هدانـا اللـه وإيـاك إلى سـلوك النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم في بعـض هـذه الأحـوال، وهـي حـال الحيـض الـذي يعـتري الزوجـة ويتكـرر، وقـد تظـن أنهـا غـير مرغوبـة مـن زوجهـا، أو أنـه يتحفـظ منهـا ويتجنبهـا تقـذرًا، تقـول عائشـة رضي اللـه عنهـا: (كانـت إحدانـا إذا كانـت حائضًـا فـأراد رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أن يباشرهـا أمرهـا أن تتَّـزر ثـم يباشرهـا، قالـت: وأيكـم يملـك إربـه كـما كان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يملـك إربـه). رواه البخـاري ومسـلم، والمـراد بالمباشرة هنـا التقـاء البشرتـين عـلى أي وجـه كان، وذلـك دون

الـوطء في الفـرج، وهـو مـا عنتـه السـيدة عائشـة رضي اللـه عنهـا بقولهـا: (وأيكـم يملـك إربـه كـما كان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يملـك إربـه).

فالموافقـة في هـذه الأحـوال مـن حسـن الصحبـة والعـشرة، إذ المخالفـة موحشـة، ولعـل في حديث رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم الـذي رواه الحاكـم وقـال صحيـح عـلى شرط البخـاري ومسـلم مـا يحمـل هـذا المعنـى حيـث قـال صلى اللـه عليـه وسـلم: «**خالقـوا النـاس بأخلاقهـم**» فـإن العـشرة والألفـة تحتـاج للمجاملـة وتطييـب القلـب.

* عـن كعـب بـن مالـك، شـاعر رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وهـو أحـد الثلاثـة الذيـن تحلّفـوا عـن الغـزو مـع رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فتـاب اللـه عـز وجـل عليـه وأنـزل توبتهـم في القـرآن، قـال: (وانطلقـت أتأمَّـمُ رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يتلقـاني النـاس فوجًـا فوجًـا يهنئـوني بالتوبـة ويقولـون لي: لتهنـك توبـة اللـه عليـك، حتـى دخلـت المسـجد فـإذا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم جالـس حولـه النـاس، فقـام طلحـة بـن عبيـد اللـه رضي اللـه عنـه يُهـرول حتـى صافحنـي وهنـأني، واللـه مـا قـام رجـل مـن المهاجريـن غـيره. فـكان كعـب لا ينسـاها لطلحـة) رواه البخـاري ومسـلم.

فانظـر يـا أخـي مـا راعـاه رضي اللـه عنـه مـن ظـروف وحـال كعـب مـن الفـرح وقيامـه وتعبـيره عـن فرحـه معـه ولـه، وانظـر لهـذه الحركـة الجميلـة الخفيفـة التـي لم تكلـف طلحـة غـير القيـام والمسـارعة في اسـتقباله فلـم ينـس كعـب هـذا الموقـف لـه!! إن المواقـف الشريفـة التـي يُراعـى فيهـا الخاطـر لا تُنـسى وتخلـد لصدقهـا ولأنهـا خرجـت مـن نفـس زكيـة راقيـة. حدثنـي أحـد المعاشريـن للإمـام البنـا رحمـه اللـه أنـه كان في بيـت أحـد إخوانـه فقـدم لـه كوبًـا مـن الشـاي فشربـه، وبعـد خروجـه مـن البيـت سـارعت زوجـة المضيـف إلى الكـوب الـذي شربـه الإمـام لتـشرب بقيتـه تـبركًا بـه، وكانـت المفاجـأة!! أنهـا وضعـت في الشـاي ملحًـا وليـس سـكرًا، وحتـى لا يشـعر أحـد بالحـرج شرب الإمـام الشـاي بالملـح. وأنـا أقـول: لقـد أخفـى الإمـام هـذا العمـل الشريـف العظيـم فأظهـره اللـه لينفعنـا بـه.

***

حديث خرافة

* عـن عائشـة رضي اللـه عنهـا قالـت: «**حـدَّث رسـول اللـه نسـاءه ذات ليلـة حديثًا فقالـت امـرأة منهـن: يـا رسـول اللـه كأن الحديـث حديـث خرافـة. قـال:** «**أتـدرون مـا خرافـة؟ إن خرافـة كان رجـلًا مـن أهـل عـذرة أسرتـه الجـن في الجاهليـة فمكـث فيهـم دهـرًا طويـلًا ثـم ردُّوه إلى الإنـس، فـكان يحـدث النـاس بمـا رأى فيهـم مـن الأعاجيـب، فقـال النـاس حديـث خرافـة**» رواه أحمـد وأبـو يعـلى والبـزار. وروى الطـبراني في الأوسـط عـن عائشـة: «أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم حدَّثهـا بحديـث وهـو معهـا في لحـاف، فقالـت: بـأبي وأمـي يـا رسـول اللـه، لـولا حدثتنـي بهـذا الحديـث لظننـت أنـه حديـث خرافـة. فقـال الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم: **ومـا حديـث خرافـة يـا عائشـة**؟ قالـت: الـشيء إذا لم يكـن قيـل خرافـة. فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**إن أصـدق الحديـث حديـث خرافـة كان رجـل مـن بنـي عـذرة سبته الجـن وكان معهـم، فلـما اسـترقوا السـمع أخـبروه فخـبر بـه النـاس فيجدونـه كـما قـال**».

* **أخـي الـزوج الحبيـب:** مـا أجمـل تلـك الأوقـات التـي يقضيهـا النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم مـع أهلـه في هـذا الجـو اللطيـف، وتلـك الموضوعـات الشـيقة التـي تسـتهوي النسـاء، ومـا أعظـم هـذا الخلـق الرائـع منـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وهـو يلاطـف زوجتـه عائشـة رضي اللـه عنهـا وهـما في لحـاف واحـد، يحاورهـا وتحـاوره، ويوادهـا، وكـم مـن أزواج أقـل رتبـة وفضـلًا وشـغلًا مـن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يحسـبون أن مثـل هـذا الحديـث، ومثـل هـذه المسـامرة، تضييـع للوقـت وحـط مـن كرامتهـم.

* **أخـي وصديقـي:** لعلـك وأنـت تقـضي معظـم وقتـك في أعمالـك وأشـغالك خـارج البيـت، لا تلتفـت إلى أن الزوجـة معظـم أيامهـا وأكـثر وقتهـا داخـل البيـت، وبحكـم الفطـرة وتقسـيم الواجبـات يضطـر كل منكـما إلى ذلـك. ولكـن هـل تفكـرت أنـك إن أصابـك ملـل وسـآمة مـن وجـودك خـارج البيـت يمكنـك بسـهولة أن ترجـع إلى البيـت؟ أو العكـس يمكنـك الخـروج وقتـما

تريـد مـن البيـت بسـبب وبغـير سـبب؟ ألم تشـعر رغـم تنقلـك مـن وإلى الأماكـن المختلفـة تحتـاج أحيانًـا إلى قتـل هـذا الملـل وسـآمة التكـرار للـشيء الواحـد، وذلـك بالرغبـة في قطـع ذلـك بنزهـة ولـو في وقـت قليـل وفي مـكان ولـو قريـب مـما تسـتروح فيـه النفـس؟ زوجتـك يـا أخـي ترغـب في مثلـك!! بـل هـي أشـد حاجـة لذلـك، لملازمتهـا البيـت، وكـثرة مشـاغلها فيـه، ولكـثرة غيابـك أنـت عنهـا أيضًـا!!

فليتَّـقِ اللـه رجـل مؤمـن يحـب لأخيـه مـا يحـب لنفسـه، بـل واجـب الـزوج أن يحـرص عـلى تعاهـد ذلـك الأمـر مـع زوجتـه فـما يضـيرك يـا أخـي لـو نفّسـت عـن زوجتـك وعنـك أيضًـا بنزهـة خـارج البيـت، وبجلسـة كنـت تجلـس مثلهـا مـع نفـس زوجتـك أيـام البدايـات معهـا!! لمـاذا لا تخـرج معهـا سـيرًا عـلى الأقـدام حتـى في منطقـة سـكنك دون أن يكلفـك ذلـك أمـوالًا؟؟ أليـس مـن الجميـل الرائـع أداء زيـارة لأهلهـا أو لأهلـك معًـا في صحبـة ومحادثـة وأنـت ممسـك بيدهـا أثنـاء سـيركما؟

إن المـرأة تشـعر بشـعور رائـع وجميـل لـو أمسـكت يدهـا ولا تسـتغرب مـن هـذه الأمور، واسـأل إن شـئت النسـاء إن كنـت تفكـر بأحاسـيس الرجـال. ولا تقـل لقـد كـبرت، أو أن هـذا خلـق الشـباب، واسـمع قـول المجّـرب:

إذا شاب قلب المرء شاب رجاؤه وشاب هواه وهو في ضحوة العمر

وعـن أنـس بـن مالـك رضي اللـه عنـه خـادم النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «دعـا رجـل فـارسي، النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم عـلى طعـام، فقـال النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم: **أنـا وعائشـة**؟ فقـال: لا. فقـال: فـلا. ثـم أجابـه بعـد، فذهـب هـو وعائشـة يتسـاوقان، فقَـرَّب إليهـما إهالـة» رواه الإمـام مسـلم. فهـل بعـد هـذا السـلوك النبـوي الشريـف مـن حرصـه صـلى اللـه عليـه وسـلم عـلى اصطحـاب زوجتـه إلى الطعـام الـذي دعـاه إليـه هـذا الرجـل مـن فـارس، وهذا المـرح المذهـل مـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم وهـو يسـارع المـشي يسـابق السـيدة عائشـة في الطريـق، وانظـر إلى هـذا الأسـلوب في المعـاشرة في وصـف أنـس رضي اللـه عنـه: «فقـرب إليهـما إهالـة» أي وضـع أمامهـما معًـا الطعـام مـن اللحـم السـمين، أي أكل النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم عنـد المضيـف وأمامـه وقـد يكـون معـه هـو صـلى اللـه عليـه وسـلم وزوجتـه،

ولم يحرمها من صحبته وجلسته حتى عند الأغراب!! فيا مسلمون: ما أحوجنا إلى هدي الإسلام ويسره، بل وعظمته.

وأذكر لك يا أخي واقعة بسيطة حدثت معي، لا أنساها لخطورتها: دخلت إلى بيتي يومًا وأنا مكدود مجهد وبوادر مرض النقرس الذي يعاودني قد بدأت، وجلست مع زوجتي وأولادي لتناول الطعام، ولكني لاحظت أن زوجتي لا تأكل ومتوقفة عن تناول الطعام، فدعوتها لتناوله فقالت لي: (عاوزه أروح باكوس وآجي) وباكوس هي سوق طعامنا ومشترواتنا من الخضار والفاكهة، فقلت لها: الآن؟! فلم ترد، ففهمت أنها تريد الخروج وفقط، واتفقنا على «فسحة» غدًا، وصارت باكوس تعني تفاهمنا العائلي، الحد الحرج للرغبة في الخروج.

* **أخي:** أختم معك هذا الفصل ببعض آداب المعاشر، منها، ألا تتدخل معها في بعض ما يعنيها مثل شؤونها في التزين وشؤون الخدمة في البيت، واترك لها مجالًا تشعر فيه أن لها دورها وشخصيتها وحريتها، ومنها ألا تكثر الاعتراض على آرائها ورغباتها وطلباتها وحاول ألا تكسر بخاطرها، وتلطف معها عند الضرورة إذا لزم الأمر في الاعتراض. ومنها سقوط التكلف مع الاحتشام اللائق لدوام الصحبة، ومنها سلامة الصدر وإزالة ما به حتى لا يتراكم فيؤذي فجأة. ومنها ألا تلزمها بما تكره طالما هناك متسع في الأمر. ومنها ألا تكثر مساءلتها من أين وإلى أين، إلا ما كان يخرج بها عن حد العرف والشرع.

ومنها ألا تكلفها ما يشق عليها. ومنها ألا تشعرها أنك مرتفع عليها أو أنها دونك سواء من الناحية الاجتماعية والثقافية أو التعليمية .. وغير ذلك.

وأخيرًا قالوا: اجعل عملك ملحًا وأدبك دقيقًا. ويريدون من ذلك أن الإكثار في الأدب مع العمل القليل خير من العمل الكثير الخالي من الأدب.

***

٥ الفصل الخامس

المودَّة جوهرة رقيقة تحتاج لحراسة وهي معرضة للآفات

* محاذير وموازين تحفظ العشرة بين المتصافين

* من طلب نفيسًا خاطر بنفيس، ومن رغب في رغبة بذل لها مرغوبًا. فمن أرفق بمُعاشره حتى ينال من المباح، عوض منه فوق ما يرغب، ومن شراه استراح.

* المحبة الدائمة والألفة اللازمة للعشرة، يفسدها العتاب، ولا يفسد الوداد مثل العتاب، فإنه يُوغر الصدور، ويجد ما يكره من الأمور، وهو مبعث الخصام بين الأحباب.

* القلوب تتقلب كالقدر إذا استجمَعَتْ غَلَيانًا، والكريم مَنْ تغافل وتحمل عيوب الناس، وأقال عثراتهم وقبل أعذارهم ولم يبغضهم، لمعرفته أن ما كان منهم من كيد الشيطان الخناس.

* من وفور عقل الرجل علمه بوفور عواطف المرأة ورقتها، فعواطف المرأة مثل الزهرة الرقيقة الجميلة، يشمها وينظر إليها ولا تحتمل الفرك وإلا فسدت عليه.

* عوج المرأة خلقة فيها، فقد ولدت ومعها عذرها الفطري، ومن قصد أن يقيم العوج شوَّه الخِلْقَة كمن قصد إقامة عوج الأنف واستدارة العين، فعند أهل النظر يُرى الجمال في العوج، ومن كره خلقًا أحب آخر.

***

* قال السادة العلماء: ليكن من نية الزوج في الزواج: إقامة سنة، وصلاح القلب، وسلامة الدين، وغض البصر، وتحصين الفرج، ويقصد ذلك لزوجته أيضًا.
* وغضُّ البصر وتحصين الفرج هو المقصود الأول من الزواج، لأن في الجماع ترويحًا للقلب، وتسريحًا للهم، وتنقيحًا للفؤاد. ولعل في إرشاد النبي صلى الله عليه وسلم لأحد شباب الصحابة في زواجه الأول، وهو جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: بأن يتزوج بكرًا إذ قال له: «**هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك**» رواه البخاري ومسلم، لعل في ذلك تلميحًا إلى هذا المقصود، ومنه أيضًا قوله صلى الله عليه وسلم: «**وإذا نظر إليها سرته**» الحديث، بل استحب العلماء ذلك كما قال الإمام النووي: يستحب نكاح الشابة لأنها المحصلة لمقاصد النكاح، فإنها ألذ استمتاعًا وأطيب نكهة وأرغب في الاستمتاع، وأحسن عشرة، وأفكه محادثة، وأجمل منظرًا، وألين ملمسًا، وأقرب إلى أن يُعَوِّدها زوجها الأخلاق التي يرتضيها.
* ما يدرك بالذوق يعظم إليه الشوق، ولعل إخبار ونصح النبي صلى الله عليه وسلم للأزواج إذا زين الشيطان لهم الحرام أن يسارعوا إلى زوجاتهم ليردوا عليه كيده، ما يشفي النفس ويقنعها بالتزام هذه النصيحة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم من امرأة ما يعجبه فليأتِ أهله، فإن ذلك يردّ ما في نفسه**» رواه مسلم وأبو داود والترمذي، ويؤخذ من هذا الحديث أن الشيطان من تزيينه للرجل أن يريه في غير زوجته ما هو في زوجته، وما هو يملكه بالحلال، ولكن يخيل إليه من سحر الشيطان أنها أحسن وأجمل، فإذا أتى أهله لم تعد كذلك في نفسه، إنها شهوة مزينة بصورة شيطانية، يقول الإمام ابن مفلح الحنبلي: إن العين ترى غير المقدور عليه على أحسن ما هو عليه. أي ترى الممنوع شرعًا أجمل

وأطيب وأوفق وأفضل مما عندها وتقدر عليه من الحلال الطيب، كما أن الحديث فيه أن إتيان الزوجة يطهر القلب، ويردّ كل إعجاب بغيرها إذا تعاهد أمر الجماع كلما خطرت بباله خواطر السوء.

* قال ابن حزم الظاهري: فُرض على الرجل أن يجامع امرأته، وأدنى ذلك مرة في كل طهر، إن قدر على ذلك، وإلا فهو عاصٍ لله تعالى، وبرهان ذلك قوله تعالى: {فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ} [البقرة: ٢٢٢]، وقال الشافعي: لا يجب ذلك عليه، وقال أحمد: إن ذلك مقدر بأربعة أشهر، روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يطوف في المدينة فسمع امرأة تُنشد:

ألا طال هذا الليل واسودَّ جانبُه	وأرّقني أن لا حبيب ألاعبه
فو الله لولا الله لا شيء غيره	لزُعزع من هذا السرير جوانبه
مخافة ربي والحياءُ يكفُّني	وإكرام بعلي أن تُنال مراكبه

فلما كان الغد استدعى عمر تلك المرأة وقال لها: أين زوجك؟ فقالت: بعثتَ به إلى العراق!! فاستدعى عمر نساءً فسألهن: كم مقدار ما تصبر عن زوجها؟ فقلن: شهرين، ويقل صبرها في ثلاثة أشهر، وينفد صبرها في أربعة أشهر، فجعل عمر مدّة غياب الزوج أربعة أشهر، فإذا مضت أربعة أشهر استردَّ الغازين ووجَّه بقوم آخرين.

* قال العلماء: والمستحب له ألا يُخلّيها من الجماع لقول النبي صلى الله عليه وسلم: **«ولكني أصوم وأفكر، وأصلي وأنام، وأمسُّ النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»** وذلك الإخلاء لها قد يكون سببًا لفسادها أو للعداوة والشقاق بينهما، دون أن يشعر هو أو يتفطن لحاجتها، وهي عادة لا تفصح عن رغبتها في ذلك، ويكمن في نفسها ما يعكر وينكد عيشتها دون معرفة الأسباب الظاهرة. عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم إلا وهو يطوف علينا جميعًا امرأة امرأة، فيدنو ويلمس من غير مسيس حتى يفضي إلى التي هو يومها فيبيت عندها**» رواه أحمد

والبيهقي والحاكم وصححه وأبو داود، وفي البخاري ومسلم «**كان إذا انصرف من صلاة العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن**» فصلى الله عليه وسلم. كما كان حريصًا على جبر خواطر النساء وإزالة كل أثر من خواطر الشيطان من نفوسهن، وإشاعة العدالة والمحبة والملاطفة بالمتاع الحلال في البيوت، حتى يتفرغ كلٌّ لواجباته، فقضاء الوقت في المتع الحلال خير وأنفع من ضياع الوقت في المشاكل والأعطال.

* جاءت امرأة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تقول: إن زوجها صوَّام قوّام يقوم الليل يجافي جنبه عن فراشه من القيام ويصوم النهار فأثنى عليها وأثنى على صدقها في الإخبار عن صلاحه وتقواه، فأعادت عليه نعته مرة أخرى، فأثنى عليه عمر، فأعادت مرة ثالثة ثم مضت وهي تقول: أشكو بثي إلى الله. فقال أحد جلسائه: لقد شكت إليك زوجها فلم تشكها يا أمير المؤمنين. فقال عليٌّ بها، فأتوا بها واستعادها ما قالت وعزم على صاحبه أن يستدعي زوجها وأن يحكم بينهما ما دام هو الذي فهم شكواها، فقضى بأن يعتبر صاحب أربع زوجات فيكون لها ليلة كل أربع.

* إذا كانت له زوجات فلا يجمع بينهن في مسكن واحد، إلا برضى كل واحدة منهن على حدة. لأن فعل ذلك يسبب الغيرة ويشعلها، وينغص العيش ويفضي إلى الخصومات، وليس من شرط العدل في القسمة بين الزوجات التسوية في الوطء، غير أن المستحب أن يساوي بينهن في الوطء لأنه المقصود. فإن وطئ بعضهن دون بعض لم يأثم بذلك لأن الوطء طريقُه الشهوة، وقد تميل الشهوة إلى بعضهن دون بعض، ولهذا قال الله تعالى: {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ} [النساء: ١٢٩] قيل في التفسير: في الحب والجماع، وقد روى أصحاب السنن عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه ويقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» أي أنه صلى الله عليه وسلم كان يحرص على العدل بين الزوجات فيما كُلف به من النفقة والمبيت، ولكنه يعتذر عن ميل قلبه صلى الله عليه وسلم إلى إحداهن أكثر من غيرها.

* وقد يضطر الرجل في بعض الأحوال إلى ترك وطء الزوجة لبعض سلوكها معه أو مع غيره،

تأديبًا لها وإشعارًا لها بعدم رضاه عن هذا السلوك، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بعض أزواجه، فعن صفية بنت حيي زوج النبي صلى الله عليه وسلم «أنه حج بنسائه حتى إذا كان ببعض الطريق نزل فساق بهن فأسرع فقال النبي صلى الله عليه وسلم: كذلك سوقك بالقوارير، يعني النساء، فبينما هم يسيرون برك بصفية بنت حيي جملها، وكانت من أحسنهن ظهرًا -أي ركوبة- فبكت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أُخبر بذلك، فجعل يمسح دموعها بيده وجعلت تزداد بكاءً وهو ينهاها، فلما أكثرت زبرها -أي زجرها- وانتهرها وأمر الناس فنزلوا ولم يكن يريد أن ينزل، قالت: فنزلوا وكان يومي، فلما نزلوا ضُرب خباء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل فيه، قالت فلم أدر على ما أهجم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فخشيت أن يكون في نفسه شيء، فانطلقت إلى عائشة فقلت لها: تعلمين أني لم أكن لأبيع يومي من رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء أبدًا، وإني وهبتُ يومي لك أن ترضي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنّي، فقالت: نعم. فأخذت عائشة خمارًا لها قد ثردته بزعفران فرشته بالماء ليذكي ريحه، ثم انطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفعت طرف الخباء فقال: **مالك يا عائشة إن هذا ليس بيومك!!** قالت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فقال مع أهله. فلما كان عند الرواح قال لزينب بنت جحش أفقري أختك صفية جملًا، وكانت من أكثرهن ظهرًا، فقالت: (أنا أفقر -أي أعطي- يهوديتك؟) فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع ذلك منها فهجرها فلم يكلمها حتى قدم مكة وأيام منى في سفره حتى رجع إلى المدينة والمحرم وصفر فلم يأتها ولم يقسم لها حتى يئست منه، فلما كان شهر ربيع الأول دخل عليها فرأت ظلَّهُ فقالت: إن هذا لظل رجل وما يدخل عليَّ النبي صلى الله عليه وسلم!! فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فلما دخل قالت: يا رسول الله ما أدري ما أصنع حين دخلت عليَّ!! قالت: وكانت لها جارية وكانت تخبئها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: فلانة لك، فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سرير زينب وكان قد رُفع فوضعه بيده ثم أصاب أهله ورضي الله عنهم» رواه أحمد في مسنده ورجاله ثقات. وأرجو ألا يفوتك يا أخي الزوج وأنت تقرأ هذا الحديث، بعض

روائع السلوك النبويّ مثل «**فجعل يمسح دموعها بيده**» أو هذه المداعبة الرقيقة «ما لك يا عائشة إن هذا ليس بيومك!!» وما أجمل هذا الرد من عائشة رضي الله عنها ودلالها ورضاها البالغ «**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**».

* عن جابر رضي الله عنه قال: «بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق إذ امرأة أخذت بعنان دابته وهو على حمار فقالت: يا رسول الله إن زوجي لا يقربني ففرّق بيني وبينه، ومرَّ زوجها فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما لك ولها؟ جاءت تشكو منك حقًّا، تشكو منك أنك لا تقربها. قال: يا رسول الله والذي أكرمك إن عهدي بها بهذه الليلة. وبكت المرأة فقالت: كذب، فرّق بيني وبينه، فإنه من أبغض خلق الله إليّ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ برأسه ورأسها فجمع بينهما وقال: اللهم أُدن كل واحد منهما من صاحبه. قال جابر: فلبثنا ما شاء الله أن نلبث ثم مرَّ رسول الله بالسوق فإذا نحن بالمرأة تحمل أُدْما، فلما رأته طرحت الأدم وأقبلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما خلق الله من بشر أحب إليّ منه إلا أنت» رواه أبو يعلى وهو حديث صحيح.

* قال الإمام النووي في قوله تعالى: {فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ} [البقرة: ٢٢٣] أي موضع الزرع من المرأة وهو قبلها الذي يزرع فيه المني لابتغاء الولد. قال: وفيه إباحة وطئها في قبلها إن شاء من بين يديها وإن شاء من ورائها وإن شاء مكبوبة، وأما الدبر فليس هو بحرث ولا موضع زرع.

* عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأة وتفضي إليه ثم ينشر سرها» رواه مسلم، وقال النووي في شرحه: تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع ووصف تفاصيل ما يجري من المرأة فيه من قول أو فعل ونحوه، فأما مجرد ذكر الجماع فإن لم تكن فيه فائدة ولا إليه حاجة فمكروه لأنه خلاف المروءة.

***

التغافل حسن الخلق

* عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل كريم يحب الكرماء ويحب معالي الأمور ويكره سفسافَها» رواه الطبراني، ولذلك قال الإمام أحمد بن حنبل: تسعة أعشاء حسن الخلق في التغافل. ومعنى التغافل تكلف الغفلة مع العلم والإدراك لما يتغافل عنه، تكرمًا وترفعًا عن سفساف الأمور، وقد كان من الوصف الذي مُدح به سيدنا علي بن أبي طالب أنه كان في بيته كالثعلب وخارجه كالليث. أي أنه كان كالمتناوم المُغْضي عينًا عن مُجريات الأحداث التي تقع حولْه، مع إدراكه وعلمه بها، إكرامًا لأهله، وألّا يوقعهم في حرج، وألا يرون منه التتبع الذي يرهق شعورهم ويشد أحاسيسهم. وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدًا بشيء يكرهه**» رواه أبو داود والترمذي والنسائي.

إنه التغاضي الكريم حتى لا يحرج المشاعر أو يكسر الخاطر، وهذا بالطبع في غير المعاصي ومغاضب الله. ومن الأمور التي تعارف عليها البعض رغم مخالفتها لهذا التوجيه النبوي قول البعض: «**أنا أقول للأعور أنت أعور في عينه**» ويقصد بذلك البطولة والتمادح. أو يقول البعض: «**أنا ما اتحملش أشوف حاجة عوجة واسكت**»، وهذه الأقوال والأفعال نفسها هي التي يجب ألا يسكت عليها ويصدق فيها قول القائل: وأخَفُّ من بعض الدواء الدّاء.

***

جُمع الزمان فكان يوم رضاك

* أوصى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم أحد بنيه فقال: إياك وكثرة العَتْب فإنه يُوَرّث البغضاء.

* فيا أخي الزوج الكريم: خذ من علماء أهل بيت النبوة هذه النصيحة والوصية الغالية لأن العتاب يضطر المُعاتب إلى التبرير والكذب غالبًا للخروج مما يعاتب عليه، ويفتح باب اللجج والخصومة، ويجدد مشاعر تكون قد نُسيت، فيُعيد ذلك نفس الأسباب التي أفضت إلى ما يعاتب فيه. وما أكثر ما مرَّ بكل واحد منا من مواقف أدّى العتاب فيها إلى أمور أشنع مما بدأ العتاب فيه. ولعلّ ما يخطر في البال هو: أننا نعاتب حتى يعرف المخطئ خطأه فيتجنبه فيكون العتاب فيه فائدة، ولكننا نُعاتب لعدم رضانا بما وقع في الغالب، وإذا كنا نرغب في هذه الفائدة، فالأفضل تحين الوقت، وطرح الموضوع في شكل غير العتاب كحكاية قصة أو واقعة فيها نفس المعنى والغرض وفي جو وأسلوب من المرح والصفاء لتجنب ما تكرهه النفوس.

وأقول لك مع القائل:

خُذ من خليلك ما صفا	وذر الذي فيه الكدر
فالعمر أقصر من معاتبة	الخليل على الغيَر

وأقول أيضًا وأذكر مع القائل:

وما الحب إلا طاعة وتجاوز	وإن أكثروا أوصافه والمعانيا

بل أدعوك إن ظننت زوجتك أنك تحتمل من عتابها هي لك أن تخبرها بقولك:

ومَحوْتُ كل لبانة من خاطري	ونسيتُ كل تعاتب وتشاكي
لا أمس من عمر الزمان ولا غد	جُمعَ الزمان فكان يوم رضاكِ

* أخي العزيز: إذا كان لا بد من العتاب، فلا تعاتب أمام الغير، وخاصة الأولاد، فإن العتاب ما كان في خلوة، والتوبيخ ما كان بين الناس. ولا تطلع أحدًا على عيب زوجتك وما كان منها، فإن ذلك ليس من المروءة، وغالبًا ما يندم عليه من يفعله.

***

العفو في اليوم سبعين مرة

* **أخي الزوج:** هل سمعت أو علمت أن إنسانًا لا يخطئ؟ فالكمال المطلق لله تعالى وحده والعصمة للأنبياء فقط. وأنت بالطبع كغيرك تقع فيما يقع فيه البشر، ولكل واحد من الناس عدو من الشياطين يُسول له الخطأ ويوقعه فيه، وهو لا يفارق قرينه ويهجم في لحظات ضعف النفس. ولست في حاجة أن أذكرك أن من تعاشرها إنسانة مثلك يجوز عليها الخطأ ويكفي لكل واحد يعاشر أحدًا أن يعلم أنه يُكن له الخير ولا يقصد في الغالب الإيذاء، لذلك شرع لنا الدين الحنيف المسامحة وقبول الاعتذار إلى الحد الذي يعجب له العقل. خذ على سبيل المثال هذا الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «**جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كم نعفو عن الخادم؟ فصمت، ثم قال: اعفُ عنه كل يوم سبعين مرة**» رواه أبو داود والترمذي، وقال حديث حسن صحيح. فهذا يخدم بأجرة ويستحق العفو في اليوم الواحد سبعين مرة، فأطلب منك أيها الزوج أن تخبرني كم مرة تستحق الزوجة منك العفو؟؟ وهل هناك زوجة تخطئ سبعين مرة يوميًّا؟؟

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل» رواه مسلم.

وقال: «**من أقال مسلمًا عثرته أقاله الله يوم القيامة**» رواه أبو داود والحاكم.

وقال صلى الله عليه وسلم: «الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم» رواه الترمذي وابن ماجة عن ابن عمر.

* أخي الكريم: قد يتبادر إلى ذهن البعض أن هذه السياسة مع النساء لا تصلح وقد تفسدهم، وأنا لا أمنع من المراجعات والتفاهم وقبول العذر حتى يذهب ما في النفس،

ولكنـي أقـول: صـدق اللـه العظيـم وصـدق رسـوله الكريـم، فـإن العفـو ديـن ومـن شـيم الكـرام والنبـلاء، وإن العفـو لا يزيـد صاحبـه إلا عـزًّا في الدنيـا والآخـرة، بـل يزيـد الـزوج العَفّـو احترامًـا وتقديـرًا عنـد الزوجـة.

وسـأحكي لـك هـذه القصـة الطريفـة: جـاء إليّ أحـد الزمـلاء في العمـل وطلـب منـي أن أكتـب لـه (حجـاب) وبالسـؤال علمـت أنـه عـلى خـلاف دائـم مـع زوجتـه وقـال: (أصـل معمـول لنـا عمـل) يقصـد السـحر، ومـن خـلال الحديـث معـه، وهـو رجـل عامـي، أدركـت أنهـا خلافـات تافهـة ولكنـه يقسـو عـلى زوجتـه ويحاسـبها عـلى كل صغـيرة وكبـيرة عـلى حـد قولـه، فقلـت لـه: شـوف يـا عـم عـلي!! أنـا سـأطلب منـك أمـرًا بسـيطًا، عليـك تنفيـذه أولًا وبعديـن أعمـل لـك كل الـذي تطلبـه منـي. فقـال: (قـوي يـا سـيدنا) فقلـت: (تسـامح زوجتـك وتتفاهـم معهـا بـكلام حلـو مـن اللـي النسـاء تحبّـه وشـوف هـي رايحـة تعمـل معـاك إيـه؟) فقـال بعفويـة سريعـة (رايحـة تركبنـي يـا أسـتاذ!!) فقلـت لمـاذا يـا عـم عـلي؟ قـال: (النسـوان كـدة، إن وطيـت يركبـوك)، وحتـى لا أطيـل في القصـة، أخـيرًا اقتنـع عـم عـلي –عـلى سـبيل التجربـة- وبعـد أسـبوع تقريبًـا دخـل عـلي المكتـب وهـو يبتسـم ويدعـو لي وقـال: (تمـام اللـه ينـوَّر عليـك) وبعـد شـهر مـن مقابلـة أخـرى قـال: (يـا سـلام يـا أسـتاذ!! أنـت علمتنـي حاجـة مـا عرفتهـاش وأنـا متجـوز بقـالي خمسـة وثلاثـين سـنة) فأرجـو لـك يـا أخـي الـزوج أن تكـون أسـعد حظًّـا مـن عـم عـلي.

فالعفـو سـبيل لـدوام المحبـة وهـو الـذي يجعـل العـشرة قويـة دائمـة لأنـه يذهـب الضغائـن، فعـن ابـن عمـر رضي اللـه عنهـما قـال: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**تعافـوا تسـقط الضغائـن بينكـم**» رواه البـزار.

* قـد يقـع الإنسـان في خطـأ نحـو آخـر، إلا أنـه سرعـان مـا يثـوب إلى رشـده ويحـرص عـلى إزالـة مـا وقـع منـه ويلجـأ إلى الاعتـذار للشـخص الـذي أخطـأ في حقـه، وهـذا منـه دليـل عـلى صـدق المـودة والحـرص عليهـا والرغبـة في إرضـاء هـذا الآخـر، وقـد يضطـر لإرضائـه بالكـذب والتنصـل مـما وقـع منـه ولذلـك كان هـدي النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم في ذلـك: الحـضُّ عـلى قبـول الاعتـذار في جميـع الأحـوال، سـواء كان صادقًـا أو كاذبًـا، محقًّـا أو مبطـلًا.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عفّوا عن نساء الناس تعفّ نساؤكم، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم ومن أتاه أخوه متنصلًا فليقبل منه ذلك محقًّا كان أو مبطلًا، فإن لم يفعل لم يَرِد على الحوض» رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد. ورواه الطبراني عن عائشة وفيه: «**ومن اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل عذره لم يَرِد عليّ الحوض**» ورواه أبو داود وابن ماجة عن جودان رضي الله عنه ولفظه: «**من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل منه كان عليه ما على صاحب مكس**» وصاحب المكس الذي أخذ الأموال بغير حق.

فهكذا أيها الزوج الكريم: كن عفوًا مع الزوجة التي قد يقع منها ما يجعلها تقبل عليك وتحرص على مودتك وتعتذر إليك، ونصيحتي لك أيها الكريم: افتح لها بابًا للاعتذار، ولا تلجئها لذلك إلجاءً بتعنتك معها ومخاصمتها وغير ذلك من الأساليب، والعم أن المرأة بصفة عامة، إلا من رحم ربي، لديها مقدرة كبيرة على العناد والصبر عليه، كما لديها عزة أحيانًا تأخذها إلى خراب البيوت.

فكن راعيًا ومسؤولًا ورحيمًا وعفوًا كريمًا، وسوف تجد إن شاء الله العون منه، بل ستجد هذه المخلوقة العنيدة المتشددة المتعززة، بمجرد قليل من اللين والمسامحة، قد عادت سهلة معتذرة منكسرة مُتَطامِنَةَ لك طائعة لكل أمرك، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**طوبى لمن جعله الله مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر**» وأعيد وأذكر يا أخي الزوج بأن لا تعاتبها عما تعتذر عنه، واقبل عذرها، بل أنصح لك: مهما كان الخطأ أن تنسى كل ما يتصل به وكأنه لم يكن، فقد تقبل العذر مؤقتًا ثم تذكره أو تؤاخذ به في وقت آخر، وبهذا لا تكون قد قبلت العذر، بل أجلت المؤاخذة عليه لوقت لاحق، وقد يحتاج ذلك منك إلى صبر وحلم، ولكن عواقب ذلك أفضل كما قال الشاعر:

ولا تقطع أخًا لك عند ذنب　　فإن الذنب يغفره الكريم
ولكن داوِ عَوْرته برَقْع　　كما قد يرقع الخَلِقُ القديم
ولا تجزع لريب الدهر واصبر　　فإن الصبر في العقبى سليم

***

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر أو قال: غيره**» رواه مسلم ومعنى لا يفرك: أي لا يبغض.

قال الإمام النووي في شرح الحديث: هذا نهي، أي ينبغي ألا يبغضها، لأنه إن وجد فيها خلقًا يكرهه فيها خلقًا مرضيًّا، بأن تكون شرسة الخلق لكنها دينة أو جميلة أو عفيفة أو رفيقة به أو نحو ذلك. فيا أيها الزوج العزيز: من مِن الناس تصفو مشاربه؟ ومَن من الناس اكتملت فيه شمائله؟ وأنا وأنت ومعظم الناس إن لم يكن كلهم، فينا ما يحبه الآخرون، وفينا ما يكرهون!! وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**» رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم، فهي قضية كلية لم يُستثنَ منها أحد من بني آدم. فلم يكره الزوج زوجته لما فيه هو مثله؟! والنصيحة المطلوبة عندما نجد ما يدعونا، أو يوصلنا إلى بغض الزوجة، أن نتذكر لها الصفات والفعال الجميلة، والأوقات الحلوة السعيدة التي عشناها، حتى ندحر الشيطان الذي لا يذكرنا إلا بالسوء وما يوصل إلى القطيعة والبغضاء، وإلا يا أخي الزوج لأوقعنا الشيطان في العمل الذي لا يجب من النساء وهو «**كفران العشير**» أي نسيان كل خير سبق من الزوج العشير.

* **أيها الزوج العاقل:** إن النبي صلى الله عليه وسلم نصحنا كأزواج بما يحب لنا وبما يحب ربنا منا وبما يصلحنا وبما نغلب به عدونا الشيطان. ومن ذلك ما وصف لنا من طبائع خلقة المرأة ودخيلتها حتى نكون أولًا على بينة من أمرها، وحتى لا نظلمها ونطلب منها أو نتوقع ما هو فوق قدرتها وغير طبيعتها فقال صلى الله عليه وسلم: «**استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء**» رواه البخاري ومسلم. أي تواصوا أيها الرجال في

حق النساء بالخير، وذلك لضعفهن واحتياجهن إلى الصبر عليهن والرفق والإحسان إليهن، لأنها خلقت من ضلع أعوج، فهو تعليل لما قبله، ولذلك أعاد نفس الوصية في نهاية كلامه -فطلب صلى الله عليه وسلم أن نُخالقها بأخلاقها المعروفة، لأن عذرها لا يفارقها لأنه أصل في خلقتها، فإن رأيت منها عوجًا في بعض الأوقات أو في بعض الحالات، فتجاوز الموقف واعْبُرْ هذا العوج حتى لا ينكسر فلا يُجبر، لأن كسره طلاقها، ولا مطمع في استقامة العوج، فإما كسره وإما لم يزل أعوج. فالطريقة المثلى نأخذها أيها الزوج العاقل من الحريص علينا وهو سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم، فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن المرأة خلقت من ضلع فإن أقمتها كسرتها، فدارِها تعش بها**» رواه ابن حبان في صحيحه. نعم دارها تعش بها، ولا سبيل لك غير هذا، المداراة، لفظ جميل وسلوك حميد ووصية غالية، وما أنفع قول العامة في هذا الموطن (طَنّش) ومن نافلة القول أن نذكر أن ذلك لا يكون في معصية شرعية.

* أيها الزوج الحريص على السعادة: لا يعني ذلك كله أن الحياة مع النساء -وهذه طبيعتهن- ليست سهلة أو ممكنة بلا متاعب، فكما رأيت من أخبار السماء عنهن أن تلك طبيعة فيهنَّ جميعًا، ومع ذلك فكم من السعادة وراحة البال وطيب العيش كان ويكون مع المرأة، لو أُحسن التفاهم والتعقّل معهن، فلا يمنع هذا الوصف لهن من التمتع بهن ومعهن كما صرح بذلك نفس الحديث في رواية الإمام مسلم «**إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقه، فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها**» فهي بالفطرة فيها هذا العوج الذي لن يستقيم لك حسب الطريقة التي تراها أنت، فاستمتع بها مع هذا العوج، واقبل ذلك منها، فإن طمعت في إقامتها على غير فطرتها كان الطلاق، فإن طمعت في غيرها واستبدالها بأخرى، فسوف تجد أنها أيضًا بطبع المرأة، وهكذا فاقبل الأمر لأنها سنة الله تعالى التي لا تتحول ولا تتغير.

* ولعل هذا العوج يا أخي الزوج هو المعنى في قول النبي صلى الله عليه وسلم:

«**إنهن ناقصات عقل ودين**»، ولا يسرع إلى فؤادك أن نقصان العقل والدين يشبه ما نعلمه عن نقصان العقل عند الرجل وكذلك نقصان الدين، فقد جاء في تفسير العقل والدين ونقصانهما الحديث، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة جَزْلَةٌ: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لبٍّ منكن. قالت: يا رسول وما نقصان العقل والدين؟ قال: أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي، وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين» رواه البخاري ومسلم، وهذه رواية مسلم.

وذكر الإمام النووي في شرح الحديث أن الطاعات تُسمى إيمانًا ودينًا، وأن ترك الطاعات قد يكون على وجه هو مكلف به كترك الحائض الصلاة والصوم، وهل تثاب على هذا الترك زمن الحيض، كما يثاب المريض ويكتب له في مرضه ما كان يفعله في صحته؟ ففيه بحوث للفقهاء.

وقال الإمام المازري: قوله صلى الله عليه وسلم أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، تنبيه منه صلى الله عليه وسلم على ما وراءه، وهو ما نبه الله تعالى في كتابه بقوله تعالى: {أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى} أي أنهن قليلات الضبط في أداء الشهادة.

* ولقد خلق الله تعالى المرأة وخلق الرجل وبحكمة بالغة {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى}، {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} فالرجل مؤهل بخلقته للدور الذي خُلق له، وكذلك المرأة، فالقوة والصبر على المعاناة لكسب العيش ومحاربة الرجال، لا يقوى عليه إلا الرجال، والحنان ووفُور العاطفة والصبر على مهام الأولاد والأزواج ورعايتهم بالخدمة والتنشئة لا يؤديه إلا النساء والاستثناء في كل ذلك وارد للحاجة والضرورة لذلك كان وفور العاطفة الشفقة والرحمة ميزة المرأة وحلية طبعها وبه تُمدح ولا تذم، وذلك عندها هو سبب

قلـة الضبـط في الشـهادة الـذي هـو نقـص عقلهـا، ولا دخـل لهـذا في قـوة ذكائهـا وإدراكهـا وعلمهـا وفهمهـا.

بـل قـد تكـون بعـض النسـاء أعقـل مـن بعـض الرجـال، وقـد تكـون الأنثـى أكـرم عنـد اللـه لتقواهـا مـن الذكـر، فاختـلاف الطبائـع لحكمـة بالغـة وهـو الكـمال في الخَلـق.

وبهذه المناسبة أذكر أن أحد الزملاء ذكر لي واقعة تستحق الذكر:

قـال: جلسـت يومًـا مـع ابنـي الرضيـع وحتـى تحـضر زوجتـي مـن مهمـة اضطرتهـا للخـروج وتـرك طفلهـا في رعايتـي، قـال: وكنـت في البدايـة سـعيدًا بمـرح الطفـل وملاعبتـه، ولكـن سرعـان مـا تغـير الوضـع عندمـا بـدأ الطفـل يبـكي ثـم يـصرخ ثـم يشـتد صراخـه، فأخـرج إلى البلكونـة، وأنظـر مسـتعجلًا حضـور الزوجـة، ثـم أرجـع للطفـل وأضـع يـدي فـإذا البلـل مـن بولـه وبـرازه، وحاولـت أن -أغـير- لـه الملابـس، وبعـد جهـد اسـتطعت ذلـك، إلا أنـه لم ينقطـع بـكاؤه، وطالـت الدقائـق التـي تأخـرت فيهـا الزوجـة، وفوجئـت بعـد قليـل بإعـادة الطفـل -عملتـه- ويشـعر بالبلـل، وأشـعر أنـا بالإحبـاط الشـديد حتـى كـدت أن أبـكي، وحـضرت الزوجـة وتشـهدت، وفي لحظـات سـكت الطفـل وكأن معهـا السـحر.

وقلـت أنـا في نفسي: مـن أجـل ذلـك تبـكي الموظفـات عندمـا يصعـب عليهـن الموقـف في الشركـة التـي أعمـل فيهـا، كـما كاد صاحبـي هـذا يبـكي عندمـا وُضـع في مـكان المـرأة. إن المـرأة بفطرتهـا فيهـا مميـزات الإدارة والتنفيـذ في مملكتهـا وشـؤون بيتهـا، وقيمتهـا ودورهـا في تكميـل وتجميـل الحيـاة، بإعطـاء الأولاد زاد الجسـم والنفـس مـا تسـتمر بـه الحيـاة، وبسـدّها الخلـل والنقـص في وجـدان وعواطـف الرجـل الـذي يعـود لبيتـه ليسـتروح ويسـتعيد رباطـة جأشـه وهـدوء نفسـه مـن أمّـه أو زوجـه أو أختـه التـي حباهـن اللـه هـذه الوفـرة مـن العواطـف والحنـان والرحمـة التـي قـد تقلـل مـن قدرتهـا عـلى الضبـط وإتقـان الشـهادة عنـد أدائهـا وهـو مـا أطلـق عليـه «نقصـان عقلهـا» وأذكـر حديثًـا دار بينـي وبـين إحـدى الفضليـات من النسـاء حـول شـهادة المرأة ولمـاذا هـي عـلى النصـف مـن شـهادة الرجـل. وكنـت أعلـم حبهـا الشـديد للتحـلي بالذهـب، فقلـت لهـا: لـو أن سـارقًا سرق منـك الذهـب الـذي تملكينـه هـل تبلغـين عنـه؟ قالـت: طبعًـا. فقلـت لهـا: وتشـهدين عليـه بذلـك؟ قالـت: نعـم، وهـل في ذلـك شـك!! فقلـت لهـا: إذن بنـاءً

عـلى ذلـك سـوف تقطـع يـده!! فقالـت بارتيـاع: (لأ، حـرام) فقلـت لهـا: صـدق اللـه ورسـوله، لذلـك كان الرجـال أهـلًا للقضـاء والحكـم والإمـارة دون النسـاء، ولا ينقـص ذلـك مـن قدر النسـاء ولا مـن دورهـن في الحيـاة، وقـال عـلي بـن أبي طالـب رضي اللـه عنـه: قيمـة كل امـرئ مـا يحسـن مـن عمـل. وأختـم بحديـث لرسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال فيـه: «**أنـا الشـاهد عـلى اللـه أن لا يَعْـثر عاقـل إلا رفعـه اللـه حتـى يجعـل مصـيره الجنـة**» رواه الطـبراني، إسـناده حسـن.

***

٦ الفصل السادس

الصبر على بلوى الغيرة وعند حالات الغضب يُسيّر سفن السعادة بغير توقّف ولا عطب

* الغيرة فطرة ومبدؤها فكرة مثل جرثومة المرض، وجراثيم الغيرة: الشك وسوء الظن، ونقص الثقة، وفتور العلاقة، والانشغال عن الزوج، وكثرة الإعجاب بالآخرين، والتغيب الكثير عن البيت.

* الغيرة تلتهم العواطف وتحرقها، وتذهب بالنوم والراحة، والعقل، وتعرّض لقالة السوء في غير حالات الريبة، وتفسد ما بين المحبين، والظن أكذب الحديث.

* الرعاية للزوج بألطف السلوك ومجاملات القلوب وتعاهد النفوس ومراعاة الخاطر، تزرع الثقة وتُنقي القلوب من الدّخن والدَّغل وتمنع علائق الظن بالمحبوب.

* الغضب جذوة من نار الشيطان تُنضج الحقد والحسد والانتقام، ولا يطفئه مثل السكوت أو لطيف الكلام، ويزيد اشتعاله الجدل والتَّلاوم ولجج الخصام.

* الغضب تتعدّى ناره إلى القلوب، وتنتشر أضراره فتنهدم البيوت، ومحاصرة النار وإطفاؤها واجب يدرك بالعقول. وصبر ساعة يمنع كدر السنين.

* بعد الغضب يُترك العتب عليه والحساب، فإعادة الكلام عنه تعيد أسبابه بأكبر مما كان، وتثمر العناد وتستمر به الأنكاد.

لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك

* أوصى عبد الله بن جعفر أحد بنيه فقال: إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق. نعم فالقصد القصد تبلغوا، فالاعتدال في كل أمر مرغوب ومحمود عواقبه، والاسترسال مع الغيرة يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، وكما قال الشاعر:

أذن الفتى في قلبه حينًا وحينًا في نُهَاه

فلو أصغى الإنسان لهواجس النفس ونزغات الشيطان وألقياته لأصبح عيشه مرًّا وتنغصت عليه حياته. ومع هذا لا ينبغي أن نُهمل مبادئ الأمور الموصلة إلى الوقوعِ في أي خطأ، ونتسامح في بعض المواقف والتصرفات حتى يُرْمى الأبعد بوصف الدَّيوث الذي لا يبالي بمن يدخل على أهله. فالحذر واجب من كلا الطرفين، فلا نبالغ في الغيرة والتتبع حتى نفسد حالنا وحال من نعاشره، ولا نتساهل فيما يُخالف الشرع والعرف المرعي.

* روى جابر بن عتيك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن من الغيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما يبغضه الله تعالى، فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الرّيبة، والغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة**» فالاعتدال في الغيرة هو أن لا يتغافل عن مبادئ الأمور التي تُخشى غوائلها، ولا يبالغ في إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن. فالغيرة لا بد منها، ولكن منها المحمود ومنها المذموم الذي يبغضه الله تعالى، والحديث يدلنا على أن الغيرة المحمودة والتي يحبها الله من عباده هي عندما تكون هناك أسباب مريبة تدعونا لأخذ موقف، وأما أن نغار من غير أسباب مريبة وظاهرة بنفسها، فهذا من أُلْقيات الشيطان في النفس ليفسد على المؤمنين حياتهم، لأن الغيرة إذا تمكنت من النفس نغصت كل عيش وكدرت صفو الوقت والنفس، وهذه هي صورة الذي يغار:

ويسير في الأرض الأغَنّ فلا ترى   عيناه غير الشوك في أرجائه
إنْ نام لم ترقد هواجس روحه   وإذا استفاق رأيتَه كالتَّائه
كالنار يلتهم العواطف عقلهُ   فيميتها ويموت في صحرائه

والغـيرة المعتدلـة تحبهـا الزوجـة منـك لأنهـا دليـل عندهـا عـلى اهتمامـك بهـا ومزيـد حبـك لهـا وعنـوان الرجولـة التـي تقدّرهـا المـرأة، أمـا إن زادت عـن الحـد المطلـوب، وكانـت بـلا سـبب مريـب فـإن المـرأة تتوتـر حياتهـا ويزيـد قلقهـا وخوفهـا منـك ومـن عواقـب الغـيرة، بـل قـد تُرمـى بالسـوء بسـبب المبالغـة في الغـيرة، فعـن عـلي بـن أبي طالـب رضي اللـه عنـه قـال: (لا تكـثر الغـير عـلى أهلـك فَترمـى بالسـوء مـن أجلـك) فصيانـة كل مـا يُخـدش الـشرف أن يَمتهـن الكرامـة ويعـرّض السـمعة لقالـة السـوء مـن الغـيرة التـي يحبهـا اللـه.

أمـا زيـادة التتبـع والبحـث عـمّا كُتِـم عنـك فهـو مـن التجسـس المنهـي عنـه، بـل هـو تنطـع وقـد قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**هلـك المتنطعـون**» رواه مسـلم، كـما قـال معاويـة رضي اللـه عنـه قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**إنـك إن اتبعـت عـورات النـاس أفسـدت أو كـدت تفسـدهم**» رواه أبـو داود بإسـناد صحيـح. وعـن ثوبـان رضي اللـه عنـه عـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «لا تـؤذوا عبـاد اللـه ولا تُعيّروهـم ولا تطلبـوا عوراتهـم فإنـه مَـن تطلَّـب عـورة المسـلم طلـب اللـه عورتـه حتـى يفضحـه في بيتـه» رواه أحمـد ورجالـه رجـال الصحيـح.

* أيهـا الـزوج الحريـص: دعنـا ننظـر سـويًّا في الأسـباب التـي تـؤدي إلى الغـيرة، وأعتقـد أن نقـص الثقـة أو انعدامهـا، سـواء في الإنسـان أو في الطـرف الآخـر هـو العامـل القـوي في إشـعال الغـيرة وانبعاثهـا في النفـس، وتخلّـف هـذه الثقـة بـين الطرفـين تـؤدي هـي الأخـرى إلى العامـل المؤثـر في الغـيرة وهـو إسـاءة الظـن، وهنـاك عوامـل هامشـية أو غـير مبـاشرة مثـل إبـداء الإعجـاب بالآخريـن، أو فتـور العلاقـة الفجائيـة دون أسـباب معروفـة، أو التغيـب عـن المنـزل عـلى غـير المعتـاد، أو الارتبـاط بعلاقـات عمـل أو غـيره يوجـد فيـه الجنـس الآخـر، أو وجـود مظاهـر ارتبـاط في بعـض المواقـف يرتبـط تفسـيرها بوجـود الجنـس الآخـر، وغـير ذلـك مـن الأسـباب التـي لـو أُهملـت رغـم هامشـيتها لتضخمـت وأشـعلت الغـيرة.

***

إذا ظننت فلا تتحقق

* أخي الزوج الحصيف: إن الثقة التي انعقدت بينكما كانت نتيجة الحب الصادق الذي أقنع كل منكما بحب الآخر له، وهذه المحبة لها مظاهرها وثمارها وعلامات صدقها، فإذا اختفت أو نقصت هذه المظاهر وتلك العلاقات تخلخلت عقدةُ الثقة، وقد تنحل وتُفْقد كل الثقة، وبالتالي تبدأ هواجس الغيرة تحتل الفراغ في النفس بمجرد انسلاب الثقة. لذلك يحتاج الرجل الحريص أن يهيئ الأسباب المقنعة للزوجة بحبه لها الدائم والصادق، ومن ناحية أخرى لا يسلك السلوك الذي يُساء الظن فيه من قبل الزوجة. وهذا فيما يؤكد ثقة الزوجة فيه هو، أما ما يؤكد ثقة الزوج في زوجته، فأول ذلك عدم إساءة الظن فيها وقطع وسواس الشيطان أولًا بأول، بمصارحة الزوجة بأسباب ظنونه إذا كانت واقعية وليست مجرد خواطر نفسية، وعدم تأويل تصرفاتها دائمًا على النحو الذي يؤكد سوء الظن، وألا يضخم بعض الأمور التي تقع عفويًّا حتى لو كانت دليلًا على ظنه، لأن كل إنسان تقع منه الهفوات ثم يعود لمعدنه واستقامته، وقد وصف الله تعالى المتقين بهفوة الشيطان لهم ثم يسارعون للتقوى فقال عز مِنْ قائل: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} [الأعراف: ٢٠١] وقال صلى الله عليه وسلم: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**» رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. فيجب أن يضع الإنسان الأمر على أحسنه حتى يجيئه ما يغلبه عليه، وخاصة مع مَنْ يحب ويعاشر، فكم من دواهي وقعت بين زوجين ولم يكن ما انبنت عليه له أصل ولكن أوقعها سوء الظن أو حمل الحوادث غير ما تحتمل. والمبدأ الإسلامي السابق الذي جعل الظن أكذب الحديث. وكما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} [الحجرات: ١٢] ولذلك نصح النبي صلى الله عليه وسلم الآمة إذا أوقع الشيطان أحدهم في الظن ألا يحققه ويتتبع ميادينه، ويقطع الأمر بتركه،

فعن حارثة بن النعمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ثلاثٌ لازمات أمتي: الطيرة والحسد وسوء الظن**». فقال رجل: ما يذهبهن يا رسول الله؟ ممن هن فيه؟ قال: «**إذا حسدت فاستغفر الله، وإذا ظننت فلا تتحقق، وإذا تطيرت فامضِ**» رواه الطبراني، وخاصة إذا بلغك عنها شيئًا فلا تتغير من ناحيتها حتى يجيئك اليقين، فأوَّل حق لها عليك ألا تحكم عليها إلا ببينة، وقد قال عمر بن عبد العزيز لقاضيه: من جاءك وإحدى عينيه على يده فلا تقضِ له، فربما جاءك خصمه وعيناه على يده.

***

.. ولا شخص أغير من الله

* عـن جابـر رضي اللـه عنـه قـال: «نهـى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أن تتطلـب عـثرات النسـاء» رواه الطـبراني في الأوسـط، وعنـه رضي اللـه قـال: «**نهـى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أن يطـرق الرجـل أهلـه ليـلًا يخوِّنهـم أو يطلـب عثراتهـم**» رواه مسـلم، وهو عنـد البخاري مقتـصرًا عـلى عـدم الطـروق ليـلًا. ومعنـى يطـرق أي يقـدم عـلى أهلـه ليـلًا، وكان مـن هـدي النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم إذا قـدم بأصحابـه مـن سـفر أن ينـزل بهـم عـلى مقربـة مـن المدينـة ويرسـل مـن يخـبر بقدومهـم، وبـين سـببًا آخـر خـلاف مـا ذكـر هنـا، وهـو أن تمتشـط الشـعثة وتسـتحد المعينـة، أي تصلـح النسـاء مـن شـؤونهن اسـتعدادًا لاسـتقبال أزواجهـن بعـد غيـاب. وقـد روى عبـد اللـه بـن عمـر رضي اللـه عنهـما «**أن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم كان في غـزوٍ فقـال قبـل دخولهـم المدينـة: لا تطرقـوا أهلكـم ليـلًا، قـال: فخالفـه رجـلان فسـعيا إلى منزلهـما، فـرأى كل واحـد في بيتـه مـا يكـره**» رواه أحمـد بسـند جيـد. ومـا أجمـل توجيـه النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم في قولـه: «**يـد اللـه عـلى الشريكـين مـا لم يتخاونـا، فـإذا تخاونـا رفـع يـده عنهـما**» رواه أبـو داود والحاكـم وهـو صحيـح الإسـناد.

* **أخـي الـزوج العاقـل:** لقـد جاءتـك زوجتـك بخاتـم الفطـرة ودليـل العفـة، بكـرًا بخاتمهـا، ولم تكـن قبـل أن تتزوجهـا عليهـا رقيـب بعـد اللـه إلا ضميرهـا وطهرهـا وحسـن خلقهـا، وكانـت بغـير زوج وهـي في شـبابها وقوتهـا، فمنـا الـذي يجعـل الوسـواس والغـيرة تتطـرق إلى مثلهـا وقـد أعففتهـا وأحببتهـا وأخلصـت لهـا؟ إن المـرأة إذا أحبـت أخلصـت، وإذا أخلصـت وفـت لمـن تحـب. ولذلـك تكتفـي بحكـم فطرتهـا وبـشرع اللـه تعـالى بـزوج واحـد، ومـن أجـل ذلـك أقـول لمـن تـزداد غيرتـه أو يتشـكك في زوجتـه: اتهـم نفسـك وإخلاصـك وثقتـك في نفسـك أولًا، فقـد كان عمـر رضي اللـه عنـه يقـول: إني أرى أثـر ذنبـي في خلـق زوجتـي وخادمـي. وقـال ابـن المبـارك: مـن أعطـى أسـباب الفتنـة مـن نفسـه أولًا، لم ينـج منهـا وإن جاهـد.

* عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح عنه. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**أتعجبون من غيرة سعد؟ فو الله لأنا أغْيَر منه والله أغير مني، من أجل غيرة الله حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شخص أغير من الله، ولا شخص أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين، ولا شخص أحب إليه المدحة من الله، من أجل ذلك وعد الله الجنة**» رواه مسلم، قال النووي: العذر هنا بمعنى الإعذار والإنذار قبل أخذهم بالعقوبة ولهذا بعث المرسلين.

وأقول: الغيرة هنا هي التي يحبها الله تعالى إذا كانت هناك ريبة، وليست الغيرة في غير ريبة والتي يبغضها الله، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كثر على مارية القبطية في قبطي ابن عم لها كان يزورها ويختلف إليها، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ هذا السيف فانطلق فإن وجدته عندها فاقتله. قال: قلت يا رسول الله أكون في أمرك إذا أرسلتني كالسكة المحماة لا يثنيني شيء حتى أمضي لما أمرتني به؟ أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ قال: بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. فأقبلت متوشحًا السيف فوجدته عندها فاخترطت السيف، فلما رآني أقبلت نحوه عرف أني أريد فأتى نخلة فرقي ثم رمى بنفسه على قفاه ثم شغر برجله -أي رفعها- فإذا هو أجب أمسح ما له قليل ولا كثير، فغمدت السيف ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال: «**الحمد لله الذي يصرف عنا أهل البيت**» رواه البزار وأخرجه الضياء في أحاديثه المختارة على الصحيح.

***

* أن يحب الرجل زوجته ويعلمها بذلك، لا يكفي لأن تكتمل الثقة عندها، ولكن لا بد من إبداء الرغبة الدائمة فيها وأنها مرغوبة في كل الظروف، خاصة أوقات حيضاتها المتكررة والتي تعتريها فيها أحوال نفسية وضعف جسدي، وهذا ما نبه عليه النبي صلى الله عليه وسلم بهديه العملي مع زوجاته رضي الله عنهن، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع فيَّ فيشرب**» رواه مسلم، وعنها رضي الله عنها أنها قالت: «**كان رسول صلى الله عليه وسلم يتكئ في حجري وأنا حائض فيقرأ القرآن**» رواه مسلم، وعنها أيضًا رضي الله عنها قالت: «كان النبي إذا اعتكف يُدني إليّ رأسه فأرجله، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان» رواه مسلم، وترجيل الشعر تسريحه.

* أخي الزوج: هل تظن أن رجلًا يفعل مثل هذا مع زوجته يداخلها شك في حبه لها ورغبته فيها؟ وهل يبقى لشيطانها مجال لإشعال الغيرة عندها على زوجها؟ فإذا وثقت من حب زوجها لها أخلصت له واكتفت بحظها منه، وبالتالي وثق زوجها فيها ولم يعد شيطانه هو الآخر يداخله بشك أو غيرة: وأحب أن ألفت النظر إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك وسنُّه حوالي الستين من عمره الشريف، وأن صيغة الرواية عن عائشة رضي الله عنها تشير إلى أن ذلك كان سلوكًا معتادًا وليست واقعة حدثت ولم تتكرر، فما أجمل وأهنأ العيش بين زوجين يحرص كل منهما على إظهار حبّه للآخر في أنماط سلوكية راقية ومعبرة بصدق عن المودة والرحمة والرغبة والمجاملة الممزوجة بالوقار العاطفي، ويا سعد وهناك من يقتدي بالصادقين الصالحين .. في حبهم وسلوكهم مع أهلهم.

***

الزّواج بأخرى .. جدُّه جدّ وهزله جدّ

* **أيها الـزوج الـوفي:** مـن نُبْـل المعاملـة، الحـرص عـلى مشـاعر مـن تعـاشره، فـلا تحرجـه أو تؤذيـه بكلمـة أو تـصرف لا يليـق أو يخـدش الأحاسـيس، ومـن أهـم هـذه الأمـور بالنسـبة لأي امـرأة، وخاصـة الزوجـة، ذكـر محاسـن امـرأة أخـرى، حتـى ولـو كانـت أم الـزوج أو كانـت التـي تمـدح ميتـة، قالـت عائشـة رضي اللـه عنهـا: «**كان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم إذا ذكـر خديجـة أثنـى فأحسـن الثنـاء، قالـت: فغـرت يومًـا فقلـت: مـا أكـثر مـا تذكـر حمـراء الشّـدْقَيْن قـد أبدلـك اللـه خـيراً منهـا. قـال مـا أبدلنـي اللـه خـيراً منهـا، قـد آمنـت بي إذْ كفـر النـاس، وصدَّقتنـي إذْ كذبنـي النـاس، وواسـتني بمالهـا إذ حرمنـي النـاس، ورزقنـي اللـه أولادهـا وحرمني أولاد النـاس**» رواه أحمـد وإسـناده حسـن. ومعنـى حمـراء الشـدقين أي عجـوز.

* **أيهـا الـزوج العاقـل:** إيـاك ثـم إيـاك، بـل أرجـوك، لا تذكـر أمـام زوجتـك موضـوع الـزواج بأخـرى ولـو كنـت مازحًـا، فهـذه المسـألة أصبحـت عقـدة عنـد نسـاء هـذا العـصر، فزوجتـك لا تنـسى لـك أبـدًا أنـك ترغـب في الـزواج مـن غيرهـا، ومزاحـك في هـذا الموضـوع جـدُّه جـدّ وهزلـه جـد عندهـا، وسـوف تفـسر كل موقـف وحركـة ونظـرة عـلى أنـك لم تعـد تكتفـي بهـا، وأنـك سـوف تتـزوج لا محالـة. وإذا ذكـر أمامـك أحـد أنـه تـزوج بأخـرى فـلا تُظهـر موافقتـك أو تأييـدك لـه. وإذا سـألتك زوجتـك عمـن سـوف تتزوجهـا إن ماتـت هـي، وغالبًـا كل زوجـة تحـرص عـلى هـذا السـؤال، فـلا تخبرهـا أنـك سـتفعل ذلـك، والحـذر كل الحـذر أن تسـمي لهـا امـرأة في هـذا الشـأن. كـما أنصحـك ألا تتحـدث أمـام زوجتـك عـن موضوعـات أو مشـاكل لزميـلات لـك في العمـل حتـى لـو كانـت هـي السـائلة عـن ذلـك، فسـؤالها لـك عـن ذلـك لـه معنـى خـاص عندهـا لتتوصـل لقصدهـا.

واعلـم أن زوجتـك تكـون شـديدة الملاحظـة لـك وبـذكاء فطـري عنـد وجـود امـرأة أخـرى معـك أو حتـى أثنـاء السـير معهـا في الطريـق، بـل عنـد مشـاهدة الصـور في المجـلات أو مشـاهدة التليفزيـون.

* مـن المسائل التـي يتفـق عليهـا الجميـع أن المـرأة تخـاف كـبر السـن، ولا تحـب أن يقـال لهـا إنهـا عجـوز أو فقـدت شـبابها، بـل تحـرص أن تبـدو أصغـر مـن عمرهـا الحقيقـي دائمًـا، والـزوج العاقـل يعطـي هـذا الإحسـاس لزوجتـه ليريحهـا مـن عنـاء مقاومـة الزمـن، أو ليخفـف مـن غَلْـواء غيرتهـا عليـه. ومـن نـادر مـا يُحـكى في ذلـك مـا رواه سـيدنا أنـس بـن مالـك خـادم النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم مـع أمـه أم سـليم رضي اللـه عنهـا وهـي مـن العاقـلات مـن النسـاء الصحابيـات، وكان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يكرمهـا ويقيـل في بيتهـا. يقـول أنـس رضي اللـه عنـه: دخلـت دار أبي طلحـة -زوج أم سـليم- وهـو مغلـق البـاب عـلى أم سـليم وهـو يضربهـا، وهـي أم أنـس بـن مالـك، يقـول: فناديـت مـن وراء البـاب: مـا تريـد إلى هـذه العجـوز تضربهـا؟ فنادتنـي مـن وراء البـاب فقالـت لي: تقـول العجـوز!! عَجَّـزَ اللـه رُكَبَـك. رواه الطـبراني.

***

لا تغضب .. ولك الجنة

* يقول الإمام الغزالي في الإحياء: قوة الغضب محلها القلب، ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام. وإنما تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها وإلى التَّشفّي والانتقام بعد وقوعها. فالانتقام قُوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذاتها ولا تسكن إلا به، ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة، فإذا وُعظ لم يسمع بل زاد غضبه. ومن آثار الغضب في الظاهر، تغير اللون، وشدة الرعدة في الأطراف، وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام، واضطراب الحركة والكلام، وحتى يظهر الزبد على الأشداق وتحمر الأحداق، وتستحيل الخلقة، وقُبْح الباطن في هذه الحال أقبح من قبح الظاهر. وأثره في الكلام الشتم، وفي الأعضاء الضرب والكسر، وفي القلب الحقد والحسد وإضمار السوء.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه «**أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني قال: لا تغضب فردد مرارًا قال: لا تغضب**» رواه البخاري. وعن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**قال رجل: يا رسول الله أوصني قال: لا تغضب. قال: ففكرت حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله**» رواه أحمد. وعن ابن عمر رضي الله عنهما «**أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: ما يباعدني من غضب الله عز وجل؟ قال: لا تغضب**» رواه أحمد وابن حبان في صحيحه. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «**قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يُدخلني الجنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تغضب ولك الجنة**» رواه الطبراني بإسنادين أحدهما صحيح.

* **هكذا يا أخي الزوج:** الغضب نار يغلي منه دم القلب لا تُحمد عواقبه، لذلك فهو يجمع خصال الشر كلها، فمن ملك نفسه عند الغضب نجا من الشر ومن غضب الله عز وجل، وما أكثر حرص هذا الصحابي وهو يُصر على استخراج الوصية النافعة من علم النبي صلى

اللـه عليـه وسـلم فـلا يجـد إلا النصيحـة المتكـررة: لا تغضـب. فهـلا أخـذت بتلـك النصيحـة لتغنـم خـيري الدينـا والآخـرة. فتبعـد عـن غضـب الجبـار، وتنعـم مـع أهلـك في هـذه الـدار.

* **أخـي الـزوج:** مـن تمـام الخلقـة أن مـن اسـتُغضب يغضـب، ولكـن كظـم الغيـظ والعفـو هـو كـمال الخلـق الـذي ندبنـا إليـه وفطرتنـا تطاوعنـا عليـه إن اسـتعنا باللـه ونفذنـا شرعـه. والنـاس متفاوتـون في القـدرة عـلى ذلـك، فالأخـلاق أرزاق ومواهـب وقسـمة بـين بنـي آدم، فعـن أبي سـعيد الخـدري رضي اللـه عنـه قـال: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**ألا إن بنـي آدم خلقـوا عـلى طبقـات، ألا وإن منهـم بطـيء الغضـب سريـع الفـيء، ومنهـم سريـع الغضـب بطـيء الفـيء، ألا وإن الغضـب جمـرة في قلـب ابـن آدم أمـا رأيتـم حمـرة عينيـه وانتفـاخ أوداجـه؟ فمـن أحـس بـشيء مـن ذلـك فليلصـق بـالأرض**» رواه الترمـذي وقـال: حديـث حسـن. والـذي قسـم بيننـا أخلاقنـا كـما قسـم بيننـا أرزاقنـا هـو سـبحانه وتعـالى، الـذي أمرنـا بتزكيـة النفـس بالحلـم وكظـم الغيـظ، بـل بالعفـو عمـن ظلمنـا، قـال عـز مـن قائـل: {الَّذِيـنَ يُنْفِقُـونَ فِي الـسَّرَّاءِ وَالـضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِـينَ الْغَيْـظَ وَالْعَافِـينَ عَـنِ النَّـاسِ وَاللَّـهُ يُحِـبُّ الْمُحْسِـنِينَ} [آل عمـران: ١٣٤] فسـمى مـن يفعـل ذلـك محسـنًا وأخـبر أنـه يحبـه لذلـك. وأعظـم البيـان لذلـك مـا ذكـره النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم مـن علامـات الرجولـة والقـوة والفتـوة، فعـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه أن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «**ليـس الشـديد بالصرعـة إنمـا الشـديد الـذي يملـك نفسـه عنـد الغضـب**» رواه البخـاري ومسـلم، ورواه ابـن حبـان في صحيحـه بلفـظ «ليـس الشـديد مـن غلـب النـاس، إنمـا الشـديد مـن غلـب نفسـه» والصُّرَعـة بضـم الصـاد وفتـح الـراء هـو الـذي يـصرع كثـيرًا بقوتـه، وأمـا الصرُعـة بضـم الـراء فهـو الضعيـف الـذي يصرعـه النـاس كلهـم.

* **أخـي الـزوج العاقـل:** الشـيطان عـدو مبـين أوقـف كل قـواه عـلى هلكـة الإنسـان، وهـو مسـلط عـلى كل بنـي آدم، وهـذا معلـوم بالـضرورة، ولكـن الغفلـة عـن عداوتـه والجهـل بطـرق كيـده وشـباك صيـده يـضر المسـلم العاقـل الـذي بـين لـه الـشرع طـرق النجـاة مـن الشـيطان وإبطـال كيـده ودفـع ضرره، وأوسـع أبـواب الشـيطان للنفـس هـو الغضـب، فطالمـا الإنسـان لم يغضـب

تظل أبواب النفس مغلقة أمام الشيطان، وكلما غضب الإنسان سهل للشيطان السيطرة على الإنسان وأصبح مؤديًا ومنفذًا لكل ما يطلبه ويأمر به الشيطان، فعن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: «**استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه وتنتفخ أوداجه، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فقام إلى الرجل رجل ممن سمع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هل تدري ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفًا؟ قال: لا. قال: إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فقال له الرجل: أمجنونًا تراني؟**» رواه البخاري ومسلم.

نعم يا أخي، إن هذا الشيطان وقد تمكن من القلب بعد الغضب لا يدفعه إلا العون من الله القوي، ولكن الذي يصعب الأمر أن الغاضب وقت غضبه يظن أنه يتصرف تصرفًا معقولًا وأنه يسيطر على نفسه، وهذا من غامض كيد الشيطان له، فلذلك قلما يقبل النصح وقت الغضب، فقد روى معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «**استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فغضب أحدهما غضبًا شديدًا حتى خيل لي أن أنفه يتمزع من شدة غضبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد من الغضب فقال: ما هي يا رسول الله؟ قال: تقول: اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم. قال: فجعل معاذ يأمره فأبى وضحك وجعل يزداد غضبًا**» رواه أبو داود والترمذي والنسائي.

* أن يكون الغضب من الشيطان، وأنه جمرة من نار، وكان الشيطان يجري من ابن آدم كما يجري فيه دمه، كما جاء في الحديث، فهذه أمور غيبية نصدق بها بمقتضى الإيمان بالغيب، ولا سبيل للعقل في هذا إلا العلم والاتباع، فإما ألا نغضب ونجاهد النفس، وإما إذا غضبنا نتبع منا جاء به الشرع، ومما جاء به الشرع في ذلك، بجانب الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، أن يتوضأ من أصابه غضب أو أن يلصق نفسه بالأرض كما مر قريبًا في الحديث، أو يجلس إن كان قائمًا، وإلا فليضطجع. فعن أبي ذر الغفاري رضي الله

عنـه أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «**إذا غضـب أحدكـم وهـو قائـم فليجلـس فـإن ذهـب** عنـه الغضـب، وإلا فليضطجـع» رواه أبـو داود وابـن حبـان في صحيحـه. وعـن أبي وائـل قـال: «**دخلنـا عـلى عـروة بـن محمـد السـعدي فكلمـه رجـل فأغضبـه فقـام فتوضـأ، فقـال: حدثنـي أبي عـن جـدي عطيـة رضي اللـه عنـه قـال: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: إن الغضـب مـن الشـيطان وإن الشـيطان خلـق مـن النـار وإنمـا تطفـأ النـار بالمـاء، فـإذا غضـب أحدكـم فليتوضـأ**» رواه أبـو داود. وعـن ابـن عبـاس رضي اللـه عنهـما عـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «**علمـوا ويـسروا ولا تعـسروا وإذا غضـب أحدكـم فليسـكت وإذا غضـب أحدكـم فليسـكت**» رواه أحمـد والطـبراني. وأمـا هـذه القصـة الطريفـة التـي وقعـت لسـيدنا أبي بكـر الصديـق فهـي تبـين لنـا كيـف يتـم العـون مـن اللـه عنـد الغضـب، فعـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه «**أن رجـلًا شـتم أبـا بكـر والنبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم جالـس، فجعـل النبـي يعجبـه ويتبسـم، فلـما أكـثر رد عليـه بعـض قولـه، فغضـب النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم وقـام، فلحقـه أبـو بكـر، فقـال: يـا رسـول اللـه: كان يشـتمني وأنـت جالـس فلـما رددت عليـه بعـض قولـه غضبـت وقمـت؟ قـال: إنـه كان معـك ملـك يـرد عنـك فلـما رددت عليـه بعـض قولـه وقـع الشـيطان فلـم أكـن لأقعـد مـع الشـيطان**» رواه أحمـد والطـبراني وأبـو داود ورجـال أحمـد رجـال الصحيـح.

***

معظم النار من مستصغر الشرر

* **أيها الزوج العزيز:** إذا غضبت زوجتك فقد تملكها شيطانها وأصبحت طائعة له، فماذا أنت فاعل؟ هل تكون عونًا للشيطان عليها؟ وقد تقول: وهل يعقل أن أعين عدوي وعدوها عليها؟ بالتأكيد أنت لا تقصد، ولكن الواقع أننا نفعل ذلك بغفلة منا، إذ نغضب عندما نسمع الزوجة الغاضبة، وقد وقعت في شباك شيطانها وهي تتكلم بما لا تحب أو تفعل ما يغضبنا، وهكذا فنكون قد أعنا الشيطان على الزوجة وأعنا شيطاننا علينا، والنتيجة أن كلا الشيطانين يفرح ويرقص على النار المشتعلة في النفسين، بل في البيت كله، وقد تأتي عليه فتخربه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تكن عونًا للشيطان على أخيك**» رواه البخاري. وأصور تلك الحقيقة في الآتي: إذا غضبت الزوجة فاشتعلت فيها النار، كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الغضب جمرة من نار**»، فالواجب عليك بحكم عقلك ومسؤولياتك أن تطفئ هذه النار، لا تزيدها، تمامًا كما لو رأيت نارًا تمسك في ملابس زوجتك أو بدنها فهل تتباطأ في العمل على إطفاء النار وإنقاذ الزوجة؟ وهل يقبل منك أن تلقي عليها مواد تزيد من اشتعال النار فيها؟ إنك يا أخي إذا لم تسارع في إخماد نار غضبها فأنت مقصر، فما بالك لو فعلت ما يزيد من نار غضبها؟!. ولذلك قال أبو الدرداء رضي الله عنه لزوجته: إذا رأيْتِني غضبت فرضِّني، وإذا رأيتك غضبى رضَّيْتُك. فما أنفع هذه الوصية لو كانت بين كل زوجين.

* واعلم يا أخي أن النار تأكل بعضها بعضًا ثم تنطفئ، إلا إذا مُدَّتْ بطعامها من الوقود فتستمر وتزداد، وكذلك تمامًا نار الغضب، فتطفأ بالماء، والماء الذي يطفئ الغضب وناره هو أن تسترضي المغضب حتى يهدأ ويرضى، وماء الاسترضاء هو الكلمة المقبولة والمطلوبة لهذا الموقف ولو كذبًا. والحذر كل الحذر من الكلمة المثيرة وغير المقبولة وقت الغضب، فالماء سائل مطفئ للنار، والبنزين سائل مشعل للنار، إن سنن الأمور تتطلب ذلك، كما يفعل صاحب السيارة عندما يسخن موتورها، فعليه أن يوقف دورانه ثم يلطف حرارته

بالماء، فإذا عادت حرارة الموتور لمعدلها الطبيعي أداره وحركه وسار بسيارته، إن لم يفعل ذلك احترق الموتور وتعطل هو عن السير وخسر سيارته. والمرأة يا أخي العزيز لما جبلت عليه من وفور العاطفة وتوقد حساسيتها سريعة الاستهواء للغضب، ولكنها لنفس السبب سريعة الاسترضاء عادة، ولذلك قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم: «اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن العشير لو أحسنت إلى إحداهنَّ الدهر ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط» رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما. فهكذا الكفران منها للزوج لا يكون إلا عند الغضب منه –رأت منك شيئًا- وهذا أيها الزوج هو طبع النساء وليست زوجتك فقط، بل هذا منها مع العشير المحسن مدى الدهر، ولكنه الغضب يعمي وينسي، وهذا الخبر النبوي يدعوك فيه إلى الصبر عليهن فإن الصبر لا يستغني عنه حريص، ومَنْ عرف فضل الحياة الزوجية الصافية صبر للزوجة وحلم واحتمل لها لينال الود والرحمة وكل ما يؤمله منها، فَهُنْ لزوجتك ولا تطع الشيطان في أمرها، واستعن بالله فهو الذي يقول: {وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ} وكان نبيًّا.

وقد قيل: من لم يظلم نفسه للناس ويتظالم لهم ويتغافل عنهم لم يسلم منهم، والزوجة أولى بذلك، وقد قالوا ونصحوا: من حقها أن تتجاوز لها عن ثلاث: ظلم الغضب، وظلم الهفوة، وظلم الدالة. ومن النصائح التي سمعتها وحفظتها عن الغضب أيضًا، أن النار في مبدئها تكون ضعيفة يطفؤها قدر قليل من الماء، وقد يطفؤها مجرد النفخ بالفم بقليل الهواء، ولكنها إذا تركت قويت ويزيدها النفخ نفسه اشتعالًا، ومعظم النار من مستصغر الشرر. فبالكلمة الصغيرة التي تخرجها بسهولة من فمك تستطيع في بدايات الغضب أن تطفئ ناره، وقد تكون الكلمة بعد ذلك تزيده اشتعالًا. وقد ضرب لي أحدهم مثالًا رائعًا عن غضب الزوجة بالذات فقال: يعمد أحد الناس عندما ينقطع التيار الكهربائي بالمنزل إلى تغيير جميع اللمبات الكهربية، بل وتغيير التوصيلات ولا يعود الضوء الكهرباء للمنزل، لأنه يجهل العلم بذلك، والأمر في غاية اليسر، المطلوب تغيير ما يسمى –شعرة الفيوز- في دقيقة واحدة وبلا كلفة يعود التيار الكهربائي لمجراه. وكذلك يفعل من عنده علم

بغضب النساء، يسترضي الزوجة المغضبة بكل ما يرضيها كلامًا سهلًا حلوًا يعيدها لخلقها الطبيعي ولا يكلفه عناء الغضب والخصام وما هو أكبر من الخصام، وبذلك يحل النور بدلًا من الظلام، ويعود الوئام، وكما يقول المثل العامي (يا دار ما دخلك شر) ويكون جميلًا منك أن تتفق معها كما فعل الصحابي الجليل أبو الدرداء رضي الله عنه وتخبرها بقول الشاعر:

خذي العفو مني تستديمي مودَّتي ولا تنطقي في سَوْرتي حين أغضب
ولا تنقريني نقرك الدُّفَّ مرَّة فإنك لا تدرين كيف المغَّيب
ولا تكثري الشكوى فتذهب بالقوى ويأباك قلبي والقلوب تقلب
فإني رأيت الحب في القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

* الجدال والمراجعة تورث النفرة والكراهة والإيحاش بين المتحابين، ومعظم الغضب لا يأتي إلا من مجادلة ومراجعة، والصبر على ذلك أيسر من عواقب الغضب. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (كنا معشر قريش قومًا تغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قومًا تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم. قال: وكان منزلي في بني يزيد بالعوالي، فَتَغضّبت يومًا علي امرأتي فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني، فقالت: مما تنكر أن أراجعك، فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل. فانطلقتُ فدخلت على حفصة فقلت لها: أتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: نعم. فقلت: أتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم. قلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هي قد هلكت؟ لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيئًا وسليني ما بدا لك، ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك - يريد عائشة-) رواه البخاري ومسلم، فأي صبر وأي حلم كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وخاصة عمر رضي الله عنه المعروف عنه الشدة، بل هناك ما هو أشد من المراجعة والهجرة، فقد روت عائشة رضي الله عنها (أنها غضبت مرة عند رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقالت له: وأنت الذي تَزْعَم أنك نبي؟! فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئًا) أخرجه أبو يعلي في مسنده وأبو الشيخ في كتاب الأمثال. كما روت رضي الله عنها أنه جرى بينها وبين النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكمًا، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «**تكلمين أو أتكلم؟**» فقالت: بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقًّا، فلطمها أبو بكر حتى دمي فوهها وقال: يا عدوة نفسها، أويقول غير الحق؟ فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «لم ندْعُك لهذا ولا أردنا منك هذا» رواه الطبراني في الأوسط والخطيب البغدادي في التاريخ. وكان عمر رضي الله عنه، رغم شدة غيرته يصبر على زوجته عاتكة بنت زيد رضي الله عنها، فكان إذا خرج إلى الصلاة تبعته، فكان يكره خروجها ويكره منعها، وكان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا استأذنكم نساؤكم إلى الصلاة فلا تمنعوهن**» رواه أحمد في مسنده.

* **أخي الزوج:** من الأخطاء الشائعة أن يحاسب المغضب عما قاله حالة غضبه، ونحن قد عرفنا أن الإنسان في حالة الغضب يكون شيطانه هو المتحكم فيه وهو الذي يمده بما يقول. فالواقع أن الذي يجب أن نحاسبه هو عدونا الشيطان وليس المغضب، وكل ما يمكن ذكره هو التنبيه ألا يضعف مرة أخرى لشيطانه ويحذر منه، والشائع أننا نعيد الشر الذي ألقاه بيننا الشيطان وقت الغضب فيكون ذلك سببًا في إعادة الغضب وجوّه مرة أخرى، وذلك قصد العدو.

* **أخي الزوج:** الذي كان يَرْغي ويَزْبد في حالة الغضب ليست زوجتك وإن جرى على لسانها، إنما هو الشيطان العدو فلا تقع في حبائله مرة أخرى بمحاسبة الزوجة على ما يكون وقت الغضب، فالمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين. فأحكم سفينتك فإن بحر الشيطان عميق.

***

٧ الفصل السابع

باقة من ألوان الأزهار تتزين بها أركان الدار

* الغيرة فطرة ومبدؤها فكرة مثل جرثومة المرض، وجراثيم الغيرة: الشك وسوء الظن، ونقص الثقة، وفتور العلاقة، والانشغال عن الزوج، وكثرة الإعجاب بالآخرين، والتغيب الكثير عن البيت.

* الغيرة تلتهم العواطف وتحرقها، وتذهب بالنوم والراحة، والعقل، وتعرّض لقالة السوء في غير حالات الريبة، وتفسد ما بين المحبين، والظن أكذب الحديث.

* الرعاية للزوج بألطف السلوك ومجاملات القلوب وتعاهد النفوس ومراعاة الخاطر، تزرع الثقة وتُنقي القلوب من الدّخن والدَّغل وتمنع علائق الظن بالمحبوب.

* الغضب جذوة من نار الشيطان تُنضج الحقد والحسد والانتقام، ولا يطفئه مثل السكوت أو لطيف الكلام، ويزيد اشتعاله الجدل والتَّلاوم ولجج الخصام.

* الغضب تتعدّى ناره إلى القلوب، وتنتشر أضراره فتنهدم البيوت، ومحاصرة النار وإطفاؤها واجب يدرك بالعقول. وصبر ساعة يمنع كدر السنين.

* بعد الغضب يُترك العتب عليه والحساب، فإعادة الكلام عنه تعيد أسبابه بأكبر مما كان، وتثمر العناد وتستمر به الأنكاد.

السعادة مطلوبة وممكنة

* الحياة الطيبة ممكنة في ظل فهم صحيح وقصد سليم بين الزوجين الصاحبين بالجنب، والشعار الذي يجب أن يرفرف على البيت المسلم هو: السعادة مطلوبة وممكنة، بشيء من التعقل والصبر والحرص والمداراة. إن الحياة في مجملها قصيرة، ولكنها مثيرة ومشوقة بمواقفها ومفاجآتها المتتالية. والناس أقدارها في المواقف، والإنسان قَدْرُه وقَدَره بما أحسن في مواقف حياته، وغالبًا نحن لا نصنع تلك المواقف، إنما العبرة في النجاحات أو في الفشل في معالجة المواقف. وهناك بيوت سَعِدَ فيها أهلها، وأخرى شَقي فيها الناس.

وكم من حياة سعيدة وناجحة وموفقة، وكم من أعمار انقضت في شقاء وعَنَت برغم أن أصحابها ذوو عقول ولكنها تناطحت وتنافرت، وكم من بسطاء فقراء من أسباب العلم والمال والجاه ولكنهم وُفقوا في حياتهم الزوجية بما يقسم لهم من حظ التوفيق وسهولة المعاملة والمعاشرة.

ولقد سمعت من زوجة سعيدة في حياتها -فيما أعلم- قولًا يبدو أنها تتخذه مبدأً لحياتها قالت: (وصية أمي لي منذ تزوجت هي: كبِّريها تكبر صغِّريها تصغر) ولما استوضحت منها المعنى فهمت أنها تقصد المشاكل والمواقف التي تمر بالزوجين، أي أن كل مشكلة إن أخذتها على أنها كبيرة ومهمة تصبح كبيرة، وإن نظرت إليها على أنها صغيرة ولا تستحق الاهتمام البالغ صغرت وانقضت بسرعة.

* **نعم أيها الزوج السعيد:** أنت الذي تُحددّ وزن الأمور، بنظرتك وتقييمك واهتمامك، فيسِّر على نفسك الأمور وعلى غيرك ييسر الله لك وعليك، وقد نصح الأمين صلى الله عليه وسلم في ذلك بقوله: «**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا**» حديث صحيح.

***

السعادة مطلوبة وممكنة

* المسلم في نفسه وفي بيته وفي كل أموره جميل مهذب محبوب، خفيف الظل ليس بثقيل على أحد، في كلامه، وفي طعامه، وفي ملبسه وفي مدخله ومخرجه، وفي حركته وسكونه، مع نفسه ومع أهله، مع جاره وزُوَّاره. وما أجمل المطالب التي حضَّنا عليها قُدوة الخلق الكرام محمد صلى الله عليه وسلم في مثل قوله: «**أحسنوا لباسكم، وأصلحوا رحالكم، حتى تكونوا كأنكم شامة بين الناس**» وفي قوله: «**إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق**» وفيما رواه صلى الله عليه وسلم عن رب العزة «**حقَّت محبتي للمتحابِّين فيَّ والمتباذلين فيَّ والمتصافين فيَّ**» وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (من أفضل الحسنات إكرام الجلساء)، بيت المسلم متميز عن غيره؛ بشيوع المحبة والفرحة والكرم والاستقرار، من يدخله يداخله السرور ويُقابل على السعة والترحاب، يجد فيه مطلبه أو يُردَّ بكريم اللقاء وجميل الكلام، وقد قال الشاعر:

للقلب على القلب   دليل حين يلقاه

ذلك أن هدي النبي صلى الله عليه وسلم هو سمت أهل البيت: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» رواه البخاري ومسلم.

* جيران البيت المسلم يصلهم من أنواره وخيره وحسن جواره، وكلنا يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**» وهذا أيها الزوج العزيز في الجار من الناس الذي بينك وبينه جدار وأحجار، فكيف بالجار المصاحب لك في نفس الدار، فرعاية جواره وإكرام قربه أحق وأولى. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أحسن مجاورة مَنْ جاورك تكن مسلمًا، وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنًا**» رواه الترمذي وابن ماجة. وما أصدق قول الشاعر عن جيران المسلم:

إني لأحسد جاركم لجواركم   طوبى لمن أمسى لدارك جارا

يا ليت جارك باعني من داره   شبرًا فأعطيه بشبرٍ دارا

* **أخـي الـزوج:** أقـرب مـن يـسرع لنجدتـك إن ناديتـه هـو جـارك، فصلـه وتعـرف عليـه وشـاركه في أفراحـه وأتراحـه ولا تهمـل مـن ذلـك شـيئًا. تحبـب إلى أولاده وأعطهـم بعـض الهدايـا الصغـيرة اللطيفـة فسـوف يصبحـون رجـالًا ويقـدرون لـك كل ذلـك.

ولا تنـسَ في كل المناسـبات والأعيـاد أن تهنئهـم وتـدق البـاب عليهـم خصيصًـا لذلـك حتـى يعتـادوا منـك ذلـك ويذكـروك بـه، وإن كنـت صاحـب مهنـة أو في وظيفـة وتسـتطيع أن تفيدهـم فاحـرص عـلى ذلـك ودون أن يطلبـوا هـم منـك هـذه الفائـدة. ويكـون جميـلًا منـك أن تدعوهـم إلى منزلـك في المناسـبات الخاصـة، أو عـلى طعـام، أو عـلى شيء مـن الحلـوى، وتظهـر الاهتـمام بهـم، وأنـت بذلـك متعبـد للـه في إكرامهـم، وسـوف تجـد آثـار ذلـك كلـه في تعاملهـم معـك ومـع زوجتـك ومـع أولادك، في حياتـك وبعـد مماتـك، في حضـورك وفي غيابـك، وأقـل ذلـك وأنفعـه لـك، أن تُحفـظ مـن أذاهـم وتأمـن جانبهـم.

***

اسكبي أمَّ سُنبلة

* من أكبر الأسباب لاستجلاب المحبة والصداقة تبادل الهدايا. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويهدي، روى أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن أبا طلحة بعث بورك أرنب أو فخذها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله) رواه البخاري ومسلم، فما أعظمها بركة تلك القطعة الصغيرة من أرنب إذا كانت هدية من محبّ، وما أعظم تواضع النبي صلى الله عليه وسلم وهو ذو القدر العظيم عند المسلمين إذ يتقبل مثل هذا من أحدهم. فالعبرة يا أخي الزوج ليست في قيمة الهدية المادية، إنما القدر العظيم فيمن أحب فأهدى مما يملك لمن يحب. ولذلك لما سألت أم حكيم بنت وداع الخزاعية رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: «**يا رسول الله تكره رد اللطف؟ قال: ما أقبحه؛ لو أُهدي إلى كُراع لقبلت، ولو دُعيت إلى ذراع لأجبت**» رواه الطبراني: وقالت عائشة رضي الله عنها: «**أهدت أم سنبلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لبنًا فلم تجده، فقلت لها: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا أن نأكل من طعام الأعراب. فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر معه فقال: ما هذا معك يا أم سنبلة؟ قالت: لبن أهديته لك يا رسول الله. قال: اسكبي أم سنبلة، فسكبت، فقال: ناولي أبا بكر ففعلت. فقال: اسكبي أم سنبلة. فسكبت. فقال ناولي عائشة. فناولتها فشربت. فقال: اسكبي أم سنبلة. فسكبت فناولته رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب. قالت عائشة: ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب من لبن أسلم وأبردها على الكبد، فقلت: يا رسول الله قد كنت حدَّثت أنك نهيت عن طعام الأعراب. فقال: يا عائشة هم ليسوا بأعراب هم أهل باديتنا ونحن حاضرتهم وإذا دُعُوا أجابوا فليسوا بأعراب**» رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح. وسبب النهي عن طعام الأعراب ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، أن أعرابيًّا وهب لرسول الله هبةً فأثابه عليها، فقال له النبي: أرضيت؟ قال: نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَتَهَبَّ هِبَةً إِلَّا مِنْ قُرَشِيٍّ، أَوْ أَنْصَارِيٍّ،**

أَوْ ثَقَفِيٍّ» رواه أحمد والبزار والطبراني. ومن لطائف معاشرة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما «**أن رجلًا كان يلقب حمارًا وكان يهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم العكة -وعاء جلد- من السَّمن، والعكة من العسل، يشتريها، فإذا جاء صاحبها يتقاضاه الثمن جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: يا رسول الله أعطِ هذا ثمن متاعه. فما يزيد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يبتسم ويأمر به فيعطى**». رواه أبو يعلي ورجاله رجال الصحيح. وعن أنس رضي الله عنه قال: (كان المسلمون يتهادون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صلة بينهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لو قد أسلم الناس لتهادوا من غير فاقه**») رواه الطبراني، وعن عائشة رضي الله عنها: «**أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: تهادوا وتزدادوا حبًّا**» رواه الطبراني. وعنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا نساء المؤمنين تهادوا ولو بفرسن شاة -أي ظلف- فإنه يُثبت المودة ويُذهب الضغائن**» رواه الطبراني.

***

مرحبًا بأم هانئ

* البساطة وعدم التكلف وخاصة لمن اعتاد زيارتك وصحبتك، دليل على صدق الصداقة والارتياح للضيف، وإكرام الضيف لا يعني التكلف له بما لا يحتمل. فعن عبد الله بن عبيد قال: دخلت على جابر رضي الله عنه في نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقدم إليهم خبزًا وخَلًّا فقال: كلوا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**نعم الإدام الخل، إنه هلاك بالرجل أن يدخل عليه النفر من إخوانه فيحتقر ما في بيته أن يقدمه إليهم، وهلاك بالقوم أن يحتقروا ما قدم إليهم**» رواه أحمد والطبراني وأبو يعلى. وكان سيدنا سلمان رضي الله عنه ظريفًا يحب المِلح، يقول شقيق بن سلمة: (دخلت أنا وصاحب لي على سلمان الفارسي، فقال سلمان: لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن التكلف لتكلفت لكم، ثم جاء بخبز ومِلح، فقال صاحبي: لو كان في ملحنا عنقر؟ فبعث سلمان بمطهرته فرهنها ثم جاء بعنقر. فلما أكلنا قال صاحبي: الحمد لله الذي قنَّعنا بما رزقنا. فقال سلمان: لو قنعت بما رزقك لم تكن مطهرتي مرهونة!!) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وفي رواية: «**نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتكلف للضيف ما ليس عندنا**».

* **أخي الزوج:** هل فكرت أن تدعو زوجتك على الغداء أو العشاء؟ لا تعجب من سؤالي البريء فهو ليس غريبًا، إنما فقط أنت لم تتعود ذلك، ولو فعلت لكان رائعًا وبارعًا، ولو بدون تكلف كبير، وأقول لك: جرب وسوف تدعو لي بالخير.

* دخلت السيدة أم هانئ بنت عم النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها: «**مرحبًا بأم هانئ**» رواه مسلم. ودخلت عجوز على النبي صلى الله عليه وسلم فأكرمها فقيل له في ذلك فقال: «**إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان**» رواه الحاكم عن عائشة رضي الله عنها وصححه. وعن أنس رضي الله عنه قال: «**أتى النبي صلى الله عليه وسلم سائل فأمر له بتمرة فلم يأخذها**

وأوحش بها. قال: وجاء آخر فأمر له بتمرة قال: سبحان الله!! تمرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم!! قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم لجارية: اذهبي إلى أم سلمة وأعطيه الأربعين درهمًا التي عندها» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

* **أخي الزوج:** هذه صورة صاحب البيت المسلم مع من يدخلون عليه، الترحاب والبشاشة والإكرام والكرم، فليكن يا أخي في بيتك متسع للأهل والزائرين، وليتسع صدرك وينطلق وجهك عند استقبالهم، فقد رضي العامة من الناس بحسن اللقاء وطيب الاستقبال بأكبر من إكرامهم بصنع الطعام فقالوا: (لقيني ولا تغديني).

***

* أقارب الزوجة ووالداها هم أقرب الناس لزوجتك، ويجب أن يكونوا كذلك عندك بعد أهلك، والزوجة شديدة الحساسية في الأمور التي تتصل بأهلها، وفي نفس الوقت شديدة التأثر والعرفان لأي جميل يُصنع معهم، فاحرص على إكرامهم في بيتك وأشعرهم أن البيت بيتهم أو على الأقل بيت ابنتهم التي هي زوجتك حتى لا يشعروا بشعور الغرباء في بيت ابنتهم، ويجب عليك أن تجالسهم وترحب بهم ولا تتركهم مع الزوجة وكأن زيارتهم لا تعنيهم أو كأنك لا تهتم بوجودهم، ويكون جميلًا أن تتكلف لهم قليلًا بإحضار بعض الفواكه والمرطبات ونحو ذلك خصيصًا لهم حتى لو كان ذلك على غير رغبة الزوجة، إذ إن الزوجة في مثل هذه الحالات تخشى على الزوج وما يتكلفه لأهلها لأسباب خفية، مثل أن يسأم الزوج أهلها لما يتكلفه معهم، أو خشية أن ينفق مثل ذلك أو أكثر على أهله وقد تكره هي ذلك لأمور لا تصرح بها. كما يجب أن يراعي الزوج عدم ذكر أهل الزوجة بما تكره، بل يذكرهم بالخير أمامهم ومن ورائهم فإن ذلك يُفرحها جدًّا حتى ولو كان بينه وبينهم خلافات. ومن واجب الزوج أيضًا أن يعين الزوجة على بر والديها وصلة رحمها، سواء بزيارتهم، والأفضل أن يصحبها في مثل هذه الزيارات، وأن يحرص على حمل بعض الفواكه والهدايا كلما أمكن. ومن أسباب توطيد الصلة والعلاقة بأهل الزوجة وخاصة والدتها. أن يمتدح الزوجة أمامهم، كما يمتدح ما يقدم له من طعام ويخبرهم أنه يحب هذه الصناعة لهذا الطعام الذي تعلمته زوجته من أمها ويشكرها على ذلك وأنها كانت السبب في سعادته وتربية زوجته على كل ما كان يتمناه في الزوجة.

* **أخي الزوج:** لا تسأم هذه الكلمات أن تقولها وأن تكثر من تكرارها على مسامع أهل زوجتك، فإن ذلك لا يكلفك شيئًا وله أثر بالغ على حياتك الزوجية. وفي الدعوة للمناسبات الطيبة في بيتك احرص أن يكون أهل زوجتك قبل دعوة أهلك.

* علاقة زوجتك بأهلك تقوى وتضعف بقدر قوة علاقتك بأهلها وضعفها عمومًا، ولكن

إذا احتاج أهلك لبعض المال منك أو ظنت الزوجة أنك تعطيهم فإن ذلك يسبب كثيرًا من الخلافات معهم ومعك، وقد تحرص هي على قطع العلاقة معهم -إن أمكن- لتقطع عنهم هذا المدد، وذلك أن شعور المرأة ورغبتها في التملك لكل ما يتصل بزوجها كما مر بنا سابقًا، يجعلها قلقة ومتوترة لهذا الأمر. وعلاج ذلك بالصبر والمصارحة والإقناع، لأن إهمال ذلك بدعوى خطأ الزوجة في هذا الأمر يجعلها تخفي الموضوع وتفتعل أسبابًا أخرى للخلاف مع الأهل، فإذا لم تعالج هذه الأسباب لا تتوصل إلى تحسين العلاقة ويعود الخلاف لوجود أسبابه الخفية، وعمومًا إرضاء الأهل على حساب إغضاب الزوجة ليس حلًّا، ولا عكس ذلك بإرضاء الزوجة وإغضاب الأهل.

من المفيد جدًّا أن تظل الخلافات الزوجية -إن وجدت- محدودة فيما بينك وبين الزوجة، ولا تلجأ إلى أهلها أو أهلك دائمًا. ومن المفيد أن تثق زوجتك في أن الخلافات لا يعلم بها أهلك أو غيرهم. والزوجة تحب ألا يتدخل أحد بينها وبين زوجها، إلا إذا كانت هناك صديقة عاقلة وأمينة للزوجة فإنها تفيد في توسيطها عند وقوع بعض المشاكل، وعادة تقبل الزوجة عرض الأمر عليها.

* أولادك الصغار قلوبهم وذاكرتهم شديدة التأثر بالخلافات مع أمهم، فيجب عليك أن تتجنب الحديث في هذه المسائل أمامهم أو على مسمع منهم. واعلم أن الأطفال يدركون ذلك جيدًا رغم صغر سنهم، فلا تغفل عن ذلك، خاصة أطفال هذا الجيل العجيب، فإن لهم قدرة على فهم مشاعر الضيق من وجوه وعيوب وطريقة حديث الوالدين معًا، ويظهر أثر كل ذلك فرحًا وضيقًا وغضبًا على سلوكهم وصحتهم ونومهم ولعبهم ومذاكرتهم.

* قال ابن المبارك لإخوانه -وهم في الجهاد في سبيل الله-: تعلمون عملًا أفضل مما نحن فيه؟ قالوا: ما نعلم. ذاك جهاد في سبيل الله وقتال لأعدائه، أي شيء أفضل منه؟ قال: لكني أعلم. قالوا: ما هو؟ قال: رجل متعفف ذو عيال، قام من الليل فنظر إلى صبيانه نيامًا منكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه، فعمله هذا أفضل من جهادنا في سبيل الله عز وجل.

* وقـال أبـو طالـب المـكي: يُقـال إن أول مَـن يتعلـق بالرجـل يـوم القيامـة زوجتـه وولـده، فيوقِفونـه بـين يـدي اللـه عـز وجـل ويقولـون: يـا ربنـا خُـذْ لنـا حقنـا مـن هـذا فإنـه مـا علمنـا مـا نجهـل، وكان يطعمنـا الحـرام ونحـن لا نعلـم. قـال: فيقتـص لهـم منـه.

* الكلـمات الجميلـة المحببـة للزوجـة لا بـد أن تُعْتـاد أمـام أولادك ومـن يخالطونكـم حتـى يعتادوهـا ويتعلموهـا، ولا تخجـل أن تقولهـا أمامهـم وإن لم تكـن جربـت ذلـك فابـدأ ولا تتأخـر، فهـذا غـذاء ودواء وحافـظ مـن تدخـل الشـياطين. احفـظ بعـض الأشـعار اللطيفـة وأسـمعها لزوجتـك، اكتـب لهـا الرسـائل إن سـافرت أو تغيَّبْـتَ عنهـا وضمنهـا مـا تحتفـظ بـه وتذكـرك بـه، قـل لهـا:

يا جنة الحب ودنيا المُنى   ما خِلْتني ألفاك في مقلتين

قل لها:

قد يهون العمر إلا ساعة   وتهون الأرض إلا موضْعًا

قل لها، وقل لها ولا تملّ القول لها، تصبح حياتك وحياتها بلا ملل.

* كان آخـر مـا أوصى بـه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ثـلاث، كان يتكلـم بهـن حتـى تلجلـج لسـانه وخفـي كلامـه: «**اللـه اللـه في النسـاء فإنهـن عـوان عندكـم .. الحديـث**» رواه النسـائي وابـن ماجـة. وآخـر دعوانـا أن الحمـد للـه رب العالمـين.

***

* ألا يكون هناك من هو أحب إليك منه بعد الله ورسوله.
* أن يكون شعار الحياة عندك الوصول إلى تقوى الله وإدخال السرور على زوجك ومن تخالطين.
* أن يكون كل عملك وفاءً لله الذي عاهدتيه بعقد الزواج على كتاب الله وسنة رسوله حتى ولو قصر الزوج في الوفاء بحقوقه فكل امرئ بما كسب رهين.
* إذا كان المسلم له حقوق والجار له حقوق والقريب له حقوق والصاحب والصديق لهما حقوق والزوج له حقوق، فزوجك له عليك حقوق: المسلم، والجار الجنب، والقريب والصاحب والصديق، كما له حقوقه كزوج، فلا تنسى ما له عليك من كل هذه الحقوق والوفاء له بها بصدق ومحبة.

وبناءً على هذه المبادئ:

١- استقبلي زوجك، مهما كانت ظروفك، بالاستبشار والترحاب مع إظهار التلهف عليه وحبذا لو كانت منك قبلة سريعة.

٢- لو كان مظهرك غير حسن لانشغالك بواجبات البيت اعتذري له بحياء، وسارعي في إبداء كل مظاهر الجمال منك.

٣- أكثري من كلمات يحبها الرجال، بمناسبة وبغير مناسبة، مثل أنت حبيبي ونور عيني، وحشتني يا حبيبي، دخلتك بتملا البيت بركة، ومن غيرك البيت يبقى بارد وماليهوش روح، ربنا ما يحرمنا من دخلتك ولا رؤيتك يا حبيبي، ما تبقاش تغيب أحسن بأقلق عليك قوي، شبيك لبيك أنا زوجتك بين أيديك أأمرني يا حبيبي.

٤- لا تخجلي من ذكر كلمات الإطراء والحب أمام أولادك وأنت تتعاملين مع زوجك وأمامهم، فهذا تعليم وتربية لهم وذلك منك لزوجك –أبيهم- يسرهم ويألفونه منكما.

٥- عوّدي أولادك على رؤيتك في أبهى زينة عند حضور الزوج أو عند موعد مجيئه، طالما

حرصت على ستر العورة عنهم وهي من السرة إلى الركبة، ولكن لا تلجئي لإظهار ما فوق ذلك مراعاة للعادة والصيانة وظروف الأولاد والمراهقين.

٦- إذا سمعت زوجك ينادي عليك فقولي دائمًا حاضر يا حبيبي وسارعي في تلبية النداء.

٧- لو كان زوجك قد اعتاد على أمر مثل شرب كوب من الشاي أو القهوة في أوقات أو أحوال معينة، فعليك بتقديم ذلك له قبل أن يطلبه، فإن ذلك يسعده ويفرحه ويجد فيه بغيته من الخضوع له والحرص على خدمته ودليل محبته.

٨- اطردي وساوس شيطانك اللعين والعدو المبين التي يكثر أن يوقعها في قلبك، من أن زوجك سوف (ياخد على كده) وقولي في نفسك: ليرحل مخذولًا مقهورًا. ولو ... ده حقه وواجب علي وربي يرضى عني لذلك.

٩- حدثي زوجك بأسرارك الخاصة وأشعريه بثقتك فيه ولكي يرى شفافية نفسك في التعامل معه فهو نعم الأب لك، والأخ المخلص والصديق الوفي، والزوج الشفيق.

١٠- لا ترهقيه في متابعتك له فيما يخص المال والنقود، أشعريه بحريته في إنفاق ماله، فلست الرب الذي يسأله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ (تغافلي عن عمد إذا أنفق على نفسه أو على أهله ورحمه أو إذا أساء في إنفاقه، فإن ذلك من أوسع أبواب الشيطان التي يدخل منها لخراب البيوت وإيجاد المشاكل، ودفع الضرر أولى من جلب المنافع.

١١- احرصي على أن تكون حجرة نومك مع زوجك هي فردوس حياته يتعشقها ويتلهف على حضوره فيها، لما تعوده من فنون المعاملة والسلوك الأنثوي منك، أسمعيه بلا خجل، وأريه بلا ملل، واستجيبي بلا علل وتطاوعي بلا كلل اصدقي الله فيه ليصدق الله معك، وأعطيه ليخلص لك.

١٢- احفظيه بغيب يحفظه الله لك بغيب، فالجزاء من جنس العمل.

١٣- أبدي السرور والانشراح لزوجك، وحبذا الضحك معه ومع الأولاد، فالشيطان يعتزل تلك المجالس ويحضر إذا كان النكد، والرجال تقبل على مجالس الأنس والانشراح وتفر من مجالس النكد فعوِّدي زوجك على حب البيت ومجالسه حتى لا يحب مجالس أخرى.

١٤- لا تسأمي انتظار زوجك إذا تعوق حضوره، ولا تظهري قلقك من الانتظار وأظهري

قلقك عليه وقولي: الحمد لله على سلامتك. وما دمت أنت بخير كل القلق راح.

١٥- احرصي على الأكل معه وإن كنت متخمة، وأريه حب المشاركة في طعامه ولذاذة الأكل في حضوره.

١٦- إذا كان زوجك مهمومًا فلا تكثري معه الكلام، وأكثري النظر إليه في صمت وشفقة، واجلسي بجانبه مع الالتصاق الشديد ووضع اليد على كتفه وقولي له مع التبسم: ما لك يا حبيبي؟

١٧- لا تفاتحيه في موضوعات الأولاد ومشاكل الجيران أو العمل أو الأهل عند استقباله أو أثناء الطعام أو أثناء الجلسة العائلية المرحة أو في حجرة النوم قبل قضاء وطره. ولكن في الأوقات التي يروق له معرفة هذه الأمور، وإياك والإكثار من عرض المشاكل، وليس كل يوم تطالبينه بتبني آرائك ولكن للعلم والاستفادة والمشورة.

١٨- احرصي من ورائه وأمام الله تعالى أن تكرمي أهله وخاصة والديه ولا تذكريهم بسوء أمامه. وأعينيه على حسن معاشرتهم وإكرامهم وبرهم، وأشعريهم في بيتك أنك وبيتك لهم، وأن يتصرفوا كأنه بيتهم وتحملي أذاهم وما تسمعين منهم مما لا يسرك، فهذه عادة معظم الناس حتى يأنسوا لك ويحسنوا معاملتك.

١٩- صارحيه في كل ما تطلبين أو تودي أن يكون عليه في نظرك، سواء في مظهره أو ميوله نحوك أو كيفية تمتعك معه وبه، صارحيه بأنك تحبين منه أن يمدحك في سلوكك معه وأنه يحبك وأن يصرح لك بذلك، صارحيه حتى يصارحك هو الآخر حتى لا يلقي عدوكما الشيطان بوساوسه المشؤومة، صارحيه فليس على وجه الأرض من تكشَّفْتِ له غيره، وإياك وشيطانك يقول لك: كرامتك، عيب تقولي، فليس بين الزوجين عيب أو زعم كرامة.

٢٠- تعودي التنازل عن بعض الرغبات والمطالب لديه، وارضي بحاله الخلقي والسلوكي والاجتماعي فهو قسمك في الدنيا وزوجك في الجنة، فليس كل ما تطلبين أو تطمعين أو تحلمين يتحقق لك في دنياك، عما قليل يكون الرحيل وتحصلين على كل الأماني {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [ق:٣٥].

٢١- بكري في اليقظة من نومك حتى يستيقظ زوجك فيراك في خدمته وقضاء مطالبه من

تجهيـز الملابـس والحـذاء ومـن ترتيـب حقيبتـه إن رضي بذلـك ومـن تحضـير الإفطـار والشـاي والجلـوس معـه للمشـاركة.

٢٢- ليكـن وجهـك الصبـوح المـشرق المـودع هـو آخـر منظـر يعلـق بذاكرتـه عنـد خروجـه مـن بـاب المنـزل، فيصاحبـه طـوال غيبتـه عنـك، وليكـن وجهـك المـشرق الوضَّـاء أول خاطـر يقلبـه وهـو واقـف خلـف البـاب ينتظـر رؤيـاه عنـد القـدوم لبيتـه السـعيد، وليبـقَ الحـب مظلـة بينكـما.

***

١ العشرة الطيبة

[مع الأولاد وتربيتهم]

* الولد هتاف البقاء الكامن في الفطرة.
* لو ملك عبدٌ الدنيا بحذافيرها لاحتاج إلى الولد.
* الأولاد هبة الله لا يملك أن يهبهم إلا المالك.
* كل ما أمكن فرعون مصر وعزيز مصر أن اصطنع كل منهما لنفسه ولدًا.
* وحشة في النفس البشرية لا يقتلعها إلا الأنس بالولد.
* الأولاد ثمرات الفؤاد ورياحين الدنيا.
* هتاف السائرين إلى الغرفات في الجنة طلب قرة العين.
* الولد مبخلة مجبنة محزنة.
* الدعوة لمنع الخلف فطرة ممسوخة.
* الأولاد وكثرتهم أو الحرمان منهم، ليس دليلًا على الكرامة أو المهانة عند الله تعالى.

الولد هتاف البقاء الكامن في الفطرة

يقول الله عز وجل: {كهيعص (١) ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا} [مريم: ١-٧]. هكذا أفصح زكريا عليه السلام عن الرغبة المكنونة في البقاء والذكر بعد الموت عندما شعر بالكبر والضعف، فهتف هتاف نبي صادق ذي فطرة سليمة إنه يحتاج إلى الولد. وبرغم شيخوخته وضعفه، وبرغم أن زوجته عاقر، وأنه بذلك يفقد أسباب الولد، إلا أنه يطلب من قدير وهّاب يعطي من لدنه بلا أسباب. فجاءته البشرى أنَّ ربّه قد استجاب.

***

لو ملك عبدٌ الدنيا بحذافيرها لاحتاج إلى الولد

إن فرعون مصر، وعزيز مصر، ملَك كل منهما أرض مصر وما عليها وحرمهما الله عز وجل الولد، فلا السلطان الذي يأمر فيطاع ويطلب فيلبّى له طلبه، ولا المال الذي يسخّر به صاحبه كل شيء لحسابه والذي به يقضي الإنسان كل رغباته، نعم، فلا السلطان ولا المال بمستطيعين أن يقضيا حاجة العبد إلى الولد. إن الأولاد هبة الله سبحانه، لا يملك أن يهبهم إلا المالك الرازق القادر، يقول الله عز وجل: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} [الشورى: ٤٩-٥٠]. وكل ما أمكن الفرعون لتحقيق هذه

الحاجة أن اصطنع له ولدًا، وكذا فعل عزيز مصر، يقول الله عز وجل: {وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [القصص: ٩]. ويقول الله عز وجل: {وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} [يوسف: ٢١] لكن هيهات بين أن يهب ملك الملوك الولد، وبين أن يصطنع ملك لنفسه ولدًا لم يهبه له الله ووهبه لمن ليس بملك من أفراد مملكته. وصدق الله العظيم إذ يخبر عن تلك الحقيقة في قوله تعالى: {وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ} [الأحزاب: ٤]. ولعل من مدلولات قول الله عز وجل: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الكهف: ٤٦] أن عز الدنيا بالمال والولد، فلا يملك صاحب المال بماله القدرة على الإتيان بالولد، فهو يسخر المال لكل حاجاته فيمكنه الحصول عليها إلا الولد، لذلك أضيف الولد للمال، كما أن صاحب المال لا تكتمل له سعادته الدنيوية بدون الولد.

***

وحشةٌ في النفس البشرية لا يقتلعها إلا الأنس بالولد

الإنسان بطبيعته يحتاج إلى الأنيس، يحتاج للزوج والصاحب والرفيق والجليس وغيرهم، ولكن كل هؤلاء لا يُشبِعون حاجته للأنس بالولد. فهؤلاء يعيش معهم ويختارهم ويخالطونه لوجود رابط يربطه بهم من توافق في الصفات أو الأرواح فيجد شبيهه فيأنس له وبه، وهذه خاصية في البشر والحيوانات والطيور وغيرها من الأحياء. ولكن الإنسان يحتاج إلى نموذج من نفسه، يرى كل نفسه فيه، يكمّل به وفيه ذاته وآماله وغاياته، فإذا تفرَّد دون الولد استوحشت نفسه نوع وحشة لا يذهبها كل من حوله من البشر، ومن أجل ذلك كان النداء الخالد الذي جعله الله تعالى في كتابه {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: ٨٩-٩٠]. فزكريا

عليه السلام ليس تفرّده عدم وجود الغير معه، فله عليه السلام زوجة، بل هو نبي له قوم يدعوهم ويعيش بينهم. فسبحان الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء: ١١١] وصلى الله وسلم على نبينا محمد الذي كان يقول: «فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما أذاها» رواه البخاري ومسلم وعند الترمذي زيادة «وينصبني ما أنصبها».

***

الأولاد ثمرات الفؤاد ورياحين الدنيا

إن حب الصديق والفرح به ومصاحبته من سعادة الدنيا للعبد، وكذلك حب الزوجة والوالدين، ولكن حب الولد والعيش معه هو رحيق السعادة ومعدنها وبه بهجة الحياة، ولنسمع إلى الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم يعبّر عن ذلك في قوله الذي رواه عنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذ قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**هما ريحانتاي من الدنيا**»؛ أي: الحسن والحسين. رواه البخاري والترمذي. والريحان والريحانة: الرزق والراحة، قال ابن الأثير. «**سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيُّ أهل بيتك أحب إليك؟ فقال: الحسن والحسين، وكان يقول لفاطمة: ادعي لي ابنيَّ، فيشمّهما ويضمّهما إليه**» رواه الترمذي. «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر، فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: «**صدق الله {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ} نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما**» رواه الترمذي وأبو داود والنسائي.

أي قلب كبير معمور بحب الله، وفي موقف جليل فوق المنبر يدعو إلى الله، فيدفعه الحب والشفقة للولد إلى قطع حديثه وحمل الولد؟! إنها الفطرة في صدقها ونصاعتها، بل

قل: إنها الفتنة بالولد. بل قل: إنها الرحمة مع أحب ما في الدنيا. وقل أيضًا: إنه قلب المؤمن الذي يَتَعبّد لله بمباح كما يعبد الله في مسجده، وقل كذلك: إنه قلب مؤمن لا يغفل عن واجب الدنيا وهو يؤدّي واجبات الآخرة، وقل أخيرًا: إنها القدوة تعلّم على ملأ أن القلب المعمور بحب الله تعالى يتّسع لرحمة خلق الله: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧]. عن أبي بكرة رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي فإذا سجد وثب الحسن عليه السلام على ظهره وعلى عنقه، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رفْعًا رقيقًا لئلا يُصْرع، يفعل ذلك غير مرّة، قالوا: يا رسول الله رأيناك صنعت بالحسن شيئًا ما رأيناك صنعته بأحد؟ قال: «**إنه ريحانتي في الدنيا، وإن ابني هذا سيدٌ، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين**» رواه أحمد والبزار والطبراني. ورجال أحمد رجال الصحيح.

إن هذا المشهد الرفيع الشأن من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لا يحتاج إلى شرح، بل لا تكفيه الشروح، فبهذا التأكيد الصريح: «إنه ريحانتي في الدنيا» فصلى الله عليك يا صاحب أبهج قلب وأسعده ممّن جاء إلى الحياة ليعلّم الخلق كيف يحيون في الدنيا في سعادة بأسباب فيها وهبهم إياها الله. عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «**دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين يلعبان على بطنه، فقلت: يا رسول الله أتحبهما؟ فقال: وما لي لا أحبهما وهما ريحانتاي**» رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ولداك يلعبان على بطنك الشريف؟ وأنت من أنت!! ولكنك الرحمة المتسامية في تواضعها، والرجولة المتناهية في رقتها، والبساطة المتألقة في حسن تعاملها، والقدوة التي تحار العقول في إدراك مقاصدها، والأبوّة الحانية في أروع مباهجها. وهذا يا رسول الله ما تدركه عقولنا في ظل قولك عن الأولاد: «**إن لكل شجرة ثمرة، وثمرة القلب الولد، إن الله لا يرحم من لا يرحم ولده، والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا رحيم**»، قلنا: يا رسول الله كلنا يرحم، قال: «**ليس رحمته أن يرحم أحدكم صاحبه، إنما الرحمة أن يرحم الناس**» رواه البزار. نعم إنها رحمة في القلب تسع كل الناس، وليست رحمته لخاصته فقط، ولا يمنع ذلك من أن يخص الولد الذي هو

ثمرة القلب برحمة تزرع فيه الرحمة وتنمو بها المحبة بينهما، وتستمتع النفس البشرية في ظلال ورونق أغصانها وقطف ثمارها الدانية. إن موكب أهل الغرفات في الجنة يهتف السائرون فيه طوال سيرهم ليستحثوا السير بنشيد السعادة {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} [الفرقان: ٧٤]. ويتجاوب في أرجاء الوجود معهم زجل حملة العرش: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [غافر: ٧-٨] يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الله عز وجل ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه، ثم قرأ {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} قال: وما نقصنا الآباء بما أعطينا البنين**» رواه البزار والطبراني. إن السعادة لا تكتمل إلا بنزع الخوف من فقدها، فما أسعد الآباء بالأولاد وما أسعد الأولاد بآبائهم.

***

الولد مبخلة مجبنة محزنة

لو أن عبدًا ملك أسباب الدنيا من مال وسلطان وغيرهما ولم يهبه الله الولد ما استطاع أن يكون له ولد، فقد جعل الله التوالد بين الناس من شؤونه سبحانه التي يختص به من شاء ويمنعه من يشاء، {يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} [الشورى: ٤٩، ٥٠]. فالأولاد عطاء من الله تعالى على سبيل الهبة، ولذلك تجد القرآن وهو يخبر عن هذا الشأن، سواء في حالة طلب الخلفة أو إعطائها لأحد تأتي دائمًا بلفظ الهبة مثل: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ

لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ} [إبراهيم: ٣٩] {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى} [الأنبياء: ٩٠] {وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ} [ص: ٣٠] {قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا} [مريم: ١٩] {قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً } [آل عمران: ٣٨] {فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا} [مريم: ٥]. فالأولاد إذن عطاء كريم يختص الله به من شاء من عباده ولو كمان فقيرًا مركزه بين الناس حقير، ويمنعه الله عمن يشاء من خلقه ولو كان غنيًّا عظيمًا، فمن أعطاه الله الولد فقد وهبه هبةً قيمتها تفوق المال والسلطان وكل قيمته مادية، وعليه شكر الوهَّاب سبحانه، ويقول بلسانه وحاله: الحمد لله الذي وهب لي الولد، ويعلم أنها نعمة عزيزة يجب أن يرعاها ويوجهها إلى طاعة المنعم، ومن أجل ذلك أيضًا كانت الأولاد مجبنة ومبخلة، لأن المرء يجبن عن القتل ليبقى لأولاده، ويبخل بما عنده ليبقيه لأولاده، فلو لم يكن عنده الأولاد ما خشي على نفسه القتل ولا أمسك المال فلم ينفقه، وهذا لا يعني أن صاحب الأولاد لا يقاتل ويقتل في سبيل الله، أو لا ينفق، ولكنها غريزة وفطرة تدعو إلى ذلك يجاهد المؤمن نفسه في سبيل ربِّه. عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: «**خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو محتضن أحد ابني ابنته وهو يقول: إنكم لتبخّلون وتجبّنون وتجهّلون، وإنكم لمن ريحان الله**» رواه الترمذي، «**جاء الحسن والحسين يسعيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فضمهما إليه. وقال: إن الولد مبخلة مجبنة**» رواه ابن ماجة، «الولد ثمرة القلب، وإنه مجبنة مبخلة محزنة» رواه أبو يعلى والبزار. «**إنهم لمجبنة محزنة، إنهم لمجبنة محزنة**» رواه أحمد «أخذ النبي صلى الله عليه وسلم حسنًا فقبلّه ثم أقبل عليهم فقال: إن الولد مبخلة مجهلة مجبنة» رواه البزار ورجال سنده ثقات. ولكن من أعجب العجب أن لا يرغب بعض الناس في خلفة الأولاد، وكأنهم بذلك يردّون على الله تعالى هبته، وأنهم مستغنون عنها؟!! إنهم بذلك قد انتكسوا في فطرهم {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا} [التين: ٤-٦]، والغريب من أمر هؤلاء أنهم يبرّرون ما يصدر عن فطرهم الممسوخة بأن دعوتهم لمنع الخلفة من خوف الرزق، وهم لا يشعرون أنهم بقولهم ذلك قد افتروا على الله في أمر آخر وهو أن الأرزاق بيدهم لا بيد الرزاق ذي القوة المتين،

إن الـرزق شـأن مـن شـؤون الله فهـو قيّـوم السـماوات والأرض وما فيهـن {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} [هود: ٦] {وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ} [العنكبوت: ٦٠] {فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ} [العنكبوت: ١٧] {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} [الأنعام: ١٥١] {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ} [الإسراء: ٣١] {وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ} [النحل: ٧٢] {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ} [الروم: ٤٠]. إن الأمر يتعلق أصلًا بالإيمان بالله، فإما أنهم ضعاف الإيمان أو فاقدون له، فلو قوي الإيمان لأثمر التقوى وعند ذلك يسمعون بقلوبهم قول الله تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٢، ٣] {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ} [النساء: ٩] نسأل الله اليقين والعافية. إن شياطين الجن والإنس الذين دعوا لهذا الأمر وجدوا من بعض الحكومات التي فشلت في تنمية موارد الشعوب تبريرًا لعجزهم فألقوا المسؤولية على شعوبهم الفقيرة لأنهم يكثرون بالخلف الكثير. فبدلًا من أن يزيدوا الموارد المتاحة وينموها، طلبوا من الشعوب أن يقللّوا من عددهم، ولكن الفقراء والحمد لله يحبون الأولاد ويتبركون بهم ويعتقدون أنهم من أسباب سعة الرزق.

* من لطائف ما نصح به العلماء من لم يرزقوا الأولاد أن يكون لهم ورد دائم من الاستغفار، وأن يقبلوا على الله تعالى بالطاعات والخيرات، فيكون ذلك من الأسباب التي يجعلها الله تعالى سببًا في استحقاق الرحمة فيرزقهم الله الولد. وقد استنبطوا ذلك من مثل قوله تعالى: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا} [نوح: ١٠-١٢]. وقوله تعالى: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠) وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ٩٠، ٩١].

* ليس عطاء الأولاد دليلًا على الكرامة عند الله تعالى، فقد يعطي الله سبحانه الأولاد لمن يعصونه ويحرم من يطيعونه من الأولاد، وعلى العكس من ذلك، يقول الله تعالى:

{أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ} [المؤمنون: ٥٥، ٥٦] فقد يكون العطاء للاستدراج أو للابتلاء. عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد في الدنيا على معاصيه ما يحبّ، فإنما هو استدراج، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ}**» رواه أحمد والطبراني. وقد قال الله تعالى في معرض الزهادة في الدنيا والحض على عمل الآخرة: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا} [الكهف: ٤٦]. بل قد تكون الأولاد عند الكفار والفجار من أكبر أسباب الشقاء لهم، يقول الله عز وجل: {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة: ٥٥].

***

٢ العشرة الطيبة

[مع الأولاد وتربيتهم]

* الرحم شجنة من الرحمن، والأنثى مختصة بفضل من الله.
* الأرض والسماء، وعالم البشر وعالم الملائكة، والروح والمادة، في أحفال ملائكية داخل القرار المكين.
* الحامل ليست وحدها، يحل في أحشائها مخلوق يحيا بحياتها.
* ما ينبغي للأم الحامل أثناء الحمل عمله، أو تركه.
* التأوهات السعيدة للحادث الفريد، ولحظات قلق الولد.
* ما يجب اتخاذه من تدابير للأم الوالدة وللمولود الجديد.
* ريح الولد من ريح الجنة، وضم الوليد وشمه.
* تحنيك المولود واختيار اسمه الجميل الذي يدعى به يوم القيامة.
* المؤنسات الغاليات معهن البركة، والقيِّم عليهنَّ مُعان، وعزّ الولد الذي لم يكن.
* كل غلام رهينة بعقيقته.

الرحم شُجْنَةٌ من الرحمن

* **أيتها الأنثى:** لقد اختصك الله تعالى بأن جعلك صاحبة الرحم الذي تبدأ فيه حياة كل البشر، فإن كانت حواء خلقت من ضلع آدم عليهما السلام، فليس رجل أو امرأة في الوجود إلا وخلق في رحم أنثى، ففي رحمك يخلق الإنسان، وفي محضنك يتربى وينمو كل الناس، فأنت الأم، وأنت الزوجة، وأنت الابنة، وأنت الأخت، وأنت كل حبيبة، وأنت كل قرابة رحيمة، أنت الضرورة والأنيس لكل إنسان، فأنت الحب والحنان، وبك صلاح المجتمعات والعمران، أنت أيتها الأنثى شيء عظيم لو تعلمين، فاتّقي الله وكوني صالحة لتكرمي عند الله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: ١٣].

* إن رحم المرأة لمن أعظم معجزات الخالق في الخلق: {هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: ٦]. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١].

إن الرحم والأرحام قد جعلها الله سببًا للتواصل البشري على امتداد الزمان وانتشار العمران، والرحم هنا هو المعنى المطابق والمترشّح من رحم الأنثى الذي يبثّ منه الخلق.

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله**» رواه البخاري ومسلم، إذًا هو معنى الوصل والقطيعة بين الخلق الذين خلقوا في الرحم، فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**قال الله تعالى: أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشَقَقْتُ لها اسما من أسمى، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته**» رواه أبو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وعـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه قـال: سـمعت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يقـول: «**إن الرحـم شُـجْنَة مـن الرحمـن**» رواه أحمـد بإسـناد جيـد قـوي وابـن حبـان في صحيحـه، وعـن سـعيد بـن زيـد رضي اللـه عنـه عـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم أنـه قـال: «**إن مـن أربـا الربـا الاسـتطالة في عـرض المسـلم بغـير حـق، وإن هـذه الرحـم شُـجْنة مـن الرحمـن عـز وجـل، فمـن قطعهـا حـرم اللـه عليـه الجنـة**» رواه أحمـد والبـزار ورواة أحمـد ثقـات. قـال أبـو عبيـد إمـام اللغـة: شُـجْنَة مـن الرحمـن يعنـي قرابـة مشـتبكة كاشـتباك العـروق، وفيهـا لغتـان، شِـجنة بكـسر الشـين، وبضمهـا وإسـكان الجيـم.

***

أحفال الملائكة في القرار المكين

* قـضى اللـه تبـارك وتعـالى أن لا يتـم خلـق بـشر في الرحـم إلا بعـد أن يتـم اتصـال بـين الذكـر والأنثـى، وبـين الأرض والسـماء، وبـين عـالم الملائكـة وعـالم البـشر، وبـين عـالم الـروح وعـالم المـادة، في رعايـة إلهيـة عظمـى تتخـيّر مـن الأرحـام مـا شـاءت لتصـوّر القـدرة الإلهيـة فيـه مـا شـاءت مـن خلـق اللـه رب العالمـين، إن خلـق آدم عليـه السـلام مـن غـير اتصـال بـشري بقـول اللـه: كـن، فـكان بقدرتـه، ثـم خلـق حـواء عليهـا السـلام مـن آدم بـلا اتصـال بـشرى أيضًـا، ولكـن بالقـدرة، ثـم قـضى اللـه بسـنّة خالـدة أن لا يخلـق بـشر إلا باتصـال آدمـي بـين زوجـين، ذكـر وأنثـى، ولم تَسْـتَثْنِ الإرادة الإلهيـة سـوى خلـق عيـسى عليـه السـلام مـن أمِّـه مريـم البتـول عليهـا السـلام، أمـا العـرس الملائـكي والاتصـال بـين عـالم الملائكـة وعـالم البـشر، وبـين عـالم الـروح وعـالم المـادة فليـس فيـه أي اسـتثناء مـن ذلـك، وحتـى عيـسى عليـه السـلام فقـد اتصـل عـالم الملائكـة بمريـم الطاهـرة عليهـا السـلام، يقـول عـز وجـل: {فَأَرْسَـلْنَا إِلَيْهَـا رُوحَنَـا فَتَمَثَّـلَ لَهَـا بَـشَرًا سَـوِيًّا (١٧) قَالَـتْ إِنِّي أَعُـوذُ بِالرَّحْمَـنِ مِنْـكَ إِنْ كُنْـتَ تَقِيًّـا (١٨) قَـالَ إِنَّمَـا أَنَـا رَسُـولُ رَبِّـكِ لِأَهَـبَ لَـكِ غُلَامًـا زَكِيًّـا} [مريـم: ١٧-١٩]، وأمـا سـائر البـشر فقـد أخـبر النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم فيـما رواه عنـه أنـس بـن مالـك رضي اللـه عنـه قـال: «**وَكَّل اللـه بالرحـم ملـكًا، فيقـول: أي رب نطفـة؟ أي ربِّ علقـة؟ أي ربِّ مضغـة؟ فـإذا أراد أن يقـضي خلقهـا قـال: يـا رب أذكـر أم أنثـى؟ أشـقيٌّ أم**

سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب ذلك في بطن أمه**» رواه البخاري ومسلم.

- **فيا أيتها الأنثى الطاهرة**، يا أيتها الأم الكريمة: رحمك محلٌّ لهذا التكريم، ولهذا العناية الإلهية، وهذا الحفل الملائكي، وهذا الإبداع الخلْقي، في رحمك يهب الله تبارك وتعالى ما شاء من ذرية آدم لمن شاء من خلقه، رحمك باب الحياة ومفتاحها، وعليه مدار بقائها، فاتّقي الخالق واشكريه واعبديه ليُعيدك وَبَنيك إلى جنة الخلود.

- **أيتها المرأة الطاهرة، والزوجة الصالحة:** أنت الآن تحملين في أحشائك كائنًا آخر غيرك، أنت لست مثل الآخرين، تحيين ويحيى بحياتك مخلوق بين جنبيك لا يفارقك لحظة واحدة، فسبحان القائل {تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [آل عمران: ٢٧]، إن الأمر بالنسبة لك معاناة مع الشعور بسعادة فريدة، ولكن الأمر في طياته مسؤولية وحمل للأمانة، فجسمك وصحتك لم يعودا يخصانك وحدك، ولذلك أيتها الأم الحامل أقدم لك هذه التعليمات والإرشادات الخاصة بالحمل والولادة كما ذكرها المختصون بهذا الفرع من فروع العلم:

- الاهتمام بصحة الأم الحامل أثناء فترة الحمل في غاية الأهمية حتى تتجنب العديد من مشاكل الحمل والولادة، بالإضافة إلى أن ذلك يحافظ على صحة وحيوية الجنين طوال شهور الحمل وأثناء عملية الولادة، مما يترتب عليه سلامته بعد الولادة وخلال سنوات عمره. ويجب أن تعلم الأم الحامل الحريصة أنَّ كثيرًا من الأمراض الجسمانية والعقلية والنفسية والتشوّهات التي تصيب المولود وتستمر معه بعد ولادته تنتج من إهمال صحة الأم أثناء الحمل.

- معرفة بدء الحمل وحفظه هام لمتابعة الحمل ومعرفة موعد الولادة، ويبدأ حساب مدة الحمل من أول أيام الحيض الأخرى -أي تحتسب أيام الدورة الشهرية الأخيرة ضمن مدة الحمل- ومدة الحمل ٢٨٠ يومًا، أو أربعون أسبوعًا، أو تسعة شهور ميلادية وسبعة أيام، أو عشرة شهور قمرية.

- الاهتمام بالراحة وأخذ قسط وافر من النوم في الشهور الأولى للحمل، وعدم الإقدام على أعمال شاقة، أو السفر الطويل.

- يفضل الاستحمام يوميًّا بالماء الدافئ، ويكون برش الماء وليس بطريق الجلوس في «البانيو».
- تنظيف منطقة الشرج والمهبل بالماء والصابون، ويكون الغسيل من الخلف إلى الأمام، أي يبدأ غسل الشرج ويتجه إلى ناحية المهبل وليس العكس.
- لا حرج من الجماع طوال فترة الحمل طالما كان الحمل طبيعيًّا، ويفضل تركه في الأسابيع الأخيرة من الحمل.
- يجب أن تكون ملابس الحمل واسعة فضفاضة، سواء الداخلية أو الخارجية وينصح بعدم لبس حذاء له كعبٌ عالٍ.
- الاهتمام بصحة أسنان الحامل ونظافتها في غاية الأهمية، فيجب غسل الفم والأسنان بعناية بعد كل طعام، والمسارعة بالعلاج عند حدوث أي التهاب باللّثّةَ أو الأسنان، إذ إن إهمال العلاج قد يؤدي إلى حدوث حُمَّى النّفاس بعد الولادة.
- ينبغي تجنّب الإمساك أثناء فترة الحمل، ويساعد على ذلك زيادة تناول المشروبات، وتناول الخضراوات الطازجة.

*** تحذير هام:**

ينصح بعدم أخذ أي صنف من الأدوية، أثناء فترة الحمل، إلا بعد استشارة أهل التخصص من فرع النساء والولادة، حتى ولو كان الدواء علاجًا قرره طبيب في فرع طبي آخر، حيث إن أمراضًا عديدة تصيب الجنين في رحم الحامل بسبب تناولها بعض الأدوية دون استشارة متخصصة، من ذلك، تأخر نموّ الجنين، وضعف بنيته الجسمانية، حدوث آلام وأورام في الرقبة والكلية للمولود، ضعف الأسنان عند ظهورها عند المولود، انشقاق سقف الحلق، ومن ذلك موت الجنين في مراحل تكونه وحدوث الإجهاض، حدوث أورام سرطانية وتشوّهات للمولود في القلب والرئة والعينين والساقين ... إلخ.
- ينصح بأخذ الحامل عن طريق مختص مَصْل ضد التيتانوس بعد الشهر الرابع من الحمل.
- ينصح بمتابعة الأم الحامل والجنين متابعة طبّية بتوقيع الكشف مرة كل شهر ابتداء

مـن الشـهر الأول حتـى الشـهر السـابع، ثـم الكشـف مرتـين خـلال الشـهر السـابع ومرتـين خـلال الشـهر الثامـن، والكشـف أسـبوعيًّا خـلال الشـهر التاسـع، وخاصـة في حالـة الحمـل لأول مـرة أو إذا كان هنـاك مـا يدعـو لذلـك.

- مـن أعـراض الحمـل: انقطـاع الحيـض، والميـل إلى التّقيّـؤ، والكسـل والخمـول، والرغبة الشـديدة في النـوم وكثرتـه، والهبـوط العـام مـع الشـعور بالدّوخـة، وضعـف الشـهية للطعـام، وذلـك كلـه في الشـهور الأولى للحمـل.

- وينصح بسرعة العلاج والاتصال بالطبيب أو الطبيبة في الحالات الآتية:

١- القـيء الشـديد والمتكـرر أثنـاء الفـترة الأولى للحمـل والـذي يـؤدي إلى الهبـوط الحـاد ونقـص الـوزن بشـكل ملحـوظ؛ لأن الأمـر يحتـاج للعـلاج.

٢- نزول أي كمية من الدم من المهبل في أي فترة من فترات الحمل.

٣- المغص الشديد والحاد الذي يصحبه آلام في الظهر خلال أية فترة من الحمل.

٤- الصداع الشديد الدائم.

٥- تورم القدمين.

٦- الزيادة الكبيرة في الوزن التي تفوق المعدّل العادي.

٧- الكـبر السريـع في حجـم البطـن خاصـة في الثلـث الثـاني مـن فـترة الحمـل (مـن ١٦- ٢٤ أسـبوعًا) لأن أيًّـا مـن هـذه الحـالات تـدل عـلى حـدوث أمـر غـير طبيعـي عنـد الأم الحامـل أو للجنـين وقـد يـؤدي ذلـك إلى حالـة الإجهـاض.

- يجـب إخبـار الطبيـب أو الطبيبـة واستشـارتها إذا كانـت الأم الحامـل لهـا تاريـخ مـرضي سـابق عـلى الحمـل مثـل الإجهـاض السـابق أو المتكـرر، أو إذا كان هنـاك ارتفـاع في ضغـط الـدم، أو مـرض السـكر، أو حـدوث تسـمّم سـابق بسـبب حمـل، أو مـوت الجنـين داخـل الرحـم، أو أن ولادةً كانـت في الشـهر السـابع لمـرةٍ سـابقة.

- في بدايـة الحمـل تكـون شـهية الأم الحامـل ضعيفـة، ويمكـن التغلّـب عـلى ذلـك بتنـاول أصنـاف مـن الطعـام خفيفـة مثـل البسـكويت مـع الشـاي في الصبـاح عقـب الاسـتيقاظ، ثـم تنـاول

وجبات قليلة في أوقات متكررة متقاربة، أو عند الشعور بالرغبة في الطعام، مع شرب نصف كيلو لبن طازج يوميًّا كلما أمكن.

- ظاهرة «الوَحَم» ظاهرة نفسية، ولا تدل على احتياج طبيعي للنوع المشتهى من الطعام، وعدم تناول أي شيء من ذلك لا أثر له عند الحامل ولا عند الجنين، وكل ما يحكيه العوامّ من النساء عن آثار ذلك لا ثبوت له علميًّا ولا واقعيًّا، وقد يكون وراء هذا الوَحَم كَوَامِن نفسية لدى الأم الحامل، مثل رغبتها في أن يُهتم بها وترى (معزتها) عند الأهل والزوج، وقد لا يقصد البعض صراحةً مثل ذلك الأمر، ولكن الارتباط النفسي للسماع عن هذا الأمر منذ الصغر يجد الاستجابة التلقائية النفسية عند حدوث الحمل.

- يجب أن يعتنى بتغذية الأم الحامل وتناولها الكميات اللازمة من الأطعمة البروتينية والخضراوات الطازجة والفواكه الطازجة. والكميات المطلوبة بحسب وزن جسم الأم الحامل، فإذا كان وزنها ٧٠ سبعين كيلو جرام فإنها تحتاج ما قيمته ١٤٠ جرامًا من البروتين يوميًّا، أي لكل كيلو جرام في الوزن جرامان من البروتين. ويبقى اللبن في غاية الأهمية للأم الحامل، عليها إذا لم تكن تستسيغه أن تضيفه إلى أي شيء تشربه، لأن قلة اللبن في الوجبات يؤدي إلى هشاشة عظامها، الأمر الذي يسبب لها الآلام في ظهرها وساقيها وقد يؤدي إلى تسوّس الأسنان وسقوطها.

- الزيادة في وزن الأم الحامل أمر طبيعي، ولكن ينبغي ألا تزيد طوال مدة الحمل عن ١٣ ثلاثة عشر كيلو جرامًا بالتدريج، بحيث يكون معدّل الزيادة خلال الصنف الأول لمدّة الحمل حوالي ٢٠٠ (مائتي) جرام في الأسبوع، ويكون معدّل الزيادة خلال النصف الثاني لفترة الحمل حوالي ٥٠٠ (خمسمائة) جرام في الأسبوع. ولا بد من متابعة الوزن بدقة أثناء الحمل حتى لا تكون هناك زيادة مفرطة لخطورة ذلك على الأم الحامل وعلى عملية الولادة، وزيادة معدل الوزن بالخطورة التي تكون لنقصه أثناء فترة الحمل. ويساعد على زيادة الوزن تناول كميات من السمن أو الزبد أو السكريات أو النشويّات.

- مع زيادة الوزن وفي الثلث الأخير من فترة الحمل تشعر الأم الحامل ببعض الآلام في أسفل البطن وأسفل الظهر، وكذلك بالساقين. أما الإحساس بحركة الجنين فيبدأ عند البكر

حوالي الأسبوع ١٨-٢٠ من بداية الحمل، والتي تكرر الولادة والحمل ففي خلال الأسابيع ١٦-١٨ من بداية الحمل.

- يجب عمل تحليل كامل للدم للاطمئنان على نسبة الهيموجلوبين، ومعرفة فصيلة الدم، وللتأكد من خلوّ الأم الحامل من أمراض الدم الوراثية مثل الزهري، ولأمرٍ هام جدًّا وهو الاطمئنان على المعامل R.H، لأن هناك نسبة من النساء يوجد عندها هذا المعامل والذي يتسبب في موت الجنين بعد أول ولادة، وفي حالة وجوده لدى الأم الحامل يلزم أخذها للحقنة اللازمة لذلك خلال مدة ٤٨ ساعة من الولادة.

- من خلال الشهر الأخير من الحمل ينصح بغسل حلمتي الثَّدْي بالماء والصابون يوميًّا، مع تكرار شد الحلمة بالإبهام والسبابة أثناء اليوم، وذلك لضمان عدم اختفائهما في طيات الثدي عند الولادة، مما يعوق عملية الرضاعة بعد الولادة.

***

التأوهات السعيدة للحادث الفريد

* **أيها الأب السعيد الذي وهبه الله تعالى الزوجة التي تلد لك الولد:** كن رحيمًا بزوجتك الحامل التي تترقّب موعد الولادة بقلق وخوف وشوْق، فهي تحتاج منك إلى المساندة، والعناية الزائدة، والصبر، وتذكر أنها ستلد إن شاء الله تعالى من يحمل اسمك أنت دون اسمها، وأجرها هي على الله، فرفقًا أيها الأب الوالد بزوجتك، خاصة في الأشهر الأخيرة من الحمل، لأنها مُجْهدة، فهوِّن عليها، ولا تكن سببًا في زيادة قلقها، حتى ولو قصّرت -دون قصد طبعًا- في خدمتك أو موانستك، فلا تعاتبها ولا تطالبها بكل ما تحب من واجباتها نحوك، أو نحو البيت.

* **أما أنت أيها الأم الحامل:** فلا تترددّي في القيام بالأعمال المنزلية والواجبات الزوجية ما أمكنك، فإن كثرة الحركة والمشي يفيد عملية الولادة ويسهّلها، ولا تتخوّفي من الولادة فإنك مؤهلة بالفطرة لها، وتذكري أن الملايين من أمثالك يلدن كل يوم، وتيقّني أيضًا أن زوجك

يحبـك جـدًّا ويخـاف عليـك حتـى وإن لم يـصرح بذلـك كعـادة الرجـل. وتذكـري دائمًـا أن اللـه معـك دائمًـا، وأن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم يبـشِّرك بالبشريـات العظيمـة، فقـد روى الطـبراني بسـنده «**أن سـلامة حاضنـة إبراهيـم ابـن النبـي صلى اللـه عليـه وسـلم قالـت: يـا رسـول اللـه، تبـشر الرجـال بـكل خـير ولا تبـشر النسـاء؟ قـال: أَصُوَيْحِبَاتِـك دسَّـسْنَك لهـذا؟ قالـت: أجـل، هُـنَّ أَمَرْنَنـي، قـال: أفـلا تـرضى إحداكـن أنهـا إذا كانـت حامـلًا مـن زوجهـا وهـو عنهـا راضٍ، أن لهـا مثـل أجـر الصائـم القائـم في سـبيل اللـه؟ فـإذا أصابهـا الطلْـق لم يعلـم أهـل السـماء وأهـل الأرض مـا أُخفـي لهـا مـن قـرة أعـين، فـإذا وضعـت لم يخـرج منهـا جرعـة مـن لبنهـا، ولم يُمَـصَّ مصـة إلا كان لهـا بـكل جرعـة، وبـكل مصـة حسـنة، فـإن أسـهرها ليلـةً كان لهـا مثـل أجـر سـبعين رقبـة تعتقهـنّ في سـبيل اللـه**» رواه الطـبراني ورواتـه كلهـم ثقـات، كـما روى الطـبراني أيضًـا عـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم «**المـرأة في حملهـا إلى وضعهـا إلى قضائهـا، كالمرابـط في سـبيل اللـه**» فـأي خـير أنـت عليـه أيتهـا الحامـل للخـير؟ غَنِيَمـةٌ تغنمهـا كل امـرأة تؤمـن باللـه العظيـم، طـوال الليـل والنهـار، وهـي نائمـة ومسـتيقظة منـذ أن قـدّر اللـه تعـالى الحيـاة في النطفـة التـي اسـتقرت في رحمهـا، وحتـى يسـتغني عنهـا طفلهـا، إنهـا الأرزاق والمواهـب الربانيـة الكريمـة للنسـاء الوالـدات الضعيفـات المؤمنـات المرضيـات للـه ثـم لأزواجهـن.

* يـوم الوضـع والـولادة لـه مقدّمـات وعلامـات، فيعـرف اقـتراب موعـد الـولادة عندمـا يحـدث للحامـل آلام أسـفل البطـن وأسـفل الظهـر، وبانتظـام مـع الازديـاد المسـتمر والتتابـع كلـما تقـدم الوقـت، ثـم يتـم نـزول –العلامـة- وهـي عبـارة عـن كتلـة مخاطيـة صغـيرة مدممـة –أي يعلـق بهـا نقـط مـن الـدم- ويعنـي ذلـك أن عنـق الرحـم قـد فُتـح اسـتعدادًا لنـزول الجنـين، نعـم إن الجنـين الـذي تكـوّن ونمـا وحُفِـظ في الرحـم الـذي كان لـه قـرار مكـين، قـد أذن الـذي صَـوّره في أحسـن تقويـم سـبحانه وتعـالى أن يخـرج إلى الحيـاة مـن بـاب عنـق الرحـم، وقـد تـم فتحـه ليخـرج المولـود عـلى هيئـة السـاجدين، وجهـه نحـو الأرض وجسـمه عـلى هيئـة السـاجد، وأول حـدث وفعـل في حيـاة المولـود يُسَـمّى اسـتهلالًا، وهـو صـوت يخرجـه بقـوة عـلى شـكل صيحة أو عطسـة، وكأنـه يسـبح بلغتـه أن لا إلـه إلا اللـه، وهـذا الاسـتهلال هـو أمـارة حيـاة المولـود، يقـول النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**لا يـرث الصبـي حتـى يسـتهل صارخًـا، واسـتهلاله أن يصيـح أو**

يبكي أو يعطس» رواه الطبراني.

- تستغرق الولادة بالنسبة للبكر، من بدء أعراض الولادة حوالي ١٦-٢٤ ساعة، وبالنسبة لمن تكررت ولادتها من ٦-١٠ ساعات.

- ينصح أن تغتسل الأم الحامل بالماء الدافئ عند بداية الشعور بآلام الولادة، مع تنظيف منطقة الشرج والمهبل بمطهّر موضعي مثل (البيتادين).

- مع اللحظة الأولى لاستقبال المولود، يتم تنظيفه، ويسرع في تقديمه للأم الوالدة لتضعه في حضنها وتلقمه الثدي، ويفضل ألا نطعمه شيئًا آخر حتى لو كانت الأم الوالدة منهكة، ولو لمدة ساعتين.

- ينصح بأن تشرب الأم الوالدة بعد الولادة بعض المشروبات الدافئة، ليساعدها على النشاط والحيوية، ومن أجل إدرار اللبن للرضيع.

- ينبغي أن تكون ملابس الأم الوالدة، والمولود، واسعة فضفاضة، وأن يدهن جسم المولود، بعد تنظيفه بزيت اللوز، وأن يقطر في عينيه قطرة (فينيكول).

- تبدأ الأم الوالدة في عمل تدريبات رياضية، بعد الولادة بأربع وعشرين ساعة، وخاصة تدريبات تقوية عضلات البطن خوفًا من التَّرهل.

* من الأمور الشرعية التي يجب أن نحافظ عليها، لما فيها من فوائد: التأذين وقت ولادة المولود بصوت منخفض في أذن المولود، قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذّن في أذن الحسن بن علي، حين ولدتْه فاطمة رضي الله عنها**» رواه الترمذي وأبو داود، وزاد رزين في كتابه «**وقرأ في أذنه سورة الإخلاص، وَحَنّكه بتمرة وَسَمّاه**».. قال ابن قيم الجوزية: وسرُّ التأذين -والله أعلم- أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة للكبرياء والعظمة للرب، والشهادة التي أول ما يدخل بها الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلقّن كلمة التوحيد عند خروجه منها، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره به وإن لم يشعر، مع ما في ذلك من فائدة أخرى، وهي هروب الشيطان من كلمات التأذين، وهو الذي كان يرصده حتى يولد فيقارنه للمحنة التي قدّرها الله وشاءها،

فيسمع شيطانه ما يصفعه ويغيظه أول أوقات تعلقه به، وفيه معنى آخر، وهو أن تكون دعوته إلى الله وإلى دينه الإسلام وإلى عبادته، سابقة على دعوة الشيطان، كما كانت فطرة الله التي فطر الناس عليها سابقة على تغيير الشيطان لها ونقله عنها، ولغير ذلك من الحكم.

أقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك مرارًا، بل أمر بذلك، فعند أبي داود وكما رواه الطبراني «**أن النبي صلى الله عليه وسلم أذَّن في أذن الحسن والحسين حين وُلدا وأمر به**».

***

ريح الولد من ريح الجنة

* لقد أصبحت الأم الحامل والدة، وأصبح الزوج أبًا لمولود، ولقد ترتب على هذا الحادث السعيد مسؤوليات وحقوق وواجبات، ولقد انقطع الشوْق والترقّب للمولود برؤيته، ولقد وجب شكر الواهب على هبته وعظيم عطائه، ولقد مَنَّ الله وسَلِمَ المولود وعُوفيت الوالدة، فبين يدي الوالدين الآن شيء قريب العهد بالرحمن والملأ الأعلى، فقد روى الطبراني في المعجم الصغير وفي المعجم الأوسط عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ريح الولد من ريح الجنة» ولعل ذلك يفسّر الشوق الفطري لبني آدم للجنة ولموطن الأرواح حيث يقرّب الإنسان المولود والطفل إلى أنفه فيشمّه، وقد كان يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم «أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه إبراهيم فقبّله وشمّه»** رواه البخاري ومسلم وكان يقول صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها «ادعي لي ابني، فيشمّهما ويضمهما إليه» رواه الترمذي. ولقد بلغ حب سيدنا يعقوب لابنه سيدنا يوسف أن وَعَت حافظته ريح يوسف، قال الله عز وجل: {اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ} [يوسف: ٩٣، ٩٤]. فيجب ألا يُنْسِي الفرح بالمولود، شكر الله وحمده على المولود وعلى سلامة الوالدة، فقد علمنا صاحب الملّة الحنيفية سيدنا

إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام أن نفعل ذلك، حيث يقول الله عز وجل على لسانه: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ} [إبراهيم: ٣٩].

* من الأفعال المسنونة في شريعتنا تحنيك المولود، وهو عبارة عن مضغ تمرة جيدًا بحيث تختلط بلعاب الذي يقوم بهذا الأمر، ثم أخذ شيء من ذلك اللّعاب على باطن الإصبع السّبّابة ويمسح به حنك الطفل المولود مع الدعاء له. عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**خرجت أسماء بنت أبي بكر، حيث هاجرت وهي حُبْلى بعبد الله بن الزبير، فقدمت قُباء فنفست بعبد الله بقباء، ثم خرجت حين نفِسَت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحنّكه، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره، قالت عائشة: فمكثنا ساعة نلتمسها -يعني التمرة- قبل أن نجدها، فمضغها في فيه، فأوَّل شيء دخل بطنه لريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت أسماء: ثم مسحه وصلى عليه وسمّاه عبد الله**» رواه البخاري ومسلم، ونَفِسَت، أي ولدت فهي نُفَسَاء. وصلى عليه: أي دعا له. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «لمّا وُلد الحسن سميته حربًا، وكنت أحب أن أكتنى بأبي حرب، فجاء النبي صلى الله علهي وسلم فحنّكه فقال: ما سميتم ابني؟ فقلنا: حربًا، فقال: هو الحسن، ثم وُلد الحسين فسميته حربًا، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فحنّكه فقال: ما سميتم ابني؟ فقلنا حربًا، فقال: هو الحسين» رواه البزار والطبراني وأحمد ورجالهم رجال الصحيح.

* ويُختار للمولود اسم جميل ينادى به في الدنيا وأمام الخلق يوم القيامة، وقد رأينا في الحديثين السابقين أن النبي صلى الله عليه وسلم سمى عبد الله بن الزبير، والحسن والحسين ابني علي وفاطمة رضي الله عنهم. وقال صلى الله عليه وسلم: «**إن من حق الولد على الوالد أن يُحْسن اسمه، وأن يحسن أدبه**» رواه البزار. بل إن الحس الجمالي عند المسلم وتفاؤله الدائم ليجعل شعوره مرهفًا نحو كل اسم لأي شيء، فقد جاء في الحديث «**أن النبي صلى الله عليه وسلم مَرَّ بأرض يُقال لها: غَدْرة فسمّاها خضرة**» رواه أبو يعلى والطبراني ورجال سند أبي يعلى رجال الصحيح. وعن عبد الرحمن بن سبرة رضي

الله عنه قال: «**أتيت النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي وأنا غلام، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما اسم ابنك هذا؟ قال: اسمه عزيز، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ولكن سمِّه عبد الرحمن فإن أحب الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن**» رواه الطبراني وإسناد رجاله رجال الصحيح. وعن سهل بن سعد رضي الله عنه «**أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بالمنذر بن أبي أسيد حين ولد، فوضعه على فخذه، وأبو أسيد جالس، فلهى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء كان بين يديه، فأمر أبو أسيد بابنه فاحتمل من على فخذ النبي صلى الله عليه وسلم، فقلبوه، فاستفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما اسمه؟ قال: فلان، قال: لا، ولكن اسمه المنذر، فسمّاه يومئذ المنذر**» رواه البخاري ومسلم. ثم لنسمع هذا الخبر الهام والتوجيه الكريم من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «**إنكم تُدْعَون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم**» رواه أبو داود.

* ويستحب أن يكنّى الوالد والوالدة باسم أكبر الأولاد، فعن شريح بن هانئ رضي الله عنه عن أبيه رضي الله عنه قال: «لما وَفَد أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مع قومه، سمعهم يكنّونه بأبي الحكم، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن الله هو الحكم وإليه الحكم، فلم تكنّى أبا الحكم؟ فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الطرفين بحكمي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أحسن هذا، فما لك من الولد؟ قال: لي شريح، ومسلم، وعبد الله، قال: فمن أكبرهم؟ قال: قلت: شريح، قال: فأنت أبو شريح» رواه النسائي وأبو داود. فالسنة تدعو لاختيار الاسم الحسن، بل وتغيير الاسم غير الحسن إلى الأحسن، وأن من المستحب أن يكون للوالد كنية، وأن يكنى باسم أكبر الأولاد، وحتى لا يكون اختيار التكنية بغير اسم الابن الأكبر شيء في نفس باقي الأولاد.

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قلت: يا رسول الله كل صَوَاحبي لهن كُنّى، قال: فاكتني بابنك عبد الله بن الزبير، فكانت تكنَّى: أم عبد الله» رواه أبو داود، وعبد الله ابن الزبير هو ابن أسماء بنت أبي بكر أخت عائشة رضي الله عنهم.

ضعيفة خرجت من ضعيفة .. القيِّم عليها مُعان إلى يوم القيامة

* من الأمور التي يترقّبها ويتشوّق لمعرفتها الأب الوالد، وكذلك الأم الحامل ومن يهمه أمر الحمل، هو معرفة ما إذا كان المولود ذكرًا أم أنثى؟ وهذا أمر شائع عند معظم الناس وإن كانت رغباتهم لأي من النوعين تختلف، وسبحان الله الذي اختص بالعلم والخلق للذكر والأنثى، ولو تصوّرنا أن هذا الأمر متروك لرغبات البشر، وأنهم هم الذين يحدّدون نوع الولد الذي يرغبون فيه لتوقفت الحياة البشرية، أو قل لأصبح الأمر معضلة فوق التصوّر، فالله عز وجل هو الذي يصوّر في الأرحام ما يشاء، وهو سبحانه الذي يعلم ما في الأرحام علمًا محيطًا بتدبير الوجود كله، فبرغم أحداث الحياة من موت وميلاد تظل النسبة التي تنتظم بها الحياة محافظًا عليها، وذكرني ذلك بدرس للشيخ المطيعي رحمه الله قال فيه: إن من عجائب القدرة أن نجد ذكر الفراخ الرومية كثير ونجد إناثه قليلة، لأن الناس تعوّدوا أكثر الذكور، وفي نفس الوقت نجد إناث الفراخ البلدي كثيرة والديوك قليلة لأن الناس تعوّدوا أكل إناثها أكثر من الديوك.

* وأنت أيتها الأم الحامل، أو الأم الوالدة: عليك بقبول هبة الله لكِ، ذكرًا أو أنثى، واشكري الله تعالى، واعلمي أن الخير فيما قدّره الله، وليس الخير فيما ترغبين فيما يخالف تقديره الحكيم، وقد قال تعالى في محكم التنزيل {آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا} [النساء: ١١] فالولد عِزّ لم يكن والبنت بركة للأهل. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**إذا وُلدت الجارية بعث الله عز وجل إليها ملكًا يزفّ البركة زفًا، يقول: ضعيفة خرجت من ضعيفة، القَيّم عليها مُعان إلى يوم القيامة**» رواه الطبراني، هكذا تكون البنت لأهلها بركة يزفها إليهم ملك من السماء، وأن هذا أمر دائم إلى يوم القيامة، بل يحذّر النبي صلى الله عليه وسلم من كراهة البنات ويدعو لحبهم والفرح بهن، وكان صلى الله عليه وسلم يحب بناته حبًّا عظيمًا ويقول: «**لا تكرهوا البنات، فإنهن المؤنسات الغاليات**» رواه أحمد والطبراني وإسناده حسن. نَعَم إنهن المؤنسات في الدنيا بعد الإيمان، ولا أنس في الدنيا كالأنس بالمرأة، ونَعَم، إنهن الغاليات لو غبْنَ عن بيت أصبح قريبًا من القبر. وقال صلى الله عليه وسلم: «من كانت له أنثى، فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر عليها

ولـده، يعنـي الذكـور عليهـا، أدخلـه اللـه الجنـة» رواه أبـو داود، فالبنـت سـبب لدخـول الجنـة فكيـف لا يفـرح لهـا؟ وقـال أيضًـا صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**مَـن كان لـه ثـلاث بنـات يؤدبهـن، ويرحمهـن، ويكفلهـن، وجبـت لـه الجنـة، قيـل: يـا رسـول اللـه فـإن كانتـا اثنتـين؟ قـال: وإن كانتـا اثنتـين، قـال: فـرأى بعـض القـوم أن لـو قـال واحـدة لقـال واحـدة**» رواه أحمـد والبـزار والطـبراني وزاد «**ويزوجهـن**» وإسـناد أحمـد جيـد. وقـال أيضًـا صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**مـن كانـت لـه ابنـة فأدبهـا وأحسـن أدبهـا وعلمهـا وأحسـن تعليمهـا وأوسـع عليهـا مـن نعـم اللـه التـي أوسـع عليـه، كانـت لـه منعـة وسـترًا مـن النـار**» رواه الطـبراني، فهـل هنـاك مطمـع فـوق النجـاة مـن النـار ثـم دخـول الجنـة؟ إن البنـات وخلفتهـا قـد جمعـت غايـة العبـادة في الدنيـا للعبـد الموفّـق بسـببهن. حتـى ولـو كـن أخـوات ولسـن أولاد فالقيـام عليهـنّ يعطـي العبـد نفـس الأجـر والجـزاء، يقـول النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**مَـنْ كانـت لـه أختـان فأحسـن إليهـما في صحبتهـما دخلـت بهـما الجنـة**» رواه ابـن ماجـة وأحمـد. ويقـول أيضًـا صـلى اللـه عليـه وسـلم: «مـن أنفـق عـلى ابنتـين أو أختـين أو ذي قرابـة، يحتسـب النفقـة عليهـما حتـى يغنيهـما مـن فضـل اللـه، أو يكفيهـما، كانتـا سـترًا لـه مـن النـار» رواه أحمـد والطـبراني.

- وأمـا مـن وهبـه اللـه تعـالى الولـد، فـلا أعظـم وصفًـا لهـذا العطـاء مـن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وهـو يقـول: «**مـا وُلـد في أهـل بيـت غـلام إلا أصبـح فيهـم عـزٌّ لم يكـن**» رواه الطـبراني ورجالـه ثقـات، وقولـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**إذا نظـر الوالـد إلى ولـده فـسرَّه كان للوالـد عتـق نسـمة، قيـل: يـا رسـول اللـه وإن نظـر ثلاثمائـة وسـتين نظـرة؟ قـال: اللـه أكـبر**» رواه الطـبراني في الكبـير وإسـناده حسـن، أي اللـه أكـبر في عطائـه للعبـد مـما تتوهّمـون وتسـتعظمون، فاللـه أكـبر وللـه الحمـد في الدنيـا والآخـرة، واجعـل اللهـم الإسـلام منتهـى رضائنـا وأوزعنـا شـكر نعمـك.

***

كل غلام رهينة بعقيقته

* العقيقة اسم الذبيحة التي تذبح لله باسم المولود عند الولادة يوم السابع، ويستحب أن يجتمع الأهل والمعارف على هذا الطعام لزيادة الألفة، والتَّيامن والبشرى بالمولود والدعوة له، وفعل ذلك من سنن الهدى التي شرعها الإسلام، فيجب المحافظة على فعلها بما تيسّر من الطعام إذا لم يقدر على ذبح الذبائح، ويفضل الذبح عند المقدرة فيما بعد، كما أن السنة أن يتصدق بقدر وزن شعر المولود ذهبًا أو فضة، وهو في الحقيقة قدر ضئيل نزر لضآلة شعر المولود، وكذلك من السنة إزالة شعر المولود ودهن رأسه بأي نوع من الطيب، وكل هذه الأفعال ثابتة شرعًا والحكمة فيها قد تدرك وقد لا تدرك بالعقل، والخير كله في اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم. روت عائشة رضي الله عنها قالت: «**عقَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسن والحسين، شاتين، شاتين، يوم السابع، وأمر أن يُماط عن رأسه الأذى، وقال: اذبحوا على اسمه وقولوا: بسم الله، الله أكبر، منك ولك، هذه عقيقة فلان، قال: وكانوا في الجاهلية تؤخذ قطنة فتجعل في دم العقيقة ثم توضع على رأسه، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل موضع الدم خلوقًا**» رواه أبو يعلى والبزار ورجاله رجال الصحيح. والخلوق: نوع من الطيب والذبح للولد شاتان عند القدرة، فلا يكلف الله بغير المستطاع، ولذلك فقد جاءت بعض الأحاديث مطلقة وغير مقيدة بقدر عدد المذبوح، وجاءت أحاديث أخرى أن للولد شاة واحدة، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقَّ عن الحسين بشاة، وقال: يا فاطمة احلقي رأسه، وتصدقي بزنة شعره فضة، قال: فوزنّاه، فكان وزنه درهمًا أو بعض درهم» رواه الترمذي. وفي الحديث الذي رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي عنه صلى الله عليه وسلم: «**مع الغلام عقيقته، فأهريقوا عنه دمًا، وأميطوا عنه الأذى**».

- ولعل بعض الحكمة في فعل هذه العقيقة، قد يفهم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود والترمذي والنسائي وهو حديث صيح قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: «**كل غلام رهينة بعقيقته، تذبح عنه يوم السابع، ويحلق رأسه، ويسمّى**» قال الإمام الخطابي: قال الإمام أحمد بن حنبل في معنى رهينة: هذا في الشفاعة، يريد أنه إذا لم يعق عنه فمات طفلًا، لم يشفع في والديه.

- لا يمنع من تسمية المولود في أي وقت، كما لا يمنع فعل العقيقة في غير يوم السابع ولكن الأكمل فعل ذلك، وقالوا: يستحب لمن فاته يوم السابع أن يفعلها بعد سبعة أيام أخرى، ثم سبعة أخرى.

***

٣ العشرة الطيبة

[مع الأولاد وتربيتهم]

* المخلوق البشري يحتاج إلى أطول فترة من الرعاية والاعتماد على غيره.
* الأم المرضعة هي أحنا إنسان على المولود بدليل الكتاب والسنة وواقع الناس.
* الحضانة للأم، ولبنها له حكم شرعي في التحريم.
* اللذة والألم هما المحرك الأول لسلوك الإنسان.
* نوم الرضيع وجوعه وصراخه لها أسباب.
* الرضيع له لغة يعبّر بها، وصراخه قد يكون من شدّة ذكائه.
* الذاتية المفرطة عند الطفل فطرة تقوى وتضعف، وأمرها يُتَدارك.
* ماذا يعني ميلاد طفل في أسرة لديها أطفال؟ وهل يغير الصغار والكبار؟
* متى يكتسب الطفل الثقة في نفسه وفي الآخرين؟ وأثر العلاقات الاجتماعية داخل أسرة.
* الخطأ والصواب عند الصغير، وشعوره بالذنب وتأثره بالعقوبة.
* الوالد المتسامح، والمتشدّد، وقواعد السلوك عند الطفل الصغير.
* التدليل الزائد، وخاصة للطفل الأول وآثار ذلك.
* مشاكل التحكم في الإخراج والفطام والخروج منهما بلا صدمات وآلام.
* اللعب لذة واستمتاع بالمولود، ومن المولود.
* ملاحظات عامة على مرحلة الرضاعة.

خير النساء، أحناه على طفل في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده

المخلوق البشري هو المخلوق الذي يحتاج إلى أطول مدّة زمنية من الرعاية، ولا يستقلّ بنفسه إلا بعد جهد ورعاية طويلة تقدم له من الآخرين. والمولود بذلك يكون أمانة الله تعالى عند والديه، وُضع بين أيديهما ضعيفًا لا يدرك، ولا يقدر على شيء، عليهما رعايته ومساعدته حتى يستغني عنهما ويستقل بنفسه بعد سنوات، وأجرهما يقع على الله تعالى الذي أَوْدع في قلبيهما، محبة المولود، والشفقة عليه، والحنان الدائم نحوه، والتضحية من أجله، والرغبة في راحته وقضاء متطلباته، وَحَبَا الأم الوالدة خاصة بالنّصيب الأوفر من ذلك كله، حتى جعل جنة الأولاد تحت أقدامها. وفي التاريخ المتكرر كل يوم نماذج من العطاء الربّاني للأمهات مع أولادهن ما يستحق التخليد، وبقدر هذا العطاء الفطري في غريزة الأم تكون الخيرية بين النساء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**نساء قريش خير نساء ركبن الإبل، أحناه على طفل في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده**» رواه البخاري ومسلم، ومعنى أحناه، أعطفه وأشفقه، وأرعاه على زوج، من المراعاة والحفظ والرفق وتخفيف الكُلَف. ومن ألطف وأظرف الحكايات في ذلك، ما روته أم قيس بنت محصن أخت عكاشة بن محصن رضي الله عنهما قالت: «**تُوُفِّي ابني، فجزعت عليه، فقلت للذي يغسّله: لا تغسل ابني بالماء البارد فتقتله، فانطلق عكاشة بن محصن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بقولها، فتبسم، ثم قال: ما قالت طال عمرها!! فلا تُعْلم امرأة عَمِرتْ ما عمرت**» رواه النسائي.

وقد روى البخاري ومسلم قصة غريبة في هذا الشأن حكاها لنا النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت هذه لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أَشُقّه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل رحمك الله هو ابنها، فقضى به للصغرى**» وقد قيل إن

تلك القصة هي التي عناها القرآن في قوله تعالى {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ} وكلما كان المولود صغيرًا ضعيفًا كان الحنوّ والشفقة من الأم أعظم، روى النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لما كانت ليلة أسرى بي، أتيت على رائحة طيبة، فقلتُ: يا جبريل ما هذه الرائحة؟ قال: هذه رائحة ماشطة فرعون وأولادها، قلت: وما شأنها؟ قال: بينما هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم، إذْ سقط المدْرى من يدها -المشط- فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك الله، قالت: أخبره بذا؟ قالت: نعم، فأخبرته، فدعاها، فقال: يا فلانة، وَأَنّ لك ربًا غيري؟ قالت: نعم، ربي وربك الله، فأمر بنُقْرة -أي إناء- من نحاس فأُحْميت ثم أمر أن تُلْقى هي وأولادها فيها، قالت له: إن لي إليك حاجة؟ قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام أولادي في ثوب واحد فتدفننا جميعًا، قال: ذلك علينا من الحق، قال: فأمر بأولادها فألقوا بين أيديها واحدًا واحدًا، إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مُرْضَع، كأنها تقاعست من أجله، قال: يا أُمّه اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فاقتحمت**» رواه أحمد والبزار والطبراني، فهذه الأم الوالدة قد ثبتت لقوة إيمانها لتهديد فرعون، بل وهي ترى أبناءها واحدًا واحدًا يُلْقى في العذاب الشديد ليموت، ولكنها تردّدت وكادت تتراجع عندما أُمرت بإلقاء ابنها الرضيع، لولا أن أنطقه الله تعالى وهو في المهد كرامةً لجهادها. وهذا الحنان الوافر عند الأم الوالدة لا يمتنع معه أن يكون الأب الوالد رحيمًا شفوقًا على الأولاد، فهذا قدوة البشر صلى الله عليه وسلم يُخبر عنه من عايشه عن قُرب وهو خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه حيث يقول: «**ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان إبراهيم مسترضعًا في عوالي المدينة، وكان ينطلق ونحن معه، فيدخل البيت، وإنه ليُدَخَّن، وكان ظئره قَيْنًا، فيأخذه ويقبّله**» رواه مسلم، والظِئر هو الذي ترضع زوجه غير ابنه، والقين، الحدّاد الذي يحمي الحديد ويصنعه، ولذلك كان بيته مملوءًا بالدخان.

- والأم الوالدة، التي حملت كرهًا ووضعت كرهًا، هي التي جُعلت الحضانة لها، فهي

التـي تُرضـع المولـود وتحتضنـه، يقـول اللـه تعـالى: {وَالْوَالِـدَاتُ يُرْضِعْـنَ أَوْلَادَهُـنَّ حَوْلَـيْنِ كَامِلَـيْنِ لِمَـنْ أَرَادَ أَنْ يُتِـمَّ الرَّضَاعَـةَ وَعَـلَى الْمَوْلُـودِ لَـهُ رِزْقُهُـنَّ وَكِسْـوَتُهُنَّ بِالْمَعْـرُوفِ} [البقـرة: ٢٣٣]، فالرضاعـة لـلأم، والنفقـة عـلى الأب الوالـد، وعـلى الرغـم مـن أن حضانـة المولـود، رعايـة وعنايـة وبـذل وتضحيـة، إلا أن حـق حضانـة المولـود يكـون لـلأم الوالـدة قبـل غيرهـا لمصلحـة المولـود نفسـه قبـل مصلحتهـا في أن يكـون مولودهـا بـين يديهـا وفي حضنهـا، عـلى الرغـم مـن ذلـك فإننـا نجـد التّنافـس عـلى حضانـة المولـود، والتّنـازع بـين الوالديـن المختلفـين عـلى حـق هـذه الحضانـة، عنايـة بهـذا الضعيـف المحتـاج حتـى لا يُهْمـل عنـد التنـازع والفرقـة، فسـبحان مـن أودع الحنـان القلـوب، وجَبَـل الفطـر عـلى قضـاء الحاجـات للخلـق ولـو بالتنـازع والعِنَـاد. عـن عمـرو بـن العـاص رضي اللـه عنـه «**أن امـرأة أتـت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فقالـت: إني ابنـي هـذا كان بطنـي لـه وِعَـاء، وثَدْيـي لـه سِـقَاء، وحجـري لـه حِـوَاء، وإن أبـاه طلَّقنـي وأراد أن ينتزعـه منـي، فقـال لهـا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: أنـت أحـق بـه مـا لم تنكحـي**» رواه أبـو داود، فانظـر رعـاك اللـه كيـف بسـطت تلـك الصحابيـة رضـوان اللـه عليهـا حجتهـا ببسـاطة الفطـرة، بطنـي لـه وِعَـاء، وثديـي لـه سِـقَاء، وحجـري لـه حِـوَاء. ومـا أعدَلَـكَ في حكمـك يـا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم؛ إن الأم الوالـدة أحـق بحضانـة المولـود مـا لم تنشـغل بالـزواج مـن غـير والـده، لأن الأمـور عنـد ذلـك تتغـيّر بالنسـبة للمولـود. وخـرّج الإمـام مالـك في الموطّـأ قـال: «**كانـت عنـد عمـر بـن الخطـاب امـرأة مـن الأنصـار، فولـدت لـه عاصـم بـن عمـر، ثـم إنـه فارقهـا، فجـاء عمـر قبـاء فوجـد ابنـه عاصـمًا يلعـب بفنـاء المسـجد، فأخـذ بعضـده فوضعـه بـين يديـه عـلى الدّابـة، فأدركتـه جـدّة الغـلام فنازعتـه إيَّـاه، حتـى أَتَيَـا أبـا بكـر الصديـق، فقـال عمـر: ابنـي، وقالـت المـرأة: ابنـي، فقـال أبـو بكـر الصديـق: خـلِّ بينهـا وبينـه، قـال: فـما راجعـه عمـر الـكلام**» الموطـأ.

- لـبن الأم الوالـدة لـه حكـم شرعـي خـاص، يجعـل مـن شربـه ابنًـا لهـا، وإن لم تكـن قـد ولدتـه، فتصـير بذلـك أمًّـا لـه ويصـير هـو ابنًـا لهـا، وقـد سـمّاها القـرآن أمًّـا في قولـه تعـالى في معـرض بيـان المحرّمـات مـن النسـاء {وَأُمَّهَاتُكُـمُ الـلَّاتِي أَرْضَعْنَكُـمْ وَأَخَوَاتُكُـمْ مِـنَ الرَّضَاعَـةِ} [النسـاء: ٢٣] فـإذا أرضعـت المـرأة طفـلًا حرمـت عليـه لأنهـا أمّـه، وبنتهـا لأنهـا أختـه، وأختهـا لأنهـا خالتـه،

وأمها لأنها جدّته، وبنت زوجها لأنها أخته، وأخت زوجها لأنها عمتّه، وأم زوجها لأنها جدّته، وبنات بنيها وبناتها لأنهن بنات إخوته وأخواته.

- والتحريم بالرّضاع إنما يحصل إذا كانت الرضاعة للطفل خلال حولين من ولادته لقول الله تعالى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ} [البقرة: ٢٣٣] فإن كان خارجًا عن الحولين لم يحرم، لأنه كما قال القرطبي: وليس بعد التّمام والكمال شيء، وهو قول الشافعي، واعتبر أبو حنيفة ستة أشهر بعد الحولين، وشهر ونحوه عند مالك. وشرط الشافعي خمس رضعات مشبعات، واشترط أحمد وداود وإسحاق ثلاث رضعات وقال مالك: الرضعة الواحدة تحرم.

- الأصل أن يرضع الطفل لبن أمّه من صدرها، لأن مزايا ذلك كبيرة للطفل وللأم أيضًا، علاوة على أنه غذاء صحّي كامل ومناسب خلال مراحل الرضاعة، وفيه قوة للوقاية من الأمراض المختلفة التي يصاب بها الطفل خلال تلك الفترة، فهو غذاء ودواء، مادي ومعنوي، لجسم المولود ولنفسه. فالطفل ينمو انفعاليًّا ووجدانيًّا واجتماعيًّا بشكل طبيعي بالرضاعة، حيث يظهر تعلّق مباشر للطفل بالأم، مع ازدياد الرابطة بها، ولا يلقي الرضيع ذلك عند الاسترضاع من غير صدر الأم. لذلك يُنْصح في حالة ما إذا اضطرت الأم إلى الترضيع الصناعي، أن تقرِّب الرضيع من جسدها وصدرها بقدر ما تستطيع لتشبعه من حاجاته غير محتويات اللبن. وقالوا في فائدة الرضاعة للأم: إن ذلك يساعد على سرعة انكماش الرحم وعودته إلى حجمه الطبيعي بعد الولادة، بالإضافة إلى عودة نسب جسمها وخاصة الصدر والبطن إلى حالتهما الطبيعية قبل الحمل، كما تقلل من احتمالات إصابة الأم بأمراض الثدي والرحم التي شاعت في السنوات الأخيرة بشيوع الرضاعة الصناعية. ويلزم أن تكون تغذية الأم تغذية جيدة، وأن تمتنع عن العقاقير التي قد تؤثر في لبنها، وينصح بتناولها البلح الرطب، فقد جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**أطعموا نساءكم الوالد الرطب، فإن لم يكن رطبًا فالتمر، وليس من شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران**» رواه أبو يعلى. وقد وجد أن الطفل يميل إلى التغذية الهادئة والمنظمة والكافية، وكلما كانت الأم المرضعة على درجة كافية من

الرّضا والسعادة والاسترخاء، ولديها رغبة في القيام بهذا الواجب عن رضا كلما كانت نتائج الرضاعة مثمرة.

***

اللذّة والألم المحرك الأول للإنسان

مرحلة الرضاعة منذ الولادة وحتى عام ونصف أو عامين تتسم بالاعتماد الكامل على الكبار، والذي يحرك المولود ويتفاعل به، هو اللّذةُ والألم، وهو يمرّ خلال الأسبوعين الأولين بعمليات تكيُّف مع درجات الحرارة، وعملية التنفس، وعمليات المصّ والبلع، وعملية إخراج البراز والبول، لذلك يتناقص وزن الطفل خلال هذين الأسبوعين، ثم تبدأ بعدهما زيادة وزنه. والوزن العادي للمولود ما بين (٣ إلى ٣½) ثلاثة كيلو جرامات إلى ثلاثة ونصف، ويكون طوله حوالي عشرين بوصة، وعادة تكون الذكور أطول وأثقل قليلًا من الإناث، والرأس يبلغ وحده ربع طول الجسم، والذقن والرقبة يكونان قصيرين جدًّا، ويكون البطن منتفخًا وكبيرًا. ووظائف الإخراج تبدأ بعد ساعات من الميلاد.

- ينام المولود حوالي ٨٠٪ من الوقت، ويقل نومه بالتدريج ليصل إلى ٥٠٪ في نهاية السنة الأولى من عمره. والذي يوقظ الطفل المولود مؤثرات داخلية، مثل الجوع والألم، ولا يوقظه ولا يؤثر فيه مؤثر خارجي إلا القوى جدًّا مثل الضوضاء الشديدة أو درجة الحرارة الشديدة، ومطالب الجوع لديه غير منتظمة، ويعبّر عن حاجته بالصراخ، أما الصرخة الأولى في حياته عقيب الميلاد، فكانت لتوسيع الرئتين بحيث تسمحان بالتنفّس وتزويد الدم بكمية الأكسجين، بعد استقلاله عن جسم الأم الذي كان يزوده بأسباب حياته، ثم صرخاته بعد ذلك مرتبطة بالجوع والألم، وعدم الراحة والتعب، وعادة يصحب الصراخ حركات للجسم لزيادة جلب الانتباه، وأكثر أجزاء الجسم حركة هما الساقان، وأقلها الرأس، وحركاته غير متآزرة، ويبدأ عادة في يومه الخامس البكاء بدموع. وفي الشهر الثالث تزداد عضلات العين تآزرًا، وعندئذ يصبح الطفل قادرًا على الرؤية للأشياء وتمييزها. والرضيع يكون حساسًا للغاية لجميع المثيرات الجلدية فيشعر بالحرارة والبرودة والألم، وفي نهاية الشهر الثاني

يستجيب للأصوات من جميع الأنواع وخاصة للصوت البشري.
- تتميز مرحلة الرضاعة بالنمو الجسمي السريع، ولا يشبهها في المعدّل السريع للنمو، غير مرحلة المراهقة. والشهور الستة الأولى يكون معدل النمو أسرع، ثم يبدأ في البطء، وتكون الزيادة في الوزن أكبر من الزيادة في الطول خلال السنة الأولى، ويحدث العكس خلال السنة الثانية، وبالتدريج يظهر الرأس بشكل أقل ضخامة مما كانت عليه عند الولادة، وعادة يظهر سن سفلية أمامية في خلال الشهر الرابع، وعندما يبلغ عامه الأول يكون لديه ست أسنان، وتتفوّق البنات قليلًا في نمو العظام والأسنان عن البنين، وبالطبع يظهر على الطفل حالة عدم الراحة عند بدء ظهور الأسنان، وخلال فترة الرضاعة ينمو السلوك الحركي عند الطفل، من جلوس، وَحَبْوٍ، وزحفٍ، ومشيٍ بالاستناد إلى الأشياء، وفي منتصف السنة الثانية يمكن للطفل أن يمشي بدون مساعدة، والمولود يجلس وحده غالبًا بعد حوالي ستة أشهر، وقبيل هذه السن يمكنه أن ينقلب على بطنه مستخدمًا ذراعيه كسنادتين، ويمكنه أن يوازن رأسه ويستخدم ساقيه، وحين يكون مستلقيًا على ظهره يحاول أن يجذب نفسه إلى أعلى مستخدمًا يديه وذراعيه، وهذه الأنشطة تمثل المتطلبات السابقة للجلوس.
- ملاحظة عن التّسنين: يظهر عند الرضيع ما يسمى بالأسنان اللّبنية، وعددها عشرون سنًا، وهي تستمر مع الطفل حتى سن المدرسة وبعدها، ثم تتساقط وتنبت له الأسنان الثابتة، ويصاحب ظهور الأسنان اللبنية اضطرابات تعتري الطفل، وبالطبع يضطرب لذلك الوالدان أيضًا، فالطفل يعاني من بعض آلام اللّثَة والفم والضعف الصحّي العام، وأحيانًا لضعفه قد يصاب المرض، ولكنها عمومًا أعراض مؤقتة، وهي تنتج عن تمزّق بعض الأوعية الدموية، وإحلال بعض الأنسجة محل بعضها الآخر، وشهية الطفل خلال مدّة التسنين تضعف، ويصاب بالضيق والتوتّر، وترتفع درجة الحرارة، وقد يصحب ذلك القيء والإسهال وآلام الأذن، وبعض النوبات التشنجيّة. وتختلف الأطفال في مواعيد ظهور تلك الأسنان، فأحيانًا يولد الطفل وفي فمه سن لبنية واحدة، والبعض لا تظهر لهم تلك الأسنان إلا عند سن ١٥ خمسة عشر شهرًا، والمعتاد أن تبدأ هذه الأسنان في الظهور بعد ستة أشهر.

من المناغاة حتى الفصاحة بالكلام

* لغة الرضيع هي الصراخ والمناغاة والإيماءات، والصراخ الأكثر شيوعًا، والمناغاة أكثر أهمية لأن منها تنمو لغة الكلام عند الإنسان، فصراخ المولود يتميّز بعد أسابيع بحيث يمكن الفهم من نغمة الصرخة وحدّتها، مع الحركات الجسمية المصاحبة، نوع التعبير والحاجة لدى الطفل، فصراخ الألم يعبّر عنه بعلوّ الصراخ المرتعش، ويصاحبه ما يشبه الأنين من التأوهات، وصرخات الجوع تكون عالية تقطعها حركات المصّ.

- الجوع والحر هما المسببان لمعظم الصراخ في الأسابيع الأولى من حياة الرضيع، ومع النمو يضاف لهما ألم سوء الهضم. وابتداءً من الشهر الثالث يكون الصراخ الطريقة المؤكدة للحصول على انتباه الآخرين، وفي الشهر الرابع يصرخ الطفل لعدم الاستمرار في ملاعبته، وفي الشهر الخامس يزيد الرضيع من الصراخ إذا دخلت عليه الأم ولم تعره انتباهها. ولذلك قد يكون الصراخ المعبّر عن الاحتياجات دليلًا على ارتفاع ذكاء الطفل. وعمومًا الرضيع الذي تتوفّر له احتياجاته بطريقة منتظمة، يكون أقل صراخًا من الذين تتوفر لهم احتياجاتهم ولكن بتقطع وغير انتظام، ولذلك يفضل تحديد مواعيد الوجبات، ومراعاة تغيير الملابس، وتعاهد التهوية، وإشعار الرضيع بالقرب الدائم.

- يهدف الرضيع إلى الاتصال، أو التعبير، فيبدأ بعد نموّ الجهاز الصوتي في المناغاة بمقطع واحد متكرر، ثم بمقطعين وأكثر كيفما اتّفق، ثم تتزايد بالتدريج، وتبدأ في الشهر الثاني أو الثالث وتصل إلى غايتها في الشهر الثامن، ثم تختفي ويبدأ الكلام العادي. وبالممارسة والتدريب يربط الطفل بين عدد من الحروف مثل: داد – داد، ما – ما، نا – نا، وتكون أول كلمة صحيحة في النطق في نهاية السنة الأولى تقريبًا، ومن العجيب أن أطفال البشر جميعًا على اختلاف لغاتهم، تبدأ على أفواههم أو ما تبدأ كلمة –ماما- بابا- بنفس الصوت والحرف.

- في الأسبوع السادس من عمر الرضيع تبدأ أول ابتسامة اجتماعية حقيقية، ويستخدم الطفل لغة الإيماءات، مثل، مدّ اليدين والابتسام، ليعبّر عن رغبة في أن يُحمل، وفي هذا العمر يدرك الطفل من تعبيرات الوجوه، ونغمة الصوت لمحدثه، والإشارة له، ما يقصده

المتعامل معه. والطفل ممكن أن يفهم السرور والخوف والغضب منذ الشهر الثالث، خاصة إذا كانت معزّزة بالإيماءات من الكبار. وخلال الشهرين الثاني والثالث يمكن للطفل أن يميّز بين الأشخاص فيدرك الذين يشبعون حاجاته، فيبكي حين يتركه مَن حوْله، ويُظْهر تعلقه بالأم بإصدار أصوات وابتسامات لها دون الآخرين، ويصرخ حين يحمله غيرها، فسبحان الحنان المنان، مُودع العواطف في الجِنَان، إن هذه الابتسامة الصغيرة من الرضيع للأم الوالدة، تغمرها بالفرح والسعادة والغنى، حتى إن ذلك ليعوّضها عن كلّ ما عانته من متاعب الحمل والولادة، ويجنّدها تجنيدًا لراحة المولود، ويشوّقها للإنجاب بعدما يكبر الطفل، وهي تستعيد في نشوة غامرة، وجه وصورة المولود وابتسامته.

- في سن السنتين يستطيع الطفل المتوسط أن يفهم ويستجيب استجابة صحيحة لبعض التعليمات التي ألفها ممن حوله، وتبدأ المفردات اللغويّة عند الطفل بالأسماء التي ترتبط بالأشخاص والأشياء في بيئته، وكذلك الأفعال التي تدل على نشاط اعتاده، وفي نهاية السنتين يكتسب بعض الكلمات الدالة على النعت والظرف، ويندر استخدام الجمل الخبرية والضمائر في هذه المرحلة. وأول كلمة صحيحة في النطق تكون تقريبًا في نهاية السنة الأولى، وقد يتأخر الطفل السوي عدة شهور بعد ذلك عن نطق الكلمة الصحيحة، وقد يبدأ البعض قبل ذلك بقليل، ثم تنمو اللغة في السنة الثانية، ويلاحظ أن ما يفهمه الطفل من الكلمات في هذه الفترة يكون أكبر مما ينطق به بالفعل، لأن الفهم ينمو مبكرًا وبسرعة أكبر من إنتاج الكلمات بخمس مرات غالبًا، ويكون معدّل فهم الألفاظ خلال العام الثاني بمعدّل أكثر من عشرين كلمة جديدة خلال كل شهر، وأما ما يمكنه نطقه من كلمات جديدة فلا يتعدّى تسع كلمات شهريًا، وقد يفهم طفل لا ينطق إلا بكلمات قليلة أكثر من طفل ينطق بكلمات أكثر منه. ومحصول طفل يبلغ ما بين ثمانية عشر شهرًا وما بين عامين حوالي خمسين كلمة. والطريقة الصحيحة في تدريب الطفل على الكلام أن يُشار له على الشيء وينطقون باسمه، ويطلبون من الطفل تكرار ما يسمع. وتبلغ في العادة ثروة طفل عمره أربع سنوات أكثر من ألفي كلمة، ومع نهاية العام الخامس قد يصل العدد لأكثر من ثلاثة آلاف كلمة.

- طفل هذه المرحلة يسلك بحيث يظن أن الآخرين يدركون ما يدركه هو، وبنفس الطريقة التي يدرك بها هو عالمه الخاص، بصرف النظر عن واقع الأمر، فمثلًا يغمّض الطفل عينيه ويقول لمن حوله إنك لا تراني، فطالما هو لا يرى من حوله يفترض بالضرورة أن من حوله لا يراه، ولذلك يجب على الوالدين تقدير ما يفهمه الطفل عند التعامل معه، لا ما يفهمانه هما. كما أن الطفل في هذه المرحلة تتمركز الأمور كلها حول نفسه وما يتبعها، فالعلاقة عنده من جانب واحد هي نفسه فقط، فهو مثلًا يرى أن له الحق في كل شيء، وأن يأخذ من الآخرين أي شيء يرغب فيه، ويغضب ولا يفهم لماذا عليه أن يعطي الآخرين، وهو أيضًا يدرك أن له أخًا هو فلان، ولكنه لا يدرك أن فلانًا هذا له أخ. وهذه الذاتية المفرطة فطرة بشرية يتفاوت الأفراد في قدرها وكيفها فقط، قال الله تعالى: {وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ} [النساء: ١٢٨]، وبالتدريج والتدريب ولحاجة المعايشة مع الخلق يتخلَّص الفرد من كثير من هذه الخصلة الخلقية الرذيلة، يقول الله تعالى: {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]، فواجبنا مع أنفسنا أولًا ليرى الطفل فينا ويقتدي بنا، ثم واجبنا مع الطفل ألا ننزعج لما عليه من حب الذات، ثم تعويده شيئًا فشيئًا أن للآخرين مثل ما له هو.

***

الغيرة من المولود

ميلاد طفل جديد في أسرة لديها أطفال آخرون، يحتاج إلى اهتمام وتهيئة قبل حلول الطفل الجديد، فيجب على الوالدين تهيئة نفوس الأطفال قبل ذلك وأثناء الحمل نحو محبة الطفل، وإبداء العاطفة نحوه، وعليهما عدم إبداء الاهتمام البالغ بالمولود الجديد أمامهم، وألا يكثروا الحديث عنه دونهم، وألَّا ينشغلوا به ويهملوا باقي الأولاد، فإن ذلك يثير حفيظتهم ضد المولود، ويثير انفعالاتهم، وقد يدفع ذلك بعض الأولاد لإيذاء الرضيع ومعاندته، بل قد يحدث عند الأب الوالد نفسه نوع من الضيق من الاهتمام البالغ من الأم الوالدة للمولود عند إهمالها له كزوج، والذي يُنصح به في هذا الأمر، أن نعوّد باقي

الأولاد اللعب مع المولود وأنه يخصّهم مثل ما يخص الأم، وليس هو للأم فقط، وعادة ما تنجح البنت في ذلك وتستجيب أكثر من البنين، والمطلوب إظهار الاهتمام بالأولاد الآخرين وإشعارهم أنهم لا يزالون موضع حب ورعاية، وطلب تقديم العون للمولود عن طريق إخوته وليس الأبوين فقط، وعمومًا لا بد أن يلاحظ دائمًا أن التفضيل لأحد الأبناء يؤثر في سلوك باقي الأبناء وشعورهم نحو المفضل دونهم، وقد قصّ القرآن علينا سورة بأكملها حول هذا الموضوع هي سورة سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

- تتأثر شخصية الطفل كثيرًا بالعلاقة بينه وبين والديه وخاصة الأم، وهذه المرحلة تتحدّد فيها الأسس التي تقوم عليها شخصية الطفل فيما بعد. ففي الشهر التاسع يمكن للمولود محاكاة الآخرين في إيماءاتهم، وفي نهاية السنة الأولى يمكنه أن يستجيب للتحذير والنهي، وفي منتصف العام الثاني يبدأ في معاندة الكبار، ومقاومة مطالبهم بالصمت والانسحاب، أما في نهاية السنة الثانية، فيمكنه أن يتعاون مع الكبار في أداء بعض الأعمال. وتؤثر طبيعة العلاقات بين الطفل والشخص القائم بدور الأمومة خلال السنة الأولى في تحديد مستوى الثقة أو عدم الثقة عند الطفل فيما بعد، فعدم تلبية حاجات الطفل من علاقات الحب والانتباه والملاطفة والتغذية، وبشكل متكرر، يؤدي إلى الشعور بعدم الثقة عنده بالآخرين، وإن كان هذا الأمر يمكن تداركه بالعلاج إذا تعرض الطفل بعد ذلك لمعاملة أفضل.

- تلعب العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة دورًا هامًا في تشكيل سلوك الطفل، إذ إن سلوك الوالدين والإخوة والأقارب الذين يتّصلون به اتصالًا مباشرًا ومنتظمًا خلال تلك الفترة الهامة، يحدد اتجاهاته نحو الناس والأشياء والحياة عمومًا. فالطفل الذي يُحرم من الحنان والحب تتأثر شخصيته لذلك، ويصبح شخصًا ساكنًا لا يستجيب لابتسامات الآخرين، وتظهر عليه مظاهر التعاسة وكأنه يبحث عن اهتمامات الآخرين، فالطفل في حاجة إلى من يتوجّه إليه بمشاعر التعلق والحنان، ولو من شخص واحد، لذلك يجب أن تتنبّه الأم التي تضطر إلى وضع مولودها الصغير في دار الحضانة، وهي عادة لا يتهيّأ فيها مطالب الرضيع الحقيقية من الحنان والحب، أن تقدم الأم عند عودته للمنزل له أكبر قدر من الحنان والانتباه لتعوّضه عن الفقد لذلك في -مخازن الأطفال- التي تسمّى دور حضانة.

ودور الأب مهم في ذلك عندما يمارس مع الرضيع أنماطًا من الأنشطة الحركية العنيفة التي لا تقدر عليها الأم لضعفها وخوفها على الرضيع، مثل رفع الرضيع إلى أعلى في الهواء، وحمله على العاتق والسير به، وهذا ما كان يفعله النبي الكريم صلى الله عليه وسلم مع الحسن والحسين، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «**رأيت الحسن والحسين على عاتقي النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: نعم الفرس تحتكما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ونعم الفارسان**» رواه أبو يعلى والبزار ورجال أبو يعلى رجال الصحيح. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الحسن والحسين عليهما السلام، هذا على عاتقه، وهذا على عاتقه، يلثم هذا مرّة، وهذا مرّة، حتى انتهى إلينا، فقال رجل: يا رسول الله إنك لتحبّهما؟ قال: مَنْ أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني**» رواه ابن ماجة وأحمد والبزار ورجال أحمد ثقات.

- سلوك الطفل خلال مرحلة الرضاعة ليس له معايير أخلاقية بعد، وبمرور الوقت يتعلم من الوالدين ومن رفاقه قواعد السلوك الجماعي ومسايرتها، فالطفل لا يشعر بالذنب على الخطأ، لأنه يعوزه المعايير المحددّة للخطأ والصواب، والتعامل معه يكون بإفهامه بقدر ما يمكنه ما يعود عليه باللذة، لأن اللّذة والألم هما المحركات لسلوكه، وبأسلوب حازم رقيق، واستخدام المحفزات المادية، مع التوضيح الدائم له في كل موقف، يمكنه أن يساير الوالدين في طلباتهما، ولكن يجب أن يكون موقفنا معه واحدًا حتى لا يقع في خلط وسوء تمييز، وقد يجرّب الطفلُ الصغيرُ الكبار بأن يفعل الخطأ ليعرف ما يسلكونه معه.

- ويجب أن نعزل الأطفال سلوكيًّا عن مشاعرنا وانفعالاتنا، خاصة عند الغضب والتوتر، فلا يجدون منا غير المألوف لهم في الحالات العادية، لأنهم لا يستوعبون الفرق، وحتى لا نظلمهم ونعاقبهم على أمر لم نكن نعاقبهم عليه في غير حالة الغضب، لأن عقوبة الطفل يجب أن يسبقها دائمًا توضيح له وتفهيم وتعليم للخطأ، لأن المعاقبة له ليست لمجازاته عن الخطأ، ولكن لتعليمه الخطأ، والفرق كبير فإذا عُوقب الصغير وقت الغضب وبدون تفهيم، يكون ذلك مصدر إزعاج له لا يفهمه ولا يستفاد منه.

- يجب ألا يتضمن العقاب في تلك المرحلة أشكالًا من العقاب البدني، إلا في حالات التعمّد

المتكرر للخطأ، وفي أضيق الحدود، وأخف الأشكال، وإثابة الطفل على السلوك الصحيح، بإظهار التّقبّل له، والعاطفة نحوه، أكثر فعالية من معاقبته على السلوك الخاطئ، وحتى يتعوّد السلوك الصحيح وخاصة خلال السنة الثانية من عمره، حيث يزداد رفضًا لمطالب الوالدين، وحيث يبدأ في التمييز بين الخطأ والصواب.

- طفل مرحلة الرضاعة لا يفهم المبادئ المجردة والخطأ والصواب، إلا من خلال مواقف خاصة، ومما يوقع الطفل في حيرة، أن يُطلب منه فعل شيء في حالٍ، ويطلب منه تركه في حالٍ أخرى، أو يطلب منه شخص فعل شيء أو تركه، ويطلب آخر غير ذلك وعكسه، فلا يدرك كيف يكون نفس السلوك صوابًا أحيانًا، وخطأ أحيانًا أخرى، ومما يزيده تحيّرًا أن يرى الكبار حوله، وخاصة الوالدين، يفعلون أمورًا وينهونه عنها، فيتعلم من ذلك فعل تلك الأمور، ولكن بعيدًا عن الأنظار، وهذا خلق خطير، إذا انطبع عليه، وأحيانًا يطلب الطفل أن يفعل الأمور المنهي عنها من والده المتسامح معه أكثر من غيره، وفي الغالب فإن الطفل يفعل مثل تلك الأمور ويبررها بأساليبه الساذجة.

- قد يلجأ بعض الأطفال عند تجاهل الكبار لهم وانشغالهم عنهم، إلى فعل الأمور الممنوعة، والخروج على القواعد لمجرّد لفت الأنظار والانتباه له، حتى مع علمه بما سيلحقه من جزاء، لأنه يفضل الانتباه له على مجرد العقوبة المؤقتة. وقد يكون هذا الخرق للقواعد السلوكية لتغطية شعور آخر لدى الطفل مثل فشله في أداء شيء، أو لاختبار سلطة الكبار في مدى المسموح له دون التعرض للعقاب، وأشهر المظاهر السلوكية في ذلك، هو التبوّل اللا إرادي والأفعال الاستعراضية، والتّخريب، ونوبات الغضب العصبيّة، وجذب الانتباه بأي طريقة، والذكور يميلون إلى أفعال تخريبية، بينما تميل البنات إلى سلوك العناد. والطفل في مرحلة الحضانة يشعر أنه يستطيع القيام بكثير من الأعمال التي لا يسمح له القيام بها ويثور على القيود التي يفرضها عليه الوالدان، ثم يغضب مرّة أخرى عند عجزه عن القيام بما يعتقد أنه قادر على أدائه بسهولة ونجاح.

- التدليل الزائد للطفل، وخاصة الطفل الأول، يؤدي بالطفل إلى أن يتكوّن عنده ميل للاعتماد على الغير، وأن طلباته أوامر يجب أن يستجيب لها الجميع، لذلك يجب على الأم

خاصة، تشجيع الطفل على القيام ببعض متطلباته، وتشجعه على الاستقلال قدر الإمكان من ناحية، ومن ناحية أخرى أن تمنع عنه بعض طلباته، ولو مع القدرة، حتى يتعوّد أن كل ما يرغب فيه قد لا يحصل عليه، وأذكر أنني لاحظت مرة عند زيارتي لأحد الأثرياء، أن ابنه الصغير يطلب منه أشياءً كثيرة، رغم ما بين يديه من خيرات الله ونعمه، ولاحظت أن أباه يلبي له كل طلب، وأن الطفل يتمادى في طلباته، فقلت لهذا الأب الثري: إن هذا السلوك مع ابنك قد يضره، لأنه سيكبر على التعوّد على الطلب باستمرار، وأن طلباته لا بد أن تلبى، وقد يوافق ظروفًا لا تلبي له رغباته فيغضب ويشقى لذلك، واقتنع الأب بعد مناقشة، حاول أن يبرر سلوكه بأن ابنه صغير وأن لديه المال الكثير فيريد أن يسعد ابنه، وقلت له: من الحرص على سعادة ابنك أن تمنع عنه بعض الأشياء رغم غناك، وأن يتعلم أن الرغبات لا تلبى كلها في هذه الدنيا، وحتى يستطيع أن يعيش مع أشخاص بعد ذلك لا يلبون له كل طلباته.

***

دعوا ابني لا تفزِّعوهُ حتى يقضي بوله

* يجب أن يتسامح الوالدان مع الطفل عند تدريبه على التحكّم في إخراج البول والبراز لإشاعة الثقة في الطفل، وليتفادى أزمة شك قد تصيبه بسبب ذلك فيما بعد المرحلة.
ويجب ألا يتم تدريب الطفل على عملية الإخراج قبل بلوغه فترة عمرية من ١٨-٢٤ شهرًا، لأن النمو الجسمي لا يتم فيه القدرة على التحكم الإرادي إلا بعد هذه الفترة، وقبل ذلك يكون الواجب على الوالدين وليس على الطفل، بأن يلزما نفسيهما بالمواعيد والأفعال المتعلقة بذلك.
والمشكلة في حقيقتها هي وجود القلق عند الوالدين، وخوفهم الزائد، خاصة اعتبارهما أن تحكم الطفل في المثانة والأمعاء مؤشر على النضج والصحة.
- نظافة الطفل والمكان بعد عملية الإخراج تظل مسؤولية الآخرين وليست مسئولية الطفل، ولا يلام عليها، لعدم استطاعته، أو تفهمه ذلك خلال تلك الفترة ويستحب للوالدين تعويد

الطفل فقط على المشي إلى الحمام وخلع الملابس والجلوس على -القصرية- وتحبيبه في ذلك وتشجيعه، بدون انتهار له، أو تأفف منه، أو توعّد، أو إيذاء له. ويمكن للوالدين أن يستعينا ببعض التنبيهات غير اللفظية لتنبيه الطفل عند توقّع حدوث الإخراج، وكذلك عليهما ملاحظة ما يظهره الطفل عندما يكون على وشك التبوّل، أو التبرّز، وحينئذ يتداركان الأمر بالذهاب به إلى الحمام ومساعدته، وبذلك يبدأ في تدريب الطفل على الاستقلال بعملية الإخراج، ويجب أن يتذرع الوالدان بالصبر، ولا يتعجلا تدريب الطفل خلال هذه المرحلة وهذه المهمّة الحرجة، وأفضل سن لتدريب الطفل على عملية الإخراج بعد بلوغه سنتين من عمره، والحرص الشديد من الوالدين والتحكم الزائد يغرس في الطفل شعورًا بالشك في إمكانياته، وقد يصيبه ذلك بالخجل من جسمه وحاجاته، فالتسامح وتوثيق الثقة مع تعليم الاستقلالية يفوّت على الطفل الصغير المشاكل. عن أنس رضي الله عنه قال: «**كنتُ عند النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صدره أو بطنه الحسن أو الحسين عليهما السلام، فبال، فرأيت بوله أساريع، فقمتُ إليه، فقال: دعوا ابني لا تفزَّعوه حتى يقضي بوله، ثم أتبعه الماء، ثم قام فدخل بيت تمر الصدقة ومعه الغلام، فأخذ تمرة فجعلها في فيه، فاستخرجها النبي صلى الله عليه وسلم وقال: إن الصدقة لا تحل لنا**» رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات. فهذا نبي الرحمة، النبي الأمي العربي معلم الخلق أجمعين إلى يوم الدين يُجلس الرضيع على بطنه الشريف، فيتبوّل الصغير عليه، وكأن شيئًا لا يحدث والبول ينساب على جسده الكريم، بل يمنع الآخرين، ويعلمهم، أن لا يفزّعوا الصغير حتى يقضي بوله، والمسألة ببساطة، مع تواضعه صلى الله عليه وسلم، لا تعدو أن تكون نجاسة فتزال بالماء، وأعظم من ذلك أنه صلى الله عليه وسلم أخذ نفس الصغير الذي تبوّل عليه وخرج به حتى دخل بيت صدقة المسلمين، وأخذ يعلم الحسن وهو من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أن الصدقة لا تحل لهم. كما روت أم قيس بنت محصن رضي الله عنها أنها «**أتت بابن لها صغير لم يأكل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره، فبال على ثوبه، فدعا بماء فَنَضَحَه ولم يغسله**» رواه البخاري ومسلم، كما روت لبابة بنت الحارث رضي الله عنها

قالـت «**كان الحسـن بـن عـلي في حجـر النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم، فبـال عـلى ثوبـه، فقلـت: يـا رسـول البـس ثوبًـا وأعطنـي إزارك حتـى أغسـله، قـال: إنمـا يُغْسـل مـن بـول الأنثـى ويُنضـح مـن بـول الذكـر**» رواه أبـو داود. فصـلى اللـه وسـلم عـلى نبـي الهـدى والرحمـة، ورضي اللـه عـن أصحابـه الكـرام، ويـا ليتنـا نفقـه ديننـا، ديـن السـماحة والعلـم.

***

فطام برحمة وبدون آلام

* الفصـل، أو الفطـام، عـن الرضاعـة، يجـب التـدرّج فيـه، وأن يتـم بـدون معاقبـة للصغـير، أو تشـدّد معـه وقهـر، حتـى لا يتحـوّل الفطـام إلى صدمـة نفسـية، وأفضـل طريقـة لفطـام الرضيـع دون تعريضـه لمشـكلات حـادّة، أن تقـوم الأم بإنقـاص كميـة الطعـام الـذي يتناولـه الطفـل عـن طريـق الرضاعـة، طالمـا يسـتطيع الطفـل الحصـول عـلى طعامـه مـن مصـادر أخـرى. والمطلـوب الرفـق والتسـامح وليـس الحسـم والقسـوَة عنـد تدريـب الرضيـع عـلى الفطـام، ويجـب أن يكـون ذلـك طبقًـا لبرنامـج واضـح لا يـترك للتقديـر العاطفـي وانعـكاس المواقـف، ويجـب أن نعمـل عـلى عـدم توتـير الطفـل بصفـة عامـة، وأن يحـدث تفاعـل دائـم مـن الأم للطفـل حتـى لا يفهـم انقطاعـه عـن الأم نفسـها، وليـس عـن ثديهـا، فينفعـل ويتوتـر.

- مـن علامـات الاسـتعداد للفطـام عنـد الطفـل، أن يشـعر بالجـوع عـلى الرغـم مـن أنـه يتغـذّى برضاعـة جيّـدة كل ثـلاث أو أربـع سـاعات، فيتـم حينئـذ تعويضـه، وتحويلـه إلى شرب السـوائل مـن الكـوب. وهنـاك كثـير مـن الأطفـال يفطمـون أنفسـهم بالتدريـج، وخاصـة عندمـا يلاحظـون إخوتهـم الكبـار في طريقـة أكلهـم، فيحاولـون تقليدهـم في ذلـك، ويجـب عـلى الوالديـن تشـجيعهم عـلى ذلـك.

- إذا كانـت هنـاك دواعٍ توجـب وقـف الرضاعـة الطبيعيـة لأسـباب هامـة، فالأفضـل أن يتحـوّل الرضيـع إلى الرضاعـة الصناعيـة، باسـتخدام الزجاجـة، حتـى يتوافـر لـه إشـباع حاجـة المـصّ، إذ يـؤدي الحرمـان مـن الرضاعـة إلى عـادة مـصّ الأصابـع بعـد انتهـاء فـترة الفطـام، ويصبـح لازمـة عصبيـة يظهرهـا الطفـل عندمـا يكـبر في مواقـف القلـق والتوتـر. وإذا أرادت الأم أن تحـوِّل

الرضيع من الشرب في الزجاجة إلى الشرب من الكوب وغيره، فتبدأ بملء الزجاجة بالماء دون المواد الغذائية التي يرغبها الطفل، كاللبن والعصائر، وذلك لكي يتوقف عن استخدام الزجاجة من تلقاء نفسه، ويتناول الأطعمة من غير الزجاجة.

***

لذة اللعب مع الصغار

* عندما يصل الرضيع إلى سن ثلاثة أشهر، يمكنه استخدام لعب الأطفال بعد أن تكون نمت قدرته على التحكّم في يديه، ويستمتع الرضيع بتقلبه على الظهر والجنبين والرّفْس والوصول إلى أصابع القدم، وفي الشهر الثامن يصبح اللعب أقل عشوائية، ومع تعلّم المشي يندمج في اللعب بنشاط. وفي سن (١٨) ثمانية عشر شهرًا يحاكي الكبار في لعبهم ولهوهم، ويلعب منفردًا، وفي حالة وجود أطفال آخرين يقوم بدور المشاهد، ويبدأ في اللعب معهم خلال النصف الثاني من السنة الثانية، ولكنة ينتزع اللعب منهم لعدم تعلمه الطابع الاجتماعي بعد.

- بسبب نقص التآزر العضلي يكون الطفل مُخرّبًا للأشياء التي تصل إلى يديه، وهو لا يقصد تحطيمها، ولا يدرك ذلك، ومهمة الوالدين إبعاده عن تلك الأشياء الممكن تحطيمها، وإبداله أشياءً لا تتحطم حتى لا نحرمه من لذّة اللعب بالأشياء، وبالطبع لا يعاقب الطفل على سلوكه لعدم جدواه معه، ويكون ذلك ظلمًا له.

- وتوجد بعض الفروق عند الأطفال في طريقة اللعب، حيث إن الأطفال الأذكياء يفضلون اللعب الابتكاري ويظهرون من صغرهم خصائص من الإبداع، وكذلك تظهر فروق اللعب تبعًا للجنس، سواء في أدوات اللعب أو في طرق استخدامها. والطفل في مرحلة الرضاعة له جاذبية للكبار نحوه فغالبًا ما يتولون اللعب معه، ويستمتعون معه بذلك.

*** ملاحظات عامة للمرحلة:**

١- يحتاج طفل هذه المرحلة إلى الرعاية والإشراف التام، أولًا لعجزه الكامل، وثانيًا لتعرضه لكثير من الحوادث، وخاصة ما يتصل بالبلع للأشياء المختلفة التي تصل إلى يديه، كالمبيدات،

والأدويـة، والمسـامير والأزرار، وكل مـا يلقـى دون عنايـة في مجـال حركـة الطفـل، فالطفـل لا يعـرف إلا البلـع وصـولًا إلى اللـذة في خـلال تلـك المرحلـة.

٢- ينشـأ عـن التوتـر بـين الوالديـن، وسـوء العلاقـة بينهـما، والتشـاجر المتكـرر، فقـدان الطفـل شـهية الطعـام، والتهـاب القولـون، والتبـوّل الـلا إرادي، وأمـراض الحساسـية.

٣- إظهـار مشـاعر الغضـب نحـو الطفـل، وإظهـار مشـاعر الذنـب واللـوم الدائـم أو العنيـف يـؤدي إلى توتـر الطفـل ويزيـد مـن حـدّة مرضـه وإطالـة مدتـه، والعكـس تؤثـر العواطـف نحـو الطفـل وإبـداء الاهتـمام والانتبـاه والقـرب منـه إلى نتائـج طيبـة في مشـاعر الطفـل وصحتـه وتغذيتـه.

٤- يمكـن لطفـل الحضانـة في نهايـة العـام الثـاني اسـتخدام أقـلام الرصـاص، وأقـلام التلويـن ورسـم بعـض الصـور وتلوينها.

٥- في نهايـة العـام الثـاني يطالـب الطفـل عـادة باتبـاع عـادات سـلوكية معينـة وتغيـير أسـاليبه السـابقة في السـلوك، ولذلـك يبـدأ صراع بـين الطفـل ووالديـه في الظهـور، ويغضـب الطفـل مـن كل مَـن حوْلـه عندمـا يعجـز عـن القيـام بمـا يطالـب بـه.

٦- العـام الأول حاسـم في نمـو الشـعور بالثقـة في الآخريـن، فالرضيـع الـذي لا يتلقّـى قـدرًا كافيًـا مـن الحنـان والحـب قـد يفشـل في تكويـن علاقـات اجتماعيـة في مراحـل عمـره، خاصـة إن اسـتمر معـه هـذا العجـز في الحنـان.

٧- يحسـن تسـجيل ملاحظـات عـن الطفـل في سـجل خـاص بـه، وتسـجيل العـوارض التـي تصيبه، لأن تكـرار ظواهـر وأفعـال، قـد تعنـي اكتشـاف قـدرة خاصـة، أو مـرض عنـد الطفـل، ويجـب تسـجيل الملاحظـات كـما هـي لا تسـجيل تفسـيرنا عـن الحـدث.

٨- ينبغي تسجيل الطفل بأحد مراكز التطعيم لمتابعة تطعيمه، أو لدى طبيب خاص.

***

٤ العشرة الطيبة

[مع الأولاد وتربيتهم]

ما بين استمتاع ولهو الطفل الغرير وما بين مسؤولية وحرص الوالدين الكبير تزكو نفس الطفل الصغير

* مقدمة عن تنشئة الطفل الصغير.
* دور الأبوين في التأثير على فطرة الطفل وتحوّلها.
* الطفولة هي مرحلة التكوين للخصائص والسلوك التي تؤثر على المراحل اللاحقة.
* الخبرة والمعايير التي تتحكّم في توجيه الطفل خلال طور الطفولة.
* على ماذا يتربى الصغار؟
* لن يكون الطفل نسخة مما في الخيال.
* طاقات الطفل، وكيف تستنفد.
* الشأن الخطير للأب في التنشئة.
* ما هي الوسائل والطرق التي يتبعها الأب مع الطفل الصغير.

كما تحتاج أي نبتة لكي تنمو إلى تغذية مناسبة، ومناخ طيب نظيف من العوارض الضارة، وإلى من يقوم بالرعاية عليها، حتى تطيب وتثمر وتكون نافعة، فكذلك الطفل في تنشئته يحتاج إلى من يقوم عليه بالرعاية، وإلى تعاهده بالتغذية الطيبة، وإلى توفير الجو الملائم من التعامل والعواطف والعناية. يقول الله تبارك وتعالى عن تنشئة السيدة الطاهرة مريم عليها السلام: {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا} [آل عمران: ٣٧]، فإنباتها الحسن، وكفالة ورعاية الصالح زكريا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وجوّ الطهر، جوّ المحراب، والرزق الذي هو من عند الله.

* أيتها الأم الحنون، أيها الأب الكريم: بين أيديكما الآن طفل على فطرة الله التي فطره عليها، يقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القيم}**». رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: «**حتى تكونوا أنتم تجدعونها**». قالوا: يا رسول الله أفرأيت لو مات قبل ذلك؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين». قال العلماء: إن كل مولود من البشر إنما يولد في مبدأ الخلقة وأصل الجبلّة، على الفطرة السليمة والطبع المهيأ لقبول الدين الحق، فلو تُرك عليها لاستمر على لزومها، ولم يفارقها إلى غيرها، لأن هذا الدين الحق حُسْنُهُ موجود في النفوس، وبشره في القلوب، وإنّما يعدل عنه مَن يعدل إلى غيره لآفة من آفات الشر والتقليد، فلو سَلِم المولود من تلك الآفات لم يعتقد غيره، والمعنى: أن المولود يولد على نوع من الجبلّة، وهي الفطرة، وكونه متهيِّئًا لقبول الحقيقة طبعًا وطوْعًا، ولو خلّته شياطين الإنس والجن وما يختار لم يَختَرْ إلا إيَّاها، وضرب صلى الله عليه وسلم المثل بأن البهيمة تولد سليمة

الأطـراف مـن القطـع، ولـولا النـاس وتعرضهـم إليهـا لبقيـت كـما ولـدت سـليمة بـلا قطـع.

* مفهـوم الفطـرة يرتبـط بالوراثـة، ومفهـوم الخـبرة يرتبـط بالبيئـة، والمقصـود بهـا: مجمـوع الاسـتثارات التـي يتلقّاهـا الفـرد أثنـاء حياتـه، والوراثـة تسـهم بمقـدار كبـير في الفـروق الفرديـة، خاصـة في النشـاط العقـلي، وهـذه الخصائـص يحـدث لهـا نَضْـجٌ خـلاف الخـبرة فهـي عمليـات تعليميـة وتدريبيـة، ولهـا أهميـة بالغـة في إحـداث تغيـير السـلوك والأداء، حيـث إن السـمات النفسـية الكامنـة –الاسـتعدادات- لا تصـل إلى أقـصى طاقاتهـا الوظيفيـة إلا بالتعلـم. والفـروق الفرديـة في مختلـف أنمـاط السـلوك يتفاعـل فيهـا عامـل الوراثـة وعامـل التعليـم، ولكـن هنـاك حـدود لا يمكـن للوراثـة أو التعليـم أن يتقـدم بعدهـا مهـما توفّـرت أفضـل الطـرق وأقـوى الدوافـع، لذلـك لا يلـزم أن يكـون أفـراد الأسرة مـن الأبويـن عـلى نفـس الاسـتعدادات في ظـل الظـروف الواحـدة.

* الطفولـة هـي المرحلـة التكوينيـة لكثـير مـن الخصائـص الجسـمية والنفسـية، فالاتجاهـات والعـادات وأنمـاط السـلوك تتكـوَّن معظمهـا وإلى حـدٍّ كبـير خـلال السـنوات المبكـرة في حيـاة الإنسـان وهـو طفـل، ورغـم هـذا فليـس الأمـر جامـدًا ثابتًـا، فـكل شيء مـن ذلـك عرضـة للتغيير خـلال فـترات العمـر، وخـبرات الطفـل في مرحلـة تؤثـر في المراحـل اللاحقـة، وهنـاك فـترات يكـون فيهـا الاسـتعداد لتعلـم أنـواع معينـة مـن الأعـمال والسـلوك.

* الإنسـان ونمـوّه ومـا يتّصـل بـه والتعامـل معـه، يحتـاج إلى خـبرة فريـدة، ولا يصلـح لـه معيـار واحـد، أو يناسـبه التّعميـم في الحكـم، بسـبب تعقّـد سـلوك الإنسـان، وتعقّـد البيئـة التـي يعيـش فيهـا، وتعقـد التفاعـل بينهـا، ويجـب أن نحـذر مـن تحويلنـا المعايـير التـي نحكـم بهـا إلى قيـود تحـدّ مـن سـلوكنا، أو مـن سـلوك الآخريـن، وأن نلزمهـم بتلـك المعايـير، ويكـون هدفنـا هـو السـعي نحـو التحكـم في التغيـيرات التـي تطـرأ عـلى الطفـل حتـى يمكـن ضبطهـا وتوجيههـا والتنبـؤ بهـا، وهـذا يحتـاج إلى فهـم واضـح وتعليـل دقيـق للظواهـر الإنسـانية خـلال أطـوار الطفـل حتـى يمكـن رعايتـه، فمثـلًا الطفـل مـن ولادتـه حتـى سـن المدرسـة في مرحلـة إدراكٍ لمـا حولـه، أمـا طفـل المدرسـة وحتـى سـن ١٢ سـنة فهـو في مرحلـة الخيـال، وأمـا مرحلـة التعقّـل

والاستدلال فتكون ما بين ١٢-١٨ سنة، ثم مرحلة الطموح فتكون ما بين ١٨-٢٤ سنة، كما أن تغير السلوك لدى الإنسان عمومًا، فيحتاج إلى توجيه صحيح، ومساعدة على ذلك التغيير، وأن توجد دافعية شديدة لدى الفرد نحو هذا التعديل، كما يجب أن نراعي خصائص كل مرحلة سنية في حياة الطفل، وما الذي نتوقعه منه في كل مرحلة، وما الذي يجب أن نقدمه له في كل مرحلة حتى نجنّبه القلق والخوف، وما هي درجة تفرّده في شخصيته، فالتغيير في السلوك يرتبط بالعمر الزمني للطفل، فالمهارة في الكلام لا تكون قبل ثلاث سنوات مثلًا، والرضيع نعلمه التحكم في الإخراج وكيفية النطق وطريقة ارتداء الملابس وتناول الطعام بعد ذلك، وأما المراهق فيتعلم العادات الاجتماعية، والراشد يتعلم كييف يتحمل المسؤولية ويؤدي الأعمال. والمطلوب أن نوفّر المناخ الذي يجعل الطفل لديه رغبة واستجابة للعملية التربوية بأن يشعر بالارتياح لها في كل ما نطالبه به، أو ما يقوم به، وهذا يجعله أكثر قبولًا وانتباهًا وانفعالًا للتوجيهات والتكليفات، حتى يكتسب أنماطًا سلوكية جديدة، أو عند تعديل بعضها، أو إزالة السلوك غير المرغوب فيه عنده.

***

على ماذا يتربَّى الصِّغار؟

* تذكر وأنت تتعامل وتربي طفلك أن الطفل لا يعرف إلا الاستمتاع واللهو والبهجة، ولا يعرف المسؤوليات، ولا يحمّله الشرع والعقل ذلك، فحاول أن تستمع معه وأنت مسؤول عنه، واجعل ذلك قربة تتقرب بها إلى الله تعالى، واحذر أن يكون غرضك تنشئة ابنك ليراه الناس أو ليتحدثوا عنه وعنك، أو ترغب وتعمل على أن تخلِّقه أو تعلّمه كما يريد الناس، ولكن اجعله لله أمانة عندك تؤدّي معه ما يحبه الله وما يكلفك به نحوه.

- لتكن همتك مع طفلك، أن يكون ناجحًا في الدنيا، مفلحًا في الآخرة، سعيدًا في الدارين، نافعًا لنفسه ولغيره، قويًّا في جسمه ودينه، محبًّا للخير داعيًا له، يعيش مع الناس في مودّة وتعاون، فكذلك كانت همة الصالحين القدوة للناس أجمعين، يُذْكر أن سيدتنا هند بنت عتبة زوجة سيدنا أبي سفيان رضي الله عنهما كانت تحمل سيدنا معاوية رضي الله

عنه وهو صغير، فرآه أحد العرب الذين يتوسَّمون، فقال لها: أرى هذا الطفل أنه سيسود قومه، فقالت بعزم من توِّها: ثكلته أمه إن لم يسد إلا قومه. إنها عزمت أن تنشِّئه على سيادته الدنيا وليس قومه فقط، وقد كان، وهذه إحدى الفُضْليات رضي الله عنهن تحمل صغيرها وتذهب به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليبايعه على الجهاد في سبيل الله، فعن عبد الله بن هشام رضي الله عنه، وكان قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ذهبتْ به أمّه زينب بنت حُمَيْد رضي الله عنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله بايعه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو صغير، ومسح رأسه**» البخاري وأبو داود، وزاد البخاري: «**ودعا له، وكان يضحِّي بالشاة الواحدة عن جميع أهلها**» فكم كانت الأمهات حريصات على التضحية بأبنائهن في سبيل الله، وكم كن يُنَشِّئْنَ الرجال. وهذا صحابيّ أصابه القلق على ابنه لأنه لا يقوم الليل وينام، روى الإمام أحمد في مسنده «**أن رجلًا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بابن له، فقال: يا رسول الله إن ابني يقرأ القرآن بالنهار ويبيت بالليل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تنقم أن ابنك يصبح ذاكرًا ويبيت سالمًا**» إن شكوى الصحابي وقلقه على ابنه أنه لا يقوم الليل؟!! وهذه امرأة أخرى مات عنها زوجها وترك لها طفلًا صغيرًا، فهاجرت به في سبيل الله وحرصت على أن يصبح ابنها رجلًا مجاهدًا، فقد روى سمرة بن جندب رضي الله عنه: «**أن أم سمرة مات عنها زوجها، وكانت امرأة جميلة، فقدمت المدينة فخطبت فجعلت تقول: لا أتزوج رجلًا إلا رجلًا تكفّل لها بنفقة ابنها سمرة حتى يبلغ، فتزوجها رجل من الأنصار، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض غلمان الأنصار في كل عام، فمن بلغ منهم بعثه، فعرضهم ذات عام، فمرّ به غلام فبعثه في البعث، وعرض عليه سمرة من بعده فردّه، فقال سمرة: يا رسول الله أجزت غلامًا ورددتني، ولو صارعني لصرعته، قال: فدونك فصارعه، فصارعتُه فصرعْتُه، فأجازني في البعث**». رواه الطبراني ورجاله ثقات. وهذه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما تقول: «**جاء عبد الله بن الزبير، وهو ابن سبع سنين، أو ثمان، ليبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمره بذلك الزبير، فتَبَسَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه مقبلًا ثم بايعه**» رواه

البخاري ومسلم. وفي هذه الحكاية الطريفة التي رواها أبو داود والطبراني ما يطلعنا على ما كان يتحمله الصغار من مسؤوليات عوّدهم عليها الآباء والأمهات رضوان الله عليهم: «**أن وفدًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرُّوا بأم زبيب، فأخذوا زربيتها، فركب زبيبُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أخذ القوم زربية أمِّي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: رُدُّوا عليه زربية أمِّه، فأخذ من الذي أخذ زربية أمّه صاعًا من شعير وسيفه ومنطقه، ثم رفع النبي صلى الله عليه وسلم يده فمسح بها رأس زبيب، ثم قال: بارك الله فيك يا غلام وبارك لأمك فيك**» والزربية مفرش يشبه السجّاد، ومنه قوله تعالى: {وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ} [الغاشية: ١٦] أي مبسوطة، فانظر إلى شجاعة الغلام ومواجهته للقوم بلا خوف واستنقاذه مفرش أمه، مما أعجب النبي صلى الله عليه وسلم به ودعا له بالبركة.

إن ما كان عليه أطفالُ عهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرشدنا إلى المنهج الجاد المعتدل الذي جعل منهم سادة وقادة الدنيا إلى كل خير، انظر إلى طفل يذهب من تلقاء نفسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسأله سؤالًا عجيبًا لا يسأله إلا صاحب نفس عظيمة، فعن مصعب الأسلمي رضي الله عنه قال: «**انطلق غلام منّا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني سائلك سؤالًا! قال: ما هو؟ قال: أسألك أن تجعلني ممّن تشفع له يوم القيامة، قال: من دلّك على هذا؟ قال: ما أمرني به أحد إلا نفسي، قال: فإنك ممّن أشفع له يوم القيامة**». رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. فبالله عليك، كيف كانت الأمهات، وكيف كان الآباء ينشئون أولادهم؟ إنه اتباع منهج الإسلام الذي حملوه فيما بعد وفتحوا به قلوب العباد والبلاد، فنشروا الخير والعدل والإيمان.

أما مسك ختام هذه الأمثلة العظيمة، فهي قصة غلام امتحن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجولة وقوة الإيمان والطاعة ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم «**أن طلحة بن البراء لمّا لقي النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله مُرني بأمرك ولا أعصي لك أمرًا، قال: فعجب لذلك النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام، فقال له عند ذلك: اذهب فاقتل أباك، قال: فذهب مُوَلِّيًا يفعل، فدعاه فقال: أقبل فإني لم**

أبعث بقطيعة الرحم، فمرض طلحة بعد ذلك، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعود في الشتاء في بردٍ وغيم، فلما انصرف قال لأهله: إني لا أرى طلحة إلا حدث فيه الموت، فآذنوني به حتى أشهده وأصلي عليه وعجّلوا. فلم يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم بني سالم بن عوف حتى توفّي، وجَنَّ عليه الليل، فكان ممّا قال طلحة: ادفنوني وألحقوني بربي عز وجل ولا تدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أخاف عليه يهود. وأُخبر النبي صلى الله عليه وسلم حين أصبح، فجاء حتى وقف على قبره وصفَّ الناس معه فقال: اللهم الق طلحة تضحك إليه ويضحك إليك» رواه الطبراني وإسناده حسن.

***

الطفل لا يكون نسخة لما في الخيال

* عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «عَلِّموا أولادكم على غير شاكلتكم، فإنهم مخلوقون لزمانٍ غير زمانكم». إن هذا القول على وجازته فيه فقه وعلم كثير، ذلك أن الوالدين اللذين يربيّان الصغير، قد تربّيا في زمن مضى كان فيه من الوسائل ما يكون الكثير منها قد تغيّر، ومن العادات والأعراف التي لا تصلح لزمان الصغار، نعم هناك ثوابت لا تتغيّر كالقيم والمبادئ والحلال والحرام في شرع الله تعالى، ولكن يبقى أن يدرك الكبار أن عَالمهُم غير عَالم الأطفال، ونفسيته وخيالاتهم بالقطع تخالف ما عليه الكبار، فما أجمل أن يكون الوالدان مع الطفل كالطِّفلين، فيُسعداه ويسعدا به، وألا يقصدا مع الطفل ما يسرّهما، أو ما يرغبان فيه، ولكن ما يجب فعله معه، وما يحتاجه منهما هو كطفل، فالطفل لا يعرف إلا اللهو والمرح واللذة بلا تقدير عنده لأية مسؤولية، والكبير عليه أن يستمتع معه وبه، مع تحمل كامل المسؤولية.

- من الواجب نحو الطفل الملاطفة والمسامحة، مع الحب والحنان، وإذا اقتضى الأمر حسمًا في أمر معه فليكن برفق ولين وعطف، إن الطفل ليس شيئًا تملكه فتفعل فيه ومعه ما تشاء، إنه مخلوق رقيق أُسْند إليك رعايته وتربيته، إنه أمانة عندك سَتُسْأل عنه «**كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته**» وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**أعطاني رسول الله صلى الله**

عليه وسلم ناقةً سوداء كأنها فحمة ضعيفة لم تخطم، فمسحها ثم دعا لي عليها بالبركة ثم قال: يا عائشة أَدِّبي وارفقي» رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، فإذا كانت وصاية رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مع البهيم، فما بال ما يجب فعله مع الطفل الصغير؟

- الطفل لديه طاقات كبيرة، ولا بد أن يستنفدها، فنحرص على أن لا تبدد في غير ما ينمي مهاراته وسلوكه وقدراته، ويزيد من نشاطه، ولكن الحماية والرعاية التسلطية الزائدة، تضر الصغير أكثر ما تنفعه، فالمنع والرفض الدائم، والقسوة والصرامة لكي يتحمل مسؤوليات أكبر من طاقته، والتحديد الدائم لكل فعل، كالأكل والنوم واللّبس، لا يتناسب مع حاجة الطفل لحرية الحركة والنشاط حتى تنمو قدراته ومهاراته في مناخ صحيح، والمطلوب معه أن نعطيه قدرًا من حرية الممارسة والتجربة والمشاركة، مع التشجيع والتقدير، فهي حرية للطفل مع توجيه ورقابة، ومساعدة له مع تحميله قدرًا من المسؤولية ولو شكلًا لإقناعه بذاته، وهو عطاء بلا تدليل حتى يتعوّد الصلابة للمواقف الصعبة، وهي عقوبة رمزية للتعليم، مع الإثابة والرفق والعطف الكريم. وبالعموم طفلك لن يكون نسخة لما في الخيال والمثالية، إنه مجموع قدرات وإمكانات ذاتية تنمو في الجو الذي نوَفِّره له، مع التعاهد والتوجيه الواعي الحنون {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} [الواقعة: ٦٣، ٦٤] والبيئة من حول الطفل تؤثّر فيه، وأعظمها تأثيرًا ما عليه الوالدان من معاملة وخلق وقدوة.

***

الأب له شأن خطير في تنشئة الطفل الصغير

التعاون والتنسيق والتفاهم بين الوالدين في تربية ورعاية الطفل، أساس أصيل لنجاح التربية للطفل، ولبقاء الأسرة متآلفة متشاركة قوية لا تؤثر فيها العوارض والطوارئ التي تمرّ في حياة البيوت والآباء والأمهات والأزواج، فكما أن الطفل يحتاج لعطف وحنان الأم ورعايتها وقربها منه، فإنه يتأثر بقدر عظيم بوالده وسلوكه معه واهتمامه به، والطفل

ينظر للوالد على أنه يعرف كل شيء ويقدر على كل شيء ومسؤول عن كل شيء، وإن كان في نفس الوقت يطلب من أمه كل ما يطلب ويرغب فيه، ويشبع معظم احتياجاته من خلال أمِّه، وعادة توجيهات الوالد تؤخذ من الطفل باهتمام أكثر من الاهتمام الذي يعطى لتوجيهات الأم؛ لأن الطفل يدرك بفطرته من صوت الأم وتعبيراتها نفحة الحنوّ والتَّدليل، وأنه سرعان ما تعود الأم لحالتها الطبيعية مع الطفل، وتنسى هي مع الطفل ما صدر منه ومنها، فصورة الأم المرتسمة في فؤاد الطفل دائمًا، صورة الحنان والعطف والمسامحة، أما صورة الوالد الأب عند الطفل، وبرغم الحب المتبادل، فهي صورة الصلابة والحزم ورفق القسوة، أو قسوة الرفق، والمؤاخذة والتعزير، فإذا ما استُثْمِر حنان الأم وحزم الأب، اعتدل العطاء التربوي عند الطفل، وتميَّز له الصواب والخطأ، من بين دوافع الرغبة والرهبة، ونشأ لديه الضمير، واتضحت له المبادئ.

- يقضي الطفل في هذه المرحلة، وقبل خروجه للمدرسة، معظم الوقت في البيت، وخاصة مع الأم، وغالبًا ما يقضي الأب الوالد معظم وقته خارج البيت مما يجعل تأثر الطفل بالأب الوالد قليلًا نسبيًّا، وهذا الأمر يوجِب على الأب الوالد مضاعفة اهتمامه وتعامله مع الطفل حتى يعوِّضه حقَّه، ويساعد على ذلك مصاحبة الطفل للأب الوالد عند خروجه لقضاء بعض الواجبات خارج البيت. كما أنه من ناحية أخرى قد يعرض للأم ما يشغلها، أو يمنعها من القيام بواجباتها نحو الطفل، مثل مرضها، أو انشغالها في أعمال ضرورية تعوِّق الواجب مع الطفل، وفي مثل هذه الحالات يحسن للأب الوالد أن ينشغل هو مع الطفل، أو يصطحبه معه خارج البيت كلما أمكن ذلك. رَوَتْ السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها: «**أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاها يومًا فقال: أين أبنائي؟ يعني حسنًا وحسينًا، قالت: أصبحنا وليس في بيتنا شيء يذوقه ذائق، فقال عليٌّ: أذهب بهما، فإني أتخوَّف أن يبكيا عليك، وليس عندك شيء، فذهب إلى فلان اليهودي. فتوجَّه إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فوجدهما يلعبان في سريّة، بين أيديهما فضل من تمر، فقال: يا علي ألا تقلب ابني قبل أن يشتدّ الحر؟ قال علي: أصبحنا وليس في بيتنا شيء فلو جلست يا رسول الله حتى أجمع لفاطمة تمرات؟**

فجلس النبي صلى الله عليه وسلم حتى اجتمع لفاطمة شيء من تمر، فجعله في صُرَّته، ثم أقبل، فحمل النبي صلى الله عليه وسلم أحدهما وعليٌّ الآخر حتى أقلبهما» رواه الطبراني وإسناده حسن، ومعنى يقلب، أي يرجع ويعود، وكان علي رضي الله عنه يأخذ تمرة من اليهودي مقابل كل دلو ينزعه من البئر يروي الحديقة. فهذا عليٌّ الأب الوالد رضي الله عنه، وهذا النبي صلى الله عليه وسلم الجد الوالد، برغم أعبائهما ومسؤولياتهما في سياسة أمور المجتمع كله، يقومان برعاية الطفلين الصغيرين رضي الله عنهما، بل يقول علي رضي الله عنه لزوجه وأم الطفلين الصغيرين رضي الله عنها: «**أذهب بهما فإني أتخوّف أن يبكيا عليك وليس عندك شيء**» إنه التعاون والتشارك في المسؤولية، والحنان الأبوي، والزوجي معًا، والرجولة في مواجهة الصِّعاب وشظف المعيشة، وما أعظم رحمتك يا رسول الله وشفقتك وحبك الكبير في قولك: «**يا علي: ألا تقلب ابني قبل أن يشتدّ الحر؟» وما أعظم تواضعك الذي يطامن السحاب، وأنت من أنت «فحمل النبي صلى الله عليه وسلم أحدهما وعليٌّ الآخر حتى أقلبهما**» هكذا أمام اليهودي، ومن حديقته حتى بيت علي، وأمام كل من قابله في المدينة!! فصلى الله عليك وسلم وبارك يا خير قدوة في الأبوَّةِ، وفي كل شيء تحلَّى به البشر القدوات، ثم أي حرص وتعاهد ورعاية، حيث يذهب إلى البيت فيسأل باهتمام، «**أين أبنائي؟**» ولا يكتفي صلى الله عليه وسلم بالسؤال والجواب، إنه يذهب بنفسه الشريفة إلى حيث علم أين الأبناء، فيرى بعينه ويطمئن قلبه «فوجدهما يلعبان في سَرِيَّة بين أيديهما فضل من تمر» قد شبعا من جوع وبقي فضل من تمر، وها هما يلعبان في مجرى الماء، ولم يبق إلا أن يعمل على إعادتهما للبيت.

- كم هو رائع وجميل عند الطفل الذي ينتظر أباه عند عودته للبيت حتى يشاركه في لهوه وطعامه، أو يسمع منه حكايةً لطيفة فيها معنى لطيف ينطبع في فؤاد الطفل طوال عمره، إن رحابة النفس الصغيرة عند الطفل لتتسع من خلال أبيه وما يسمعه منه، وحتى لا تتقولب نفسه على ضيق جدران البيت الذي يقضي فيه معظم هذه الفترة التي تنطبع فيها النفس بأهم ما يصاحبه في عمره عن الحياة، وقد يخطر بالبال أن وسائل الإعلام وغيرها يمكن أن تؤدّي للطفل هذا الدور وهذه المهمة، ولكني أقول:

الطفل عادة لا يأخذ منها إلا الغثَّ والتَّافه، وما يأخذه من النافع لا يفهمه، وإذا فهمه لا يأخذه بمأخذ الاهتمام مثل ما يسمعه من أبيه، فالواجب على الأب الوالد ألا يغفل عن هذا الأمر مهما كثرت شواغله، روى الإمام مسلم في صحيحه «**أعتم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم، ثم رجع إلى أهله، فوجد الصِّبية قد ناموا، فأتاه أهله بطعامه، فحلف لا يأكل من أجل صبيته، ثم بدا له فأكل، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها، فليأْتِها وليكفِّر عن يمينه**» فهذا أحد الصحابة الذين يجالسون النبي صلى الله عليه وسلم حتى عتمة الليل، ويقومون على شؤون الأمة في أشدِّ أوقاتها خطورة، لا يمنعه ذلك كله من تعاهد أطفاله عند عودته للبيت فيأكل معهم ويجالسهم كما يجالس أمثاله هو خارج البيت، وفي اليوم والليلة التي تأخّر فيها عنهم حتى ناموا، فَفَاتَهُ وفاتهم تلك الجلسة المعتادة، وحزن رضي الله عنه فحلف لا يأكل، كأنه يعاقب نفسه على إهماله ذلك الواجب اليومي، إنهم كانوا يجالسون النبي صلى الله عليه وسلم فيتعلمون منه ويأخذون عنه، فما أحوجنا إلى الأخذ عنهم حتى تشرق بيوتنا بالخير كما أشرقت بيوتهم، وحتى ينشأ أولادنا كما نشأ أولادهم. عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «**دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين يلعبان على بطنه، فقلت: يا رسول أتحبّهما؟ فقال: وما لي لا أحبها وهما ريحانتاي**» رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «**رأيت الحسن والحسين على عاتقي النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: نعم الفرس تحتكما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ونعم الفارسان**» رواه أبو يعلى والبزار ورجال أبو يعلى رجال الصحيح. فأيُّ أُبُوَّةٍ في حِرْصِه على لهو الصغار ومداعبتهم وملاعبتهم حتى ولو احتاج الأمر أن يلعب الصغار على بطنه الشريف، وبل ولو احتاج الأمر أن يمكن الصغار من اتخاذه فرسًا يعلونه صلى الله عليه وسلم، فيا ليت الآباء والكبار يهتدون بهديه ويسلكون منهجه، حتى يعود بيننا مثل الحسن والحسين خُلُقًا ومسلكًا، لا مجرد اسم وحكاية. ولم يكن ذلك الذي يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم خافيًا على أصحابه، أو سلوكًا يختصّ به النبي صلى الله عليه

وسلم دون أصحابه، بل كان دأب الصحابة كلهم، ونعلم ونذكر كثيرًا قول حنظلة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**ساعة وساعة يا حنظلة**» فالساعة التي للإيمان لا تمنع المؤمن من ساعة ملاعبة الصبيان، يقول حنظلة رضي الله عنه: «كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر النار، ثم جئت إلى البيت، فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة، فخرجت، فلقيت أبا بكر، فذكرت ذلك له، فقال: وأنا قد فعلت مثل ما تذكر» الحديث، وهذه رواية الإمام مسلم والترمذي، فالبيوت إذًا فيها المضاحكة والملاعبة للأهل والصبيان، وهي بيوت أهل الإيمان، فما بين بيوت النبي صلى الله عليه وسلم وبيت الصديق وبيت حنظلة الشهيد، تسمع بكاء الخشوع في الصلاة، كما تسمع ضحكات اللهو المباح في أبهج وأسعد حياة، ولم يعد بيت إلا وفيه الخير وخرج منه الشرّ، لأنهم سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يحذرهم وينهاهم عن أسباب الشر في البيوت حيث قال: «**شر الناس، الضيِّق على أهله، قالوا: يا رسول الله وكيف يكون ضيِّقًا على أهله؟ قال: الرجل إذا دخل بيته خشعت امرأته وهرب ولده وفرَّ، فإذا خرج ضحكت امرأته واستأنس أهل بيته**» رواه الطبراني، فأي بشاعة تلحق برجل يكون خروجه وغيابه عن بيته أفضل وأحب وآنس عند أهل بيته من حضوره، فنعوذ بالله العظيم من الخذلان.

- إن مسؤولية الأب الوالد نحو الطفل لتزيد وتشتد إذا انتاب الطفلَ أي مكروه أو مرض، لأن الأم الوالدة في هذه الظروف عادة ما ترتبك ويشتد قلقها وتوتّرها وجزعها على الطفل، مما قد يُفقدها القدرة على التصرف المناسب نحو الطفل، فوجود الأب بجانبها وقيامه بواجبه نحو الطفل، يجعلها تستعيد تمالكها لنفسها فتقوم بواجباتها المعتادة، كما أن وجود الأب مع الطفل وتلطُّفه معه يجعل حالته مستقرّة ويساعده على التحمل، ويزيد من فرص الشفاء والاطمئنان عند الطفل. عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «**دخلت مع أبي بكر على أهله، فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها الحمى، فرأيت أباها يقبِّل خدَّها ويقول: كيف أنت يا بُنَيَّة**» رواه البخاري ومسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كنا ببعض الطريق سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين يبكيان وهما مع أمهما، فأسرع السير حتى

أتاهما، فسمعته يقول: ما شأن ابنيّ؟ فقالت: العطش، قال: فأخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شَنَّة يبتغي فيها ماءً، وكان الماء يومئذ أَغْدَارًا والناس يريدون، فنادى: هل أحد منكم معه ماء؟ فلم يبقَ أحد إلا أخلف إلى شنّته يبتغي فيها الماء، فلم يجد أحد منهم قطرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ناوليني أحدهما، فناولته إياه من تحت الخدر فرأيت بياض ذراعيها حين ناولته، فأخذه فضمّه إلى صدره وهو يضغو، ما يسكت، فأدلع لسانه فجعل يمصُّه حتى هدأ أو سكن فلم أسمع له بكاء، والآخر يبكي كما هو لا يسكت، ثم قال: ناوليني الآخر، فناولته إياه، ففعل به كذلك فسكتا فلم أسمع لهما صوتًا» رواه الطبراني ورجاله ثقات. فهذه نازلة عجيبة نزلت بفاطمة رضي الله عنها أثناء سفر في سبيل الله، إما لأداء نسك حج أو عمرة، وإما في سير إلى العدوّ للقتال والجهاد في صحبة الزوج، وقد كان النساء يخرجن مع المقاتلين ولا يشتركن في القتال، واشتد العطش بطفليها رضي الله عنهما فأخذا يبكيان، ويسمع بكاءهما الأب الوالد ويفزع إليها لنجدتهما، ويضطر صلى الله عليه وسلم أن ينادي بنفسه يطلب الماء من أصحابه، ولكن ليس في كل الشِّنان -قرب الماء- قطرة واحدة من ماء، وهنا يتصرّف الأب الحكيم صلى الله عليه وسلم بما يناسب الموقف، فيأخذ الطفل ويضمّه إليه ويخرج له لسانه المبارك حتى يمصُّه الطفل فيرطِّب حَلْقَه من ريقه المبارك صلى الله عليه وسلم، حتى ينقطع البكاء، وتهدأ الأم القلقة رضي الله عنها، حيث لم يكن لها حيلة معهما في ذلك، فبرغم السفر ومشاقِّه، وقيادة الركب العظيم ومسؤولياته، لم يغب عن الأب الوالد صلى الله عليه وسلم تعاهده لولده والقيام بواجبه معه، ولا يغيب عن إدراكنا، ما كانوا عليه من حرص على مصاحبة أولادهم لهم في الأسفار لكي يكتسبوا الصلابة والتحمّل وبركة الصحبة في أسفار العبادة والجهاد.

- خروج الأب الوالد بالطفل معه خارج البيت واصطحابه إلى المسجد سُنَّة مباركة، وأسلوب تربويّ أصيل لتنشئة الطفل على حب المساجد والصلاة، والتعوّد عليها، وفيه مخالطة الطفل لأهل الخير وحضور دعواتهم، علاوة على المؤانسة للطفل وفرحة بالخروج من البيت والانطلاق خارجه في ظل الحماية والرعاية من الأب الوالد، روى الأئمة، النسائي

وأحمد والحاكم بالسند الصحيح: «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسنًا -أو حسينا- فتقدم النبي صلى الله عليه وسلم فوضعه، ثم كبّر للصلاة فصلّى، فسجد بين ظهراني صلاة سجدة أطالها، قال: فرفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة، قال الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننّا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك، قال: كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته» وظهراني الصلاة، أي وسطها وفيما بينها. وعن أبي بكرة رضي الله عنه **«أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي فإذا سجد وثب الحسن عليه السلام على ظهره وعلى عنقه، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعًا رقيقًا لئلا يصرع، يفعل ذلك غير مرّة»**. رواه أحمد والبزار والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح. وهكذا كان فعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم، حيث كانوا يصحبون أطفالهم معهم خارج المنزل وخاصة إلى المسجد ومجالس العلم وأدلّة ذلك كثيرة، وأكتفي بواقعتين لطيفتين «**كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه، فيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره فيقعده بين يديه، فهلك، فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة، لذكر ابنه، ففقده النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما لي لا أرى فلانًا؟ قالوا: يا رسول الله بُنَيَّهُ الذي رأيتَه هلك، فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن بُنَيِّه؟ فأخبره أنه هلك، فعزَّاهُ عليه، ثم قال: يا فلان أيُّما كان أحب إليك، أن تتمتع به عمرك، أو لا تأتي إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدتَه قد سبقك إليه يفتحه لك؟ قال: يا نبي الله، بل يسبقني إلى باب الجنة يفتحها لي، لهو أحب إليّ، قال: فذلك لك**» رواه النسائي وإسناده صحيح. وأما الواقعة الثانية، فعن أبي رِمْثَةَ رضي الله عنه قال: «**انطلقت مع أبي نحو النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي: ابنك هذا؟ قال: ابني وربِّ الكعبة، قال: حقًّا؟ قال: أشهد به، قال: فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ضاحكًا من حلف أبي، ومن ثبت شبهي في أبي، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إنه لا**

يجني عليك، ولا تجني عليه، وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى» رواه أبو داود والنسائي.

- من الأفعال الطيبة التي يقوم بها الأب مع الطفل، اصطحابه عند زيارة الأقارب وذوي الأرحام، حت يتعوّد الطفل مثل هذه الصلة للأرحام، حتى يعرف أهله وأقاربه، وقد روى الطبراني بسندٍ رجاله ثقات عن النبي صلى الله عليه وسلم: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة للأهل، مثراة للمال، ومنسأة للأجل» فهذا التزاور بالنسبة للطفل يُحبِّب إليه الأقارب خاصة، كما يحبب إليه مخالطة الناس بصفة عامة، ويوسِّع عنده دائرة حركته واطلاعه، بحيث لا يتربى في هذه المرحلة في معظم الوقت في حدود البيت وما حوله، بل يكون من المفيد عند ملاءمة الظروف أن يبيت الطفل ليلةً عند إحدى ذوي رحمه، مثل خالته أو عمته، حتى يترسخ في نفسه أن البيوت قريبة الصلة ببعضها، وأن الحياة أرحب من خصوصية البيت. روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**بتُّ عند خالتي ميمونة، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما أمسى، فقال: أصلَّى الغلام؟ قالوا: نعم. فاضطجع ...**» وذكر الحديث، رواه البخاري وأبو داود، ولا يخفى مسؤولية رب البيت عند متابعة الطفل في التعوّد والمواظبة على الصلاة، حتى ولو كان الطفل ضيفًا.

- ومن جميل ما يعوِّد الأب ابنه عليه، المشاركة له في اللعب، والتباسط معه، حتى يستطيع الأب أن يوجِّه الطفل إلى الصواب من خلال لعبه معه، وحتى يزيل من نفس الطفل كل الحواجز التي يتوهَّمها الطفل نحو أبيه وما يراه فيه من سلطة تسلُّطية، روى الإمام أحمد بسند حسن: «**كان النبي صلى الله عليه وسلم يصف عبد الله وعبيد الله وكُثَيِّرًا أبناء العباس، ثم يقول: من سبق إلي فله كذا وكذا، قال: فيسبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبلهم ويلتزمهم**» إنه اللعب الهادف المبارك، إنها مسابقة بين أطفال صغار، ولها جوائزها التي يشتهيها الطفل الصغير، في جو من الحنان والتقبيل والأحضان عميقة التأثير في حينها. وتدبّر، هداني وإياك الله، إلى أي حدٍّ كان تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتطامنه للصغار الذين يرتمون على ظهره وصدره الشريفين،

إنـه جـلال الحـال المناسـب للأطفـال، وصـدق العطـاء الكريـم، وعمـق عاطفـة الأبـوة، وإقـرار منهـج التربيـة الإسـلامية للصغـار، وإعطـاء القـدوة للكبـار.

- ومـن مسـؤوليات الأب الوالـد، بجانـب الأم الوالـدة، تعويـد وتذكـير الأطفـال العبـادات، وخاصـة الصـلاة، والتنبيـه لهـم وحضهـم عـلى ذلـك، كأن يطلـب مـن الطفـل الاسـتعداد بالوضـوء للصـلاة عنـد قـرب حلـول موعدهـا، ومسـاعدته في ذلـك في الوضـوء ثـم في جعلـه مـع الأم أو الأب أو الأخـوة أو هـم جميعًـا، في الصـف للصـلاة، ويحسـن كل حـين اصطحابـه مـع الأب أو الأخ الأكـبر إلى المسـجد، وقـد كان الصحابـة رضـوان اللـه عليهـم يحرصـون عـلى ذلـك حتـى أصبـح لهـم سـلوكًا معتـادًا، ومـن أعجـب هـذا السـلوك مـا كان عليـه سـيدنا أبـو قُرصافـة رضي اللـه عنـه فقـد «أسرت الـروم ابنًـا لأبي قرصافـة رضي اللـه عنـه، فـكان أبـو قرصافـة إذا حـضر وقـت كل صـلاة صعـد سـور عسـقلان ونـادى: يـا فـلان، الصـلاة، فيسـمعه وهـو في بلـد الـروم» رواه الطـبراني، ورجالـه ثقـات. فـأي حـرصٍ مـن الآبـاء عـلى صـلاة الأولاد وتعليمهـم، وإلى أي حـد تكـون المسـؤولية نحـو الصغـار؟

- ولا مانـع مـن مصاحبـة الأب لطفلـه في الذهـاب إلى أحـد الصالحـين ليدعـو لـه ويبـارك عليـه، لعـل اللـه أن ينفعـه بهـذه الزيـارة، والحلـول والخـوض في رحـاب الرحـمات التـي تتنـزّل عـلى عبـاد اللـه الصالحـين فتغمرهـم ومـن يحـضر معهـم كـما جـاءت بـه الأحاديـث الصحـاح، وتحفّهـم الملائكـة، وخاصـة العلـماء العاملـين منهـم، فعـن جمـرة بنـت عبـد اللـه اليربوعـي رضي اللـه عنهـما قالـت: «**ذهـب بي أبي إلى النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم، بعـد مـا وَرَدَتْ عـلى أبي الإبـل، فقـال: يـا رسـول اللـه، ادع اللـه لبنتـي بالبركـة، قالـت: فأجلسـني النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم في حجـره ووضـع يـده عـلى رأسي ودعـا لي بالبركـة**» رواه الطـبراني، وهـذا تشريـع وإقـرار منـه صـلى اللـه عليـه وسـلم لهـذا العمـل، وهـذا السـلوك مـن الأب الوالـد يرسِّـخ في ذهـن نفـس الطفـل الصغـير توقـير العلـماء والصالحـين، وحبِّهـم واعتيـاد مجالسـهم ومجالسـتهم.

- مـن المقـرّر شرعًـا وعرفًـا أن الأب الوالـد يجـب عليـه نفقـة الصغـير حتـى يسـتغني عنهـا، ولكـن معرفـة الأب بمـا لـه عنـد اللـه مـن أجـر ومثوبـة، يزيـده تمسّـكًا بواجبـه، وأن يسـعى عـلى أولاده وهـو يعلـم أن ذلـك عبـادة يتقـرب بهـا إلى اللـه، كـما تتقـرب الأم الوالـدة بخدمـة الـزوج

والطفل ورعاية كليهما بأداء واجبها نحوهما. ومن أدلة ذلك، وهي كثيرة، قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**أفضل دينار ينفقه الرجل، دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابّته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله**» رواه مسلم والترمذي. **قال أبو قلابة: بدأ بالعيال، ثم قال أبو قلابة: وأي رجل أعظم أجرًا من رجل ينفق على عيال صغار يعفّهم الله، أو ينفعهم الله به ويغنيهم؟**» رواه مسلم والترمذي، والعفّة: كفُّ النفس عمّا لا يحلّ، أي يجعلهم ذوي عفاف وتقى لا يَتَبَذَّلُون.

- مرَّ بنا في الفصل الخاص بالحمل أن الأم الحامل أثناء حملها ورضاعتها وسهرها في رعاية الطفل لها بحكم الشرع أجر القائم الصائم في سبيل الله، أما الأب الوالد فقد أعطاه الله أجر المعاهد في سبيل الله عن سعيه على أطفاله، فقد روى كعب بن عُجْرة رضي الله عنه قال: «**مَرَّ عليَّ النبي صلى الله عليه وسلم فرأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيَّ جَلَدةً ونشاطًا، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن كان خرج يسعى على ولده صغارًا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفُّها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان**» رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة ورجال الكبير رجال الصحيح. فيجب أن يَتَنَبَّه الوالدان لحكم شرع الله في تربية الأطفال من أنها عبادة وقُربى يتقرّبون بها إلى الله تعالى، فيحسنون هذه العبادة، فيخلصون النية والقصد لله في رعايتهم والقيام بالمسؤولية نحوهم، ولا يتبرَّم أحد الوالدين من كثرة المشاغل والمتاعب التي تحتاجها تربية الصغار، فبعد قليل يجني الوالدان ثمرة ذلك أولادًا مهذبين طيبين يسعدون معهم في الدنيا، ثم النعيم المقيم عند رب العالمين.

- مُدبِّر الأمر الكريم سبحانه وتعالى، هو الرزاق ومسبب أسباب الرزق، ومن حكمته وتدبيره وابتلائه للخلق، أن يحرم الصغير من يرعاه وينفق عليه، وهو من يسمى باليتيم، وشرعًا اليتيم من فقد أباه صغيرًا حتى يبلغ الحُلُم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يُتْم بعد حُلم، ولا يُتْم على جاريةٍ إذا هي حاضت**» رواه الطبراني ورجاله ثقات وروى

البزار الجزءَ الأول. والجارية: الصغيرة؛ لذلك حضَّ الشرع على كفالة اليتيم ورعايته لعجزه وقلة حيلته، حتى يتحمَّل النفقة عليه ورعايته من لم يلده، وله الثواب الجزيل، وذلك معلوم من الدين لكل مسلم، ومن أكرم وألطف ما يعطاه كافل اليتيم ومحبّه والحاني عليه، ما أخرجه الإمام أحمد بسند رجاله رجال الصحيح «**أنَّ رجلًا شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه، فقال: امسح رأس يتيم، وأطعم مسكينًا**» فصاحب القلب القاسي، أعاذنا الله من قسوة القلب، إذا عطف على اليتيم فأظهر له الحنان الأبوي فمسح على رأسه وقرَّبه منه، لَانَ قلبُه ورقَّ بعد قسوة، وقد روى الطبراني أيضًا: «**أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ يشكو قسوة قلبه، قال: أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلن قلبك، وتدرك حاجتك**». **ومن عجائب الإيمان التي يؤمن بها كل من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم، قوله: «ما قعد يتيم مع قوم على قصعتهم، فيقرب قصعتهم شيطان»** رواه الطبراني وهو حديث سنده حسن، بل إن سعة الرزق والتوفيق في كسبه، من أسبابه تربية الصغير، فقد روى الطبراني «أن رجلًا شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سُوءَ الحرفة، فقال: ربِّ صغيرًا، فسأله، فقال: جارية أو غلامًا». وأقول لمن يسعى على صغير من الأولاد، أو على كبير من الآباء، أو على محتاج: لا تَمْنُنْ بسعيك على أحد، فلعل الله تعالى يرزقك ويوسع عليك الرزق من أجلهم، فأنت تغنم، وتنعم من أرزاقهم التي يسوقها الله تعالى على يديك. واسمع لقول الله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا} [الإسراء: ٣٠، ٣١]. فخاطب الله تبارك وتعالى الآباء الذين يكتسبون الرزق بقوله عز وجل: {نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ} فبدأ يرزق الأولاد الذين لا يتكسبون قبل رزق الآباء الذين يتكسبون. ولما عرف جيل الصحابة رضوان الله عليهم هذه المعاني، بلغ بهم أمر الرعاية لليتيم مبلغًا بأن تنازعوا عليه. روى أبو داود قال: «**خرج زيد بن حارثة إلى مكة، فقدم بابنة حمزة، فقال جعفر: أنا آخذها، أنا أحقّ بها، هي ابنة عمي وعندي خالتها وإنما الخالة أم، وقال علي: أنا أحقّ بها، هي ابنة عمي وعندي ابنة رسول الله صلى الله**

عليه وسلم فهي أحقُّ بها، وقال زيد: أنا أحق بها، هي ابنة أخي، وإنما خرجت لها وسافرت وقدمت بها، فقضى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لجعفر، وقال: الخالة أم».

وأخيرًا أيها الأب الوالد أقول لك عن طفلك الصغير: إنه يحتاج إلى والدين، أحدهما أب، والآخر أم، فإنْ تعاهده أحدُهما دون الآخر، كان ذلك نقصًا في التربية، يؤثِّر في تكوين شخصية الطفل فيما بعد، ويظل واجبك نحو الصغير حتى يكبر، وقد يستغني عن النفقة منك، ولكنه أبدًا في حاجة إلى عطفك وحنانك وتعاهدك له، حتى ولو استقل ببيت غير بيتك، وخاصة الإناث من الأولاد، وهذا ما حدّثتنا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مع ابنته فاطمة وأخواتها رضي الله عنهن «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر، كان آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة، وإذا قدم من سفره كان أول من يدخل عليه فاطمة**» رواه أبو داود، «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر قَبَّل ابنته فاطمة**» رواه الطبراني ورجاله ثقات.

***

٥ العشرة الطيبة

[مع الأولاد وتربيتهم]

أساليب الثواب والعقاب مع الطفل

* الفطرة لا يصلحها إلا شريعة الجزاء بالثواب والعقاب.
* الطفل خامة بشرية قابلة للتشكيل.
* هل أساليب العقوبة مضرّة بالطفل؟
* فوائد ومزايا أساليب العقوبة.. ومتى تكون نافعة؟
* مشاكل مرحلة الطفولة المتعلقة بالعقوبة.
* تطبيقــات وقواعــد مأثــورة لأســاليب العقــاب مــن مأثــور الهــدْي النبــوي.

كل ابنُ آدم خطَّاء، ولكن!

* من ثوابت الرسالات السماوية على مدار التاريخ البشري، الإنذار والتَّبشير، والترغيب والترهيب، والثواب والعقاب، لأن الجزاء على الأعمال بالسعادة والشقاوة، والجنة والنار، غاية العبادة لله عز وجل. والفطرة التي فطر الله الخلق عليها مهيأة لهذا الأمر، ولا يصلحها سوى شريعة الجزاء والثواب والعقاب. والنفس مجبولة على فعل الخير والشر، وتستجيب للأمر والنهي، وترغب في النافع وتستجلبه، وتكره الضار وتدفعه، كما أنها تزكوا بفعل الخير، وتنتكس بفعل الشر. ونفترق الخلائق بقدر ما يعملون من خير وشر، يقول الله تعالى {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: ٧-١٠]. وقد بيَّنت الرسالات السماوية للناس، الخير والشر، والنَّافع والضَّار، والصَّواب والخطأ، والجزاء حسنُه وسيِّئُه، ومازالت موازين العدل الإلهي تجازي الخلق على أفعالهم من خير وشر، على أساس تلك الموازين المبينة في الشرائع السماوية، في الدنيا، ثم في الآخرة.

* والطفل خامة بشرية قابلة للتَّشكيل بالفطرة، والذي يتولَّى رعايته في سنوات طفولته هو الذي يكوِّن خصائص وصفات شخصيته، كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه**» رواه البخاري ومسلم. فالوالدان يكسبان الطفل، إما عقائد وأخلاق وسلوك وأفعال اليهود، أو النصارى، أو المجوس، أو بالطبع، المسلمين، بالأساليب والمناهج التي يتَّبعونها معه وتؤثر فيه، والطفل في سنواته الأولى شديد التَّأثّر بمن حوله، ومن أنجح الأساليب المؤثرة، أسلوب الثواب والعقاب للطفل.

والثواب، وهو يلائم الجسم والنفس، ماديًّا، ومعنويًّا، عاجلًا أو آجلًا، والعقاب عكسه بإيقاع ما يلائم الجسم والنفس، ماديًّا، ومعنويًّا، عاجلًا، أو آجلًا، بغرض تحفيز الطفل على النشاط المطلوب منه فعله، أو تركه، أو تغييره، أو تعديله، طبقًا لما دلَّ عليه الشرع،

أو دفـع ضررًا، أو اسـتجلب نفعًـا.
والطفـل لديـه القـدرة عـلى فعـل الصـواب، وفعـل الخطـأ، ولكنـه قـد لا يعـرف الفـرق بينهـما، لذلـك يكـون أسـلوب الثـواب والعقـاب مـع الطفـل، غايتـه تعليمـه الصـواب والخطـأ، وأن يمتنـع عـن تكـرار الخطـأ، فهـو للطفـل للتَّعلـم والزجـر، ولكنـه للكبـار للزجـر والتنكيـل.

***

هل أسلوب العقوبة مضرّ؟

* قد رأى البعض أن أساليب العقوبة تَضُرُّ بالطفل أكثر مما تفيد؛ لأسباب منها:
١- العقوبـة يصاحبهـا القلـق والخـوف، خاصـة عندمـا يبالَـغ فيهـا، ويصبـح الطفـل دائمًـا غـير سـعيد.
٢- قـد يـؤدي العقـاب إلى -كبـت- السـلوك المعاقَـب عليـه، ويجـد لـه مسـارًا آخـر، ولكـن بعيـدًا عـن أعـين المعاقِـب.
٣- الجـزاء بالثـواب يفيـد مفهومًـا لـدى الطفـل يقـول: كـرِّر مـا فعلتـه، وهـذا يفهمـه الطفـل، ولكـن الجـزاء بالعقـاب يفهـم منـه الطفـل: لا تفعـل هـذا الـذي فعلتـه، ولكنـه لا يحـدِّد لـه مـاذا يفعـل.
٤- عنـد انتهـاء الحالـة الانفعاليـة المرتبطـة بالعقـاب، يعـود الطفـل بنفـس القـوة إلى الأمـر الـذي عُوقـب مـن أجلـه، إذ الدافـع لا يـزال عنـده.
٥- قد يؤدي العقاب إلى كراهية مصدر العقاب، وكراهية الأمر الذي تسبّب في عقابه.
٦- قـد يـؤدِّي العقـاب إلى تثبيـت السـلوك عنـد الطفـل في بعـض الحـالات مثـل مشـكلة التَّبـوُّل الـلا إرادي، كـما سـيأتي إن شـاء اللـه.
٧- قـد يكـون العقـاب نتيجـة انفعـال الوالديـن فيشـعر الطفـل بظلمـه، وخاصـة أن الأطفـال لديهـم حساسـية ضـد الظلـم.
٨- قـد يـؤدي الحرمـان المتكـرر مـن شيء، عقوبـةً للطفـل، إلى سـلوكه طـرق الاحتيـال والسرقـة، مـع التَّخفِّـي في السـلوك.
٩- قـد يـؤدي الإحسـاس بالظلـم مـن العقوبـة لـدى الطفـل إلى أن يلجـأ إلى تحطيـم شيء هـام

مـن الآنيـة أو إفسـاد الأدوات في غيبـة الأنظـار.

١٠- قـد يـؤذي الطفـل نفسـه، أو يمتنـع عـن تنـاول الطعـام المرغـوب فيـه، كعقوبـة لـلأم الحنـون التـي يعـرف الطفـل أن هـذا السـلوك يغيظهـا، أو يـترك درسـه ومذاكرتـه عنـادًا لهـا.

١١- المبالغـة في العقوبـة، قـد تُعـوِّق الطفـل، ولا تنطلـق معهـا قدراتـه، وقـد يحـدث للطفـل -صدمـة- توقـف الطموحـات لديـه، أو تجعلـه دائمًـا سـلبيًّا نحـو هـذا الأمـر الـذي عوقـب عليـه.

والصحيـح مـن هـذا الأمـر، أن هـذه الاعتراضـات عـلى أسـاليب الجـزاء بالعقوبـة، ليسـت موجَّهـة إلى نظـام العقوبـة في إطـار منهـج التعليـم والتربيـة للصِّغـار، ولكنهـا اعتراضـات عـلى كيفيـة تطبيـق العقوبـة. والقائلـون بأهميـة العقوبـة وفوائدهـا، هـم الذيـن يحـذرون مـن هـذه الأخطـاء في تطبيـق هـذه الأسـاليب الجزائيـة. فالجـزاء بالثـواب والعقـاب وسـيلة حسـنة إن أحسـن اسـتخدامها فتحقـق المسـتهدف منهـا، وهـي وسـيلة غـير مُجْديـة في تحقيـق تلـك الأهـداف إن أُسيء اسـتخدامها.

***

مزايا أساليب العقوبة

١- إذا اسـتخدمت في حـدود الرفـق والمعقـول والاعتـدال، بجانـب أسـاليب الثـواب، فإنهـا تسـاعد عـلى سرعـة تكويـن -الضمـير- لـدى الطفـل.

٢- يحـدِّد أسـلوب الجـزاء، سـلْبيًّا وإيجابيًّـا، أي عقابًـا وثوابًـا، دائـرة المسـموح واللَّا مسـموح أخلاقيًّـا، واجتماعيًّـا، ودينيًّـا، ويقعِّـد المعايـير لـكل ذلـك.

٣- أسـلوب الجـزاء ينبِّـه عـلى المرغـوب فيـه، والبعـد عـن المـرذول اجتماعيًّـا، ويعلّـم الطفـل الانتبـاه.

٤- يـؤدي إلى التوقـف عـن السـلوك غـير المرغـوب فيـه، قبـل أن يعتـاده الطفـل وهـو لا يـدري ضرره، ويعـين عـلى ذلـك بقـدر كبـير، تشـجيع الطفـل في الحـال وفـورًا، كلـما اسـتجاب للأمـر وإثابتـه عـلى ذلـك.

٥- يكـون العقـاب مصححًـا للأخطـاء، ومبـدأ في التعليـم، إذا قارنـه شرح وتفهيـم للخطـأ والـضرر، والنفـع الـذي يفوتـه مـن وقوعـه.

٦- لا بـد مـن تفهيـم الطفـل، لمـاذا يعاقـب، وقبـل إنـزال العقوبـة، حتـى يتعلـم ويفهـم أن العقـاب لـه معنـى يرتبـط بالأمـر غـير المرغـوب فيـه، وهـذا أمـر ضروري، وفي غايـة الأهميـة، لأن المقصـود الأول لعقوبـة الطفـل تعليمـه وتعويـده الصـواب والمرغـوب فيـه، وهـذا التفهيـم والتعليـم يهملـه معظـم الآبـاء والأمهـات والمعلمـون، وإذا قامـوا بعـد توقيـع العقوبـة، أو في وقـت لاحـق، فإنـه لا يجـدي ولا يؤثـر كثـيرًا، ومـن أهـم مزايـا التفهيـم قبـل إنـزال العقوبـة، أن الـذي يوقِّـع العقوبـة، لا يوقعهـا وهـو منفعـل، ويكـون غضبـه، إن كان غاضبًـا قـد زال بعـد قيامـه بـدور التفهيـم والتعليـم، وكذلـك يكـون اسـتقبال الطفـل للعقوبـة مفهومًـا ومؤثـرًا، ويزيد مـن هـذا التأثـير أن يُذَكَّـر بسـابقة معاقبتـه وتحذيـره مـن نفـس مـا أخطـأ فيـه حتـى لا يشـعر بظلـم في العقوبـة.

٧- يحسـن مـع الـشرح والتفهيـم، الرِّفـق والحسـم في توقيـع العقوبـة حتـى لا يشـعر بالتناقـض، وتتميـز لديـه الأمـور، كـما يجـب أن يـدرك الطفـل العلاقـة بـين الخطـأ والعقوبـة عليـه، حتـى يكـون للعقـاب أثـره.

٨- لا يلـزم توقيـع العقوبـة عـن كل خطـأ يقـع مـن الطفـل، ويكتفـي بالتفهيـم لـه والتحذيـر مـن العـودة لارتكابـه مسـتقبلًا، وأمـا الخطـأ المتكـرر، والخطـأ الفاحـش المتعّمـد، فيتـم توقيـع العقوبـة بسـببه بعـد التفهيـم بحسـم ورفـق.

٩- توقيع العقوبة يؤدي إلى إضعاف الدافع العدواني لدى الطفل على المدى البعيد.

١٠- لا داعـي لتوقيـع العقوبـة إذا فقـد الحـدث أهميتـه لأي سـبب، أو مـضى عليـه مـا يجعـل الطفـل لا يـدرك العلاقـة بـين العقوبـة والحـدث، ويمكـن إذا تكـرر الحـدث منـه فيـما بعـد، أن نذكـر عنـد التفهيـم سـابق ارتكابـه لـه.

١١- يجـب عـدم معاقبـة الطفـل عـلى خطـأ آخـر عنـد توقيـع العقوبـة عليـه لغـير هـذا الخطـأ؛ لأن ذلـك في الحقيقـة مبالغـة في العقوبـة عـن الخطـأ الحـادث، وهـذا ضـارٌ للطفـل كـما سـبق بيانـه. كأن نعاقبـه بشـدَّة، لأنـه حطـم أدوات أخيـه، ولأنـه سـبق لـه أن شـتم ابـن الجـيران.

١٢- أن نعـوِّده ونعلمـه ونعاقبـه عـلى الخطـأ نفسـه في كل الأحـوال، فمثـلًا لا نتركـه يفعـل الخطـأ في حضـور الضيّـوف، أو عنـد الزيـارة للآخريـن، أو أثنـاء السـير في الطريـق، وغـير ذلـك

مـن الأحـوال، ولا نعاقبـه عـلى هـذا الخطأ إلا إذا وقـع منـه في البيـت، أو عندمـا يخلـو الحـال مـن الآخريـن، لأن الطفـل يـدرك ذلـك ويتعمـد فعـل الممنـوع في تلـك الحـالات. فـكل النـاس يعرفـون الأطفـال ويدركـون لمـاذا يعاقـب الطفـل، فـلا حـرج في توقيـع العقوبـة المناسـبة أمامهـم وبحضورهـم بعـد تفهيـم الطفـل، بـل قـد يكـون توقيـع العقوبـة بحضورهـم أفضـل لهـم، إذا كان خطـأ الطفـل قـد أضرّ بهـم أو بأولادهـم، وحتـى لا تـترك الزيـارة مـع الأطفـال أثـرًا سـيئًا في نفـوس الآخريـن، أو يعتبرونهـا زيـارة غـير مريحـة.

***

وحتى تكون أساليب الجزاء مثمرة

* مجـازاة الطفـل بالثـواب أسـلوب لازم لتوجيـه الطفـل إلى مـا هـو صـواب، ومـا هـو مرغـوب في فعلـه، أو مرغـوب في تركـه، أو مطلـوب تعويـده عـلى السـلوك المطلـوب.

- ومـن أهـم مـا يثمـره أسـلوب المجـازاة والثـواب، مـا يولِّـده في الطفـل مـن حـالات انفعاليـة سـارة، تريـح الطفـل وتجعلـه في حالـة مـن الرضـا واللـذة والسـرور، مـما يـؤدي إلى تقويـة المحـددات الدافعـة التـي تعمـل عـلى تنشـيط السـلوك لـدى الطفـل، وتوجيهـه عـلى المـدى الطويـل.

- ومـن آثـار التشـجيع والمجـازاة بالثـواب، أن ذلـك يولِّـد الوعـي بالنجـاح في العمـل الـذي أُثيـب عليـه، مـما يشـبع بعـض دوافعـه التـي تـؤدي إلى تنشـيط جهـود التعلـم اللاحقـة التـي يقـوم بهـا، وذلـك يـؤدي بـدوره إلى زيـادة الثقـة لـدى الطفـل بنفسـه، كـما يـؤدي غالبًـا إلى تشـجيعه عـلى المغامـرة والإبـداع، وتزيـده قناعـة في المثابـرة عـلى عمليـة التعليـم وجـدواه، لمـا يعـود عليـه مـن نفـع في الواقـع.

- ويلاحـظ أن الثـواب إذا اتخـذ شـكلًا ماديًّـا دائمًـا، أو كان مبالغًـا فيـه، قـد يكـون لـدى الطفـل اتجاهًـا نفسـيًّا يقنعـه بملاحظـة المقابـل المـادي في التعامـل دائمًـا، حتـى إنـه ليتسـاءل عنـد كل عمـل: مـاذا سـيعود عـلي مـن هـذا العمـل؟ فيصبـح كل نشـاط عنـده مرتبطًـا بالقيـم الماديـة.

- يُحْـذَر مـع الأطفـال، أن نثيـب أحدهـم، ولا نثيـب الآخـر، اعتـمادًا عـلى ثقتنـا في الطفـل الـذي

تركناه، إذ قد يسبب ذلك إحباطًا لديه، أو إحساسه بالفشل، أو إحساسه بخيبة الأمل في إرضاء والديه الذين لم يشجعوه، وقد يترتب على تكرار ذلك، الشعور بكراهية أخيه الذي يثاب دونه، والتنافر معه دائمًا، وبلا سبب ظاهر.

- المجازاة بالعقاب وحده، دون المجازاة بالثواب، أو بعكس ذلك، لا تكون ذات فعالية صحيحة، ولا بد من الأسلوبين معًا، فلا نعاقبه عند الخطأ والفشل، ونهمله عند فعل الصواب والنجاح، بل من المفيد أن نذكر الطفل عند فشله، أو خطئه، ما كان منه من نجاحات ونحن نرشده ونفهّمه قبل توقيع العقوبة، لكي يعلم أننا نقدِّر إيجابياته، وأنه كان يُرْجى منه خلاف ما وقع منه.

- لا نعاقب الطفل على أمور قليلة الأهمية، لمجرّد أننا في حالة انفعال شديد وغضب، لتفريغ شحنة الغضب في الطفل، على الأمور التي لم نكن نعاقبه عليها، لو لم نكن في حالة الغضب، فغالبًا ما تعاقب الأمهات أطفالها بلا أسباب لمجرد انفعالها الشديد، وقد تضربه، أو تصرخ فيه، وهي منهمكة في الحديث مع مَن تحدِّثه، لأن الطفل قاطعها بطلب شيء منها.

من المفيد لإنجاح أسلوب الثواب والعقاب مع الطفل، ملاحظة بعض الأمور؛ منها:

١- ألا يعاقب الأب ويحسم المواقف مع الطفل، وتتسامح الأم في مثل هذه المواقف مع الطفل نفسه، إلا إذا كان من باب تقسيم الأدوار، أو في حالة بعينها ومن الأوفق أن يتبادل الوالدان الأدوار مع الطفل، حتى لا يتكوَّن لديه شعور بعدم الرضا عن أحد الوالدين، لأنه هو الذي يوقِع العقوبة دائمًا.

٢- قد يكون الطفل في مرحلة سنية لم يكتمل عنده الجهاز العصبي، مما يجعله في حالة عدم تآزر أعضاء الجسم، فتتحطم منه الأشياء، أو يتعثّر في مشيته، أو يصطدم بشيء فيحطمه، كل ذلك دون قصد منه، وقد يتكرر منه ذلك حتى يبلغ درجة تآزر الأعضاء، فلا يصح معاقبة مثل هذا الطفل على سلوكٍ لم يقصده، ويجب أن نشجعه ونعذره ونتسامح معه في هذه الحالات، ويحسن تفهيم الطفل بقدر الاستطاعة.

٣- يجب على الوالدين ألا يفعلا الأمر الذي ينهيان الطفل عنه، ومعاقبة الطفل على أمر

يفعلـه المعاقِـب نفسـه، يشـعره بالظلـم، ويفقـده الثقـة فيـه، ويوقعـه في حـيرة وبلبلـة. ورغـم بداهـة هـذا الأمـر عنـد الوالديـن، إلا أنهـما غالبًـا مـا يسـلكون هـذا السـلوك في غفلـة عـن أن الطفـل يـدرك ذلـك منهـما، أو لاعتيادهـما هـذا السـلوك، وأشـهر الأمثلـة عـلى ذلـك، أن يقـف أحـد ببـاب البيـت يسـأل عـن وجـود أحـد الوالديـن، فيقـول لـه أحدهـما: إنـه غـير موجـود بالبيـت، ويكـون بداخـل البيـت، أو إنـه نائـم، وهـو غـير نائـم، ونفـس الموقـف إذا سُـئِل عنـه تليفونيًّـا، وكل ذلـك أمـام سـمع وبـصر الطفـل، ويتكـرر ذلـك منهـما، حتـى صـار يـضرب بـه المثل عـلى سـبيل الفكاهـة، حيـث يذهـب الطفـل إلى السـائل ويقـول لـه: «بابـا بيقـول لـك هـو مـش هنـا».

٤- ألَّا يُكـثر مـن تهديـد الطفـل، دون إيقـاع العقوبـة، حتـى لا يسـتهين الطفـل بالمُعاقِـب أو بالعقوبـة، أو بالأمـر الممنـوع الـذي يهـدَّد مـن أجلـه، ولا يبـالي بعـد ذلـك بـشيء.

٥- ألا يكـثر مـن توبيـخ الطفـل، وخاصـة أمـام قرنائـه مـن الأطفـال، أو أمـام الغربـاء، وحتـى لا يتعـود، فـلا يبـالي بالتوبيـخ لأنـه فقـد قيمتـه لكثرتـه واعتيـاده لـه، ويكـون التوبيـخ نافعًـا إذا أحـسَّ الطفـل بألمـه، وعندمـا لا يكـون كارهًـا لمصـدر التوبيـخ. كـما يكـون مؤثـرًا كلـما كان المصـدر محترمًـا ولـه تقديـر في نفـس الطفـل، أو كان مـن الشـخص الـذي اعتـاد أن يمدحـه ويثيبـه عنـد الصـواب والنجـاح الـذي يحقِّقـه.

٦- يجـب تعويـد الطفـل الاعتـذار للوالديـن كلـما أخطـأ، ولا نُجـبره عـلى الاعتـذار حتـى لا يشـعر بالمذلّـة، وفي كل الحـالات يـترك الطفـل حتـى يراجـع نفسـه، أو حتـى يهـدأ، ثـم يتعامـل معـه أحـد الوالديـن، أو الأخ الأكـبر، بحيـث يطلـب منـه أن يعتـذر، ويشـجعه عـلى ذلـك.

٧- يجـب ألا نمنـع الطفـل مـن البـكاء عنـد توقيـع العقوبـة، أو بعدهـا، ولا نـترك عقوبـة الطفـل خوفًـا مـن بكائـه، حتـى لا يجـد الطفـل الوسـيلة لمنـع توقيـع العقوبـة عليـه رغـم خطئـه.

٨- يجـب ألا نهـدد الطفـل بأمـور وهميـة، أو صارخـة، فيَكْمـن الخـوف والرعـب في نفسـه مـن أشـياء ليـس لهـا حقيقـة في الواقـع، مثـل أن نخوِّفـه -بالغولـة- أو بالرجـل المسـلوخة، أو بالحـرق بالنـار، أو بالحبـس في مـكان مظلـم ويـترك فيـه وحـده.

٩- يحسـن تنويـع أسـاليب الثـواب والعقـاب، فـلا نعاقـب الطفـل بطريقـة واحـدة دائمًـا، ولا نثيبـه بـشيء واحـد في كل الأحـوال. وكذلـك لا نعاقـب كل طفـل بنفـس الأسـلوب الـذي نعاقـب

بـه الآخـر، وكذلـك في الإثابـة لهـم، فـكل حالـة لهـا مـا يناسـبها مـن الأسـاليب، وكل طفـل يختلـف في اسـتجابته لأسـلوب العقوبـة والإثابـة عـن الآخريـن.

١٠- يجـب مراعـاة أحـوال الطفـل عنـد نهيـه وأمـره، فمثـلًا لا يطلـب منـه أثنـاء اللعـب عـدم الصِّيـاح والحركـة، لأن غـيره يطلـب الهـدوء في هـذا الوقـت، أو يطلـب مـن الطفـل أن ينـام في وقـت يرغـب غـيره في النـوم، أو يطلـب منـه الهـدوء التـام وعـدم الـكلام لأن الكبـار الآن يتكلمـون، ولكـن يفهّـم بـأن يقلّـل مـن صياحـه ويخفّـض مـن صوتـه، ويقلـل مـن حركتـه، أو يبتعـد عـن الذيـن يتحدثـون حتـى لا يشـوِّش عليهـم. وهكـذا ...

١١- المـدح والـذم، أسـلوبان ناجحـان مـن أسـاليب الثـواب والعقـاب، إذا أُحسـن اسـتخدامهما مـع الطفـل.

١٢- يجـب أن نقـدر الطفـل ونثيبـه أولًا بـأول عـلى أفعالـه الناجحـة، ليكـون دافعًـا عـلى تحسـين سـلوكه، كـما يجـب أن نوقفـه عـلى تحسـن سـلوكه المـرذول السـابق منـه، وأن أخطـاءه قـد قلَّـت أو انعدمـت في هـذا الجانـب. لأن عـدم فعـل ذلـك معـه يوقعـه في حـيرة مـن أمـره، ويقلّـل مـن الدافعيـة عنـده عـلى التقـدّم.

١٣- يجـب ألا نكـثر مـن تخويفـه بالفشـل مـن إنجـاز المهـمات، ويكتفـى بالتلميحـات، مـع التشـجيع لـه عـلى النجـاح.

١٤- يجـب أن يـؤدي الثـواب إلى الارتيـاح عنـد الطفـل، وأن يـؤدي العقـاب إلى عـدم الارتيـاح، فنـوع الطعـام قـد لا يعـد مكافـأة للطفـل وهـو شـبعان، وإخبـاره بتركـه يلعـب، أو يتفـرج عـلى برنامـج تليفزيـوني، أثنـاء غيـاب والدتـه عنـه في زيـارة خـارج البيـت وهـو يرغـب في مصاحبتهـا في هـذه الزيـارة، لا يحـدث لـه الارتيـاح ولا يعـد ذلـك إثابـة لـه، بـل يفهمـه عـلى أنـه تلهيـة لـه عـن الصحبـة المرغوبـة منـه. كـما أن تحـدِّي الطفـل أثنـاء معاقبتـه، قـد تجعلـه يتجلَّـد ويظهـر قـوة تحمّـل للعقـاب حـين يتلقّـاه، فيكـون أثـر العقوبـة لديـه الفخـر، ويعـدّه مصـدر سرور ترتـاح نفسـه إليـه، مـما يفـوِّت الغـرض مـن توقيـع العقوبـة، ومـن الملاحـظ أن مجـازاة الطفـل بالثـواب أو بالعقـاب، لا تحـدث النتائـج المرجـوّة إذا زادت عـن حـد الاعتـدال، سـواء في قدرهـا،

أو كيفيتها، أو كثرتها، فكلما زِيدَ فيها فقدت قوتها، أو أحدثت آثارًا عكسية، أو آثارًا جانبية أخرى ضارة. والارتياح بالثواب عند الطفل، وهو أن يشعر بتقديم من حوله، أو الاعتراف له، بما وصل إليه الطفل من إنجاز، أو شعوره بإقرار من حوله بالسلوك المُرضي الذي سلكه.

١٥- يمكن بالخبرة مع الطفل، معرفة أفضل حافز يرغب فيه ويرتاح له، أو معرفة ما يخاف من وقوعه له كعقوبة، وذلك للعمل على تغيير نشاط عند الطفل مرغوب في تركه، أو مرغوب في إنجازه، ويتغيّر الأثر، أو يضعف، تبعًا لوقوع المحفِّز، أو العقاب قبل أو بعد أداء النشاط من الطفل، فمثلًا: لا يترك الطفل يشاهد مباراة في الكرة، على أن يستذكر دروسه بعدها، فالأفضل أن يستذكر دروسه ليسمح له بالمشاهدة، ولكن يجب الوفاء له بالوعد، وأن يكون مطمئنًّا بذلك. وإلا فُقدت الثقة، وهي أمر حيويّ في التعامل مع الطفل. ومن الخطأ جدًّا أن نعد الطفل بحافز، ثم نحرمه منه لخطأ آخر وقع منه قبل أو بعد الوعد. فلكل حدث حافزه أو عقوبته، بلا تداخل لترسيخ الثقة عند الطفل من جهة، وحتى لا نوقعه في حيرة لعدم تمييزه الكامل لمسألة المقاصَّة بين الوقائع.

١٦- يجب أن يفهّم الطفل ما هو مرفوض في بعض الأحوال، ومقبول في أحوال أخرى، حتى يميّز بين المواقف، فمثلًا: يسمح للطفل بالصياح وتلويث ملابسه أثناء اللعب على الشاطئ، ولا يسمح له بتلويثها على مائدة الطعام، كما يجب لتحقيق التمييز في المواقف ألا تبتسم الأم أثناء معاقبتها للطفل، وإلا أصبح الأمر غامضًا عنده.

***

بعض مشاكل الطفل المتعلقة بالعقوبة

* هناك بعض العادات غير المرغوب فيها، والتي تعتبر من مشاكل مرحلة الطفولة المبكرة، تعالج أحيانًا بأسلوب العقاب خطأً، فيحسن أخذها في الاعتبار، مثل: التَّبوُّل اللا إرادي، ومصّ الأصابع، وقضم الأظافر، والكذب، والتأخر الدراسي، والسرقة.

- فالتَّبوُّل اللا إرادي: يُبْحث عن الأسباب التي تُحْدِثه عند الطفل، إما طبيًّا، وإما معنويًّا،

إذ يحدث من أسباب مختلفة؛ منها: سوء معاملة الطفل، أو التفرقة في المعاملة بينه وبين إخوته، وقد يكون استقبال الأم لمولود جديد سببًا في أن يتبوّل الطفل السابق كوسيلة لجذب انتباه الأم له عند إهماله لانشغالها عنه بالمولود الجديد، وقد يكون من الأسباب، سوء الجو العائلي بين الوالدين، وقد يكون السبب القسوة التي يعامل بها الطفل، أو من نقص الحنان والحب اللاحق به، أو من الشعور بالخوف الذي عادة ما يتسبب عن سماع الطفل لحكايات مرعبة أو مشاهدته لها في أجهزة الإعلام.

- **عادة مص الأصابع:** قد يرجع سببها إلى نقص في تغذية الطفل أثناء الرضاعة، أو حرمانه من مص الثدي، فيلجأ الرضيع إلى مصّ أصابعه لإشباع حاجة المص عنده، فيعتاد ذلك، وقد يرجع السبب إلى نقص الإشباع الوجداني عند الطفل، أو نقص الاستمتاع واللّذة، فيعوِّض ذلك بمص الأصابع. وفي كل الحالات يجب ألا يستخدم مع الطفل أي أسلوب عنيف لإرغامه على ترك مصّ الأصابع، وينفع معه التفهيم والتذكير كلما رُئي متلبسًا بمص أصبعه، بدون زجر له، ولكن بالابتسام المُفْهِم والمعبر، أو بذكر كلمة لا تحرجه أمام الآخرين تكون كالاصطلاح معه، حتى يصحّح من حاله دون انتباه الآخرين، كما ينفع في ذلك أن نشغل اليدين بأمور تستمر وقتًا طويلًا عند الطفل حتى يغفل عن هذه العادة.

- عادة قضم الأظافر: هذه العادة لا تمارس إلا في حالة عدم انتباه، فيكون الطفل في حالة – سَرَحَان- وهي تدل على حالة من القلق عند الطفل، أو أنه في حالة تطلع لأمورٍ يحتاجها، أو في حالة استبطان للنفس لعدم تحقيق الرغبات، ومعالجة الحالة يتطلب التقرب من الطفل بمزيد من الاهتمام والحب له، وتأكيد الثقة لديه، وتفهيمه استهجان هذه العادة، وخاصة عندما يكبر دون أن يقلع عنها، حتى يقتنع وينتبه لذلك.

- التَّأخُّر الدراسي: من أسبابه، عدم ملاءمة الدراسة للطفل، أو عدم توافر أجواء مناسبة للمذاكرة، أو وجود خلافات عائلية مستمرة، تجعل الطفل في حالة توتّر وقلق، أو بغض الطفل لمدرسته، أو أحد المدرسين، أو للإيذاء الذي يقع عليه في المدرسة، وقد يكون سبب التأخر الدراسي عند الطفل لشعوره بالحرمان ورغبته في الانتقام، فيتقاعس عن الدراسة فيتأخر.

- الكذب عند الطفل: قد يكون وسيلةً مبرَّرة لديه، لحصوله على مطالبه، دون أن يدرك خطورته وسوءه، وقد يكون سببه أن الوالدين يعتمدان الكذب في تصرفاتهما، فيكذبان، إما على الطفل نفسه، أو على غيره، فتتشرب نفسه الكذب ويقبله، وقد يكون سببه الخوف من مكروهٍ أو عقوبة تلحقه، وخاصة إذا كان يعامل بقسوة عند إقراره بالخطأ، فيضطر للكذب ويستدعيه في كل المواقف، وقد يكون التقريع له، والتشهير به أمام الغير، دافعًا له على الكذب ليتفادى ما قد يحدث له، فيتأصل عنده الكذب والإصرار عليه، ويتعلم التزييف والإخفاء للأمور. وعمومًا القدوة في هذا الأمر ذات أهمية قصوى، للتعويد على الصدق، وكذلك فإن إثبات الطفل على صدقه، وإقراره بالخطأ، أنفع من عقوبته، لأن العقوبة بعد اعتراف الطفل بالخطأ، تلجئه للكذب بعد ذلك، وتمنعه من الصدق.

- وظاهرة السرقة عند الطفل، وراءها غالبًا، الحرمان، فيلجأ للتحايل والسرقة، وكذلك حب التملُّك عند الطفل فطرة، تدفعه للاستيلاء على كل ما يصل إلى يديه، وقد لا يدرك الفرق بين ما يتملكه هو وما يتملكه الآخرون، وقد يكون الدافع للسرقة عند الطفل شعوره بالدُّونيَّة بين أقرانه، فيحاول الظهور بمظهر الغنى، فيسرق ليقدم لهم هدايا، أو ينفق عليهم ببذخ، وقد يكون الدافع للسرقة عند الطفل، الانتقام بأخذ شيء له قيمة عند الأهل، أو عند الأقران، وقد يكون الدافع هو الغيرة من الغير، فيأخذ منه ما يغيظه به. والعلاج في هذه الحالات يكون بالتّفاهم مع الطفل بعيدًا عن الآخرين حتى لا نحرجه أمامهم فيصرّ على موقفه ولا يقرّ بخطئه، لأن من العلاج له، التوصل إلى أن يعترف بخطئه في السرقة، وفي هذه الحالة، يمكن التغاضي عن الشيء المسروق إذا لم يوافق على استرداده منه، وتعويض صاحبه بمثله. ومن الخطأ، القيام بتفتيش حقائبه أو أدراجه، أو دولاب محتوياته من ورائه وفي غيبته ويعلم بذلك التفتيش، حتى لا تنهدم الثقة عنده، كما يجب ألا نبالغ في استجلاء الأمر منه، حتى لا نخيفه فيظن أن الأمر خطير فيزيده ذلك تكتُّمًا وتخفيًا للسرقة، كما يجب أن نفرِّق بين طفل تقع منه حادثة سرقة على الندرة، وبين من تصبح السرقة مألوفة في سلوكه، فالأخير يكون في الغالب متعمدًا السرقة، فهذا يعاقب بعد التعليم والتفهيم، لتعمّده السرقة، ولتكرارها منه.

تطبيقات وقواعد مأثورة من الهدي النَّبَوي

* يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**التأني من الله، والعجلة من الشيطان، وما أحد أكثر معاذير من الله، وما من شيء أحب إلى الله من الحمد**» رواه أبو يعلى ورجاله ورجال الصحيح. وفي الحديث إخبار من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى وصفاته، وهي نصيحة غالية لأمته بناء على ذلك، لأن الله الذي خلق العباد ورزقهم وهداهم وتحبب إليهم بنعمه، يعصونه، ويتبغَّضون إليه، ويطيعون عدوَّه، فلا يعجل عليهم بالعقوب، ويفتح لهم باب التوبة والاعتذار، إذا ما تاب أحدهم فاعتذر عن جُرْمِه قَبِل منه، أما الأحب إلى الله تعالى، فهو الذي ينعم الله تعالى عليه بالنعمة فلا يعصيه، بل يحمده عليها، فالله يحب الحمد سبحانه، فالله تعالى يحب من عباده أن يتخلَّقوا بالأخلاق الحميدة، فلا يغضبون وينزلون العقوبة بلا تأنٍّ وتعقُّل وتريُّث؛ لأن العجلة حينئذ تكون من الشيطان العدو الحاسد لهم على طاعتهم لله والأخذ عن رسوله صلى الله عليه وسلم، وهي دعوة غالية إلى التحكُّم في النفس عند وقوع خطأ من أحدٍ، وخاصة الصغار، والنظر أولًا فيما يجب قبل الحكم بعجلة على المخطئ وتوقيع العقوبة عليه، بل نسمع أولًا ونتحقَّق من دوافع الخطأ وما أحاط به من ملابسات، ثم نتقبّل العذر، ونفتح له بابًا حتى يفيء إليه المخطئ، ولذلك نصح أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أحد عُمّاله فقال له: لا تقضِ وأنت غضبان، ولا تقض بين اثنين حتى تسمع منهما، حتى ولو جاءك أحدهما وعيْنُه على يده، فربما جاءك الآخر وعيناه على يديه. فكثيرًا ما تعاقب الأم الطفل لمجرد إسراع الآخر بالشكوى منه، فيتعلم الطفل فعل الخطأ، ثم يسارع بالشكوى وإلصاقه بالآخرين، وغالبًا ما يكون ذلك مع أبناء الجيران، أو رفاق الطفل، فتتبنى الأم شكوى طفلها وتدافع عنها دائمًا بحق أو بغير حق لمجرد السماع من طفلها، وقد يحدث عكس ذلك إذا أسرعت الجارة أو ابنها بالشكوى، مما يشعر الطفل بالظلم، والتعوُّد على الكذب والمسارعة بالشكوى بغير حق خوفًا من مسارعة الطرف الآخر، وكراهية المعاقِب وعدم احترام رأيه في أمور أخرى.

* ويقـول النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**إنَّ مـن حـق الولـد عـلى الوالـد أن يُحسـن اسـمه، وأن يحسـن أدبـه**» رواه البـزار والبيهقـي، والعجيـب أن يرتبـط معنـى الأدب عنـد البعـض بـضرب الولـد ومعاقبتـه، فـكأن التأديـب هـو الـضرب وإنـزال العقوبـة، إن التأديـب بالتّعلـم والمسـامحة وتقديـم القـدوة للولـد، وهـذا هـو حقـه، فـلا يعقـل أن يكـون حقـه عنـد الوالـد هـو الـضرب، وقـد مَـرَّ بنـا قـول النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم لعائشـة رضي اللـه عنهـا، وقـد أعطاهـا ناقـة صغـيرة: «**أدِّبي وارفقـي**» فالبهيمـة الصغـيرة التـي لم تتعـود الحمـل والسـير براكبهـا وطاعتـه، تحتـاج إلى ترويـض برفـق، وليـس ضربهـا، والطفـل الصغـير الوديـع أحـوج إلى الرفـق بـه مـن البهيمـة العنـود.

* يقـول النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**لا ترفـع العصـا عـلى أهلـك، وأخفهـم في اللـه عـز وجـل**» رواه الطـبراني في المعجـم الصغـير، والأوسـط، وإسـناده جيـد. وفي هـذا الحديـث أصـل عظيـم للتربيـة، إن الدافـع للاسـتقامة عـلى الصـواب والخـير، ليـس في العصـا والعقوبـة البدنيـة، إن الدافـع مـن الداخـل، مـن ضمـير مكنـون يعاقـب عـلى الهاجـس الـذي لا يُـرى، وإنهـا الدعـوة والتنبيـه عـلى أن أسـلوب العقوبـة لا يكـون ماديًّـا فحسـب، بـل المعنـوي أجـدى وأنفـع وأشـمل وأدوم. إن الخـوف مـن اللـه تعـالى لا يتـأتَّى مـن موقـف أو اثنـين، إنـه أسـلوب متواصـل مـن التفهيـم والتعليـم والتذكـير للطفـل الصغـير، حتـى يتأصَّـل عنـده في النفـس وينطبـع في القلـب، الخـوف مـن الرقيـب الـذي يسـمع ويـرى كل شيء ويحاسـب عليـه، إنـه سـبحانه الـذي يـرى في الخلـوة حـين لا يـرى غـيره، وأنـه سـبحانه الـذي يعلـم مـا توسـوس بـه النفـس حـين يختلـج فيهـا الرغبـة في الممنـوع والحـرام، وهـو سـبحانه الـذي يعلـم إن كان مـا وقـع متعمـدًا أو بـدون قصـد، وأنـه سـبحانه سيحاسـب عـلى ذلـك كلـه مهـما صَغُـر أو كـبر، في الدنيـا وفي الآخـرة وأمـا العصـا، فيتحايـل عليهـا الأذكيـاء والأشـقياء، ويقـع معظمهـا عـلى البسـطاء والأبريـاء؛ لذلـك يجـب عـلى الوالديـن والمعلمـين أن يربُّـوا الصغـار بالتعليـم والتفهيـم والتذكـير باللـه سـبحانه، حتـى ينمـو الـوازع الخلقـي –الضمـير- الـذي يحجزهـم عـن كل مـا هـو شرٌّ ومكـروه، والحكايـات والأمثلـة كثـيرة، والتـي يمكـن ضربهـا للطفـل عنـد القيـام بتفهيمـه الخطـأ الـذي ارتكبـه، فالتذكـير عنـد ذلـك نافـع، فهـو كالـضرب عـلى الحديـد وهـو سـاخن، لأن الطفـل صغـير ينطبـع في نفسـه مـا

يتلقاه دون مجادلة ومغالبة، ولأن مناسبة الخطأ والمحاسبة عليه تجعله متنبِّهًا ومتذكرًا ما يقع له. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**مثل الذي يتعلم العلم في صغره كالنقش على الحجر، ومثل الذي يتعلم العلم في كبره كالذي يكتب على الماء**» رواه الطبراني في معجمه الكبير، والأغلب أن يكون المقصود من العلم في هذا الحديث، العلم بالله، والعلم بالمبادئ والقيم التي يكبر عليها الصغير، وقد نمت عنده وثبتت، أما تعلم هذه الأمور بعد التربية على غيرها، وقد كبر الصغير، فقلَّما تنفعه، وأما تعليم الأمور التي هي مجرد معلومات تدرك، فقد يدركها الكبير أكثر من الصغير، وهذا لا يمنع من وجود الحافظة خالية ومستعدة عند الصغير، فيتناسب معه تحفيظه المعلومات في الصغر، حتى لا ينشغل هو، أو تقل قواه عند الكبر.

* روى الطبراني بسنده «**أن رجلًا يقال له: جُرَيّ أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن أهلي يعصوني، فَبِمَ أعاقبهم؟ قال: تعفو، ثم قال الثانية حتى قالها ثلاثًا، فقال: إنْ عاقَبْتَ فعاقب بقدر الذنب، واتَّقِ الوَجْه**» فهذا الصحابي رضي الله عنه يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن عقوبة أهله المسؤول عن تأديبهم وتربيتهم، فيرشده صلى الله عليه وسلم إلى أسلوب الرفق بالعفو والمسامحة مرات، فإنها إن كانت الزوجة، فإنها امرأة مشغولة بالخدمة والبيت، فلا يكون الخطأ منها عن قصد وفطنة، وإن كان ولدًا صغيرًا، فإنه يحتاج إلى العطف والتعليم لقلة إدراكه للخطأ، وإن كان خادمًا، فكثرة معاناته للأمور تجعله يقع في الخطأ، فحقُّه العون له، والمسامحة معه بالعفو عنه، وكل ذلك لا يمنع من توقيع العقوبة، إذا ناسب توقيعها، وبالشروط اللازمة لها، من تثبت الخطأ، أو تعمده، أو تكراره، وبالرفق وعدم الإيلام الموجع للبدن أو للنفس، مع اتقاء المواضع غير اللائق إلحاق العقوبة بها لشرفها كالوجه، لأن في ذلك مهانة، وليست المهانة من أغراض العقوبة.

* يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**أعينوا أولادكم على البر، من شاء استخرج العقوق من ولده**» **رواه الطبراني. إن اللوم يكون للوالدين، ويقع عليهما إثم عقوق الأولاد لهم. لأن الوالدين يطبعون الأولاد بطابعهما، فالطفل الصغير خامة بشرية قابلة ومستعدة لكل**

طبع تطبع عليه بالفطرة «وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه ...» الحديث، وقد سبق ذكره ومراميه في فصل سابق، ولذلك يقول الناس عن الشخص السيئ الأخلاق «قليل الأدب، أبوه ما ربَّاهوش» فيلومون الأب على فعل الابن، وهم محقّون في ذلك إلى حدٍّ كبير، والعقوق من الكبائر العظمى في الدين، وسيأتي الحديث عن ذلك إن شاء الله في فصل لاحق، ولكن التنبيه هنا عن سبب ذلك العقوق عند الولد، إن القسوة في تربية الطفل، تُولِّد عنده الرغبة في الانتقام، ولكن عند عجز الوالدين للكبر، أو للحاجة، فتخرج هذه الرغبة إلى الوجود وتتحقق، والذي أخرجها في الحقيقة من الولد في هذا الوقت، والده الذي أنشأ هذه الرغبة فيه وأودعها الولد أحشاءه، حتى جاء المناخ والظروف الملائم لتخرج، كالبذرة المودعة أحشاء التربة، فتنبت في موسمها الملائم ووقتها المناسب. وقد سبق ذكر حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يحسن إعادته هنا للحاجة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**شر الناس الضيق على أهله، قالوا: يا رسول الله، وكيف يكون ضيقًا على أهله؟ قال: الرجل إذا دخل بيته خشعت امرأته وهرب ولده وفرَّ، فإذا خرج ضحكت امرأته واستأنس أهل بيته**» رواه الطبراني، أينتظر هذا الأب القاسي، الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه شر الناس، ومن يهرب ولده منه في بيته، أن يحضر إليه هذا الولد، بعد أن يستقل ببيت له، إلى والده في البيت الذي كان يهرب منه فيه؟ وهل الذي يحرم أولاده بقسوة، وهو ينفق على ملذاته ولهوه دون أولاده، أن يعطيه الأولاد عند حاجته وكبره؟ إنه الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان، والبرُّ لا يبلى والذنب لا ينسى حتى مع البشر في الدنيا، وبين الأولاد والآباء.

وهل معنى هذا ألا نضرب الأولاد، وألا نعاقبهم؟ بالحتم ليس هذا هو المقصود، فالضرب نافع للطفل، ولكن بشروطه وفي وقته كما مرَّ بنا، ولا داعي لإعادة ذلك لظهوره، ولكن يلزم أن ندرك أن الضرب للطفل، ليس لكل طفل، ولا في كل حال، ولا عن كل خطأ يقع منه، ولكن بعد التعليم والتفهيم للطفل، مع الصبر والرفق والمسامحة، وأهم ما يراعى في ذلك المرحلة العمرية التي يكون عليها الطفل، وقد نبّه على ذلك خير الخلق وأرحمهم وأحرصهم على الحق فقال: «**علموا الصبي الصلاة لسبع، واضربوه عليها ابن عشر**» رواه

الترمذي، فبدأ صلى الله عليه وسلم بالتعليم للصغير، وطويلًا بلا ضرب لمدة ثلاث سنوات، ثم تستخدم بعد ذلك كله وسيلة العقاب بالضرب بشروطه، حيث لم تجد الوسائل الأخرى مع الطبع العنيد، وفي الحديث الذي رواه الإمام أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم: «مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها» نجد فيه الحرص على ما يناسب كل مرحلة عمرية يمر بها الطفل، ففي صغره يؤمر بما يناسبه من كيفيات الأمر، وهو في هذه المرحلة يسمع ويطيع للوالدين بلا تردُّد ولا عائق عنده للاستجابة، أما عندما يترك حتى يبلغ عشر سنين بلا تعليم له للصلاة، فيكون قد اعتاد إهمالها، وينظر إلى الأمر بها بعناد، ويكون قد استهوته الأقران وفنون اللعب، ولا يفهم من الحديث أن الضرب لا يكون إلا من أجل ترك الصلاة فحسب، بل للتنبيه على استخدام أسلوب العقاب في مثل هذه الحالة، ولأن قصر أسلوب الضرب على ترك الصلاة دون غيرها من أمور العبادات والأخلاق والمبادئ، يجعل الطفل الصغير، كارهًا للصلاة حتى ولو أدَّاها، والأسوأ من كل ذلك، أن يكون الآمر بالصلاة، أو الذي يضرب الطفل عليها، تاركًا لها ومهملًا لشأنها وهو القدوة، ومثله كالرجل الذي ينهى ابنه عن تدخين السجائر وهو مدخّن لها.

* عن عبد الله بن بُسْر رضي الله عنه قال: «**بعثتني أمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطف من عنب، فأكلتُه، فقالت أمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هل أتاك عبد الله بقطف؟ قال: لا، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رآني قال: غُدَرٌ غُدَرٌ**» رواه الطبراني، فما زاد رسول الله صلى الله عليه وسلم على التنبيه للصبي في شكل عتاب رقيق، هو أشبه بالملاعبة منه من المعاتبة، وتكرار ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التذكير والتفهيم حتى يدرك الصغير أنه ارتكب خطأ، فيتنبَّه، ويرجع، ولأن الأمر يتعلق بالأمانة، وهي أمر مبهم عند الصغير، لا يدركه إلا بهذا التكرار، ولكن بلا إهانة لنفس الصغير. ولا يفوت التنبيه من خلال هذه الحكاية، على تعويد الطفل حمل الهدايا، وتعويده الكرم عمليًّا وتدريبه على بعض الأعمال ذات الأهمية، وتفهم الصغير معنى التَّكافل عمليًّا، وتواصل البيوت، وفي الحديث منتهى تواضع النبي

صـلى اللـه عليـه وسـلم بقبـول الهديـة مـن امـرأة، يحملهـا إليـه صبـي، وتباسـطه صـلى اللـه عليـه وسـلم مـع صبـيٍّ وتعليمـه.

* عـن رافـع بـن عمـرو الغفـاري رضي اللـه عنـه قـال: «**كنـت غلامًـا أرمـي نخـل الأنصـار، فـأتى بي رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، فقـال لي: لمَ ترمـي النخـل؟ قلـت: لآكل، فقـال: لا تـرمِ النخـل، وكُلْ مـا سـقط في أسـفلها، ثـم مسـح رأسي وقـال: اللهـم أشـبع بطنـه**» رواه أبـو داود والترمـذي وابـن ماجـة. فهـذا الغـلام الجائـع رضي اللـه عنـه مِمَّـن صحـب النبـي في أوقـات الشَّـدَّة والفقـر، قـد لجـأ إلى حدائـق المدينـة التـي يملكهـا الأنصـار، وأخـذ يقـذف النخـل بالحجـارة حتـى يسـقط منهـا مـا يأكلـه، وهـو خطـأ ونـوع مـن أخـذ مـال الغـير بـدون رضـاه، ولذلـك أُتِيَ بـه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ليفصـل في أمـره، فأخـذ رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يسـأله ويسـتوضح منـه عـن السـبب في تصرّفـه الخطـأ، وعلـل الطفـل سـلوكه تعليـلًا منطقيًّـا لطفـل صغـير جائـع فقـال: لآكل. فالقضيـة ليـس فيهـا العمـد في التعـدّي، ولا الحصـول عـلى مـا يتمـوَّل بـه، وهنـا يعلـم الحكيـم صـلى اللـه عليـه وسـلم الطفـل، وطفولـة الأمـة الناشـئة كلهـا، كيـف يسـلكون ويحكمـون، «**لا تـرم النخـل، وكل مـا سـقط في أسـفلها**» الحـل الرفيـق بالطفـل الجائـع، وبصاحـب النخـل المالـك، هـذا يـأكل ويسـدّ جوعـه، وهـذا يُحْفَـظ عليـه مالـه، لأن السـاقط مـن النخـل عـادة يـترك ويفسـد إذا لم يلتقـط لاقـط، أمـا أن يمسـح النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم عـلى رأس الطفـل الجائـع المخطـئ، والدعـاء لـه، فهـذا غايـة الشـفقة والرحمـة والحسـن في القضـاء.

* عـن عبـاد بـن شُرَحْبيـل رضي اللـه عنـه قـال: «**قدمـت مـع عمومتـي المدينـة، فدخلـت حائطًـا مـن حيطـان المدينـة، ففركـت سـنبلًا، فأكلـتُ، وحملـتُ في ثـوبي، فجـاء صاحبـه فضربنـي وأخـذ ثـوبي، فـأتى بي رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، فذكـر ذلـك لـه، فقـال لـه: مـا علَّمـت إذْ كان جاهـلًا، ولا أطعمـت إذ كان جائعًـا، فأمـره فـردَّ عـليّ ثـوبي، وأعطـاني نصـف وسـق مـن طعـام**» رواه أبـو داود والنسـائي وابـن ماجـة، إننـا في هـذه القصـة أمـام حالـة فريـدة، حيـث كان المهاجـرون يحـضرون إلى المدينـة، وكانـت سـنوات جـوع وفقـر، وقلـة في الطعـام مـع توافـر الأعـداد وتزايدهـا إلى المدينـة، وهـذا الطفـل الصغـير المهاجـر مـع عمومتـه رضي اللـه عنهـم

جميعًا، هجم عليه الجوع فدخل بستانًا من بساتين المدينة به سنابل القمح والشعير، فأخذ سنابل منها وفركها واستخرج منها ما أكل، ولعله جاء من البدو والصحراء، فظن أن ذلك مباح لمن جمعه، فجمع في ثوبه صرّة من السنابل، وجاء صاحب البستان وأخذ الصغير متلبسًا بالسرقة، فثوبه مصرور على السنابل التي سرقها، وهنا لا يسأل النبي صلى الله عليه وسلم الصغير، فإن الأمر أشدّ وأكبر من سرقة طفل جائع لبعض السنابل، إنها النّازلة التي وجب على الجميع تحمُّلها حتى يفرّج الله كرب الجميع، وإنه التكافل والتناصر في المجتمع الجديد من الأنصار والمهاجرين، وإنها الظروف الطَّارئة على مجتمع المدينة، واستثناء في الأحكام المرعية، خاصة مع الضعفاء مثل هذا الصغير القادم إلى المدينة بإسلامه، التارك لأهله ووطنه، يريد أن يتعلم الإسلام من الكبار الذين سبقوه إليه، وخاصة أهل البيعة من الأنصار، فالأمر يجب أن يتّضح للأنصاري صاحب البستان، ولغيره من المسلمين، وإنه التذكير بواجب التعليم والكفالة. فالخطاب هذه المرّة توجه لصاحب المال المسروق: «**ما علّمت إذ كان جاهلًا، ولا أطعمت إذ كان جائعًا**» ومع ذلك، فهو أمر ليس على سبيل الإلزام، لأنه فضل وإيثار، ولذلك ردَّ الثوب للطفل والسنابل لمالكها، ويبقى الفضل والعظمة لحكيم البشرية صلى الله عليه وسلم، حيث أعطى الصغير نصف حِمْلٍ من الطعام، ليسدّ خلله هو وأعمامه ومن معه ممن قدم إلى المدينة معه. وفي هذه القصة تظهر لنا عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم، خاصة في مسألة تعليم الطفل الذي ارتكب الخطأ، وليس معاقبته، كما يستفاد منه، أن العقوبة ليست في كل حال، وأن الظروف الملابسة للخطأ لا بد أن تؤخذ في الاعتبار.

* كثيرًا ما تعاقب الأم ولدها بالدعاء عليه، خاصة في حالة انفعالاتها، أو في حالة عجزها عن معاقبته بأساليب أخرى، وهي تعتاد ذلك، وتظن في نفسها، أن دعاءها لن يستجيب الله لها فيه، لأن المدعوَّ عليه ابنها والله يعلم أنها تحبه وأنها لا تقصد وقوع المدعو به لابنها، وإذا اعترض عليها أحد تقول له: «**ربّنا رب قلوب**» وهو لا تعلم أن رب القلوب ومقلّبها، أخبرنا رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله: «**لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله عز**

وجل ساعة نَيْلٍ فيها عطاء، فيستجيب لكم» رواه مسلم وأبو داود وابن حبان. فلِلَّه شؤون في خلقه لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، وله سبحانه مع خلقه ساعات ينال فيها كل سائل مسألته، وقال سبحانه وتعالى: {فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [البقرة: ١٨٦]. فالأم أو الأب الحريص على ابنه يدعو له الله السميع المجيب، ولا يدعو عليه بحال، لأن الدعاء على الولد من الحمق المنافي للعقل والكيس، وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلًا عجيبًا لمثل هذه الحال فقال: «**مثل الذي يسمع الحكمة فيحدِّث بشرِّ ما يسمع، مثل رجل أتى راعيًا فقال: يا راعي، أجزرني شاة من غنمك، فقال: اذهب فخذ بأذن خيرها شاة، فذهب، فأخذ بأُذُن كلب الغنم**» رواه أبو يعلى، ومعنى أجزرني، أي أعطني شاة أذبحها وآكلها. وهو مثل لغاية الحمق، حيث إن صاحب الغنم قال له: خذ بنفسك لنفسك أحسن شاة في الغنم، فترك كل الغنم وأخذ الكلب، ولله المثل الأعلى، فقد أباح للوالدين أن يطلبا لولدهما ما شاءا من فضل الله، فإذا أحدهما يطلب منه سبحانه وتعالى لولده، الويل والهلاك والشقاء. ومن جميل ما أذكر، أنني زرت صديقًا لي منذ أكثر من عشرين سنة، وكان ولده الصغير يتحرك بنشاط كبير ويحدث وضاء تشوش علينا الجلسة، فكان لا يزيد كلّما أراد أن يزجره أن يقول بصوت كالصراخ: «**يا بني اسكت الله يهديك**» فلاحظت ذلك وسألته، فقال لي: «عاوزني أدعو عليه فتزيد شقاوته فأتعب أكثر» فتعلمتُ منه حكمة غالية

***

٦ العشرة الطيبة

[مع الأولاد وتربيتهم]

قضايا ومسائل ترتبط بطفل ما قبل المدرسة

* مخالطة الطفل الصغير للكبار، منهج للتربية أصيل.
* الاهتمام بمشاعر الطفل الصغير في المناسبات والأحفال.
* الخير عادة وتكتسب خصاله بالتَّعويد عليه.
* التسامح في كشف العورات من الصغار، وأمامهم، أمر مرذول.
* اللعب في هذه المرحلة له أهمية غير الاستمتاع.
* اللهو فطرة وحاجة للطفل الصغير.
* ملاحظات مهمة بالمرحلة.

مخالطة الصغار منهج في التربية أصيل

* عـن أبي حُمَيـد السـاعدي رضي اللـه عنـه قـال: سـمعت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يقـول: «**أبْـدِ المـودَّةَ لمـنْ وادَدْتَ، فإنهـا هـي أثبـت**» رواه الطـبراني. إنهـا قاعـدة عامـة يضعهـا النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم في المعاملـة مـع الغـير، وخاصـة مـع مـن نعاشرهـم، وعـلى الأخـص الأطفـال الصغـار، لحاجتهـم للحنـان والعطـف، ولعـدم إدراكهـم هـذا المعنـى إلا من خلال سـلوك ظاهـر وعمـلي. فيجـب عـلى الوالديـن، والكبـار عمومًـا، عنـد معاملـة الأطفـال ومعاشرتهـم، اسـتخدام أسـاليب عمليـة ومعـبّرة عـن المـودّة والمحبـة لهـم، مثـل حمـل الصغـار، وتقبيلهـم، وملاعبتهـم، ومداعبتهـم، وإعطائهـم بعـض الحلـوى أو الفاكهـة، أو الأشـياء التـي يفضلونهـا، ومصاحبتهـم خـارج المنـزل للتّنـزه والتّفـرج، وزيـارات المعـارف والأقـارب، والاهتـمام بأمورهـم والـردّ عـلى كل أسـئلتهم، والنـوم بجانبهـم والسـماح لهـم بالجلـوس مـع ضيـوف البيـت، ومـدح سـلوكهم الصحيـح، أو المتميّـز، وتقديـر أعمالهـم بالجوائـز والحلـوى، وعـدم زجرهـم ومنعهـم مـن اللعـب والحركـة، وأمثـال ذلـك مـن الأسـباب التـي توَطِّـد العلاقـة مـع الطفـل، وتقنعـه بالحـب والاهتـمام، وتشـبع حاجاتـه.

* عـن جابـر بـن سـمرة رضي اللـه عنـه قـال: «**صليـت مـع رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم صـلاة الأولى ثـم خـرج إلى أهلـه، وخرجـت معـه، فاسـتقبله وِلْـدان، فجعـل يمسـح خـدَّي أحدهـم واحـدًا واحـدًا**» رواه مسـلم، فـأي صـورة مـن الحنـان المعـبِّر، والأبـوّة والشـفقة، تلـك التـي يبديهـا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وهـو يلقـى بعـض الأطفـال في طريقـه، فيمسـح بحنـان ومـودة عـلى كل خـدي الأطفـال واحـدًا واحـدً، لأنـه الحنـان الغامـر الـذي يشـمل كل طفـل، وأيـن هـذا السـلوك مـن سـلوك الـذي يزجـر كل طفـل يلقـاه معترضًـا طريقـه؟ أو عـلى الأقـل مـن لا يحدثهـم ولا يلقـي إليهـم بالسـلام؟ وقريـب مـن ذلـك مـا رواه أنـس بـن مالـك رضي اللـه عنـه قـال: «أتى عـليَّ رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وأنـا ألعـب مـع الغلـمان، فسـلم علينـا، وبعثنـي إلى حاجتـه» رواه مسـلم. فانظـر إلى هـذا السـلوك الماهـر في التربيـة للصغـار،

«فسلم علينا، وبعثني إلى حاجته» فالسلام على الصغار وهم يلعبون، وقبل أن يطلب من أحدهم ترك اللعب ليقضي حاجة، فيه احترام وتقدير للصغار، وإقرار للعبهم، ولولا الحاجة ما قطع عليهم لهوهم ولعبهم.

روى البخاري ومسلم **«أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتِيَ بشراب، فشرب منه، وعن يمينه غلام أصغر القوم، ومن يساره الأشياخ، فقال للغلام: أتأذن لي أن أُعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: والله يا رسول الله لا أُوثر بنصيبي منك أحدًا، فَتَلَّهُ رسول الله في يده»** والغلام هو الفضل بن العباس رضي الله عنهما. إنه أمر يفوق كل تقدير، وتعجز عنه أساليب التعبير كلها، ولا ترقى إليه مناهج التربية التي يحاولها غير النبي صلى الله عليه وسلم من البِشر، طفل صغير يجلس في مجلس الأشياخ وبينهم النبي صلى الله عليه وسلم الذي يعلِّم ويسوس ويقود الأمة! ويستأذنه النبي صلى الله عليه وسلم في شربة! ويجلس عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم، وهي كرامة للكبار قبل الصغار! ولا ينسى النبي صلى الله عليه وسلم حقَّ الطفل الصغير في الشرب بدءًا من يمين الشارب! إن هذا السلوك وغيره من أساليب التربية الإسلامية، وهي التي أوصلت هؤلاء الغلمان إلى مدارج العظمة وهم لا يزالون صغارًا، فهذا الفضل بن العباس رضي الله عنهما، وهو غلام دَرَجَ بين الأشياخ، يعرف كيف المنطق في مثل هذا الموقف العظيم، «والله يا رسول الله لا أُوثر بنصيبي منك أحدًا» عطاء وحق من يد رسول الله، يدعه ذو مسكة من عقل، ولذلك وضع الرسول صلى الله عليه وسلم الإناء وفيه الشراب عند ذلك يده.

* المنهج الإسلامي الربّاني لا يمنع الأطفال والصغار من مخالطة الكبار، ومجالستهم في كل مجالسهم، ومساجدهم، وتجمعاتهم، وأسفارهم، وأحفالهم، وأنديتهم، وذلك حتى يأخذوا عن الكبار عملًا، وبالمواقف، فَيَتَشَّربون السلوك ويحفظون القواعد والمبادئ، ويشاركون في الأعمال ويتدرّبون على المسؤوليات. أما حرمان الأطفال والصغار من هذه المخالطة والمشاركة، فهو حرمان من القدوة والتجربة من جانب، وعزل للصغار عن الاتصال بالكبار، من جانب آخر، وهو منهج سلبي في التربية وغير عملي، ويدع الصغار بعضهم لبعض فلا يتعلمون إلا السفاسف من الأمور، ويستهويهم الشياطين فيتعلمون الشرور،

بـدلًا مـن مخالطـة الكبـار فينشـغلون بالخـير ويتعلمـون معـالي الأمـور. فعـن عبـد اللـه بـن أبي حبيبـة «... وقيـل لـه: مـا تذكـر مـن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم؟ قـال: جاءنـا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم في مسـجدنا بقبـاء، فجئـتُ وأنـا غـلام حـدَثٌ حتـى جلسـتُ عـن يمينـه، وجلـس أبـو بكـر عـن يسـاره، قـال: ثـم دعـا بـشراب فـشرب وناولنـي عـن يمينـه» رواه أحمـد والطـبراني ورجـال أحمـد ثقـات. وعـن أم خالـد بنـت خالـد بـن سـعيد بـن العـاص قالـت: «أتيـت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم مـع أبي، وعـليَّ قميـص أصفـر، فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: سَـنَه، سَـنَه، قـال الـراوي: وهـي بالحبشـية: حسـنة، حسـنة، قالـت: فذهبـت ألعـب بخاتـم النبـوَّة، فَزَبَـرَني أبي، فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: دَعْهـا، ثـم قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: أبـلي وأخلقـي، ثـم أبـلي وأخلقـي، ثـم أبـلي وأخلقـي» رواه البخـاري، وكان خالـد بـن سـعيد قـد هاجـر إلى الحبشـة هـو وأهلـه، فهـذه صبيـة صغـيرة تحـضر مجلـس رسـول اللـه، فالأمـر لا يخـص الصبيـان فقـط، ثـم لا تهـاب في المجلـس مـن اللعـب، بـل تذهـب فتلعـب بخاتـم النبـوّة المبـارك الشريـف، فيمنعهـا بزجـرٍ أبوهـا، فيقـول لـه النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم: [دعهـا] بـل يتوجـه إليهـا صـلى اللـه عليـه وسـلم بالمداعبـة والمباسـطة ليذهـب عـن الصغـيرة الحـرج، ثـم يدعـو لهـا ثلاثـًا بطـول العمـر والعافيـة، فتلبـس الجديـد مـرات ومـرات بعـد أن يخلـق الثـوب الجديـد. وخاتـم النبـوّة الشريـف، عبـارة عـن بضعـة مـن اللحـم بـارزة تميـل إلى الحمـرة وعليهـا شـعرات، في أعـلى الظهـر قريـب مـن الرقبـة المباركـة. والسـنّة المباركـة، والسـيرة الشريفـة، وتاريـخ المسـلمين، مليئـة بالأمثلـة عـلى حضـور الصغـار، بنـين وبنـات، كل المجالـس والأماكـن مخالطـين للكبـار، وليـس هنـاك أعـلى مـن مجلـس النبـوّة الشريفـة في المسـجد، وفي كل المواطـن، والتـي خالـط فيهـا الصغـار الكبـار، حتـى كـبر الصغـار عـلى مـا كان عليـه الكبـار، مـن خلـق وسـلوك ديـن.

***

روى الإمام مسلم في صحيحه «**أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بأوَّل الثمر، فيقول: اللهم بارك لنا في مدينتنا، وفي ثمارنا، وفي مُدِّنا وصاعِنا، بركة مع بركة، ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان**»، وروى الطبراني «**أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى بباكورة الثمرة أعطاها أصغر من يحضره من الوِلْدان**» ورجاله رجال الصحيح. كما روى في الصغير والكبير من معاجمه بسند رجاله رجال الصحيح «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أُتي بالباكورة من الثمار قَبَّلها، ووضعها على عينيه ثم قال: اللهم كما أطعمتنا أوَّله فأطعمنا آخره، ثم يأمر به للمولود من أهله**» ويحسن الجمع بين هذه الألفاظ الواردة في هذه الأحاديث، والمتدبِّر في هذه السنة يجد أن هناك شبهًا بين باكورة الثمر، وبين باكورة عمر الصغار، فهُمَا في أول مراحل النضج، وكلاهما قريب عهدٍ بعملية تلقيح وتوليد، وآية من آيات الله تعالى في توالي النوع واستمراره وفيها اتصال النعمة وعدم انقطاعها من مسديها، وأن من شكرها ذكر المنعم، وطلب البركة فيما أنعم به، وأن من كمال الشكر تقديم النعمة للأحوج والأضعف، فإن الطفل الذي يحضر ويرى باكورة الثمرة، يرغب فيها ويتطلّع إليها، وتسرع إليها نفسه، فيكون حرمان الصغير في هذه الحال نوعًا من القسوة والأثرة، وأعرف بعض الأمهات اللاتي يؤثرن الأزواج في مثل هذه الحالة، وتحرم الصغار، وهم يتطلّعون للشيء، ظنًا منهن أن ذلك كرامة للزوج وللكبير، وتوقير لهم. ولعل هذا التطلّع من الطفل للشيء، وراء نهي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبيِّن حقوق الجار، أن يخرج الأطفال بالفاكهة فيراها في أيديهم أبناءُ الجار فيرغبون فيها، ولا يُعْطَون منها، حيث قال صلى الله عليه وسلم: «وإذا اشتريت فاكهة فأهْدِ له، فإن لم تفعل فأدخلها سرًّا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها» رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق، وابن عدي في الكامل. ولنفس الأمر، يراعى عند تناول الطعام أن نعطي من حضر من الأطفال مما نتناوله من الطعام، فعن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: «**دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم أنا وغلمة معي، فوجدناه يأكل تمرًا في قناع، ومعه ناس من أصحابه، فقبض لنا من ذلك قبضةً،**

قبضةً، ومسح على رؤوسنا» رواه الطبراني، فلم ينس صلى الله عليه وسلم هؤلاء الصغار الذين دخلوا وشاهدوا الطعام يؤكل منه، أن يطعمهم من ذلك الطعام ويكرمهم كما يكرم من يشاركونه الطعام. إن ذلك تقدير للصغار، ومراعاة لنفوسهم، وجبر لخواطرهم.

* إن الاهتمام بالطفل الصغير، والانتباه إلى ما يؤثّر في نفسيَّته، ومعاملته معاملةً كريمة فيها التقدير والاحترام لذات الصغير، أمر هام في التربية الإسلامية، لأنه في المعتاد عند الكثيرين من الأمهات والمعلمين، إغفال شأن الطفل لصغره، وأنه لا يدرك الأمور، وفي الحقيقة وواقع الأمر، أن الطفل الصغير شديد الحساسية، ومرهف الشعور، لكثير من الأمور التي يغفل عنها، ويهملها الكبار، وقد لا يستطيع الطفل التعبير عن إدراكه وشعوره، ولكن ذلك لا ينفي وجود الإدراك والشعور. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «**دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا والحسن والحسين نيام في لحاف، فاستسقى الحسن، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إناء، فصبَّ في القدح، فجاء به، فوثب الحسين فنحَّاهُ النبي صلى الله عليه وسلم بيده، فقالت فاطمة: كأنه أحبهما إليك يا رسول الله؟ قال: إنه استسقى قبله**» رواه أحمد والبزار والطبراني. فهذه خدمة من كبير عظيم لطفل صغير، ومراعاة لخاطر الذي طلب الشراب قبل الآخر، فيقدم ويهتم وبهذا العدل والمساواة بحسم، بصرف النظر عن كونهم صغارًا ولا يدركون تلك الأمور، أو يهيأ لنا ذلك منهم. ولا يخفى عظيم تواضع النبي صلى الله عليه وسلم وشفقته، ومسارعته إلى الخدمة والنجدة، وتباسطه صلى الله عليه وسلم مع أهله وأولاده رضوان الله عليهم. وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «**إن أباه بعثه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة، قال: فوجدته جالسًا مع أصحابه في المسجد، فلم أستطع أن أكلمه، فلما صلى المغرب قام يركع حتى انصرف مَنْ بقي في المسجد، ثم انصرف إلى منزله، وتبعته، فلما سمع حِسِّي قال: من هذا؟ قلت: ابن عباس، قال: ابن عم رسول الله؟ قلت: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: مرحبًا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ما تريد أن تبيت عند خالتك الليلة، قد أمسيت؟ فوافقتُ ليلتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتتها فعشتني**» رواه الطبراني. وهذا الحديث فيه ما يعجز

التعبير عن الإفصاح عما فيه من عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا التقدير منه صلى الله عليه وسلم لهذا الغلام الصغير، والترحيب به، والاهتمام بشأنه، وإكرامه ودعوته للمبيت معه في بيت خالته ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، في كل ذلك وغيره، ما يعجز الكثير من الكرماء عن فعله مع الكبار، فكيف يكون فعله مع الصغار؟

* من المسائل التي يجب أن يعتنى بها مع الأطفال، اصطحابهم عند استقبال القادم من السَّفر، لأن الطفل يكون أكثر تلهفًا على الغائب، ويفرح بقدومه، ويتعجّل رؤيته، كما أن الغائب يكون أكثر شوقًا لرؤية الصغار، والاطمئنان عليهم، ولكل هذه الأمور وغيرها، كانت السنة الشريفة موضِّحة لهذا المسلك الواجب مع الصغار، «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قَدِم من سفر تُلُقِّيَ بصبيان أهل بيته، قال عبد الله بن جعفر، وأنه قدم من سفر، فسُبق بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة، فأردفه خلفه، قال: فأُدْخِلنا المدينة ثلاثة على دابة» رواه مسلم. وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «لقد قُدْتُ برسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين بغلته الشهباء، حتى أدخلتهم حجرة النبي صلى الله عليه وسلم، هذا قُدَّامه وهذا خلفه» رواه مسلم والترمذي. إنها المشاركة للأطفال في مراسم الاستقبال والاحتفال بقدوم المسافر، وعدم تجنيبهم هذه الأحفال والأفراح والترحيب بالقادم، ومثله قد فعلته أطفال الأنصار عند استقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في الهجرة، وفي كل عود حميد للغزاة في سبيل الله تعالى، كما فعلوا في غزوة تبوك وغيرها. وهذا السلوك ينمى عند الطفل الصغير الشعور بالقضايا العامة، ويعمق لديه الرغبة في أن يفعل أمثال هؤلاء القادمين، الذين يرحّب بهم ويحتفي بهم عندما يكبر، سواء كان ذلك السفر للجهاد، أو للحج، أو للتجارة، أو غير ذلك، كما يؤكد هذا السلوك ثقة الطفل الصغير في نفسه، حيث إن له دورًا مع الكبار، وأنه لم يُهمَل ويُغفل عنه في الأحداث الجارية. بل هذه الغفلة عن الأطفال الصغار، تكون أشدّ عليهم في حالة النوازل التي تقع في محيطهم، فيُتركون في هذه الحالات، وهم أحوج للعناية والمواساة من غيرهم من الكبار، وقد نبَّه النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا الأمر، فروت أسماء بنت عميس، زوج جعفر بن أبي طالب رضي الله

عنهما قالت: «**لما أصيب جعفر وأصحابه، دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد دبغت أربعين ميتة، وعجنت عجني، وغسلت بنيَّ ودهنتهم ونظفتهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ائتني ببني جعفر، قالت: فأتيته بهم، فشمَّهم وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: نعم، أُصيبوا هذا اليوم، قالت: فقمت أصيح، واجتمع إليَّ النساء، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله فقال: لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعامًا، فإنهم قد شُغلوا بأمر صاحبهم**» رواه ابن ماجة وأحمد، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّل ما يبدأ به مواساة الأطفال الصغار عند موت الأب، والحرص على إعداد الطعام لهم حتى لا يجتمع لهم الحزن والجوع. فيجب عند المصائب والأحداث، المبالغة في الاهتمام بالأطفال والصغار، بمواساتهم والتخفيف عنهم، وتلهيتهم عن الشعور بالصدمة، حتى لا تمر المصيبة وقد تركت جرحًا عميقًا في نفس الطفل الصغير لا يندمل، وحتى لا يحمل على الكبار، وعلى المجتمع، لاجتماع المصيبة والإهمال له، وهو صاحب القلب الرقيق والشعور المرهف والضعف وقلة الحيلة. ولا يفوتني أن أشير إلى ما في هذا الحديث الشريف من أمور؛ منها ما كانت عليه الأمهات الصالحات من عناية بالصغار وتنظيفهم والإصلاح من هيئتهم رغم الأعمال الكثيرة التي كنّ يقمن بها في خدمة البيت.

***

عوِّدوهم الخير فإن الخير عادة

روى الطبراني بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**حافظوا على أبنائكم في الصلاة، وعوِّدوهم الخير فإن الخير عادة**» ومعنى عوِّدوهم، أي علموهم بتكرار عمل الخير، حتى يألفوا فعله ويصبح فعل الخير عندهم عادة لهم، وهذا التعويد يصلح في الشر كما يصلح في الخير، ولا بدّ من الاعتياد على الخصال، وبقدر تعويد الطفل على خصال الخير، بقدر ما يكتسب من خلق، ومهارات، وعادات، والأسلوب النافع في ذلك، ما كان بأداء الفعل عملًا، لا تكرار الحديث عنه، حتى يُتقن، ويسهل على النفس فعله، والجمع بين الأسلوب

النظـري والعمـلي، مـع تغليـب الأخـير، أصـوب وأجـدى، فمثـلًا لـو أردنـا إكسـاب الطفـل عـادة التهـادي والكـرم، وهـو طفـل لا يتملـك شـيئًا غالبًـا، فإننـا نجعلـه هـو الـذي يقـوم بحمـل الهدايـا وتوصيلهـا إلى المهـدى إليهـم، حتـى يألفـوا التهـادي ويسـهل عليهـم عندمـا يكـبرون ويتملكـون أن يهـدوا إلى غيرهـم، وكذلـك نجعـل التهـادي بـين أفـراد البيـت الـذي يعيـش فيـه الطفـل الصغـير، أمـرًا مُقـرَّرًا ومكـرَّرًا، عنـد تنـاوُل الطعـام عـلى المائـدة، أو توزيـع الحلـوى أو الفاكهـة، بـأن يعطـي أحـد الوالديـن للآخـر، ولأولاده مـن نصيبـه شـيئًا، ويتبـادل أفـراد الأسرة عـلى مائـدة الطعـام بعـض المفضـل مـن أنصبتهـم في الطعـام أو غـيره، وهكـذا يعطـي الوالـدان بعـض مـا يخصّهـما مـن الأدوات لـلأولاد في غـير مناسـبة، حتـى يصبـح العطـاء والإعطـاء مألوفًـا للصغـار في البيـت فيعتـادون فعلـه، ويقتـدون بالكبـار في عـادات الخـير. عـن عبـد اللـه بـن بُـسر رضي اللـه عنـه قـال: «**كانـت أمـي تبعثنـي بالهديـة إلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فيقبلهـا**» رواه أحمـد. وعـن أبي بكـر رضي اللـه عنـه قـال: «**نـزل رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم منـزلًا، فبعثـت لـه امـرأة مـع ابـن لهـا بشـاة، فحلـب، ثـم قـال: انطلـق بـه إلى أمِّـك، فشربـت حتـى رويـت، ثـم جـاء بشـاة أخـرى، فحلـب، ثـم قـال: انطلـق بـه إلى أمـك، فشربـت حتـى رويـت، ثـم جـاء بشـاة أخـرى، فحلـب، ثـم شرب**» رواه أبـو يعـلى، وكان مـن عـادة العـرب أن تحلـب الرجـال، ويعيبـون أن تحلـب المـرأة. بـل بلـغ مـن كـرم رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم لضيفـه أن أطعمـه طعـام الصغـار مـرارًا، حتـى اعتـادوا الإيثـار، فعـن أبي نـضرة الغفـاري رضي اللـه عنـه قـال: «**أتيـت النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم لمـا هاجـرت، وذلـك قبيـل أن أسـلم، فحلـب لي شُـوَيهة كان يحلبهـا لأهلـه، فشربتهـا، فلـما أصبحـت أسـلمت، وقـال عيـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: نَبيـتُ الليلـة كـما بِتْنـا البارحـة جياعًـا، فحلـب لي رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم شـاةً، فشربتهـا ورويـت، فقـال لي رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: أرويـت؟ قلـت: يـا رسـول اللـه قـد رويـت، مـا شـبعتُ ولا رويـت قبـل اليـوم، فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: إن الكافـر يـأكل في سـبعة أمعـاء، وإن المؤمـن يـأكل في معـاء واحـد**» رواه أحمـد ورجالـه رجـال الصحيـح. فقـد بـات العيـال جياعًـا حـين قُـدِّم عليهـم في شرب اللـبن الـذي كان طعامهـم، وخشـوا أن يبيتـوا الليلـة الأخـرى جياعًـا، لعلمهـم بمـا تعـوَّدوا عليـه مـن إيثـار الضيـف والمحتـاج عليهـم.

التَّستُّر في العورات مع الصغير

* من الأخطاء الشائعة بين عامة المسلمين، التسامح في كشف العورات أمام الأطفال، أو التسامح في كشفها فيما بينهم، باعتبارهم صغارًا لا يدركون تلك المسألة، فلا يتحفَّظون منهم، ولا يشدِّدون في التنبيه، والمطالبة بالتَّستُّر، سواء عند تغيير الملابس، أو عند الاغتسال، وغير ذلك من الأحوال، بل قد تغتسل الأم مع ابنها أو بنتها في آن واحد ومكان واحد، بزعم أن الصغير، أو الصغيرة بنتها، وأنها كانت تغسِّلها وتغير لها ملابسها وهي صغيرة تعجز عن الاستقلال بذلك بنفسها، ويدفعها لذلك أيضًا، أن الولد والبنت يظل كل منهما في عين الأم صغيرًا مهما كبُر. عن زينب بنت أبي سلمة رضي الله عنهما قالت: «**دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل، فأخذ حفنة من ماء فضرب بها وجهي وقال: وراءك أي لكاع**» رواه الطبراني وإسناده حسن. وزينب هذه بنت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها كانت تتربى في حجر النبي صلى الله عليه وسلم وكانت صغيرة. وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال: «**أتى علينا، أي أبوهم، ونحن نغتسل، يصب بعضنا على بعض، فقال: أتغتسلون ولا تستترون؟ والله إني لأخشى أن تكونوا خلف الشر، يعني الخلف الذي يكون فيهم الشر**» رواه الطبراني ورجاله موثقون والخلف يقال في الشر، والخلف يقال في الخير. فيجب تعويد الطفل الصغير على التستُّر الدائم حتى يشبَّ على الحياء والتحفّظ للعورات، وكذلك يجب ألا نتسامح فنبدي من عوراتنا أمامهم، وعلينا تشجيع الصغار على الاستقلال بأنفسهم عند الاغتسال وتغيير ملابسهم، وسوف يأتي إن شاء الله الحديث عن العورات وآدابها في فصل عبادات الطفل.

***

متى يستمتع الكبار بلعب الصغير؟ ومتى يضيقون منه؟

* يغلب على أنشطة الطفل الصغير، اللعب واللهو والمرح، ومعظم طاقاته يبدِّدها في هذه الأشكال من النشاط، وكل ذلك نافع له جسميًّا، وعصبيًّا، ونفسيًّا، وتعليميًّا، ومن هذه الأنشطة ما فيه صعوبة ومشقة وضرر، ولا فائدة منه. ويمكن استثمار اللعب عند الطفل في تدريبه، وتعليمه، بأشكال وأساليب من اللعب التي يفهمها ويحبها الطفل ويسعد بها،

ويمكن إقناع الطفل بأنه هو الذي اكتشف المعلومة، وأنه هو الذي أخبر عنها بتهيئة المعنى الذي يمكنه إدراكه من خلال قصة تؤدّى حركيًّا، أو لعبة ويطلب منه معرفة الخطأ والصواب، أو المراد من اللعبة، أو القصة، ثم نثيبه على ذلك بالمدح والتشجيع، كما يمكن للطفل التدريب، والتَّعلُّم من خلال تشكيله للأشكال الصلصالية، وتقطيع الورق والتكوين والتشكيل للمربعات وغيرها، والتلوين للأشكال المعَدَّة.

- قد يكون من المفيد، إعطاء الطفل قدرًا من الوقت، ولو نصف ساعة، يتعامل خلالها بحرية، وبدون تدخل أو توجيه خلالها، مع أي شيء من لعبه، أو محتويات حجرته الخاصة باللعب، أو حقيبة لعبه، ولا نزجره ولا نلومه على شيء يحدثه، لكي يكتشف بنفسه، وبالتجربة، الخطأ والخسارة، ثم يوجه ويضبط سلوكه بناء على إطلاعه على نتائج تجربته، وأشدّ ما يفرح الطفل، تركه يفعل ما يشاء، واللعب مع أحد والديه.

- في سن أربع سنوات يظهر لدى الطفل لعب الفريق، حيث يصبح واعيًا بوجود الآخرين، فيسعى لجذب الانتباه عن طريق الاستعراض معهم. وهو يبدأ باللعب بجوار الأطفال الآخرين، وليس معهم، ثم في مرحلة تالية بعد ذلك يلعب مع الأطفال بأنشطة مشابهة، ثم يلعب بعد ذلك متعاونًا معهم في لعب واحد، بحيث يصبح عضوًا في فريق. ويغلب على الطفل في البداية دور المتفرِّج على الآخرين أثناء لعبهم، ثم التحدّث معهم قبل مشاركتهم.

- يبدأ الوالدان بالشعور بالضيق من الطفل لكثرة انفعاليته وتوتره، حيث دخل اللعب ضمن فريق حيز تفكيره ونشاطاته، فعادة ما يمنع عن الخروج للعب معهم أو يمنع عن اللعب مع أشخاص بأعيانهم، أو يمنع في أوقات يرغب في اللعب أثناءها، وذلك خلاف ما كان للطفل في المرحلة السابقة من جاذبية للكبار نحوه. فبعدما كانوا يستمتعون باللعب مع الأطفال ويدفعونهم إلى اللعب، قد أصبحوا يضيقون بلعب الطفل وكثرة نشاطه.

***

علموا أولادكم الكمبيوتر وركوب الطائرات

* قد مَرَّ بنا في فصل سابق، حديث سعد بن أبي وقاص قال: «**دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين يلعبان على بطنه، فقلت: يا رسول الله، أتحبّهما؟ فقال: وما لي لا أحبهما وهما ريحانتاي**» رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، وكذلك الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «**رأيت الحسن والحسين على عاتقي النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: نعم الفرس تحتكما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ونعم الفارسان**» رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. فاللعب للصغار، والملاعبة معهم من الكبار، بل من أعظم العظماء، وبهذا التَّطامن، والتَّنزُّل، والتباسط، إلى الحدّ الذي يعتلي عنده الصغارُ الظَّهرَ الشريف ويتَّخذونه مركبًا. كذلك كان يشارك النبي صلى الله عليه وسلم الأطفال الصغار في لعبهم ليوجههم خلال اللعب إلى المعاني واكتساب المهارات والتدريب على المهمَّات عند الكبر. روى أحمد بسنده ورجاله ثقات: «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفُّ عبد الله، وعبيد الله، وكُثَيِّرًا من بني العباس، ثم يقول: من سبق إليَّ فله كذا وكذا، قال: فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره فيقبِّلهم ويلتزمهم**». وروى سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: «**كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعْرض غلمان الأنصار في كل عام، فمن بلغ منهم بعثه، فعرضهم ذات عام، فمرَّ به غلام فبعثه في البعث، وعُرض عليه سمرة من بعده فردّه، فقال سمرة: يا رسول الله، أجزت غلامًا ورددتني ولو صارعني لصرعتُه؟ قال: فدونك فصارعه، فصارعته فصرعته، فأجازني في البعث**» رواه الطبراني ورجاله ثقات. فهذه حلبة للمصارعة بين الغلمان يقيمها لهم النبي صلى الله عليه وسلم أمام النظَّار من كبار الصحابة، وقد اشتهر الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل**» إنها أنواع من الرياضة محبَّبة إلى الصغار، ونافعة لهم وللمجتمع عندما يصيرون رجالًا كبارًا، وكأني بداعية العصر يقول: علموا أولادكم الكمبيوتر والإنترنت وركوب الطائرات. روى الطبراني بسند رجاله رجال الصحيح (كان أنس رضي الله عنه يجلس ويُطْرح له فِراش ويجلس عليه، ويرمي ولده بين يديه، فخرج علينا يومًا ونحن نرمي، فقال: يا بني بئس ما ترمون، ثم أخذ القوس فرمى، فما أخطأ القرطاس» إن أنسًا رضي الله عنه كان قد تدرّب على الرماية حتى

أتقنها، وها هو يدرب الصغار من ولده ويشاركهم.

- «**مَرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على صبيان وهم يلعبون بالتراب، فنهاهم بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: دعهم، فإن التراب ربيع الصبيان**» رواه الطبراني، فقد يكون لعب الأطفال بالتراب وفي الأتربة فيه بعض الضَّرَر، ولكنه شهية يتفق عليها كل الصغار، فتركهم يقضون نهمتهم في اللعب بالتراب أحيانًا، فيه لون من الإشباع الطفولي، وفيه تنفيذ فكرة ترك الأطفال أحيانًا يفعلون كل المباح من اللعب الذي لا يغلب ضرره بعض ما فيه من الفوائد. ويمكن إتاحة هذه الفرص للأطفال باصطحابهم إلى الشواطئ وتركهم يعبثون بالرمال ويشكِّلون منها بيوتًا وأهرامات وأحصنة وغير ذلك من الأشكال، وإذا لم يتيسر الشاطئ فيحسن توفير قدر من الرمال في مكان ما بالبيت لهذا الغرض.

- كان الكبار لا يتضجَّرون من لعب الصغار، بل يمازحونهم ويقرونهم على اللعب، وخاصة من عظماء المربين في التاريخ والذين كانوا لا يعرفون إلا الجدَّ، ولا يأتون ولا يقرّون إلا المعالي من الأمور، وهذا منهم دليل على أن اللعب للأطفال من الجدِّ والضروري لهم «**كان ابن لأم سليم يقال له: أبو عمير، كان النبي صلى الله عليه وسلم يمازحه إذا دخل على أم سليم فدخل يومًا فوجده حزينًا، فقال: ما لأبي عُمير حزينًا؟ قالوا: يا رسول الله، مات نُغَيْرُهُ الذي كان يلعب به، فجعل يقول: أبا عمير، ما فعل النُّغَيْر؟**» رواه البخاري ومسلم، والنُّغَير نوع من العصافير، إن سلوك الضيف مع الأطفال الصغار يجب أن يتسم بالملاطفة والمداعبة، وإبداء الرضا عنه وعن لعبه ونشاطه، حتى يحب الصغير قدوم الضيوف على البيت ويشبّ على حب ذلك، وحتى لا يحرج أهل البيت من تضجّره من الأولاد ونشاطهم، ولا يظهر تأفُّفه مما يحدثه الصغير في لعبه. وهذا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر رضي الله عنه «**صلى أبو بكر العصر، ثم خرج يمشي ومعه علي، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان، فحمله على عاتقه وقال: بأبي، شبيه بالنبي صلى الله عليه وسلم، وليس شبيهًا بعلي، وعليّ يضحك**» رواه البخاري، إن أطفال المسلمين الأُوَل لم يُزْجَروا من أجل لعبهم في خارج بيوتهم، فهذا وقت مرور خليفة رسول الله صلى الله

عليـه وسـلم ومعـه صحبـه، والصبيـان عـلى حالهـم مـن اللعـب أمامـه، بـل يتقـدم رضي اللـه عنـه إلى أحدهـم ويحملـه عـلى عاتقـه، ويثنـي عليـه أمـام أبيـه، فـلا يزيـد عـلى أن يضحـك رضًـا بفعلـه وقولـه.

***

لهو الفطرة والتسامح فيه

- اللهـو النظيـف يلائـم الفطـرة، والطفـل الصغـير يعيـش مرحلـة انطـلاق القـوى في الحركـة واللعـب واللهـو، وهـو لا يشـبع مـن شيء مـن ذلـك، وإن شـبع مـن الغـذاء، وواجبنـا توفـير الظـروف والوسـائل والمناسـبات لإشـباع متطلبـات المرحلـة مـن اللعـب واللهـو، مـع المراقبـة غـير المقيـدة للطفـل، مـع التوجيـه التربـوي في وقتـه ومناسـبته. «**رأى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم النسـاء والصبيـان مقبلـين مـن عُـرْس، فقـام النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم مُمثـلًا وقـال: اللهـم أنتـم مـن أحـب النـاس إليّ، قالهـا ثـلاث مـرات**» رواه البخـاري ومسـلم. فهـؤلاء نسـاء وأطفـال مقبلـون مـن حفـل عُـرْس بالمدينـة، كانـوا يلهـون ويمرحـون ويفرحـون ويشـاركون العروسـين وأهليهـم، يحبهـم رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، بـل هـم مـن أحـب النـاس إليـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، إنهـم ليسـوا أولاده، ولا نسـاءه، إنهـم صبيـان المسـلمين ونسـاؤهم فلـماذا لا نخـبر أطفالنـا ونسـاءنا بحـب النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم لهـن ولهـم، وإقـراره لهـن ولهـم بحضـور أحفـال اللهـو الجميـل الـبريء الـذي كانـوا لا يعرفـون غـيره؟ تقـول عائشـة رضي اللـه عنهـا: «**كان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم جالسًـا، فسـمعنا لغطًـا وصـوت صبيـان، فقـام النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم، فـإذا حبشـيّة تزفـن والصبيـان حولهـا، فقـال: يـا عائشـة تعـالي فانظـري، فجئـت، فوضعـت لحيـي عـلى منكـب رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، فجعلـت أنظـر إليهـا مـا بـين المنكـب إلى رأسـه، فقـال لي: أمـا شـبعت؟ أمـا شـبعت؟ قالـت: فجعلـتُ أقـول: لا، لأنظـر منزلتـي عنـده، إذ طلـع عمـر، قالـت: فارفـضَّ النـاس عنهـا، قالـت: فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: إني لأنظـر إلى شـياطين الجـن والإنـس قـد فـرُّوا مـن عمـر، قالـت: فرجعـت**» رواه الترمـذي وقـال: حديـث حسـن صحيـح. والزَّفَـنُ: الرَّقـص،

وارفضُّوا: تفرقوا، والحديث فيه من الأحكام واللطائف الكثير، ويكفي الإشارة إلى إقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا اللهو الذي ترقص فيه حبشية في الشارع ويتجمع عليها الصبيان، بل يدعو النبي صلى الله عليه وسلم زوجه الصغير عائشة للمشاركة بالتفرج على هذا اللهو البريء، بل يعينها على ذلك، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد تزوج عائشة رضي الله عنها وهي صبيَّة تبلغ تسع سنوات، ولذلك تحكي لنا رضي الله عنها قالت: «دخلت عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنِّيان بغناء بُعاث، فاضطجع على الفراش، وحوَّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني وقال: مزمارة الشيطان عند النبي صلى الله عليه وسلم؟ فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: دَعْهما، فلما غفل غمزتهما، فخرجتا، وكان يوم عيد يلعب السودان بالدَّرق والحراب، فإما سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإما قال: تشتهي تنظرين؟ قلت: نعم، فأقامني وراءه، خدِّي على خدِّه، وهو يقول: دونكم بني أَرْفِدة حتى إذا مللت قال: حسبك؟ قلت: نعم، قال: فاذهبي، وأنا جارية، فاقدروا قدر الجارية العَرِبَة الحديثة السن» رواه البخاري ومسلم، وبنو أرفدة: أهل الحبشة، والعَرِبة: طيبة النفس الحريصة على اللهو. وبعد ذلك لا تعليق أكثر من أن أنبِّه على قول ونصيحة عائشة رضي الله عنها: كنت جارية، أي طفلة صغيرة، فاقدروا قدر الجارية، أي راعوا في سلوككم هذه الأعمار وحاجتها إلى اللعب واللهو.

***

ملاحظات على طفل ما قبل المدرسة

* إذا بالغ الوالدان في كَفِّ الطفل عن المبادأة، فإن ذلك يؤدي إلى أن يصبح الطفل فيما بعد محدود الأفق، ممتلئًا بمشاعر الذنب، وعلى العكس إذا لم يستخدم مع الطفل النواهي إلا نادرًا، فإن الطفل لا ينمو لديه ضمير مكتمل، ذلك أن الطفل في خلال هذه المرحلة تتسع مداركه ويصبح له خيال وطموحات يحب الحصول عليها، فيمارس بحب الاستطلاع والاكتشاف أمورًا كثيرة، وعند ذلك يتعرّض الوالدان مع الطفل لاختيارين، إما المنع بأسلوب النهي والأمر الحاسم والدائم، وإما التغاضي والتغافل عما يحدث من الطفل، وكلا الأسلوبين

ضار بالطفل، والواجب استخدام النواهي في الحدود المعقولة، التي تحقق طموحاته وتعينه على اختراق المسموح في الحدود التي لا يتحتَّم فيها الضرر، ومن هذه التجارب يتسع أفق الطفل، وينجو من التعرض للشعور بالذنب المصاحب.

* في سن الرابعة يبدأ الطفل في التخلص من الشكل المترهِّل للرضيع، ويصبح طفلًا صغيرًا، ويصل في عامه السادس إلى تناسق أجزاء الجسم مثل الشخص الكبير، ويزداد نضج جهازه العظمي والعضلي، كما تكتمل الأسنان اللبنية فيما بين العامين الثاني والثالث، وتظل هذه الأسنان حتى سن السادسة أو السابعة عندما تستبدل بها الأسنان الدائمة، ولا يكتمل نمو الجهاز البصري إلا مع البلوغ، حيث يتم التركيز البصري الواضح، ولذلك قد يحسن لبعض الأطفال أن يستخدموا خلال هذه الفترة النظارات الطبية.

- التعلم في هذه المرحلة أكثر سهولة عند الطفل لنمو الجهاز العصبي والعقلي عنده، ولكن يجب أن يطلب من الطفل فعل الأشياء والواجبات التي يقدر عليها صحِّيًّا وعقليًّا، بصرف النظر عن مطامح وتطلعات الوالدين؛ لأن ذلك يحدد المفهوم الذي يكوِّنه الطفل عن ذاته، فإذا كانت تلك الواجبات أعلى من مستوى الطفل، وتكرر فشله في أدائها، فإن ذلك يؤدي للإحباط والقلق عند الطفل، ويتعلم الطفل في هذه الأحوال تبرير الفشل، كما يشعره ذلك الفشل بالدونِّية والنقص وعدم الكفاءة، ولذلك لا يجب الحرص من الوالدين على أن يسبق الطفل فصلًا دراسيًّا قبل سنّه الملائمة، كما أن التدريب السابق على النّضج، بقصد التفوّق واكتساب المهارات الخاصة، يعتبر مضيعة للوقت والجهد؛ لأن الطفل الذي يصل إلى المرحلة العمرية المناسبة لنضجه يتقن السلوك في مدة وجيزة، ويستوي في الكفاية والجودة مع الذي سبقه بالتدريب فترة أطول منه، فالطفل الأكبر يحصل على نتائج أفضل من الصغير مع توافر نفس المقدار من التدريب، فكلما كان الطفل أكثر نضجًا، كان أكثر كفاية في التعلُّم. وقد يحدث للطفل الذي يتلقى التعليم والتدريب قبل النُّضج آثار ضارة في السلوك إذا صاحبه الإحباط، أو قد يفقد حماسه للتعليم عند بلوغه النضج المناسب، فمثلًا لو تم تدريب الطفل على ركوب الدراجة قبل النضج اللازم، فإن ما يتعرّض له الطفل من إحباط أثناء التدريب المبكِّر، قد يؤدي إلى القضاء على ميل الطفل

لركوب الدراجات بعد ذلك، بل هناك أنماط سلوكية لا يمكن للتدريب وحده إكسابها للطفل، إذ لا بد لها من النضج مثل: الحبو، المشي، القبض على الأشياء.

* يبدأ التحوّل عند الطفل باعتباره كائنًا اجتماعيًّا، لزيادة وعيه بالأشخاص والأشياء فيتسع عالمه، ويزداد اندماجه في بعض الأنشطة، وهذا بدوره يقلِّل من تعلق الطفل بالوالدين تدريجيًّا، حيث يحل محلها علاقات جديدة مع بعض الأطفال خارج البيت، وقد يكون قد تهيأ لهذه العلاقات من تعامله مع إخوته بالبيت، ويحدث ذلك عادة اعتبارًا من العام الثالث، وهي سن حرجة في تطبيع الطفل وتكيُّفه الاجتماعي وحتى سن السادسة.

- في خلال تلك المرحلة وعند نهايتها في سن السادسة، يظهر سلوك القيادة عند الطفل، والسيطرة، أو التَّبعيَّة والاعتماد، والمسايرة، وتكون معالم الطفل وشخصيته قد تحدّدت، فمنها ما يتسم بصفات قيادية، ومنها ما يتصف بالتبعية، ومنها الشخصية المستقلة، والآخر تابع لغيره، والبعض انبساطي، والآخر انطوائي، وهكذا. وإذا كان النظام المتَّبع مع الطفل هو النظام التَّسلطي العقابي، فإنه يؤدي إلى تنمية الشعور الدائم لدى الطفل بالتمرّد والعدوان، أو الانسحاب والانطواء، ومعاملة الأم لها آثارها المتميزة في ذلك، وتلعب دورًا هامًا في نمو خصائص الشخصية.

* يتم اكتمال نمو المهارات اليدوية، وأهمها في الإطعام، وارتداء الملابس، وتمشيط الشعر، والاستحمام، وتوجد فروق بين الجنسين في نوع المهارات الحركية التي يتعلمها أطفال هذه المرحلة، وفي سن السادسة يمكن للولد استخدام أدوات التجارة، ويمكن للبنت استخدام أدوات الخياطة، كما يمكن استخدام المقص وتشكيل الأشكال الصلصالية، وفي سن الخامسة والسادسة يمكن رسم الحروف الأبجدية، وعلى الرغم من البطء في الكتابة. ويستطيع الطفل أن يجري بسهولة ويتمكن من الوقوف وصعود الدرج دون مساعدة، ويستطيع القفز، وفي سن الخامسة يكون قد اكتسب القدرة على الاتزان، وعمومًا يلعب التكرار دورًا هامًا في اكتساب المهارات الحركية.

- في هذه المرحلة يتدعَّم تفضيل إحدى اليدين في الاستخدام، وبالتالي يجب تشجيع الطفل على استخدام اليد اليمنى، لأن العسر –وهو سيطرة اليد اليسرى- غير مرغوب فيه شرعًا واجتماعيًّا وتعليميًّا.

- تتشكَّل عادات الطعام، وتفضيل بعض الأطعمة في هذه الفترة، ويلاحظ على الطفل نقص شهيته للطعام، وتقل رغبته فيه، وفي نفس الوقت يرغب الوالدان في أن يبالغ الطفل في التغذية، وأسلوب الضغط على الطفل ليتناول الطعام ليس بالأسلوب الناجح، والأفضل البحث عن ألوان من الطعام يفضلها الطفل، وهذا ما استخدمته أم رومان زوجة أبي بكر الصديق، وأم عائشة رضي الله عنهم، تقول عائشة: (أرادت أمي أن تسمِّنِّي لدخول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم أقبل عليها بشيءٍ مما تريد، حتى أطعمتني القِثّاء بالرُّطَب، فسمنت عليه كأحسن السمن) رواه أبوداود وابن ماجة.

* من الأمور التي يُغْفَل عنها مع الأطفال الصغار، أن الوالدين، والكبار عمومًا يتحدثون في حضور الصغار وكأنهم لا يدركون المعاني ولا الأمور المتحدث فيها، والحقيقة أن الأطفال الصغار يفهمون ويدركون الكثير مما يتحدث فيه الكبار أمامهم، ولكنهم لا يقدرون على التعبير عن بعضها، أو يخشون الحديث عنها خوفًا من أن يعاقبهم الكبار. ومن الأمثلة على ذلك: أن الأم تتحدث عن أشخاص معروفين للطفل، وفي حضوره، مع معارفها، أو جارتها، فإذا كان الحديث عن هذه الأشخاص بما يُكره، وكان هذا الشخص قريبًا للأسرة، فإن الطفل لا يحب هذا الشخص ويكرهه، ويظل يكره هذا الشخص لغير سبب ظاهر للوالدين، وقد يكون الحديث عن أحد الوالدين والشكوى منه وتعديد أخطائه وزلاته، فيتسبب ذلك في التقليل من احترام الطفل لهذا الوالد، ويحمل له في نفسه شيئًا من الكره، ويبدأ في التعاطف مع الوالد الشاكي الذي يقع عليه الضرر بناء على ما سمع، وقد تعود العلاقة الحسنة مع الوالدين، وتبقى الآثار السيئة في نفس الطفل الصغير.

* من الواجب على الوالدين الإجابة عن كل أسئلة الطفل الصغير، مهما كانت أهميتها في نظر الوالدين، ومهما كانت تفاهمتها، أو خطورتها، ومهما كانت الشواغل، ويمكن طلب تأجيل الإجابة، ولكن لا تهمل بحال، لأن لذلك خطورته على الطفل، وسوف نتناول هذا الأمر إن شاء الله، عند الحديث عن عقيدة الطفل في فصل العبادات.

***

٧ العشرة الطيبة

[مع الأولاد وتربيتهم]

طفل المدرسة واتساع مداركه وتعدد أنشطته

* التهيئة للطفل قبل يوم دخول المدارس، وواجب متابعته في المدرسة طوال الدراسة.
* ملاحظات مهمة عن مرحلة المدرسة الابتدائية عند الطفل.
* أثر جماعة الأقران الاجتماعي عند الطفل.
* من الحرص ما يقتل المواهب.
* مشاكل المرحلة عند الطفل، وحالاته الانفعالية.
* حب البطولة والتمثل بها في حياة الطفل.
* التعلم والتدريب والتحصيل، وأثر القدوة العملية في التعليم.
* كيفية التعامل مع الطفل النجيب والطفل المبتكر.

تهيئة الطفل لدخول المدرسة ومتابعته طوال الدراسة

* الطفل في مرحلة المدرسة ينتقل من عالم البيت إلى عالم المدرسة، من المحدود إلى الفسيح، من سلطة الوالدين إلى سلطة المعلمين، من اللعب واللهو إلى واجبات ومسؤوليات الدراسة والتَّعلم، من آفاق الحكايات والخيال إلى آفاق المعلومات والتجربة، من التعامل والمخالطة للأسرة ومن يتبعها إلى الرّفاق والمجموعات، من بيئة يغمرها التعاطف والتعاون إلى بيئة يغلب عليها التنافس والتنافر. إنها تحدِّيات مفاجئة تبهر الطفل وتشدّه إلى استجماع قواه لخوض غمار الجديد الواسع بترقب وقلق، إن الأمر يتطلب منه أساليب متوافقة لمسايرة المجتمع الجديد.

- إن الوالدين مع فرحهم ببلوغ الطفل سن الدراسة، ودخوله للمدرسة، ومع إعدادهم له الملابس اللازمة والمناسبة، والحقائب والأدوات، وسبل المواصلات إلى المدرسة، عادة ما ينسون أو لا يتفطَّنون إلى ضرورة إعداد الطفل ذاته وتهيئته لهذه النقلة الضخمة في حياة الطفل، وأثرها على نفسيته ومستقبله، وحتى لو كان سبق للطفل الذهاب إلى دور الحضانة رضيعًا، أو قد أُدْخل إحدى روضات الأطفال قبل المدرسة، فإن المدرسة وما يصاحبها من أجواء ورهبة، أمر يحتاج مع ذلك إلى إعداد الطفل وتهيئته لدخول المدرسة.

- إن الاعتياد والارتياد للمدرسة قبل أول يوم للدراسة بالنسبة إلى الطفل يجعل المدرسة شيئًا مألوفًا إليه عند الدخول فتذهب من نفسه رهبة المكان الجديد، وتعطيه مسبقًا صورةً لهذا الحدث المنتظر والذي يشغل الوالدين، وبالتالي يشغل بال الطفل، وهو دخول المدرسة، إن على الوالدين اصطحاب الطفل معهما، أو مع أحدهما، عندما يقدمون أوراقه في المدرسة، إن دخول الطفل المدرسة، ولأول مرة مع أحد والديه، يزيل من نفسه رهبة المكان وغرابته، بل إن الحديث، في حضور الطفل ومشاهدته، مع المدرسين والقائمين على تسلم الأوراق، يعطي للطفل إحساسًا أن هؤلاء المدرسين الذين يحلَّون محل الوالدين في المدرسة، لهم صلة بالوالدين وسابق معرفة، مما لا يَعد معه اعتبارهم غرباء يتهيَّب منهم،

بـل لـو تمكـن أحـد الوالديـن مـن دخـول نفـس الفصـل الـذي سـيجلس فيـه الطفـل بعـدُ، عنـد تقديـم الأوراق، ومـع الطفـل وإطلاعـه ومـع الـشرح لـه، لـكان ذلـك رائعًـا وجميـلًا بالنسـبة للطفـل، بـل لـو تكـرر ذلـك مـع الطفـل والقيـام بزيـارة المدرسـة خصيصًـا لهـذا الغـرض، لتغيّر الأمـر بالنسـبة إلى الطفـل واشـتاق ليـوم الدخـول للدراسـة.

- مـن الأخطـاء التـي يقـع فيهـا الوالـدان، أو أوليـاء أمـر الطفـل، عـدم الذهـاب إلى المدرسـة أثنـاء فـترة الدراسـة، وبعـد دخـول الطفـل، بـل إن بعـض الوالديـن قـد لا يكـون قـد دخـل المدرسـة التـي قـضى فيهـا ابنـه عـدّة سـنوات، وهـذا الانقطـاع عـن المدرسـة والقائمـين عليهـا خطـأ شـديد الـضرر عـلى الطفـل؛ لأن المدرسـة امتـداد للمجـال الـذي يـتربى فيـه الطفـل، فـلا تخـرج المدرسـة عـن نطـاق مسـؤولية الوالديـن عـن الطفـل، إن شـعور الطفـل باتصـال الوالديـن بالمدرسـة والقائمـين عليهـا، يجعلـه يـدرك أنـه لم ينقطـع عـن أسرتـه ووالديـه، وأنـه يتحـرك تحـت الرعايـة والرقابـة الدائمـة، وهـذا الشـعور يعطيـه الثقـة في نفسـه وفي المـكان ومَـنْ فيـه مـن ناحيـة، ويشـجّعه عـلى الاسـتقامة والاجتهـاد مـن ناحيـة أخـرى، ولوائـح ونظـم المـدارس تعـين أوليـاء الأمـور عـلى التواجـد في المدرسـة، بـل المشـاركة في بعـض الأنشـطة، وإبـداء الآراء والاقتراحـات، وإهـمال هـذا الاشـتراك يشـعر الطفـل بالدونيـة أمـام الأقـران، ويفـرح ويفخـر الطفـل بوجـود أحـد الوالديـن بالمدرسـة، خاصـة لـو تحـدث مـع الناظـر أو المسـؤولين، ولا يكفـي مجـرد الحضـور في المدرسـة، ولكـن يلـزم متابعـة أخبـار الطفـل ونشـاطاته، مـع المدرسـين والأخصـائي الاجتماعـي والطبيـب المـدرسي، للوقـوف عـلى ملاحظاتهـم عـن الطفـل، ومـدى تقدمـه أو تأخـره الـدراسي ومـا يطـرأ عليـه مـن أعـراض عاطفيـة، أو نفسـية، أو مرضيـة، وأن يظـل هـذا الاتصـال طـوال مـدة الدراسـة، واعتبـاره واجبًـا دائمًـا للوالديـن، وليـس في بدايـة دخـول المدرسـة وفقـط.

***

ملاحظات هامة عن طفل المدرسة

١- لا يحتـاج الطفـل عـادة إلى المسـاعدة في أمـور الأكل واللبـس والاسـتحمام، ابتـداء مـن سـن السادسـة، ولكـن بعـض الأمهـات لا يقتنعـن بذلـك، ويسـتمررن في تقديـم نفـس المسـاعدة

للطفـل، وهـذا يؤثـر في اسـتقلالية الطفـل بنفسـه، ويعـوِّده الاعتـماد عـلى الغـير، وكثـير مـن الأطفـال يضيقـون بهـذا التـصرف، ولا يرغبـون فيـه، وقـد يكـون الدافـع لـلأم هـو المسـاعدة وتقديـم الخدمـة والقيـام بواجباتهـا بعاطفـة صادقـة، ولكـن لا بـد أن نفـرِّق بـين مـا هـو عاطفـي مـن التصرفـات، ومـا هـو مطلـوب عقليًّـا وواقعيًّـا، فالطفـل يكـبر في الحقيقـة والواقـع، ويظـل في نظـر والدتـه صغـيرًا دائمًـا.

٢- يتعلـم طفـل هـذه المرحلـة المهـارات الاجتماعيـة، ومنهـا مـا يتصـل بالأعـمال المنزليـة، مثـل تنظيـف الأطبـاق، وكنـس الحجـرات، وترتيـب السريـر، والمسـاعدة في المطبـخ، وتلـك الأعـمال تعطـي الطفـل قـدرًا كبـيرًا مـن السـعادة، كـما تعطيـه شـعورًا بأهميـة ذاتـه، ولا يراهـا عبئًـا وواجبًـا عليـه فيتـضرّر منهـا، بـل يفـرح بهـا ويحـرص عليهـا. وللأسـف أن بعـض الأمهـات تفـوِّت هـذه الفرصـة المواتيـة لتعليمـه وتدريبـه حتـى يكـبر الطفـل فينشـغل عـن ذلـك، ويرفـض القيـام بهـذه الأعـمال ويراهـا عبئًـا يتخلّـص منـه، وقـد يدفـع بعـض الأمهـات إلى عـدم السـماح للطفـل بالقيـام بهـذه الأعـمال، أو لا يطلبـون منـه أصـلًا القيـام بهـا، إمـا للشـفقة عليـه، أو لاعتقادهـا أن ذلـك واجـب الكبـار فقـط، أو للخـوف عـلى الأشـياء مـن الكـسر أو الإفسـاد.

٣- ينتقـل الطفـل ببـطء مـن كائـن متمركـز حـول ذاتـه، أنـاني، في صراع مـع الآخريـن مـن أجـل نفسـه، إلى كائـن اجتماعـي متعـاون ومتوافـق مـع جماعـة الأقـران، فهـو في المرحلتـين السـابقتين، كانـت علاقاتـه مـع الآخريـن، طلـب الانتبـاه لـه، والحـب والرعايـة والحمايـة مـن الوالديـن، وكان مـع الأطفـال الآخريـن يعتـبر كل مـا عنـدم هـو لـه، أو يجـب أن يكـون لـه، والمشـاركة عنـده هي مسـاومة عـلى أشـياء، ولكنـه عندمـا يبلـغ سـن السـادة، يكـون أكـثر اهتمامًـا بحقـوق الآخريـن ومشـاعرهم، ولكنـه لم يصـل بعـد إلى منزلـة المعطـى، فقـد يتوقـف عـن الاسـتيلاء والأخـذ، ولكـن لا يـزال العطـاء منـه صعبًـا عليـه.

٤- المهـارات الحركيـة تلعـب دورًا هامًـا في هـذه المرحلة، بـل تؤثر في نجاحه المـدرسي والاجتماعي، وفي لعبـه مـع الأقـران، وغـير ذلـك مـن متطلبـات المرحلـة، والطفـل الـذي يضعـف عنـده النمـو الحـركي عـادة ينسـحب مـن الجماعـة، وتتكـون عنـده اتجاهـات سـلبية نحو نفسـه، ونحـو الحياة الاجتماعيـة. فكـثرة الحركـة، وشـدّة النشـاط عنـد الطفـل مطلـوب لذلـك كلـه، وذلـك أمـارة عـلى

النمـو الطبيعـي بـلا مشـاكل، وهـو أيضًـا علامـة عـلى التَّوافـق الاجتماعـي، ودليـل عـلى رضـا النفـس والصحـة النفسـية عنـد الطفـل. وكثـير مـن الأمهـات يشـتيكن مـن الطفـل السـوي الـذي يكـون هـذا شـأنه، ويطلقـون عليـه لفظًـا غـير مناسـب، فيقولـون –طفـل شـقي- والأفضـل أن يقولـوا طفـل نشـيط، أو زائـد النشـاط، بـل إن بعـض الأمهـات يمنعـن الطفـل مـن الحركـة واللعـب والنشـاط، تأديبًـا وتربيـة لـه، في ظنهـن، بـل يخطـئن فيطلقـن عـلى الطفـل السـلبي الانطـوائي –ولـد مـؤدَّب- وهـنّ لا يعلمـن أنـه طفـل غـير سـوي مـن جهـة الأدب والتربيـة.

- وتتفـوق البنـات عـلى البنـين في المهـارات التـي تشـتمل عـلى العضـلات الدقيقـة، مثـل: الرسـم، والخياطـة، والنسـيج والتريكـو، ويتفـوّق البنـون في المهـارات التـي تشـتمل على العضـلات الغليظة مثـل: لعـب الكـرة، والجـري، وقفـز الحواجـز. ومعظـم الحـوادث تقـع لطفـل هـذه المرحلـة خـارج المنـزل، عكـس المرحلـة السـابقة، وخاصـة للذيـن يتَّسـمون بالاندفاعيـة، أو بالقلـق.

- مـن الهوايـات التـي تـروق للطفـل في هـذه المرحلـة، جمـع الأشـياء، فيمكـن توجيهـه وتعويـده الادِّخـار، وحفـظ الأشـياء النافعـة وتنظيمهـا وترتيبهـا حتـى يتعـوَّد النظـام والترتيـب فيـما بعـد في حياتـه، كـما يمكـن توجيهـه إلى هوايـة جمـع طوابـع البريـد وتصنيفهـا، وغـير ذلـك كجمـع صـور الحيوانـات، والفراشـات، والأسـماك، والزهـور، وخرائـط البـلاد والأنهـار. وعـلى العمـوم فـإن الطفـل في سـن المدرسـة، تتنـوّع ميولـه، وألعابـه، ويـزداد فهمـه ورغبتـه في مخالطـة النـاس، ومعرفـة الأشـياء التـي لم يكـن لـه اهتـمام بهـا قبـل، ولا تعنيـه.

٥- تصـل أسـئلة الطفـل إلى قمتّهـا خـلال هذه الفـترة، وخاصـة في الصفّين الثـاني والثالـث الابتدائي، ومعظـم هـذه الأسـئلة مـن نـوع: لمـاذا؟ والمطلـوب مـن الوالديـن خاصـة، ومـن المعلمـين إجابـة الطفـل عـلى مـا يسـأل عنـه الطفـل، وشرح مـا يغمـض عليـه مـن الأمـور؛ لأن الامتنـاع عـن الإجابـة، لا يُنهـي التسـاؤل مـن نفـس الطفـل، بـل يزيـده إصرارًا عـلى معرفـة هـذا الأمـر، وقـد يُـرْضي نفسـه في هـذه الحالـة بإجابـة خاطئـة مـن عنـد نفسـه، وتظـل كفكـرة راسـخة في النفـس، تشـوِّش عليـه الحقائـق والمبـادئ التـي يسـلك في سـلوكه عـلى مقتضاهـا، فـإذا كان هـذا الغمـوض الـذي أراد أن يسـتوضحه في أمـور الديـن والأخـلاق، فـإن عـدم إجابـة الطفـل عـلى أسـئلته، يكـون لهـا آثـار ضـارة فيـما بعـد.

- قد تكون أسئلة الطفل من البساطة، أو التفاهة بالنسبة للوالدين بحيث لا يأبهون لها، ولكنها قد تكون غالبًا عند الطفل هامة وشاغلة لذهنه. فلذلك يجب الإجابة عنها والإنصات لها، لتشجيعه على التساؤل، وهو أداة هامة للعلم والتعلم، كما أن احترام أسئلته بالاستماع والإجابة يعطيه ثقة في نفسه، كما يعوِّده على احترام السماع للآخرين. ومن ناحية أخرى قد تكون أسئلة الطفل في غاية من الأهمية، أو الخطورة، وفي هذه الحالة يجب أن يجاب عن كل هذه الأسئلة، حتى ولو لم يكن يدرك الطفل أهميتها أو خطورتها، وحتى لا يتوقف عندها ويتفطَّن لها بطريقته في هذه السن غير المناسبة، لأن إهمال الإجابة لا يجعل الطفل يهملها عند نفسه حتى ولو طلبنا منه أن يهملها، وينطبق هذا الأمر على الأسئلة التي نصنِّفها تحت بند -العيب- فكلها يجب الإجابة عنها، ويمكن توضيح ما فيها من -العيب- إن كان لذلك مقتضى، وبأسلوب يفهمه الطفل. وسوف نتناول المسألة بالأمثلة إن شاء الله في فصل عبادات الطفل.

- مما يطرأ على الطفل في هذه المرحلة، أنه يستطيع التفكير باستخدام المعلومات التي يدركها إدراكًا مباشرًا، كما يستطيع أن يتصور ذهنيًّا سلسلة أحداث عن الماضي، والحاضر، والمستقبل، وهذا يمكننا في التعامل معه أن نذكره بأخطائه السلوكية الماضية، ويفهم عندئذ الربط بين العقاب في الماضي على مثل هذا الخطأ، ويربط بين العقوبة والخطأ لو وقعت منه مستقبلًا، فيمكن تنبيهه حتى يتجنَّبها.

- والطفل في هذه المرحلة يدرك معنى الموت، ولكن بلا اهتمام كبير بما يحدث بعده، وقد لا يشغله منه سوى الخوف من اختفاء الأشخاص الذين يحبهم من حياته. كما أنه يدرك ذاته من خلال المعلمين والأقران، بجانب رؤيتها من خلال الوالدين، بعد أن لم يكن يراها إلا من خلال الوالدين فقط. كما يدرك بوعي الفروق الجنسية، والأدوار الجنسية، ولذلك جاء في الحديث الشريف «**فرِّقوا بين مضاجع الغلمان والجواري، والإخوة والأخوات، لسبع سنين**» رواه البزار.

- يمارس طفل هذه المرحلة الفكاهة، ولكن بأسلوب فجٍّ، ولأنه لا يدرك سوى سِمَة أو اثنتين من صفات الأشياء والأشخاص، وليس إدراكًا كلِّيًّا، مما يجعل حكمه على الأمور ناقصًا،

وكثيرًا ما يكون مضحكًا. وفي هذه المرحلة يدرك أن لأمِّه أدوارًا أخرى خلاف دور أمومته.

- يغلب على الطفل انتقاد الآخرين والسخرية منهم، ويلجأ في ذلك إلى صور الشكوى للكبار وتقديم الاقتراحات، ومع الأقران تأخذ شكل المضايقات والسباب والسخرية.

- يحظى الطفل أثناء مرضه بالاهتمام، ويعفى من القيام بواجبات المدرسة والأنشطة المعتادة، ويتحرّر من القيود، لذلك فإنه يلجأ إلى المرض أو التمارض كحيلة هروبية حين تنشأ ظروف لا يرغب فيها، أو يطلب منه عمل لا يحبه.

٦- يتعلم طفل هذه المرحلة أن الصُّراخ ليس مقبولًا اجتماعيًّا، ويكتشف أن الكلام وإتقانه أداة هامة للتقبل الاجتماعي، فهو يحاول تحسينه بجانب ما أضافته قراءته من المحصول اللغوي. ويقدّر عدد الكلمات التي يعرفها طفل ينهي الصف الأول الابتدائي، ما بين عشرين إلى أربعة وعشرين ألف كلمة، وهي حصيلة تقترب من ستة في المائة من كلمات معجم عادي، ويبلغ محصول طفل في الصف السادس إلى حوالي خمسين ألف كلمة. ويلاحظ تفوّق البنات في المحصول اللغوي، وفي القدرة على التعبير عن المعاني، والطفل يفهم معاني كثيرة ولا يستطيع أن يستخدم لها ألفاظًا من عنده. وعمومًا تحدث طفرة في محصول الطفل اللغوي في سنوات ما قبل المدرسة، وخلالها.

- ابتداء من سن العاشرة تقريبًا وحتى سن المراهقة والبلوغ، تظهر في حياة الطفل ما يسمى باللغة السرية، وهي تتألف من رموز ورسوم يصطلح عليها بين مجموعة من الأطفال، وقد تكون بالحركات والإشارات، والإيماءات، والبنات أكثر استخدامًا لهذه اللغة، ويقضي الأطفال أوقاتًا طويلة في تأليفها، وتكون هي لغة الاتصالات بين المقربين والأصدقاء حين يرغبون في التعبير عن أفكار وأمور يخفونها عن الكبار.

- أحب ما يتحدث فيه طفل هذه المرحلة، حول خبراتهم الخاصة، وحياة الأسرة والمنزل، وعن الألعاب الرياضية واللُّعَب الخاصة به، وعن الجنس والأعضاء التناسلية، وعن الحوادث، ويحلو للأطفال التحدث بعيدًا عن أنظار وأسماع الكبار.

- الطفل لديه ميل للتحدث بصوت مرتفع، وخاصة الذكور؛ لاعتقادهم أن التحدث بصوت خفيض -أنوثة- وليونة.

- التَّهْتَهَـة، واللَّجْلَجَـة، وغـير ذلـك مـن عيـوب الـكلام، يمكـن بالتدريـب القضـاء عليهـا، وإذا لم نتعاهـد الطفـل المصاب بهـا بالعنايـة والتدريـب، تظـل عيبًـا يصعـب علاجـه فيـما بعـد، ومـردّ هـذه العيـوب اللسـانية عنـد الطفـل إلى التوتـر العصبـي في المراحـل الأولى للـكلام، وتـزداد عنـد دخـول المدرسـة، بسـبب الارتبـاك، وخاصـة عندمـا يضحـك عليـه زمـلاؤه.

***

جماعة الأطفال وأثرها الاجتماعي

* طُوال فـترة المدرسـة الابتدائيـة، تتزايـد الرغبـة عنـد الطفـل في الانتـماء لجماعـة مـن الأطفـال، ويكـون لديـه حـرص ورغبـة في الحصـول عـلى تقبُّـل هـذه الجماعـة لـه، يسـتوي في ذلـك البنـون والبنـات. وفي المدرسـة، ومـع الأقـران جميعًـا، وخاصـة جماعـة الأطفـال، يتطبّـع الطفـل بالاجتماعيـة، لحاجـة اللعـب معهـم والدراسـة والنشـاط المـدرسي عمومًـا. ويتقـدّم الطفـل خـلال هـذا الوسـط اجتماعيًّـا بالخـروج مـن ذاتيّتـه ومحدوديَّتـه في المراحـل السـابقة، ويبـدأ في صحبـة طفـل آخـر ويتسـامح معـه فيـما لم يكـن يتسـامح فيـه قبـل ذلـك، رغبـة في اسـتبقاء صحبتـه وتقبلـه لـه، ثـم يبـدأ مـع الآخريـن في تـرك المعارضـة والعنـاد مـع أقرانـه، وإن كان عنـاده يظهـر في شـكل جديـد بديـل يكـون مـع الكبـار، لأنـه أصبـح يتمـرّد عـلى السـلطة، ولتأكيـد ذاتـه التـي رأت أن لهـا دورًا في الوجـود.

- يبـدأ الطفـل في قضـاء وقـت أكـبر خـارج البيـت، وحيـث يقضيـه مـع جماعـة الأطفـال الجديـدة، وهـذه الجماعـات الصغـيرة، محـدودة النشـاط في اللعـب فقـط وبعـض اللهـو الـبريء، وأخطـاء أفرادهـا غـير مقصـودة، ومـن الصعـب فـرض طفـل عـلى هـذه المجموعـة، أو اختيـار مجموعـة لينخـرط فيهـا طفـل، لأن هـذه المجموعـات هـي التـي تختـار نفسـها، وقـد تسـتمر علاقـة هـذه المجموعـة لعـدّة سـنوات.

- جماعـات الذكـور تكـون أكـبر عـددًا نسـبيًّا مـن جماعـات الإنـاث، وتنشـغل جماعـة الذكـور بلعـب الكـرة والألعـاب العنيفـة. بينـما تكتفـي جماعـة الإنـاث بممارسـة بعـض الألعـاب الخفيفـة، أو مجـرّد الجلـوس معًـا، والتحـدّث بعضهـن إلى بعـض، وعـادة مـا يكـون ذلـك في بيـت إحداهـن،

إذا سُمح لهن بذلك، والمطلوب من الوالدين السماح لهن بالجلوس في البيت لإشباع الحاجة عندهن تحت الأنظار، أما الذكور فيتّخذون لهم مكانًا محدَّدًا بعيدًا عن رقابة الوالدين.

- تكون الرفقة المفضلة هي لنفس الجنس، وقد يحدث عداء للجنس الآخر قُبَيل فترة البلوغ، ولكن الذكور أكثر موضوعية في نظرتهم من الإناث، حيث يغلب على الإناث الطابع الانفعالي نحو الذكور، لشعورهن بالضيق نتيجة لمقدار الحرية الأكبر المسموح به عادة للذكور دون الإناث، ولإحساس البنت بأنها أكثر نضجًا من الولد، لأن بلوغها يسبقه، وعادة ما يختار الطفل رفيقًا وصديقًا يجده مشابهًا له من بين زملائه في المدرسة، أو من جيرانه، والسِّمة التي يفضلها المعظم في هذا الرفيق، هي سمة المرح، والتعاون، والكرم، ومن لا يكذب، وما يسمونه بالروح الرياضية، وهي التسامح.

- أثر هذه الجماعات الصغيرة كبير في طفل هذه المرحلة، لأنه يساير المعايير التي تحدِّدها تلك المجموعات، وحتى يبقى له القبول فيها، وعادة ما تَتَشَابه أفراد المجموعة في الآراء وأنماط السلوك والمظهر، فإذا تعارضت معايير البيت والوالدين مع معايير جماعته، فالغالب هو مسايرة معايير جماعته لحرصه عليها.

- من الآثار الصالحة لاندماج الطفل في مثل هذه المجموعات، أنه يتعلم التنافس والتعاون مع الآخرين، ويتحمل المسؤوليات التي تكلفه به مجموعته، كما أنه يتعلم مشاركة الآخرين مشاعرهم، ويتقبّل حالات الفشل، أو النجاح معهم، وهذه الآثار لها أهمية كبيرة في مستقبل حياة الطفل، ولذلك يجب أن نتغافل، ونتغاضى عن توتّر العلاقة مع الوالدين والطفل أحيانًا، بسبب تلك المجموعات، والأفضل إرخاء العنان للطفل ليساير مجموعته بالقدر الذي يشبع حاجته، بلا تمادٍ في تركه معهم طويلًا، أو تركه بلا توجيه ورقابة، ومن وَرَاءَ وَرَاءَ.

- يصل التحيُّز لجماعة الطفل إلى أقصى حدّه في سن الحادية عشرة، ويتعامل أفراد كل مجموعة مع أفراد المجموعات الأخرى بقسوة وعداء، على أنهم ليسوا أصدقاء، لأن مفهوم الصداقة عندهم هو لأفراد جماعته فقط، وما عداهم يحكم عليهم بالعداء، فلا يسمحون لغيرهم بمعرفة أسرارهم، ولا يسمحون بالانضمام إليهم، ومع هذا فكثيرًا ما يتخاصم أفراد

الجماعة، ثم يعودون بسرعة لصداقتهم، ويكون هذا الخصام لأتفه الأسباب.

- يظهر في كل مجموعة أطفال (قائد) منهم ذو خصائص طيبة يعجب بها الأطفال الذين يقدرون البطل، ومن يحظى بهذا الاحترام بينهم يتميز عادةً بالذكاء، والمرحَ والثقة بالنفس، والقدرة على النشاط البدني، والاتِّزان الانفعالي، والاهتمام بالآخرين، ولذلك عادة ما يتجاهل الفريقُ الطفل الهادئ المنطوي مهما كانت صفاته الممتازة.

***

من الحرص ما يقتل المواهب

* اللعب في هذه المرحلة، بجانب دوره السابق في المرحلة السابقة، يؤدي دورًا هامًا، لأنه المتنفَّس المشروع للطاقة الهائلة والزائدة عند طفل المدرسة، وهو وسيلة للتعبير عن الانفعالات العميقة عند الطفل، واللعب في نفس الوقت هو الوسيلة المقبولة للاستمتاع والسرور والسعادة. ومن خلال اللعب تنمو مهارات الطفل، ومنها مهارة التفكير، ويمثل اللعب خبرة الطفل في سُلّم النمو الاجتماعي، وحينما يصل سن الطفل العاشرة، تصير ألعابه من النوع التنافسي، ويقصد التفوق وليس مجرد المتعة والسرور.

- الضحك والقهقهة والجري والقفز والارتماء على الأرض، كلها تعبيرات الفعالية، وتدل على سرور الطفل، وأنه سعيد ومتوافق. أما إذا انقلب مزاج الطفل الذكر فيلجأ إلى تقطيب الجبين والعبوس وتقليل الحركة، وأما البنت فتلجأ في هذه الحالة إلى البكاء. ويكثر عند الطفل الذكي شديد التَّفوُّق، الانفعالات غير السارة عادة أكثر من غيره، ولعل تقييد نشاطه في اللعب، من الوالدين، بسبب حضه على التحصيل العلمي بقدر أكبر، لأنهم يتوقعون منه التَّفوّق، هو ما يكون وراء هذه الانفعالات، وهذا يسبب بجانب ذلك للطفل القلق، وقد يعاني من الإحباط. والنصح للوالدين في مثل هذه الحالة، أن يتركوا للطفل الذكي المتفوِّق، الوقت المناسب ليمارس اللعب، وخاصة مع أقرانه، ويكفي تفوُّقه، فلا يعاقب بالحرمان من اللعب الكافي لذكائه وتقدمه الدراسي، بل مثل هذا الطفل يكفيه التوجيه حتى تنمو خصائصه ومواهبه بطريقة عادية، فإن من الحرص ما يقتل المواهب.

انفعالات ومشاكل طفل المدرسة

* لكل مرحلة في حياة الطفل انفعالات تتميَّز بها، وأغلب ما تتميّز به مرحلة المدرسة، الغضب، والخوف، والغيرة، وحب الاستطلاع. ويجب على الوالدين والمعلمين مراعاة هذه الانفعالات عند الطفل، عند حديثهم مع الطفل، أو عند حكاية الحكايات والأحداث، وعند التعامل بصفة عامة، حتى تمر هذه الانفعالات، وهذه المرحلة بدون تخليف آثار ضارة تبقى مع الطفل عندما يبلغ المراحل التالية.

- فالخوف قد يكون مصدره الحديث عن الظلام والعفاريت، أو مشاهدة وسماع الأفلام المرعبة، وقد يكون وراءه خوف فقد أحد الوالدين بالموت وما يرتبط به من غيابهما عنه غيابًا مبهمًا ومفاجئًا، نتيجة لسماعه الحكايات عن موت أشخاص تركوا أبناءً صغارًا، وقد يكون الطفل يعرف أشخاصهم، فيتوقع دائمًا حدوث ذلك له بموت والديه، وأنهم سيتركونه مثل هؤلاء الأطفال. وكذلك يخاف الطفل من الفشل في المدرسة، أو أية مهام من المهام الجديدة في حياته المدرسية، خاصة أن الطفل يكون حريصًا، ويحاول أن يظهر أمام أقرانه، بأنه لا يخاف من شيء ويتكتَّم أي خوف عنده حتى لا يعرف عندهم أنه – خوَّاف.

- وأما قلق الطفل فمصدره عنده من المشكلات المدرسية، والمشكلات المرتبطة بتوافقه الاجتماعي. فالاختبارات المدرسية، والخوف من التخلّف الدراسي، والتأخير عن مواعيد المدرسة، وبصفة عامة، كل ما له أهمية عند الوالدين، أو عند جماعة الطفل يكون مَدْعاة للقلق والتوتر، وتزيد حدَّة القلق عند البنات عنها عند الذكور، فواجب الوالدين أن يعتدلوا فيما يتوقعونه من الطفل الصغير، من نجاحات وتقدم، وألا يرهقوه بالحديث عن الخوف من الفشل في الدراسة، أو عن التفوّق الواجب أن يحرزه الطفل وألّا يفقدوا هم أعصابهم أثناء فترة الاختبارات، فينعكس ذلك كله على شعور وأعصاب طفل صغير مرهف الشعور، ضعيف الأعصاب، قليل الحيلة أمام المشاكل.

- يغضب الطفل لأتفه الأسباب، وأحيانًا بلا سبب مفهوم، وأكثر ما يغضبه في هذه المرحلة، كل ما يقف أمام رغبته في الاستقلال بنفسه في كل أموره، فيغضب عندما تتعرض هذه

الرغبـة للإحبـاط، كـما يغضبـه النقـد لأي شـأن أو عمـل يقـوم بـه، كـما يغضـب عندما يقـارن بينه وبـين باقـي الأطفـال، إذا رأى هـذه المقارنـة ليسـت لصالحـه، ويغضـب لأيـة مقاطعـة لـه أثنـاء اندماجـه في عمـل ونشـاط، كـما يغضبـه اتهامـه بالكـذب، أو حـين يعاقـب عـلى أمـرٍ هـو منـه بـريء. وواجـب الوالديـن مراعـاة تلـك الأحـوال عنـد الطفـل، لأن الأم عـادة تتعامـل مـع الطفـل بالنظـر إلى جهـة واحـدة فقـط، هـي مـا تـراه وتطلبـه، وتنـسى أن الطفـل ليـس أداة اسـتقبال لرغباتهـا ومـا تطلبـه منـه فقـط، بـل هـو إنسـان صغـير فقـط، إلا أن لـه نفـس مـا لهـا مـن مشـاعر ورغبـات وانفعـالات، بـل وهـذه المرحلـة هـي التـي يتأسَّـس فيهـا عنـد الطفـل، الكثـير مـن القواعـد السـلوكية والقيـم والآداب الاجتماعيـة، ويتـدرب خلالهـا عـلى اكتسـاب المهـارات مـن خـلال مـا يؤدِّيـه ويعتـاده مـن عمـل. واسـتقلال الطفـل بكثـير مـن المهـام، والإيجابيـة والمبـادأة، وعـدم الاعتـماد عـلى الآخريـن، فهـذا وقتـه الواجـب معاونـة الطفـل بتكليفـه بالأعـمال التـي يمكـن أن يؤديهـا، ويجـب تشـجيعه عـلى القيـام بهـا، والتقليـل مـن شـأن الفشـل الـذي قـد يصـاب بـه، ويجـب أن نقـدم لـه التقديـر الـلازم لـكل مـا يقـوم بـه.

- الغـيرة شـأن فطـري في النفـس، وتُحمـد وتُـذم في غـير حـالات الاعتـدال، ولكنهـا عنـد الطفـل تدفـع إلى المنافسـة المحمـودة، وزيادتهـا تدفـع إلى التنافـر والتشـاجر، والطفـل ينقـل مـا كان عليـه مـن الغـيرة لإخوتـه في البيـت، إلى زملائـه بالفصـل، أو جماعتـه في اللعـب، ويقـع تحاسـد الأطفـال عـلى الأكـثر تفوُّقًـا بينهـم، والأكـثر شـعبية مـن بـين الأقـران، لذلـك لا يفضـل الإكثـار مـن الحديـث والمقارنـة بـين الطفـل وبـين أحـد مـن إخوتـه، أو زملائـه؛ لأن ذلـك يدفعـه إلى عـدم تقبلّـه وكراهتـه، بـدلًا مـن أن يدفعـه لمنافسـته، ويقولـون: إن الاعتـدال محمـود ولـو في كراهـة الحسـود.

- مـن التغـيّرات التـي تحـدث للطفـل في هـذه المرحلـة، أن تقديـره لنفسـه يصبـح كبـيرًا، حتـى أنـه لا يحـب أن يعاملـه الكبـار باعتبـاره طفـلًا، فـلا يحـب أن يحتضنـه أحـد، أو يقبِّلـه أحـد، ولـو كان أحـد الوالديـن، وخاصـة في وجـود آخريـن، كـما لم يعـد يرتـاح أن ينـادى عليـه باسـم الدلـع الـذي كان يحبـه في المرحلـة السـابقة، ويحـب أن ينـادى عليـه بمـا ينـادى بـه الكبـار.

- ينتـاب الطفـل مـن وقـت لآخـر نوبـات عنيفـة انفعاليـة، يكـون معظمهـا مـن عـدم تقديـره

والاهتمام به، أو من الصعوبات التي تواجهه، ومع هذا فالغالب عليه انفعال الفرح والسرور، ويهتم بالفكاهة والتلاعب بالألفاظ.

- يختار الطفل شخصًا يحبه ويقضي معه معظم الوقت، وغالبًا ما يكون غير والديه، ويختاره من بين إخوته، أو أحد أقاربه، أو من رفقائه، ويكون من صفات هذا الشخص، تلبيه طلباته ومساعدته، وأما الوالدان فيرغب في عنادهما والاستقلال عنهما.

***

حب البطولة في حياة الطفل

* طفل المدرسة يحرص ويسعى إلى الاتصاف بالصفات الشخصية التي تقبلها جماعته من أقرانه في اللعب، وعلى أمل أن يتقبلوه دائمًا بينهم، وفي نهاية المرحلة يبدأ في اختيار شخصية يتمثلها في كل مواقفه، وهذه الشخصية قد تكون تاريخية، أو ممن يسمع عنها، فيعتبرها المثل في حياته، وعادة ما تكون من مشاهير التاريخ، أو مشاهير نجوم الفن أو الرياضة، أو القادة السياسيين، وهو ما يطلق عليه -حب البطولة- ويجب على الوالدين والمعلمين استثمار هذا التَّوَجُّه عند الطفل وتحبيبه إلى الشخصيات الوطنية والدينية والقادة التاريخيين والأبطال الفاتحين، حتى يتخذ منهم المثال المختار له من بينهم، فيتمثله في حياته.

- يحرص الطفل على الحصول على تقدير من حوله، بإنتاج شيء ما، يروق في نظر الكبار، وهذا يعطيه شيئًا من الرضا النفسي، ويزيده حرصًا على المثابرة في الأعمال حتى تكتمل، أو إتقان مهاراته حتى يحصل على الإعجاب من الآخرين. ولكنه في نفس الوقت يشعر بمرارة الفشل إذا لم يحرز النجاح في هذا الإنجاز، وقد يشعر بنقص كفاءته إذا تكرر ذلك الفشل، وللخروج من ذلك، وحتى نشبع عنده حاجته إلى التقدير، فيدفعه ذلك إلى التفوق واكتساب المهارات، يحسن أن نتيح للطفل أعمالًا ومهامًا نعرف مسبقًا قدرته على إنجازها، ثم نشجعه حتى يؤديها، ثم نثيبه عليها، إما بالمدح أو بتقديم الجائزة له عن عمله، فيشعر بالنجاح ويحب أن يكون ناجحًا دائمًا، ويراعى اختيار الأعمال والمهام التي تكون

محبّبة لديه، كما يجب أن نحذر الحكم بالتفاهة على إنجازاته، أو بعدم أهميتها، بل يلزم إبداء الاهتمام له وبكل ما يقدمه لنا أو يعمله، وأن نثني على أعماله، حتى يشعر بأنه قام بعمل ممتاز، أو أنه أدّى مهمة كبيرة، لأن مفهومه عن نفسه يتكوَّن من تقديرات الآخرين، وخاصة الوالدين والمعلمين، ومن جانب آخر، لأن الطفل يرى في كل ما يقدمه ويؤديه إنجازًا عظيمًا يستحق التقدير والانتباه، فيصدم من الحكم عليه بعكس ذلك.

***

مرحلة الإدراك والتحصيل

* أنسب وأنجح فترة للتعليم والتدريب، هي فترة التعليم الابتدائي، وفيها يتأسَّس عند الطفل معظم قواعد السلوك والمفاهيم والمبادئ والعادات، وخلالها تنمو عقليته وشخصيته ويتسع إدراكه، وهي المرحلة التي تبنى عليها المراحل اللاحقة، فالعناية بتعليم الطفل وتدريبه وتوفير كل ما يلائم تحقيق هذا الهدف، يجب أن يعمل له الولدان، وأن يكون عونًا له على النجاح اللازم، وتحقيق أفضل استيعاب علمي، نظريًّا وعمليًّا، طبقًا لقدرات الطفل، من غير إجهاد له وإرهاق مُضنٍ، ولا تساهل يفوِّت على الطفل إحراز التحصيل والنجاح الذي يتناسب مع قدراته. روى الطبراني في المعجم الكبير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل الذي يتعلم العلم في صغره، كالنَّقش على الحجر، ومثل الذي يتعلم العلم في كبره، كالذي يكتب على الماء»، فهذا تحضيضٌ على تحصيل العلم في مرحلة الطفولة، حيث الشواغل منتفية، والحواس منتبهة ومستعدة، والذهن خالٍ ولا تزاحم فيه، والقلب رقيق يتأثر، والذاكرة في قوتها لم يصبها الكلال ولا الملل.

* وعمليًّا كان الأوّلون المعلِّمون للبشرية جمعاء، تحضر الأطفال الصغار مجالسهم العلمية بجانب الكبار، حيث كان كل الكبار معلمين للصغار، روى سَمُرة بن جندب رضي الله عنه قال: «**لقد كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غلامًا، فكنتُ أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أن ها هنا رجالًا هم أَسَنُّ مني**» رواه البخاري ومسلم. وعن

ثابت البناني رحمه الله قال: كنت عند أنس رضي الله عنه، وعنده بنت له، فقال أنس: «جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تعرض عليه نفسها، فقالت: يا رسول الله، ألك بي حاجة؟ فقالت بنت أنس: ما أَقَلَّ حياءها، واسوأتاه، واسوأتاه، فقال أنس: هي خير منك، رغبت في النبي صلى الله عليه وسلم فعرضت نفسها عليه» رواه البخاري والنسائي، وأنس بن مالك رضي الله عنه كان له مجلس علم يشهده طلاب العلم منهم ثابت الراوي رضي الله عنه، وها هي ابنة أنس تحضر المجلس وتناقش فيه مسائل العلم.

***

التعليم بالعمل والقدوة

* التعليم بالإلقاء والتحديث، وكذلك بالمطالعة والقراءة، يفيد في تحصيل المعلومة، ولكن ذلك وحده لا يفيد كثيرًا إذا لم يصاحب الشرح والتفهيم، وبوسائل الإيضاح وعرض النموذج العملي التَّطبيقي، وكذلك لا بد من رؤية القدوة عمليًّا في حياة الطفل حتى تتأكد عنده المعلومة، والمعنى، ويصير لديه القناعة بها، وبأهميتها، فإذا تعارض المعنى النظري الذي حصَّله الطفل، مع التطبيق العملي الذي يراه حوله، وخاصة من الأشخاص المهمين في حياته، كالوالدين، والمعلمين، فإنه يسلك سلوك القدوة العملية، ويُنَحِّي المعلومة النظرية المخالفة للسلوك، وفي ذلك من الأضرار ما لا يخفى، وأشدّها ضررًا أن يعتاد أن يسلك ويعمل غير ما يعتقد ويعرف، وألا يثق بنفع العلم والمعلمين.

- روى أبو داود «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ بغلام يسلخ شاةً وما يحسن، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: تنحَّ حتى أريك، فأدخل يده بين الجلد واللحم، فدخس بها حتى دخلت إلى الإبط، ثم مضى فصلى للناس، ولم يتوضأ» والدخس: الدس. وهذا نموذج عملي للتعليم وإرشاد الصغير، والتدريب العملي في أداء الأعمال، ونقل الخبرة عمليًّا للصغير، مع المعاونة والتواضع من غير زجرٍ وتوبيخ.

- عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: **«دعاني أبي، عليٌّ، بوضوء، فقرَّبْتُه له، فبدأ فغسل كفَّيْه ثلاثًا، قبل أن يدخلها في الوضوء، ثم مضمض ثلاثًا، واستنشق ثلاثًا، ثم غسل**

وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثًا، ثم اليسرى كذلك، ثم مسح برأسه مسحةً واحدةً، ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاثًا، ثم اليسرى كذلك، ثم قام قائمًا، فقال: ناولني، فناولته الإناء الذي فيه فضل وضوئه، ثم شرب من فضل وضوئه قائمًا، فعجبت، فلما رآني، قال: لا تعجب، فإني رأيت أباك النبي صلى الله عليه وسلم يصنع مثل ما رأيتني صنعت، فأحببت أن أريكم كيف كان طهور النبي صلى الله عليه وسلم» رواه النسائي وأبو داود والترمذي. فهذا نموذج للتعليم العملي، مع الشرح والتوضيح والرَّدّ على التساؤل، مع إشراك الصغير في الأداء.

- عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما، وكان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «**كنت غلامًا في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله: يا غلام، سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك، فما زالت تلك طعمتي بعد**» رواه البخاري ومسلم، تلك طعمتي بعد، أي طريقتي في تناول الطعام. وهذا نموذج على تصحيح الخطأ في الأداء والفعل، أثناء أداء العمل عمليًّا، وجعل الصغير يصوِّب خطأه بنفسه، ويعرفه، لذلك كان له الأثر في نفسه، فانتفع به طوال حياته.

- عن عمر بن أبان رضي الله عنه قال: «**أراني أنس بن مالك رضي الله عنه الوضوء، أخذ ركوة -إناء- فأدارها عن يساره، فَصَبَّ على يده اليمنى فغسلها ثلاثًا، ثم أدار الركوة على يده اليمنى فغسلها ثلاثًا، فمسح برأسه ثلاثًا، وأخذ ماءً جديدًا لصماخِهِ -أذنه- فمسح صماخه، فقلت: قد مسحت أذنيك؟ فقال: يا غلام إنهما من الرأس، ليس هما من الوجه، ثم قال: يا غلام، هل رأيت؟ وهل فهمت؟ قال: هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ**» رواه الطبراني.

- وهذا نموذج للتعليم والتوثيق للمعلومة، والتَّحقُّق من مشاهدة الصغير للأداء والشرح، والتأكد من الفهم والاستيعاب لما عُرِض، مع الإجابة عن الغامض وما يسأل عنه.

- عن الأخضر بن معاوية قال: «كنتُ مع معقل بن يسار رضي الله عنه في بعض الطرقات، فمررنا بأذى، فأماطه عن الطريق، فرأيت مثله، فأخذته فنحيته، فأخذ بيده فقال: يا ابن أخي: ما حملك على ما صنعت؟ قلت: يا عم رأيتك صنعت شيئًا فصنعت مثله، فقال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أماط أذى من طريق المسلمين، كُتب له حسنة، ومن تقبَّلت منه حسنة، دخل الجنة» رواه الطبراني بإسناد حسن. وهو نموذج للتعليم بالقدوة مع التوثُّق من فهم الصغير لما يقتدى فيه، ثم تعليمه بعد القدوة العملية، العلم النظري الذي أدَّى إلى التطبيق، وفي هذا النموذج، سرعة التَّلقي بالقدوة واستيعاب العمل كليًّا بسهولة وتلقائية، لاستعداد الصغير لذلك وتأثره بالقدوة، وفيه ما كان عليه المعلمون من صحبة الصغير ومخالطته حتى يأخذ العلم والعمل معًا.

- عن يزيد بن البراء قال: «قال أبي: اجتمعوا، فلأريكم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ، وكيف كان يصلي، فإني لا أدري ما قدر صحبتي إياكم. قال: فجمع بنيه، وأهله، ودعا بوضوء، فمضمض واستنثر وغسل وجهه ثلاثًا وغسل يده اليمنى ثلاثًا وغسل هذه ثلاثًا، يعني اليسرى، ثم قال: هكذا ما آلوت أن أريكم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ، ثم دخل بيته فصلى صلاة لا ندري ما هي، ثم خرج، فأمر بالصلاة، فأقيمت، فصلى بنا الظهر، فأحسب أني سمعتُ منه آيات من يس، ثم صلى العصر، ثم صلى المغرب، ثم صلى العشاء، فقال: ما آلوت أن أريكم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ، وكيف كان يصلي» رواه أحمد ورجاله ثقات. وهذا نموذج لليوم الكامل، وكأنه معسكر كشفي لكل الأسرة للتدريب والمشاركة والتعليم بواسطة معلم صاحب خبرة وعلم. وفيه الحرص على تعليم الأهل الخير عمليًّا، والعيش معهم يومًا كاملًا.

- من الأمور التي يتساهل فيها الوالدان، أو المعلمون، الوعود التي يقطعونها على أنفسهم للطفل، وتعتمد الأم أحيانًا على أن الطفل ينسى ما وُعِد به، ويتلهى بشيء آخر، أو لتفاهة وحقارة الشيء الموعود له عندها، والطفل قد يتلهَّى ويغفل عن الوعد، ولكن تكرار هذا الأمر عنده ومعه، يجعله لا يثق في أي وعد بعد ذلك، كما يعوِّده هو الآخر، اتباع نفس السلوك في معاملته للآخرين، وكيف يطلب من طفل ألا يكذب، أو أن يكون أمينًا صادقًا في وعده، ووالداه لا يصدقان معه؟ ومن مساوئ هذا السلوك مع الطفل، ما أطلق عليه

-طفل إن شاء الله- وحكايته هي أن أمه كانت تقول له عندما تعده بشيء: إن شاء الله، ويتكرر ذلك منها مع كل وعد، وغالبًا لا تفي بهذه الوعود له، فأصبح الطفل لا يحب سماع هذه الكلمة، ويقول لأمه عندما تعده: -ما تقوليش إن شاء الله- ولو علمت هذه الأم، وغيرها، منهج الإسلام في تربية القيم عند الأطفال، وعلمت مسؤوليتها في ذلك، لغيرت بالقطع هذا السلوك، فقد روى عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال: «دعتني أمي يومًا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعالَ أعطك. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمرًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إنك لو لم تعطيه شيئًا كتبت عليك كذبة» رواه أبو داود وأحمد وابن أبي الدنيا. فهذا السلوك المعتاد، والمتكرر في حياة الأمهات، أمر ليس بالهيِّن، لا عند الله، ولا عند الطفل، فالإسلام يعتبره كذبًا يكتب على صاحبه، والإسلام ورسول الإسلام ينهى عن تربية الطفل على هذا الكذب في الوعد، حتى ولو كان الوعد بتمرة، لا بد من الوفاء، ولا محيص عن الصدق، إن الأمر لا يتعلق بتمرة، تعطى أو تمنع، إن الأمر يتعلق بالمبدأ الذي يتربى عليه الطفل، وبالمنهج الذي يسلكه المربُّون.

***

معاملة الطفل النجيب والمبتكر

* الوالدان والمعلمون، يرغبون في أن يكون الطفل كائنًا مُسْتَقْبِلًا لكل ما يَطلبون، ولا يراعون أو يدركون أنه كائن إيجابي نشط وفعال، وهذا الأمر قد يؤدِّي إلى خنق ملكة الابتكار عند الطفل. وعادةً فإن الطفل الذي لديه إمكانيات ابتكارية، ينشغل بالأنشطة التي يهواها، فيكون ذلك موضع اعتراض الوالدين والمعلمين، لأن هذه الأنشطة ليست في منهج دراسته المدرسية، ويطلقون على ما يقوم به الطفل -تضييع الوقت- وهذا أيضًا مما يخنق ويقتل ملكة الابتكار عند مثل هذا الطفل، كذلك الإفراط في نقد ما يقوم به، أو ينجزه الطفل، خلال أنشطته التي يهواها، والرقابة الصارمة، والتعليمات الحادة للطفل، يؤدِّي كل ذلك

إلى هـذا الخنـق للابتـكار عنـد الطفـل. وواجـب الوالديـن والمعلمـين، أن يقـدِّروا هـذا الطفـل وأمثالـه، ولا ينظـرون إلى أنشـطتهم نظـرةً دونيـة، أو اعتبارهـا عبثًـا، بـل الواجـب مدحهـم عليهـا، وإثابتهـم عـلى إنجازاتهـم، كل ذلـك مـا دام الطفـل كان يـؤدِّي واجباتـه المدرسـية ولا يفـرِّط فيهـا.

- قـد يكـون الطفـل ليـس حـاد الـذكاء، ولكنـه غالبًـا فـوق المتوسـط، ويكـون لديـه رصيـد مـن المعلومـات عـن نشـاطه الابتـكاري أكـثر مـن غـيره، ويلاحـظ عليـه أنـه يثـير أسـئلة جديـدة غـير معتـادة، ويقـدم احتـمالات غـير مألوفـة لأمـور قديمـة، ويـرى بعـض الأشـياء المألوفـة مـن خـلال منظـور جديـد، وإنتاجـه يكـون لـه طابـع متميّـز ينفـرد هـو بـه، وتكـون تعبيراتـه عـن ذلـك بالرسـم وبالـكلام، وبالتوهـم والتخيـل للأمـور، وقـد تكـون ابتكاراتـه في اللعـب وطريقتـه، وعـادة يحـب الأمـور المعقَّـدة، ولا يميـل إلى البسـيطة منهـا، لأن الأعـمال العاديـة لا تمثـل للطفـل في هـذه الحالـة، تحديًـا فكريًّـا.

- الطفـل الابتـكاري تنقـص عنـده المسـايرة الاجتماعيـة، مـع أنـه يملـك روحًـا مرحـة ومتسـامحة، ويكـثر مـن الدعابـة، وعـادة مـا يقبـل عـلى المخاطـر أكـثر مـن غـيره، ويكـون تفوّقـه الذهنـي سـببًا في الميـل إلى العزلـة والابتعـاد عـن الأقـران، وقـد يـؤدي إلى تكاسـله وعـدم القيـام ببعـض الأعـمال المطلوبـة منـه، لعـدم قناعتـه بهـا فكريًّـا، وواجـب الوالديـن والمعلمـين، التفاهـم معـه بالإقنـاع والمناقشـة، واحـترام رأيـه ومناقشـة أفـكاره وعـدم الغـضّ مـن شـأنه. ومـن الحكايـات النافعـة في هـذا الشـأن: أن أحـد المسـؤولين في إحـدى إدارات المـدن الكـبرى، كان قـد تأخّـر عـن بيتـه يـوم حفـل أقامـه الأهـل، وبعـد انتظـار لـه، وعندمـا حـضر متأخـرًا سـأله ابنـه الصغـير عـن سـبب تأخُّـره، فأخـبره والـده أن السـبب هـو المشـكلة التـي كانـت تناقـش في الاجتـماع، حيـث إن الأطنـان الكثـيرة مـن فـوارغ –الأيـس كريـم- التـي يحبهـا أهـل المدينـة لا يجـدون لهـا تصريفًـا، وعـلى الفـور قـال لـه الطفـل الصغـير: وليـه يـا بابـا مـش بتاكلهـا النـاس –وكان هـذا السـؤال سـببًا في حـل هـذه المشـكلة، حيـث بـدأ يفكـر هـذا المسـؤول في طريقـة يـأكل بهـا النـاس هـذه الفـوارغ، فصنِّعـت الفـوارغ مـن البسـكويت، وأكلهـا النـاس.

- قـد يكـون التفـوّق الـدراسي مصـدرًا للمتاعـب مـن الأقـران، لأن المعلمـين يظهـرون إعجابهـم

الشديد للطفل المتفوق، فيصبح لذلك موضع الحسد والغيرة من الأقران. والمعلمون في هذه الحالة، يجب عليهم تشجيع الطفل بصورة لا تثير حافظة الآخرين، ومن ناحية أخرى، يجب عليهم تفهيم الطفل المتفوّق للأمر حتى يتقبل تصرفاتهم ولا يأخذ موقفًا مضادًا للأقران.

- قد يكون شديد الذكاء ليس مبتكرًا ولا مبدعًا، ولكنه يتفّوق في التحصيل العلمي ويتقدم على الأقران في ذلك، مما يجعل الآباء والمعلمين يفضلونه على الطفل المبتكر، والذي لا يحرر تفوّقًا دراسيًّا، وهذا مما يسبب الإحباط للطفل المبتكر والذي يهمل المعلمون والآباء تفوّقه الابتكاري.

- روى البزَّار بسند رجاله رجال الصحيح قال: «كان غلام بالمدينة يكنى أبا مصعب، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه سنبل، ففرك سنبلة، ثم نفخها، ثم دفعها إليه، فأكلها، وكانت الأنصار تعير من يأكل فريكة السنبل، فلما دفعها النبي صلى الله عليه وسلم إليه لم يردّها عليه، قال أبو مصعب: ثم قمت من عنده غير بعيد، ثم رجعتُ إليه فقلت: يا رسول الله، ادع الله لي أن يجعلني معك في الجنة، قال: **من علمك هذا؟** قلت: لا أحد، قال: **أفعل**، فلما وليت دعاني قال: **أعنّي على نفسك بكثرة السجود**. فأتيت أمي، فسألتني، فقلت: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأتى بسنبل، ففرك منه سنبلة بيديه المباركتين، ثم نفخه بريقه المبارك، ثم دفعها إليَّ فكرهت أن أردّه، فقالت: أحسنت، ثم أتيته فدعا لي» فهذا نموذج لطفل عقله فوق سنه، فعامله النبي صلى الله عليه وسلم معاملة تليق بقدر عقله وإدراكه، وأوصاه بوصايا عظيمة اهتمامًا به، ووعده بتحقيق طلبه، وهذه أمه وقد أدركت من قبل نباهته وفطانته، تسأله وتناقشه وتوجهه وتصوِّب سلوكه، فيا ليت أمهات أطفالنا وآباءهم، يتعاهدون الأبناء الصغار بمثل هذا السلوك الذي فعلته تلك الصحابية رضي الله عنها مع طفلها بعد حضوره من مجلس العلم، فيكون جميلًا أن يسأل الوالدان ابنهما الصغير، كل يوم عما كان في يوم مدرسته، فتواصل محل العلم والتعلم مع البيت، وتشارك المعلمين مع الوالدين في عملية التعليم

والتربية، واجب الجميع. وبمثل هذا ينبغ النجباء من الأطفال.

وقريب من هذه القصة ما رواه مصعب الأسلمي رضي الله عنه قال: «**انطلق غلام منا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني سائلك سؤالًا؟ قال: ما هو؟ قال: أسألك أن تجعلني ممن تشفع له يوم القيامة، قال: من دلك على هذا؟ قال: ما أمرني به أحد إلا نفسي، قال: فإنك ممن أشفع له يوم القيامة**» رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

ولا يخفى من القصتين ما كان عليه أطفال تلك الحقبة من تاريخ المسلمين، وما كانت اهتمامات أطفالهم، وكيف كان يعاملهم الكبار.

روى الطبراني قال: «**جاء غلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أريد هذه الناحية للحج. قال: فمشى معه النبي صلى الله عليه وسلم، فرفع رأسه إليه فقال: يا غلام: زودك الله التقوى، ووجهك في الخير، وكفاك الهم. فلما رجع سلّم على النبي صلى الله عليه وسلم، فرفع رأسه إليه فقال: قبل الله حجك، وكفر ذنبك، وأخلف نفقتك**»، فهذا نموذج رائع لمعاملة الصغير النابغ والاهتمام له فالنبي صلى الله عليه وسلم يمشي معه فيودعه ويوصيه ويدعو له، والطفل النجيب يرجع من حجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، مثل الجندي الذي أدى المهمة فيرجع إلى قائده ليخبره عن الخبر، والنبي صلى الله عليه وسلم يرفع له الرأس ويدعو له ويبارك جهده وعمله.

***

٨ العشرة الطيبة

[مع الأولاد وتربيتهم]

الطفل والعبادات ومسؤولية الوالدين والمعلمين

* مسؤولية الوالدين الدينية نحو الطفل.
* ختان الطفل والطفلة.
* الطهارة من بول الطفل.
* كيف يصبح الطفل متدينًا، الطريقة العملية لذلك.
* عقيدة الإيمان عند الطفل.
* الطفل والصلاة.
* الطفل والصيام.
* الطفل والحج.
* الطفل والدفاع عن وطنه ودينه.
* بعض الأحكام التي تتعلق بالصغير.
* الطفل وبر الوالدين، وعقوق الطفل لوالديه.
* الطفل وصلة الرحم.
* الطفل والرُّقى.
* الطفل والموت، وثواب من مات له ولده.
* بعض الآداب مع الطفل.

مسؤولية الوالدين الدينية نحو الطفل

* مسؤولية الوالدين والمربين، عن تعليم الطفل أمور الدين وتدريبه وتعويده على العبادات، واجب شرعي، وضرورة تربوية، وهي مسؤولية كاملة عليهم. ليس على الصغير، ما دام صغيراً، أية مسؤولية في هذا الشأن. قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} [التحريم: ٦]. وقال تعالى: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا} [طه: ١٣٢]. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «**كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها**» رواه البخاري ومسلم. وهي كسائر الواجبات الشرعية من أدَّاها يثاب عليها، ومن تركها عوقب عليها. وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**المولود حتى يبلغ الحِنْث، ما عمل من حسنة كُتبت لوالديه، وما عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه، فإذا بلغ الحنث جرى عليه القلم**» رواه أحمد وأبو يعلى. والحنث هو الإثم. وبلوغ الحنث: أي حتى يبلغ سن البلوغ الشرعي، وجرى عليه القلم، أي كتب عليه عمله من الإثم. والسيئة التي لا تكتب على والديه، هي التي لم يرشده إليها ويحذره منها، وفعلها من عند نفسه. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**رُفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يفيق**» رواه الترمذي والنسائي وأبو داود. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه**» رواه البخاري ومسلم.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب أنَّى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك**» رواه أحمد والبزار والطبراني في معجمه الأوسط ورجالهم رجال الصحيح. فهنيئًا لمثل هذا الوالد أو الوالدة، بهذا الابن الذي ربَّياه على الدين والبر. وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ

رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يتبع الرجل يوم القيامة من الحسنات أمثال الجبال فيقول: أنّى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك**» رواه الطبراني ورجاله ثقات. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت: رجل مات مرابطًا في سبيل الله، ورجل علم علمًا فأجرُهُ يجري عليه ما عُمل به، ورجل أجرى صدقة فأجرها له ما جَرَت، ورجل ترك ولدًا صالحًا يدعو له**» رواه أحمد والطبراني والبزار.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيئًا**» رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله عز وجل ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته، وإن كانوا دونه في العمل، لتقرَّ بهم عينه، ثم قرأ {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} قال: وما نقصنا الآباء بما أعطينا البنين**» رواه البزار والطبراني.

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إنه يكون للوالدين على ولدهما دين، فإذا كان يوم القيامة، يتعلّقان به، فيقول: أنا ولدكما؟! فيودّان، أو يتمنيان، لو كان أكثر من ذلك**» رواه الطبراني. وعن عمرو بن الأحوص رضي الله عنه «**أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبة الوداع: ألا لا يجني جانٍ إلا على نفسه، ولا يجني والد على ولده، ولا يجني ولد على ولده**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ويقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا} [لقمان: ٣٣]. ولقد اشتدَّ الأمر على الصحابي أبي قرصافة رضي الله عنه عندما أسرت الروم ابنًا له «فكان أبو قرصافة

إذا حضر وقت كل صلاة، صعد سور عسقلان ونادى: يا فلان، الصلاة، فيسمعه وهو في بلد الروم» رواه الطبراني ورجاله ثقات. وعسقلان: مدينة بالشام.

- وقد تكون معصية الطفل اقتداء بالكبار وتقليدهم، وأن يشبُّوا على التعود على رؤيته العصية والتهوين من شأنها، أو لعدم نهي الصغير عن إتيانها، أو تركها تمارس في البيت دون التعريف بها وإنكارها. روى أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم بسنده «**من سقي الخمرَ صغيراً، لا يعرف حلاله من حرامه، كان حقًّا على الله أن يسقي ساقيه من طينة الخبال**» وطينة الخبال: عصارة قيء أهل النار.

***

ختان الطفل والطفلة واجب أم سنة؟

* من مسؤوليات الوالدين نحو الطفل بعد ولادته، اختيار اسم حسن له، والأذان في أذنيه، وحلق شعره ودهنه بالطيب، وذبح عقيقته يوم سابعه، وتحنيكه بتمرة مختلطة بريق أحد الصالحين، وسبق كل ذلك بدلائله في الفصل الثالث. ويبقى الحديث عن ختان الطفل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وقص الشارب**» رواه البخاري ومسلم.

- قال الإمام النوويُّ في شرح صحيح مسلم: الختان واجب عند الشافعي وكثير من العلماء، وسنّة عند مالك وأكثر العلماء. وهو عند الشافعي واجب على الرجال والنساء جميعًا. ثم إن الواجب في الرجال أن يقطع جميع الجلدة التي تغطي الحشفة حتى تنكشف جميع الحشفة، وفي المرأة يجب قطع أدنى جزء من الجلدة التي في أعلى الفرج ... انتهى كلام النووي.

وروى أبو داود عن أم عطية رضي الله عنها «**أن امرأة كانت تختن النساء في المدينة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تنهكي، فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب للبعل**» والنهك: المبالغة في القطع. ومن السنة إطعام الطعام عند ختان الطفل، ويسمى: الإعذار. فالإسلام يحض على إطعام الطعام في المناسبات، كالوليمة للعرس، والعقيقة للمولود، والإملاك لعقد الزواج، والخرْس ليوم الولادة، والنقيعة لقدوم المسافر، والوكيرة لبناء لبيت، والحذيقة عند ختم القرآن أو الانتهاء من مرحلة تعليم، والوضيمة عند المصيبة.

الطهارة من بول الطفل، ومس فرجه

* بـول الطفـل الصغـير نجـس، ذكـرًا كان أو أنثـى، ولكـن هنـاك خـلاف في كيفيـة طهـارة الـشيء الـذي بـال عليـه الطفـل الذكـر. فالجمهـور مـن العلـماء عـلى أن بـول الذكـر الـذي لم يـأكل الطعـام بعـدُ عـلى جهـة التغذيـة، ولا يـزال يرضـع، أنـه يكفـي فيـه نضـح المـكان الـذي لحقـه البـول بالمـاء، ولا يجـب غسـله، والنضـح هـو غمـر المـكان الـذي لحقـه البـول بالمـاء فقـط، ولا يحتـاج لعـصره، والفـرق بـين النضـح والغسـل، أن المـاء يوضـع عـلى البـول ولا يعـصر، والغسـل يعـصر فيـه المـاء، فالنضـح يوضـع عليـه المـاء بحيـث لا يتقاطـر منـه المـاء. ومالـك وأبـو حنيفـة لا يفرقـان بـين بـول الذكـر والأنثـى، ويجـب عندهـما الغسـل للجميـع، ولا يأخـذان بالتخفيـف الـوارد في الذكـر. عـن أم قيـس بنـت محصـن رضي اللـه عنهـا أنهـا «**أتـت بابـن لهـا صغـير، لم يـأكل الطعـام إلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، فأجلسـه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم في حجـره، فبـال عـلى ثوبـه، فدعـا بمـاء، فنضحـه ولم يغسـله**» رواه البخـاري ومسـلم، وعـن لبابـة بنـت الحـارث رضي اللـه عنهـا قالـت: «**كان الحسـن بـن عـلي في حجـر النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم، فبـال عـلى ثوبـه، فقلـت: يـا رسـول اللـه، البـس ثوبًـا وأعطنـي إزارك حتـى أغسـله، قـال: إنمـا يغسـل مـن بـول الأنثـى، وينضـح مـن بـول الذكـر**» رواه أبـو داود.

- مـما تتسـاهل فيـه كثـير مـن النسـاء، عنـد غسـل الأطفـال، أو مسـاعدتهم في الاغتسـال، مـس فـرج الطفـل أو الطفلـة، مـن القبـل، أو الدبـر، ثـم تقـوم إلى الصـلاة دون وضـوء، ومـس فـرج الآدمـي مـن نواقـض الوضـوء، إذا كان المـس بباطـن الكـف، أمـا بغـير باطـن الكـف فـلا ينقـض، وعنـد الإمـام أحمـد تنتقـض الطهـارة بالمـس بباطـن الكـف وظاهـره، لإطـلاق المـس في الأحاديث. مثـل حديـث بُـسرة بنـت صفـوان رضي اللـه عنهـا قالـت: «**سـمعت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يقـول: مـن مـسَّ ذكـره فليتوضـأ**» رواه مالـك والشـافعي والترمـذي وصححـه، وابـن حبـان وصححـه، وغيرهـم، وعنـد الإمـام أبي حنيفـة، لا ينتقـض الوضـوء بمـس الفـرج، وللخـروج مـن هذا الحـرج يمكـن للأمهـات وضـع حائـل مـن قـماش عنـد مبـاشرة تغيـير ملابـس الرضيـع أو غسـله وفي حالـة وضوئهـا، لأن مـس فـرج الصغـير والمولـود كالكبـير سـواء في هـذا الحكـم.

- وكذلـك مـما يتسـاهل فيـه بعـض النـاس: النظـر إلى العـورة، وخاصـة عـورة الأطفـال، وهـي

عـورات يجـب التحفـظ بشـأنها كسـائر العـورات إلا للحاجـة، كالمسـاعدة مـع التحفـظ الواجـب، أو التطبيـب وغـيره. ويحـرم في ذلـك النظـر إلى عـورة الرجـل مـن الرجـل أو مـن المـرأة، سـوى الزوجـين، وكذلـك عـورة المـرأة محرمـة عـلى المـرأة، وحتـى بـين الأم والابنـة والأخـت وغيرهـنّ. وعـورة الرجـل مـع الرجـل مـا بـين الـسرة والركبـة، وكذلـك المـرأة مـع المـرأة، لا يحـل النظـر مـا بـين الـسرة والركبـة، مـا لم تكـن هنـاك حاجـة تسـتدعي النظـر. ولذلـك يجـب عـلى الأمهـات تعويـد الطفـل الاغتسـال منفـردًا متـى أمكنـه ذلـك، ولفـت نظـره دائمًـا بحفـظ عورتـه مـن الانكشـاف أمـام الغـير. وعـن أبي سـعيد الخـدري رضي اللـه عنـه قـال: «**إن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: لا ينظـر الرجـل إلى عـورة الرجـل، ولا المـرأة إلى عـورة المـرأة، ولا يفـضي الرجـل إلى الرجـل في ثـوب واحـد، ولا تفـضي المـرأة إلى المـرأة في الثـوب الواحـد**» رواه مسـلم. قـال النـووي في شرح مسـلم: وهـذا التحريـم في النظـر إلى العـورة لا خـلاف فيـه وهـو حـرام بالإجـماع. وعـن زينـب بنـت أبي سـلمة، وكانـت رضي اللـه عنهـا تـتربى في حجـر النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم قالـت: «**دخلـت عـلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وهـو يغتسـل، فأخـذ حفنـة مـن مـاء فـضرب بهـا وجهـي وقـال: وراءك أي لُـكَاع**» رواه الطـبراني وإسـناده حسـن، وفيـه منـع الصغـار مـن رؤيـة عـورة الكبـار، وعـن عبـد اللـه بـن عامـر بـن ربيعـة عـن أبيـه قـال: «**أتى علينـا -أي أبوهـم- ونحـن نغتسـل يصـبّ بعضنـا عـلى بعـض، فقـال: أتغتسـلون ولا تسـترون؟ واللـه إني لأخـشى أن تكونـوا خلـف الـشر، يعنـي الخلـف الـذي يكـون فيهـم الـشر**» رواه الطـبراني ورجالـه موثقـون.

***

كيف يصبح الطفل متدينًا بالدين الحنيف؟

* إن الطفـل الـذي ينشـأ في بيـت مـن بيـوت المسـلمين، فتتفتـح أذنـاه وعينـاه مـن صغـره عـلى أبويـن وأهـل يعظمـون أمـر دينهـم، فيحافظـون عـلى الصلـوات في أوقاتهـا، ويسـتعدون للصـلاة بالوضـوء لهـا، وفي البيـت يُعَظَّـم كتـاب اللـه، ويسـمع ويقـرأ كل يـوم، وفي كل الأعـمال التـي تـؤدى في البيـت تحـترم فيهـا آداب الإسـلام وتعاليمـه، ويحافـظ فيـه عـلى سـنة النبـي صـلى اللـه

عليه وسلم، فعند تناول الطعام يذكر اسم الله، وعند انتهاء الطعام يحمد عليه الله، وعند دخول البيت، أو الخروج منه يسمع فيه السلام وتحية الإسلام، وعند الاستيقاظ من النوم، أو عند النوم يسمع فيه الأدعية المأثورة في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعند العطاس يُشمَّت فيه العاطس بعد أن يحمد الله فيدعو لمن شمته، وعند المرض يُسترقى بالأدعية مع ذكر الله عند تناول الأدوية، وعندما يحلف أحد فيحلف بالله العظيم، وكلما رأى أحد شيئًا أعجبه قال ما شاء الله، وكلما ذكرت نعمة يحمد عليها الله تعالى ويشكر، وعندما يضيق أمر بالبيت أو تعرض مشكلة يلجأ إلى الله تعالى ويتضرع أهل البيت إليه، وكلما جاءت أشهر العبادات كرمضان وأشهر الحج اهتم لها وبها أهل البيت وحرصوا فيها على العبادة وذكرها، وكلما جاءت أيام الصوم صام مَنْ في البيت، وكلما أخطأ أحد استغفر الله وعظَّم من أمر الذنب، وكلما دخل ضيف أُكرم في البيت، وكل يوم جمعة اهتم أهل البيت بأمر الصلاة وسننها وآدابها، وكلما ذُكرت النار استعيذ منها، وكلما ذُكرت الجنة اشتاق أهل البيت لها وطلبوها من ربهم، وكلما ذكر الموت والآخرة، عظم أهل البيت من قربه والعمل للنجاة بعده، وكلما وقع من أحد ظلمٌ خاف من عاقبته، وهكذا بالليل والنهار، والأسابيع والأشهر والسنون، يسمع الطفل ويرى ويتعلم ويحاكي حتى يعظم عنده أمر دين الله، ويصبح قلبه وقد أُشرب حب الله، والجنة، وحب الخير والمؤمنين والعمل الصالح.

- والأسلوب العملي في ذلك هو بالقدوة أولًا في كل أمور الدين، يراها الطفل فيحبها ويحب أن يعمل مثلها، ثم بالحديث الدائم، وبالأسلوب والألفاظ التي تناسب عقل الطفل، عن الله والملائكة واليوم الآخر، والجنة والنار، وعن النبي صلى الله عليه وسلم وجهاده ودعوته وخلقه وسننه وسيرته، وعن أصحابه وتاريخهم وما قاموا به من الفتوحات الإسلامية والعدل بين الناس، وشيوع الخير والبركة في البلاد، والأمن للعباد، وعن العلم والإسلام وأنه يقوم على العلم والأخذ بالأسباب، وحديثهم عن صلة الأرحام وحقوق المسلم على المسلم، وحق الوالدين والأقارب والجيران وعموم المسلمين. وشرح ما يقرؤونه من كتب في ذلك، والردّ على أسئلة الأطفال كلها عن هذه الأمور.

- ومن الأساليب العملية أيضًا، تذكير الأطفال بالله عند كل حدث، وبأن الله يرى ويسمع، فإذا كذب الطفل مثلًا نقول له: الله يعلم الذي يكذب ولا يحبه، وأن الله يحب الذي لا يكذب، ويحب الصادقين، ويعطيهم في الدنيا الصحة والمال والسرور، وفي الآخرة يدخلهم الجنة، وأن الذي يكذب على والديه، وعلى الناس يعاقبه الله ولا يحبه، وأن الله يمكن أن يظهر الكذب ولو بعد حين، ولكن يلاحظ أن الطفل يمرّ بمرحلة يتوهم الشيء فيذكره ولا يظن أنه يكذب وعلى الوالدين المسامحة في هذا الأمر. كما نذكره بالله عندما يأخذ الطفل شيئًا خفية من الأشياء التي لا تخصّه أو تخص غيره، فنقول له: إن الله تعالى جعل ملائكة يحبون الخير والأمانة معنا دائمًا ولكننا لا نراهم، وأنهم يكتبون كل شيء نفعله، فإذا كنا في مكان ليس فيه أحد من الناس فالملائكة موجودة فيه، ومعنا دائمًا، كما أن الله تعالى يرانا في هذا المكان وفي كل مكان بجانب الملائكة الذين يشهدون علينا يوم الحساب، فالطفل الطيب المسلم يخاف الله ويتذكر أن الشهود من الملائكة يرونه ويعلمون كل ما يعمله، فإذا أعاد الإنسان ما أخذه من غيره، فإن الله تعالى يحبه لأنه مؤمن بالله بأنه يراه، وأن ملائكته تراه، وأنه يؤمن بيوم الحساب، وأن الله يعوِّضه بدلًا من الشيء الذي أعاده لصاحبه، شيئًا مثله، أو أحسن منه. روى الطبراني بسند جيد عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا ترفع العصا على أهلك، وأخفهم في الله عز وجل**» إن الخوف من الله عاصم عظيم يمنع الذنوب والخطأ، في السر والعلن، في الليل والنهار، في الخلْوة والجلوة.

- ومن الأساليب العملية مع الطفل، أن نحفّظه ونذكره بالأذكار المأثورة دائمًا، عند النوم والاستيقاظ، ولبس الملابس، ودخول الحمامات والخروج منها، وعند العطاس، وعند دخول البيت وعند الخروج منه إلى الشارع، وعند تناول الطعام، وفي كل مرة، وبصوت مسموع، حتى يعتاد على ذلك كله ويحفظه عن ظهر قلب ويؤديه بتلقائية ويسر.

- ومن الأساليب العملية، أن نطلب من الطفل محاكاتنا في الوضوء وفي الصلاة، ونوقفه معنا أثناء القيام بأداء الصلاة، مع المسامحة حتى لا نشق عليه فيكره هذا العمل، ولكن يكفي أن ينتبه لهذا الأمر حتى يكبر فيؤمر بالصلاة. وفي أيام الصيام نطلب منه الإمساك

ولو بعض الوقت نهارًا عن الطعام والشراب، ونتجاهل تصرفاته إن خالفت ما اتفقنا معه عليه في ذلك حتى لا يتحايل على ذلك.

- ومن الأساليب العملية اصطحاب الطفل إلى المساجد، وأماكن العلم الديني، وكذلك عند زيارة الأهل وصلة الأرحام، مع الإرشاد والتعليم برفق ومودة حتى يحب هذه الصحبة ويرغب فيها.

- ومن الأساليب العملية أيضًا أن نكلف الطفل بحمل الهدايا إلى الجيران، وأن نكلفهم بحمل ما نعطيه للسائل والمسكين، مع الشرح وتحبيب هذا العمل وذكر ما وعد الله به من يقوم به.

- ومن الأساليب العملية، أن نطلب من الطفل أن يؤذن للصلاة، ويقيم ويصلي مع الوالدين، أو مع إخوته الكبار، أو مع والدته، وأن نكلفه بأن يؤذن لصلاة الفجر، وبعد أن نوقظه لذلك.

- ومن الأساليب العملية أن يجتمع أهل البيت في وقت لسماع شيء من القرآن يقرؤه الطفل إن كان حافظًا، أو من المصحف الشريف، وكذلك لسماع حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يقوم أحد الكبار بشرح معانيه، أو يقرأ أحد أفراد الأسرة شيئًا من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ويشرحها لهم.

- ومن الأساليب العملية أيضًا أن تجتمع الأسرة في المناسبات الدينية ويقوم الوالد، أو الوالدة بشرح لهذه المناسبة، فإذا كانت شهر رمضان فيعلمهم أحكام الصوم، وإن كانت أشهر الحج يعلمهم أحكامه.

***

عقيدة الإيمان عند الطفل

وبجانب ما سبق من بيان البيئة الإيمانية التي يعيش فيها الطفل بين أسرته، فإنه يمكن أن يفاتح ويعرض عليه مسائل الإيمان بالله، وبملائكته، وبرسله، وباليوم الآخر، وبالقدر،

ولكـن في أي عمـر مـن مراحـل الطفولـة يمكـن تعليـم الطفـل هـذه الأمـور؟ لقـد بيّنـت السـنة الشريفـة أن الطفـل الصغـير الـذي لم يبلـغ الحلـم بعـد، يمكنـه أن يسـتوعب هـذه المسـائل ويعتقدهـا، فقـد كان عبـد اللـه بـن عبـاس رضي اللـه عنهـما صبيًّـا في التاسـعة مـن عمـره، عندمـا علَّمـه النبـي أهـم هـذه المسـائل المتعلقـة بعقيـدة الإيمـان، كـما جـاء في الحديـث الصحيـح، فعن ابـن عبـاس رضي اللـه عنهـما قـال: «**كنـت خلـف النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم يومًـا، فقـال: يـا غـلام، إني أعلمـك كلـمات: احفـظ اللـه يحفظـك، احفـظ اللـه تجـده تجاهـك، إذا سـألت فاسـأل اللـه، وإذا اسـتعنت فاسـتعن باللـه، واعلـم أن الأمـة لـو اجتمعـت عـلى أن ينفعـوك بـشيء، لم ينفعـوك إلا بـشيء قـد كتبـه اللـه لـك، وإن اجتمعـوا عـلى أن يـضروك بـشيء، لم يـضروك؛ إلا بـشيء قـد كتبـه اللـه عليـك رُفعـت الأقـلام، وجفَّـت الصحـف**» رواه الترمـذي وقـال: حديـث حسـن صحيـح، ورواه أحمـد وغـيره، وفي روايـة غـير الترمـذي «**احفـظ اللـه تجـده أمامـك، تعـرَّف عـلى اللـه في الرخـاء، يعرفـك في الشـدة، واعلـم أن مـا أخطـأك لم يكـن ليصيبـك، ومـا أصابـك لم يكـن ليخطئـك، واعلـم أن النـصر مـع الصـبر، وأن الفـرج مـع الكـرب، وأن مـع العـسر يـسرًا**» فهـذه المسـائل التـي علمهـا النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم لهـذا الغـلام الصغـير الـذي كان يركـب خلفـه، هـي أمهـات قضايـا الإيمـان، والتـي تجعـل صاحبهـا مسـلمًا مستسـلمًا لـرب العالمـين، مطيعًـا محسـنًا في عبادتـه، مسـتيقنًا بقـدره، مفتقـرًا إلى اللـه، ومتـوكلًا عليـه في كل أمـره.

ولقـد اسـتوعبها الطفـل ووعاهـا وأداهـا وعلمهـا للأمـة كلهـا مـن بعـده رضي اللـه عنـه، وإن كان هـذا الطفـل العـربي القـرشي قـد أدرك هـذا الأسـلوب الفخـم البليـغ، فإننـا يمكننـا تعليـم هـذه الأمـور، وأمثالهـا، لأطفالنـا باللغـة والأسـلوب والألفـاظ التـي يسـتوعبون بهـا المعـاني، وحبَّـذا لـو قدمناهـا للطفـل في شـكل حكايـات وقصـص حتـى يحفظهـا، فـإن الطفـل تربـط المعـاني عنـده مـن خـلال الحكايـة، أكـثر مـن الـكلام المعتـاد.

- ولقـد كانـت البيـوت تعلـم الأولاد الصغـار مسـائل الإيمـان فيدركونهـا، ويشـبون عليهـا، نلحـظ ذلـك مـن خـلال مـا رواه مصعـب الأسـلمي رضي اللـه عنـه قـال: «**انطلـق غـلام منـا فـأتى النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم فقـال: إني سـائلك سـؤالًا! قـال: ومـا هـو؟، قـال: أسـألك أن تجعلنـي ممَّـن تشـفع لـه يـوم القيامـة، قـال: مـن دلَّـك عـلى هـذا؟ قـال: مـا أمـرني بـه أحـد إلا نفـسي،**

قال: فإنك ممن أشفع له يوم القيامة» رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. فالإيمان بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، والإيمان بالحساب، والإيمان بيوم القيامة، والإيمان بالجنة والنار، كانت إذًا مشاعًا العلم بها بين الأطفال الصغار، حتى اهتم لها هذا الغلام الصغير فسألها النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر الصغير: أن أحدًا لم يطلب منه ذلك السؤال، بل ذلك من عند نفسه العالمة بهذا الأمر الجليل.

- روى البزار بسند رجاله رجال الصحيح «**أن غلامًا بالمدينة يكنى أبا مصعب، أتى النبي صلى الله عليه وسلم، قال أبو مصعب: قلت: يا رسول الله، ادع الله لي أن يجعلني معك في الجنة، قال: من علمك هذا؟ قلت: لا أحد، قال: أفعل، فلما ولَّيْتُ دعاني، وقال: أعني على نفسك بكثرة السجود**» إن سؤال النبي صلى الله عليه وسلم الغلام فقال: من علَّمك هذا؟ يدل على صغر الطفل، وأن هذا الأمر الهام، قد قام أحد بتعليمه للطفل حتى سأله النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ردّ الغلام بقوله: لا أحد، يدل كذلك على أن العلم بهذه المسائل كان مستفيضًا بين أفراد المجتمع، صغيره، وكبيره. إن الحديث عن الجنة يجب أن يكثر في كل مناسبة أمام الطفل حتى يشب، وقد تعلق فؤاده بهذا الوعد الكريم، من رب العالمين، وهذا يكون له أبلغ الأثر في سلوك الطفل في كل مراحل عمره، إذ يهوِّن عليه مصاعب الدنيا، ويحفِّزه على الاجتهاد في الخير والطاعة، ويزهِّده في شهوات النفس والدنيا، ويربط دنياه بآخرته. لذلك طلب النبي صلى الله عليه وسلم من الغلام: **«أعنِّي على نفسك .. بكثرة السجود»**.

- لقد كان الوالدان يؤديان واجبهما نحو تعليم الأولاد أمور دينهم، بل يكتبون وصاياهم بعد موتهم بتعليم الأولاد، خوفًا من لقاء الله قبل أدائهم هذا الواجب. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**كانوا يكتبون في صدور وصاياهم: هذا ما أوصى به فلان بن فلان: أن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة حق وآتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأوصي مَنْ بَعدي بما أوصى به إبراهيم بنيه: يا بنيَّ إن الله اصطفى لكم الدين، فلا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون**» إنه الإيمان، والورع، والخوف، والحب للأهل، والبراءة من التبعات.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا ابن ثماني سنين، فأخذت أمي بيدي، فانطلقت بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إنه لم يبقَ رجل ولا امرأة من الأنصار إلا قد أتحفتك بتحفة، وإني لا أقدر على ما أتحفك به إلا ابني هذا، فخذه فليخدمك ما بدا لك. فخدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما ضربني ضربة، ولا سبني سبَّة، ولا انْتَهَرني، ولا عبس في وجهي، وكان أول ما أوصاني به أن قال: يا بني اكتم سرِّي تكن مؤمنًا، فكانت أمي وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألنني عن سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أخبرهن به، ولا أخبر بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدًا أبدًا، وقال: يا بني عليك بإسباغ الوضوء يحبّك حافظاك، ويزاد في عمرك، وإياك والالتفات في الصلاة، فإن الالتفات في الصلاة هلكة، ويا بني إذا خرجت من بيتك فلا تقعن عيناك على أحد من أهل القبلة إلا سلَّمت عليه، فإنك ترجع مغفورًا لك، ويا بني إذا دخلت منزلك فسلم على نفسك وعلى أهل بيتك**» رواه أبو يعلى والطبراني. فهذا طفل في الثامنة من عمره يوصيه ويعلمه النبي صلى الله عليه وسلم العقيدة، والفريضة، والأخلاق، والآداب، فالحديث عن محبة الملكين الحافظين، من أمور العقيدة والإيمان بالملائكة كغيب يجب الإيمان به، وحفظ السر والأمانة من كرائم الأخلاق، وإسباغ الوضوء، وعدم الالتفات في الصلاة من الخشوع والإحسان في أداء الفريضة، والسلام على أهل القبلة من السنن والآداب. وفي الحديث: الاهتمام بتعليم الأطفال، ولو كانوا خدمًا وتابعين، كل أمور الدين.

***

الطفل والصلاة

* رأس الأمر وعموده الصلاة، والصلاة لها شأن أي شأن في حياة المسلم وآخرته، ولا يتصور بيت فيه مسلمون، ولا تقام فيه الصلاة، فإن كان، فقد تُوُدِّعَ منهم، لذلك فغالبًا ما يتعلم الطفل الصلاة بالمشاهدة والمحاكاة للكبار في البيت، ولكن هذا لا يكفي في شأن هذه الفريضة التي هي من أول أركان الدين. فلا بد من تعليم الطفل وتدريبه عمليًّا على

الصلاة، ومتابعته ومساءلته عنها، وإظهار الاهتمام بشأنها دائمًا بالمحافظة عليها، ومطالبة الطفل بذلك.

- ولكن منذ متى يطلب من الطفل الصغير الصلاة؟ الإجابة تبيِّنها لنا إحدى الصحابيات رضوان الله عليهن، قال هشام بن سعد: «**دخلنا على معاذ بن عبد الله بن حبيب الجهني فقال لامرأته: متى يصلي الصبي؟ فقال: نعم، كان رجل منَّا يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه سئل عن ذلك؟ فقال: إذا عرف يمينه من شماله، فمروه بالصلاة**» أخرجه أبو داود بإسناد حسن. وروى الطبراني بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**إذا عرف الغلام يمينه من شماله، فمروه بالصلاة**» **وعن معبد الجهني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** «**مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين**». **رواه أبو داود. وعن النبي صلى الله عليه وسلم:** «**علِّموا الصبي الصلاة لسبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر سنين**» رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن وروى البزار بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم «**علموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعًا واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرًا، وفرِّقوا بينهم في المضاجع**» وفي رواية له أخرى «فرقوا بين مضاجع الغلمان والجواري، والأخوة والأخوات لسبع سنين، واضربوا أبناءكم على الصلاة إذا بلغوا سبعًا» وروى الطبراني بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**حافظوا على أبنائكم في الصلاة، وعوِّدوهم الخير، فإن الخير عادة**» **وعن أبي الحوراء قال: قلت للحسن بن علي: ما حفظت من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: الصلوات الخمس**» رواه أحمد والطبراني.

ويلاحظ من ذلك أن بلوغ الطفل سبع سنين يعني مطالبته وأمره بالصلاة على وجه الجديَّة والاهتمام والمحافظة، ولا يعني ذلك ترك الطفل حتى يبلغ هذه السن دون تعليمه وتدريبه على الصلاة، لأنه بالطبع يعرف يمينه من شماله قبل هذا العمر. والملاحظة الثانية: أن ضرب الطفل للتأديب والتعظيم من شأن الصلاة في نفس الطفل الذي يعامله الولدان بهذا الجدِّ وبهذه الصرامة في شأنها، وبالطبع ليس ضربًا مؤذيًا ومبرحًا، ولكنه للتذكير والتهويل لشأن الصلاة. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**بِتُّ عند خالتي ميمونة، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أمسى، فقال: أصلَّى الغلام؟ قالوا:**

نعم، فاضطجع» رواه البخاري وأبو داود. وفيه مدى الحرص على متابعة وملاحظة الطفل في أداء الصلاة، ولو كان ضيفًا على البيت في ليلة واحدة.

- تعليم الطفل الوضوء والصلاة بطريقة عملية، ولأكثر من مرة حتى يتقنها، واجب على الوالدين والكبار. وذلك بأن يحضر الطفل ويريه الوضوء وفرائضه وسنَنَهُ، وكيف يتوضأ المسلم للصلاة، وكذلك نجعل الطفل يقوم بالتوضؤ عمليًّا أمام الكبير، عدّة مرات، وعلى فترات حتى يُتقن الوضوء، ثم يُفعل ذلك معه في أداء الصلاة. عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: دعاني أبي، عليٌّ، بوضوء، فقربتُه له، فبدأ فغسل كفَّيْه ثلاث مرات قبل أن يدخلها في الوضوء، ثم مضمض ثلاثًا، واستنشق ثلاثًا، ثم غسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثًا، ثم اليسرى كذلك، ثم مسح برأسه مسحةً واحدة، ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاثًا، ثم اليسرى كذلك، ثم قام قائمًا، فقال: ناولني، فناولته الإناء الذي فيه فضل وضوئه، ثم شرب من فضل وضوئه قائمًا، فعجبتُ، فلما رآني، قال: لا تعجب، فإني رأيت أباك النبي صلى الله عليه وسلم يصنع مثل ما رأيتني صنعتُ، فأحببتُ أن أريكم كيف كان طهور النبي صلى الله عليه وسلم» رواه النسائي وأبو داود والترمذي. وعن عمر بن أبان قال: «**أراني أنس بن مالك رضي الله عنه الوضوء، أخذ ركوة -إناء- فأدارها عن يساره، وصبَّ على يده اليمنى فغسلها ثلاثًا، ثم أدار الركوة على يده اليمنى فغسلها ثلاثًا، فمسح برأسه ثلاثًا، وأخذ ماءً جديدًا لصماخه -أذنه- فمسح صماخه، فقلت: قد مسحت أذنيك؟ فقال: يا غلام، إنهما من الرأس، وليس هما من الوجه، ثم قال: يا غلام، هل رأيت؟ وهل فهمت؟ قال: هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ**» رواه الطبراني.

- حضور الطفل الصغير الصلوات في المساجد، أو في البيت، والمخالطة مع المصلين، فيه تأليف الطفل وتعويده غشيان المساجد، والإقبال على الصلاة تشبهًا بالكبار، وتعوّدًا على أدائها في المساجد، وقد كانت عادة الصالحين من عباد الله، وأولهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمل الصغار، أو اصطحابهم إلى المساجد، دون زجر أو اعتراض على

وجـود الصغـار في المسـجد وقـت أداء فرائـض الصـلاة، بـل كان النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم يراعـي مصلحـة الصغـير ويقـدم أمـره عـلى التطويـل في الصـلاة، فيخفِّـف مـن الصـلاة، شـفقةً عـلى الأم، ورحمـة بالصغـير إذا بـكى أثنـاء تأديـة الأم للصـلاة خلـف رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم. يقـول رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**إني لأقـوم في الصـلاة أريـد أن أطـوِّل فيهـا، فأسـمع بـكاء الصبـي فأتجـوَّز في صـلاتي كراهيـة أن أشـقَّ عـلى أمـه**» رواه البخـاري وأبـو داود والنسـائي. فـإذا كان هـذا التسـاهل والتسـامح والرفـق، واعتبـار الحـال في فـرض الصـلاة جماعـة مـع رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، فكيـف يضيـق البعـض، أو يمنـع مـن وجـود الأطفـال في المسـجد؟ إن وجودهـم مقصـود، ومطلـوب.

- والأم لا تـترك وليدهـا، ولا رضيعهـا، إن احتـاج إلى أن تحملـه وهـي في الصـلاة، وحمـل الصغـير، ووضعـه أثنـاء الصـلاة لا يفسـدها. «**كان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يصـلي، وأمامـة بنـت أبي العـاص عـلى عاتقـه، فـإذا ركـع وضعهـا، وإذا قـام حملهـا**» رواه الطـبراني. وكانـت نسـاء الصحابـة يحملـن صغارهـن أثنـاء الصـلاة في المسـجد خلـف رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ويقـول: «**إني لأسـمع صـوت الصبـي وأنـا في الصـلاة، فأخفّـف مخافـة أن تفْـتن أمُّـه**» رواه البـزار، وأصلـه في الصحيـح. «**خـرج علينـا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم في إحـدى صـلاتي العشـاء وهـو حامـل حسـنًا -أو حسـينًا- فتقـدّم النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم فوضعـه، ثـم كـبَّر للصـلاة فصـلى، فسـجد بـين ظهـراني الصـلاة سـجدةً أطالهـا، قـال: فرفعـت رأسي، فـإذا الصبـي عـلى ظهـر رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وهـو سـاجد، فرجعـت إلى سـجودي، فلـما قـضى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم الصـلاة، قـال النـاس: يـا رسـول اللـه، إنـك سـجدت بـين ظهـراني صلاتـك سـجدة أطلتهـا حتـى ظننـا أنـه قـد حـدث أمـر، أو أنـه يوحـى إليـك، قـال: كلُّ لم يكـن، ولكـن ابنـي ارتحلنـي، فكرهـت أن أعجلـه حتـى يقـضي حاجتـه**» رواه النسـائي وأحمـد والحاكـم، وهـو حديـث صحيـح، وبـين ظهـراني صـلاة: أي وسـطها وفيـما بينهـا. وفي هـذا الحديـث: مراعـاة حاجـة الطفـل ولعبـه وعبثـه وتقديـم ذلـك عـلى مـوالاة أركان الصـلاة وانتظامهـا، دون تفزيـع أو تعكـير للطفـل، شـفقةً ورحمـة ومحبـةً للأطفـال، وتأليفًـا لقلوبهـم ونفوسـهم نحـو الصـلاة والمسـجد، وأي قلـب كان قلـب رسـول اللـه، وهـو بـين يـدي رب العـزّة والرحمـة، يعتـلي ظهـره الشريـف

طفل فيدعه حتى يشبع لعبًا ويقول: «**فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته**» فصلى الله عليك وسلم وبارك يا إمام ومعلم الخلق في كل شيء جميل، وبالكمال الذي يليق بعظمتك.
وعن أبي بكرة رضي الله عنه «**أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي، فإذا سجد، وثب الحسن عليه السلام على ظهره وعلى عنقه، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعًا رقيقًا لئلا يصرع، يفعل ذلك غير مرّة**» رواه أحمد والبزار والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح.

- يجوز شرعًا أن يؤمَّ الطفل المميِّز قبل البلوغ، يؤمّ غيره من الكبار، رجالًا أو نساءً، ما دام يحسن الصلاة والقراءة، عن عمرو بن سلمة رضي الله عنه قال: «**إن قومي نظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنًا مني، لما كنت أتلقى الركبان، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت عليَّ بردة، كنت إذا سجدت تقلَّصت عني، فقالت امرأة من الحيّ، ألا تغطوا عنَّا است قارئكم؟ فاشتروا، فقطعوا لي قميصًا، فما فرحتُ بشيء فرحي بذلك القميص**» رواه البخاري وأبو داود والنسائي.

- تجوز صلاة الطفل على الجنازة، كسائر الصلوات، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: «**لقد كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غلامًا، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أن ها هنا رجالًا هم أسنُّ مني، وقد صليتُ خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة ماتت في نفساها، فقام عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسْطها**» رواه البخاري ومسلم.

- الصلاة خير عون للوالدين في تربية الأولاد وتعويدهم الخير، وخصال الخير، وقد قال الله عز وجل: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} [البقرة: ٤٥] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن فلانًا يصلي بالليل، فإذا أصبح سرق؟ فقال: سينهاه ما تقول**» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. إنها حكمة غالية جدًّا يلزم للناس فهمها والانتفاع بها «**سينهاه ما تقول**» يصلي ويسرق، فما يمنعه وينهاه عن السرقة سوى الصلاة، وصدق الله العظيم إذْ يقول: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}

[العنكبـوت: ٤٥] فلـو حـرص الوالـدان والمربُّـون عـلى أن يحافـظ الطفـل عـلى الصـلاة، لاسـتقام لهـم أمـر الطفـل وأمرهـم، فمـن يخبرنـا عـن الحـق، ومـا يصلـح مثـل اللـه ورسـوله {وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} [فاطـر: ١٤]، فالصـلاة نـور وبركـة، يسـتنير بهـا قلـب الصغـير، ويـشرق بهـا ضمـيره، ويـدرج ويكـبر وهـو يسـير في طريـق النـور والعرفـان.

***

الطفل والزكاة

* **الـزكاة نوعـان:** أحدهـما مـا يتعلـق بالبـدن، والثـاني يتعلـق بالمـال. فأمـا مـا يتعلـق بالبـدن فهـو زكاة الفطـر، وتسـمى زكاة الفطـرة، أي الخلقـة، وهـي تجـب عـلى الطفـل الصغـير ولـو كان مولـودًا قبـل صـلاة عيـد الفطـر، ومسـؤولية إخراجهـا عـلى مـن تلزمـه نفقـة الطفـل. عـن ابـن عمـر رضي اللـه عنهـما قـال: «**فـرض رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم زكاة الفطـر مـن رمضـان عـلى النـاس صاعًـا مـن تمـر، أو صاعًـا مـن شـعير، عـلى كل حـر، أو عبـد، ذكـر، أو أنثـى مـن المسـلمين**» رواه البخـاري ومسـلم. ولـو كان الصغـير يملـك مـالًا تخـرج منـه زكاة الفطـرة، ويجـوز أن يخرجهـا وليُّـه مـن مالـه هـو.

- وأمـا الـزكاة التـي تتعلـق بالمـال، فهـي عـن المـال الـذي بلـغ النصـاب وحـال عليـه حـول كامـل –أي سـنة هجريـة- وكان الصغـير يملكـه ملكيـة تامَّـة. ويخرجهـا مـن مـال الصغـير وليُّـه، أو وصيُّـه، أو القيـم عـلى أموالـه. والصغـير الـذي ليـس لـه مـال، ولا ينفـق عليـه أحـد، يسـتحق النفقـة عليـه مـن سـهم الفقـراء والمسـاكين، ويكـون مـن أهـل الـزكاة. وإذا كان الصغـير يتيـمًا، ولـه مـال، فيحـق لمـن يقـوم عـلى أموالـه وعليـه، أن ينفـق عـلى نفسـه مـن مـال هـذا اليتيـم بالمعـروف. روى أبـو داود والنسـائي «**أن رجـلًا أتى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فقـال: إني فقـير ليـس لي شيء، ولي يتيـم، فقـال: كل مـن مـال يتيمـك، غـير مـسرف، ولا مبـادر، ولا متأثِّـل**» والمبـادر: المسـارع في الـشيء، والمتأثـل: المتمـوِّل. واليتيـم مـن مـات أبـوه ولم يبلـغ سـن الاحتـلام. وقـد قـال النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**لا يتـم بعـد احتـلام**» رواه أبـو داود والطـبراني وهـو حديـث حسـن.

* أمـوال اليتيـم يجـب أن تسـتثمر حتـى لا تأكلهـا الـزكاة، إذ يجـب إخـراج الـزكاة عنهـا مـا دامـت تبلـغ النصـاب كل عـام. روى الإمـام مالـك في الموطـأ «**أن عائشـة رضي اللـه عنهـا كانـت تعطـي أمـوال اليتامـى مـن يتجـر فيهـا**» وروى عنهـا في الموطـأ أيضًـا «كانـت عائشـة تلينـي أنـا وأخًـا لي يتيمـين في حجرهـا، فكانـت تخـرج مـن أموالنـا الـزكاة».

- روى أبـو داود والترمـذي والنسـائي عـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم «**لا يحـل لرجـل أن يعطـي عطيَّـة، أو يهـب هبـة، ثـم يرجـع فيهـا، إلا الوالـد فيـما يعطـي ولـده، ومثـل الـذي يرجـع في عطيتـه، أو هبتـه، كالكلـب يـأكل، فـإذا شـبع قـاء، ثـم عـاد في قيئـه**» ومعنـى عـاد في قيئـه: أي عـاد فـأكل مـا قـاءه.

الطفـل لـه أن يتحـلى بالذهـب والفضـة، وإذا بلـغ مـا يتحـلى بـه مـن الذهـب، أو مـن الفضـة مـا قيمتـه النصـاب، فالصحيـح ألا زكاة في شيء مـن الحـلي، ولا تحتسـب في نصـاب زكاة مالـه إن كان لـه مـال غـير مـا يتحـلى بـه، روى مالـك في الموطـأ بإسـناد صحيـح، عـن ابـن عمـر وعائشـة رضي اللـه عنهـم «**كانـت عائشـة رضي اللـه عنهـا تحـلي بنـات أخيهـا أيتامًـا في حجرهـا، فـلا تخـرج منهـا الـزكاة**» وعـدم إخـراج الـزكاة مـن الحـلي هـو الأظهـر في مذهـب الشـافعي.

يسـتحب أن يعـود الطفـل عـلى الصدقـة، وأن نكلفـه بحمـل الصدقـة وتقديمهـا للمسـكين، كـما يسـتحب أن نعلمـه الادخـار مـن مصروفـه، وأن يضـع منـه في حصالتـه ثـم يخـرج مـن حصيلتهـا شـيئًا للمسـاكين.

***

الطفل والصيام

صيـام الطفـل الصغـير يقـاس عـلى صلاتـه؛ لأنـه لم يـأتِ نـص صريـح بالسـن التـي يُؤمـر عندهـا الصغـير بالصيـام، ولأنـه متعلـق بالطاقـة والقـدرة، والمطلـوب مـن الوالديـن تعويـد الطفـل عـلى الصيـام وتحبيبـه إليـه، بالحديـث عـن فضلـه، وأن مـن تـرك الطعـام والـشراب وصـام فـإن اللـه يطعمـه ويسـقيه مـن طعـام وشراب الجنـة، وأن اللـه تعـالى يحـب الأولاد الذيـن يصومـون وهـم

صغار، ويذكرون الطفل أن غيره من الأطفال يصومون، وأنهم بذلك مثل الرجال. ويمكن التغافل مع الطفل الصغير الذي يصوم إذا شرب أو أكل، ونقول له: أنت نسيت فأكلت، ومن أكل ناسيًا يتم الصوم ولا حرج عليه ، ويمكن الاتفاق معه على أن يصوم حتى الظهر، ثم بعد ذلك حتى العصر، وفي بعض الأيام حتى المغرب، حتى يألف الصيام ويتدرب عليه، كما يمكن إشغاله وتلهيته باللعب وغير ذلك عن الطعام والشراب، ويمكن وعده بجائزة أو بشيء، يحبه إذا صام بعض الأيام كاملًا.

- عن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت: «**أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة : من كان أصبح صائمًا فليتم صومه، ومن كان مفطرًا فليتم بقية يومه ، فكنا بعد ذلك نصومه ، ونُصَوِّمه صبياننا الصغار، ونذهب إلى المسجد، فنجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم أعطيناه إياه، حتى يكون الإفطار**»، **وفي رواية** «**ونصنع لهم اللعبة من العهن ، فنذهب به معنا، فإذا سألونا الطعام أعطيناهم اللعبة، نلهيهم بها حتى يتموا صومهم**» رواه البخاري ومسلم.

والعِهْن: الصوف المصبوغ. فكانت الأمهات يستعنّ بعد الله على تصويم الصغار، بالاجتماع في المسجد بعيدًا عن متناول الطعام والشراب، والاعتياد عليه في البيوت، كما أن في اجتماع الأولاد ولعبهم سويًّا أثرًا في اللهو عن الطعام والشراب، وإذا طلب الطفل الصغير الطعام، قدَّمت له أمُّه لعبة يحبها ويتلهى بها حتى يتم صومه.

- بمناسبة الصوم، يحسن تهيئة الذهن عند الطفل قبل إقبال شهر الصيام وما اعتاده الناس من تزيين البيوت والشوارع، وإضاءة الأنوار بالفوانيس، كل ذلك من العادات المرتبطة بشهر رمضان، ويكون لها أثر طيب في نفس الطفل الصغير، تجعله يفرح بقدوم شهر الصيام، وليس في ذلك شيء من البدع الدينية، لأنها تفعل عادة، وليس على سبيل العبادة، والعادات إذا لم تتعارض مع الدين فلا حرج فيها، والأفضل دائمًا أن نهيئه بالذهاب إلى المساجد، وتحبيبه في القيام والاعتكاف وقراءة القرآن خاصة في شهر رمضان.

الطفل والحج

* مذهب جماهير العلماء أن حج الصبي منعقد صحيح يثاب عليه، وإن كان لا يجزئه عن حجة الإسلام، بل يقع تطوّعًا، وقال أبو حنيفة: لا يصح، وإنما يفعلونه تمرينًا لهم مثل الصلاة. قال العلماء: إن كان مُمَيِّزًا أذن له وليّه فأحرم، فإن كان غير مميِّز، نوى وليه له، ويؤدي مع وليه سائر المناسك. وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما «**أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي ركبًا بالرَّوْحاء فقال: من القوم؟ قالوا: المسلمون، فقالوا: من أنت؟ قال: رسول الله، فرفعت إليه امرأة صبيًّا فقالت: ألهذا حج؟ قال: نعم، ولك أجر**» رواه مسلم وأبو داود والنسائي والطبراني. وروى الطبراني في الكبير والأوسط بسنده قال: «**جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، أحج بابني وهو مرضع، أو صغير؟ قال: نعم**»، وكيفما تم حج الطفل الصغير، فهو صحيح، سواء كان من مال الصغير، أو من مال غيره، ولهذه العبادة، والشعائر المتعلقة بها، والأماكن التي تؤدى فيها المناسك، أثر، أي أثر على الصغير، ولها من البركة في حياته ما يستحق أن يصبر الوالدان على اصطحاب الصغير معهما، أو أحدهما إذا وُفِّق لأداء هذه الفريضة العظيمة، ويكفي للطفل أن يشاهد مكة والمدينة، والكعبة، ومسجد الله الحرام، ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم، ويشرب من زمزم، ويرى الصفا والمروة ومقام إبراهيم والحجر الأسود ويصلي في المسجد الحرام الذي يُكتب لمن صلى فيه أجر الصلاة مائة ألف مرة فيما سواه، ويكتب له أجر الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بألف صلاة، فإذا شرح له الوالدان ما تم في هذه الأماكن من سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيرة سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل وسيدتنا هاجر عليهم الصلاة والسلام، وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم، فإن ذلك لا ينساه الطفل ويتعلق قلبه بحب الإسلام وفرائضه.

- اتفق الأئمة على أن الطفل إذا حج قبل أن يبلغ الحلم، فيجب عليه حجة أخرى هي فريضة الإسلام، وتكتب حجته وهو صغير تطوُّعًا له يثاب عليها، ويثاب من أعانه عليها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أيُّما صبي حج ثم بلغ الحنث، عليه حجة**» رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

- روى الطبراني بسنده «**جاء غلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أريد هذه الناحية للحج، قال: فمشى معه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرفع رأسه إليه فقال: يا غلام، زَوَّدك الله التَّقْوى، وَوَجَّهك في الخير، وكفاك الهمَّ، فلما رجع، سلم على النبي صلى الله عليه وسلم، فرفع رأسه إليه فقال: يا غلام، قبل الله حجَّك، وكفَّر ذنبك وأخلف نفقتك**» وبالطبع فهذا الغلام الصغير لا بد أن يكون حجه مع قافلة من الحجاج وصحبة مأمونة. وفي هذا جواز حج الصغير، وتوديعه، والترحيب بعودته، والدعاء له بالمأثور.

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**جهاد الكبير والصغير والضعيف والمرأة: الحج والعمرة**» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. فالحج والعمرة جهاد مَنْ لا يقدر على الجهاد ممن ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

***

متى يدافع الصغير عن وطنه وعن دينه؟ ومتى يجاهد الصغير في سبيل الله؟

* لعل هذا التساؤل يثير دهشة البعض، إذ سيقول: ما للصغير والجهاد؟ وأقول: الجهاد فريضة لا بد أن يقوم بها القادر عليه، ولا بد للطفل أن يكبر ويجاهد في سبيل الله، فلا يبقى إذًا إلا هذا التساؤل: متى يجاهد الصغير في سبيل الله؟ عن عبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم: «**أنهما بايعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهما ابنا سبع سنين، فلمنا رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسَّم وبسط يده فبايعهما**» رواه الطبراني في الأوسط والكبير ورجاله رجال الصحيح غير واحد مختلف فيه. إن السؤال أصبح: متى علم هذان الصغيران بأمور البيعة والجهاد؟ إنه لا بد وقد سبق هذه السن تعليم وحض على الجهاد في سبيل الله من الوالدين، وهذا هو الغرض من السؤال الأول، إن الوالدين عليهما أن ينشِّئا الصغير منذ أن يدرك، أن الله فرض جهاد أعداء الله. وأن هذا الجهاد شرف وعزة وبطولة وشهادة وجنة عرضها السماوات والأرض. إن

بناء الرجولة وحب البطولة شيء تقوم به الأم مع ابنها، فترضعه هذه المعاني حتى تكبر نفسه عليها، كما تطعمه الغذاء ليكبر جسمه، وهكذا كانت أمهات الأبطال المدافعين عن الأوطان والفاتحين يفعلن ويحرصن على هذه المعاني، روى أبو داود بإسناد صحيح قال: «عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه -وكان قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم- وذهبت به أمُّه، زينب بنت حُمَيْد رضي الله عنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، بايعه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو صغير، ومسح رأسه» انظر هذا الحرص من تلك الأم على أن يبايع ابنُها النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد! رواه البخاري أيضًا وفيه زيادة، «**ودعا له، وكان يضحي بالشاة الواحدة عن جميع أهله**» فكيف لا يصبح مثل هذا الطفل وأمثاله والذي تربيه بهذه الأم وأمثالها رضوان الله عليهن، أبطالًا يقيمون شرع الله في الأرض ويدافعون عنه، وعن الوطن، ويحاربون أعداء الله في الأرض؟ وهذا غلام صغير يذهب بنفسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلب منه المبايعة، فيشفق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لصغره، ويؤجله، فعن الهرماس بن زياد رضي الله عنه قال: «**مددت يدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا غلام؛ ليبايعني، فلم يبايعني**» رواه النسائي وإسناده حسن. وهذا بطل الإسلام الزبير بن العوام رضي الله عنه يأمر ابنه الصغير الذي يبلغ السابعة أن يذهب ويبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن أسماء بنت أبي بكر، زوج الزبير رضي الله عنهم قالت: «**جاء عبد الله بن الزبير وهو ابن سبع سنين -أو ثمان- ليبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمره بذلك الزبير، فتبسَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه مقبلًا، ثم بايعه**» رواه البخاري ومسلم.

- وهذه المبايعات على الجهاد لا تعني دفع هؤلاء الصغار لقتال الأعداء، ولكنها تحميل المسؤولية للطفل على الجهاد في سبيل الله متى أطاق في مستقبل عمره، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «**عُرِضْتُ أنا وابن عمر يوم بدر على النبي صلى الله عليه وسلم فاستصْغَرَنا، وشهدنا أحدًا**» رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. فقد شهد البراء وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم غزوة أحد مقاتلين للكفار، بعد أقل من سنتين من ردِّهما عن القتال في غزوة بدر.

- لم يكـن جهـاد الصغـار متعلقًـا بواحـد أو اثنـين مـن الغلـمان، بـل كل الصغـار كانـوا متطلعـين لهـذا الـشرف العظيـم، مطالبـين بـه كحـقٍّ لهـم، متدربـين ومتأهلـين لهـذا العمـل الشـاق والبـذل الكبـير في سـبيل اللـه، حتـى إنـه كان يقـام لهـذا الأمـر سـنويًّا اسـتعراض للبطولـة والقـوة لـكل الصبيـان لينـال منهـم القـادر عليـه. روى سـمرة بـن جنـدب رضي اللـه عنـه قـال: «**كان النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم يعـرض غلـمان الأنصـار في كل عـام، فمـن بلـغ منهـم بعثـه، فعرضهـم ذات عـام، فمـرّ بـه غـلام فبعثـه في البعـث، وعـرض عليـه سـمرة مـن بعـده فـردّه، فقـال سـمرة: يـا رسـول اللـه، أجـزت غلامًـا وَرَدَدْتَنـي، ولـو صارعنـي لصرعتـه؟ قـال: فدونـك فصارعـه، فصارعتُـه فصرعتـه، فأجـازني في البعـث**» رواه الطـبراني ورجالـه كلهـم ثقـات. إنهـا مهرجانـات رياضيـة هادفـة للصغـار وفـرق الشـباب، وكانـت هـذه رياضاتهـم وهـذا هـو لعبهـم.

- عـن ابـن عبـاس رضي اللـه عنهـما قـال: «**كان قدومنـا عـلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم لخمـس مـن الهجـرة، خرجنـا متوصلـين مـع قريـش عـام الأحـزاب، وأنـا مـع أخـي الفضـل ومعنـا غلامنـا أبـو رافـع، حتـى انتهينـا إلى العَـرْج، فضـلَّ لنـا في الطريـق ركوبـة، وأخذنـا في ذلـك الطريـق عـلى الجثجاثـة، حتـى خرجنـا عـلى بنـي عمـرو بـن عـوف، حتـى دخلنـا المدينـة، فوجدنـا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم في الخنـدق، وأنـا يومئـذ ابـن ثمـاني سـنين، وأخـي ابـن ثـلاث عـشرة سـنة**» رواه الطـبراني. وهـي هجـرة ابـن عبـاس رضي اللـه عنهـما وهـو في سـن ثمـاني سـنين، وهـي هجـرة شـاقة في أوقـات عصيبـة تحمَّلهـا الطفـل الصغـير في سـبيل اللـه تعـالى. والعـرج والجثجاثـة موضعـان بـين مكـة والمدينـة، وبنـو عمـرو بـن عـوف، قبائـل مـن الأنصـار كانـت تسـكن جنـوب المدينـة بمنطقـة قبـاء.

- كان لعـب الأطفـال الصغـار تدريبًـا عسـكريًّا، واسـتعدادًا للجهـاد، وكان الوالـد مـن الصحابـة يؤهـل أولاده ويشـاركهم ويعلمهـم، فعـل ذلـك سـيدنا أنـس بـن مالـك رضي اللـه عنـه مـع أولاده كـما رواه الطـبراني في الحديـث الصحيـح قـال: «**كان أنـس رضي اللـه عنـه يجلـس، ويُطْـرح لـه فـراش ويجلـس عليـه، ويرمـي ولـده بـين يديـه، فخـرج علينـا يومًـا ونحـن نرمـي فقـال: يـا بنـي بئـس مـا ترمـون، ثـم أخـذ القـوس فرمـى، فـما أخطـأ القرطـاس**» مـن ذلـك نعـرف أيـن أبناؤنـا مـن أبنائهـم.

وعـن ابـن عمـر رضي اللـه عنهـما قـال: «**أجـرى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم مـا ضَمُـر من الخيـل: مـن الخفيـاء إلى ثنيَّـة الـوداع، وأجـرى مـا لم تضمـر: مـن الثنيـة إلى مسـجد بنـي زريـق. قـال ابـن عمـر: وكنـت فيمـن أجـري، فطفَّـف بي الفـرس المسـجد**» رواه البخـاري ومسـلم، قـال سـفيان: مـن الخفيـاء إلى الثنيـة خمسـة أميـال، ومـن الثنيـة إلى مسـجد بنـي زريـق ميـل أو نحـوه. ومعنـى أجـرى: أي سـابق بـين الفرسـان عـلى الخيـل، وطفـف بي الفـرس: أي وثـب في محـاذاة المسجد بارتفاعـه. وهـذا يـدل عـلى اعتـماد المسـابقات الرياضيـة، والتـي كانـت تكسـب المهـارات في ركـوب الخيـل بأنواعهـا، وترتيـب الفرسـان والخيـل عـلى قـدر مسـتوياتهم. وروى البخـاري بسـنده «**خـرج رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم عـلى نفـر مـن أسـلم ينتضلـون بالسـيوف، فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: ارمـوا بنـي إسـماعيل، فـإن أباكـم كان راميًـا، ارمـوا وأنـا مـع بنـي فـلان، قـال: فأمسـك أحـد الفريقـين بأيديهـم، فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: مـا لكـم لا ترمـون؟ فقالـوا: كيـف نرمـي وأنـت معهـم؟ فقـال النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم: ارمـوا وأنـا معكـم كلكـم**» والانتضـال: الرَّمْـي بالسـهام. فهـذا تقسـيم للفـرق الرياضيـة يشـهده رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، ويشـجع أحـد الفـرق لإشـعال التنافـس الحميـد، ثـم لجلالتـه يتوقـف الفريـق الآخـر أدبًـا أن ينافسـوا فرقـة فيهـا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم لأن الرَّمـي هـو قـوة الجيـوش في تلـك الأزمـان.

- ولذلـك كلـه يذهـب عنـا العجـب مـما صنعـه فتيـان مـن الأنصـار رضـوان اللـه عليهـم، حـين قتـلا أبـا جهـل عليـه لعنـة اللـه في غـزوة بـدر. «**قـال عبـد الرحمـن بـن عـوف: إني لفـي الصـف يـوم بـدر إذ التفـتُّ، فـإذا عـن يمينـي وعـن يسـاري فتيـان حديثا السـنّ، فـكأني لم آمـن بمكانهما، إذ قـال لي أحدهـما سرًّا مـن صاحبـه: يـا عـم، أرني أبـا جهـل، فقلـت: يـا ابـن أخـي، فـما تصنـع بـه؟ قـال: أخـبرت أنـه يسـبُّ رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـال: والـذي نفـسي بيـده لـئن رأيتـه لا يفـارق سـوادي سـواده حتـى يمـوت الأعجـل منَّـا، فتعجَّبـتُ لذلـك. قـال: وغمـزني الآخـر، فقـال لي مثلهـا، فلـم أنشـب أن نظـرت إلى أبي جهـل يجـول في النـاس، فقلـت: ألا تريـان؟ هـذا صاحبكـما الـذي تسـألاني عنـه، قـال: فابتـدراه بسـيفيهما فضربـاه حتـى قتـلاه، ثـم انصرفـا إلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، فقـال: أيكـما قتلـه؟ فقـال كل واحـد منهـما: أنـا قتلتـه،**

قـال: هـل مسـحتُما سـيفكما؟ فقـالا: لا، فنظـر رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم إلى السـيفين، فقـال: كلاكـما قتلـه» رواه البخـاري. والفتيـان هـما: معـاذ بـن عمـرو بـن الجمـوح ومعـوِّذ بـن عفـراء رضي اللـه عنهـما.

***

بعض الأحكام التي تتعلق بالصغير

المولـود إذا وُلـد حيًّـا يـرث مـا كان مُسْـتَبْقًى لـه مـن وارثـه الـذي مـات أثنـاء حملـه، ولـو مـات بعـد لحظـة مـن ولادتـه، ولذلـك يـورث مـن بعـده. روى أبـو داود «أن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـضى أن المولـود إذا اسـتهلَّ، ثـم مـات، ورث وورَّث، وإذا لم يسـتهل فـلا يـرث ولا يـورث» ومعنـى اسـتهل: أي صرخ عنـد الـولادة، وهـي العلامـة عـلى حياتـه. وقـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**لا يـرث الصبـي حتـى يسـتهل صارخًـا، واسـتهلاله أن يصيـح أو يبـكي أو يعطـس**» رواه الطـبراني.

* اليتيـم مـن مـات والـده وهـو صغـير قبـل البلـوغ، فـإذا بلـغ لا يعـد يتيـمًا. قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**لا يتـم بعـد حُلْـم، ولا يتـم عـلى جاريـة إذا هـي حاضـت**» رواه الطـبراني والبـزار ورجـال الطـبراني ثقـات. والجاريـة: البنـت، والحيـض علامـة بلوغهـا. والمعنـى المـراد في اليتـم، هـو فقـد العائـل الـذي ينفـق عـلى الصغـير العاجـز عـن التكسُّـب، بجانـب رعايتـه والحُنُـوِّ عليـه، لذلـك جـاءت الأحاديـث التـي تحـض عـلى النفقـة والشـفقة عـلى اليتيـم؛ منهـا: «**مَـنْ ضـم يتيـمًا بـين أبويـن مسـلمين إلى طعامـه وشرابـه حتـى يسـتغني عنـه، وجبـت لـه الجنـة البَتَّـة**» رواه أحمـد والطـبراني.

* «**كان عبـد اللـه بـن الزبـير يقـضي بشـهادة الصبيـان، فيـما بينهـم مـن الجـراح**» أخرجـه الموطـأ. وجـاء أيضًـا، أنـه كان يجيزهـا إذا جـيء بهـم في حـال نـزول النازلـة، أي قبـل أن يسـمعوا أو يحفظـوا مـن الكبـار. وكان عبـد اللـه بـن الزبـير أمـيرًا للمؤمنـين، وهـذا القضـاء فيـما بـين الصغـار في الجـروح فقـط، وأمـام القـاضي، وإلا فبشـهادة الصغـار يسـتأنس بهـا القـاضي فقـط، ويـا ليـت بعـض الأمهـات يعرفـن ذلـك؛ لأن الكثـيرات يغضـبن ويخاصمـن الآخريـن بمجـرد سـماع شـكوى أولادهـم مـن أقرانهـم وجيرانهـم، دون التثبُّـت مـن هـذه الشـكوى، أو قبـل أن تسـمع الآخريـن.

* قد يحب أحد الوالدين أحد أولادهما أكثر من الآخرين، لسبب، أو غير سبب، فالقلوب والمحبة من الأرزاق المقسومة بين العباد، ولكن لا يؤثر ذلك في الآخرين، بأن يظهر هذه المحبة في سلوكه مع المحبوب منهم، أو يخصَّه ببعض العطاء دون غيره؛ إذ المساواة بين الأولاد مطلوبة وحتى لا تحدث المفاضلة بينهم آثارًا سيئة، إما في كراهة الأولاد لبعضهم بعضًا وإشعال الغيرة بينهم، وإما في كراهة الوالد، أو عدم الارتياح له، لهذا السلوك الذي لا تحبه النفوس، وخاصة نفس الصغير الحساسة لهذه الأمور. عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: «**تصدق علي أبي ببعض ماله، فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلق أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليشهده على صدقتي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بشير، ألك ولدٌ سوى هذا؟ قال: نعم، قال: أكلُّهم وهبتَ له مثل هذا؟ قال: لا، قال: أيسرُّك أن يكونوا إليك في البرِّ سواء؟ قال: بلى، قال: فلا إذًا**» رواه البخاري ومسلم، وفي رواية أبي داود «**إن لهم عليك من الحق أن تعدل بينهم، كما أن لك عليهم من الحق أن يبرُّوك**» وقد جاء في حديث أخرجه ابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد: «**سَوُّوا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلًا أحدًا، لفضَّلتُ النساء**» وذلك لقلة حيلتهن في الكسب.

- والمساواة ليست في العطية فقط، بل معظم التفضيل عادة يكون في المعاملة والمجاملة والمسامحة، والتَّقريب والإبعاد، والبشاشة والعُبوس، عن أنس رضي الله عنه «**أنَّ رجلًا كان عند النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء ابن له، فقبّله وأجلسه على فخذه، وجاءته بنت له، فأجلسها بين يديه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا سَوَّيتَ بينهما**» رواه البزار. ولعله ينفع أن نذكّر بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أعينوا أولادكم على البر، مَن شاء استخرج العقوق من ولده**» رواه الطبراني. وانظر حفظك الله من الزلل إلى مساواة رسول الله صلى الله عليه وسلم: عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: «**كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى، ثم يضمهما، ثم يقول: اللهم إني أرحمهما فارحمهما**» رواه البخاري. ومعلوم أن الحسن ابن بنته وأسامة ابن مولاه، ولكنهما يتربيان في محضن واحد. وأخيرًا أذكر بحديث

رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم الجامـع لـكل هـذه المعـاني «**رحـم اللـه والـدًا أعـان ولـده عـلى بـرِّه**» رواه الشـيخ ابـن حبـان.

* يُحيَّـا الطفـل بتحيـة الإسـلام، السـلام عليكـم ورحمـة اللـه وبركاتـه، مثـل الكبـار، ويجـب تعويد الطفـل ذكـره وتعليمـه لـه. عـن أنـس رضي اللـه عنـه قـال: قـال لي رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**يـا بنـي، إذا دخلـت عـلى أهلـك فسـلِّم، يكـن سـلامك بركـة عليـك وعـلى أهـل بيتـك**» رواه الترمـذي. ويجـب أن نعلمـه أن الصغـير هـو الـذي يبـدأ بالسـلام عـلى الكبـير، وأن الشـخص الـذي يركـب شـيئًا هـو الـذي يسـلِّم عـلى المـاشي، وأن العـدد القليـل مـن النـاس هـو الـذي يسـلم عـلى العـدد الكثـير، وأن الشـخص المـاشي هـو الـذي يسـلم عـلى القاعـد. روى أبـو هريـرة عـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «**يسـلم الراكـب عـلى المـاشي، والمـاشي عـلى القاعـد، والقليـل عـلى الكثـير، والصغـير عـلى الكبـير**» رواه البخـاري ومسـلم.

- عـن أنـس رضي اللـه عنـه قـال: «**أتى عـليّ رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وأنـا ألعـب مـع الصبيـان، فسـلّم علينـا**» رواه مسـلم. وعنـه رضي اللـه عنـه «أنـه مـرَّ عـلى صبيـان فسـلّم عليهـم، وقـال: كان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يفعلـه» رواه البخـاري ومسـلم.

* نهـى الإسـلام عـن أن يحلـق بعـض شـعر الصغـير ويـترك البعـض، وهـو مـا يسـمى لغـةً: القَـزَع، فقـد جـاء في الحديـث الصحيـح «**أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم نهـى عـن القـزع**» **وزاد في روايـة** «**قيـل: ومـا القـزع؟ فأشـار لنـا عبيـد اللـه بـن عمـر، قـال: إذا حُلـق للصبـي تـرك هـا هنـا وهـا هنـا، وأشـار عبيـد اللـه إلى ناصيتـه وجانبـي رأسـه، قيـل لعبيـد اللـه: والجاريـة؟ قـال: لا أدري**» وفي روايـة «**قـال عبيـد اللـه: قلـت لنافـع: ومـا القـزع؟ قـال: يحلـق بعـض رأس الصبـي ويـترك البعـض**» رواه البخـاري ومسـلم. وعـن ابـن عمـر رضي اللـه عنهـما قـال: «**رأى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم صبيًّـا قـد حُلـق بعـض شـعر رأسـه وتُـرك بعضـه، فنهاهـم عـن ذلـك، وقـال: احلقـوه كلـه، أو اتركـوه كلـه**» رواه أبـو داود وهـو عـلى شرط الصحيحـين. والجاريـة: البنـت الصغـيرة.

* ينبَّـه الطفـل الصغـير كلـما عطـس، أن يقـول: الحمـد للـه ونقـول لـه: يرحمـك اللـه، ونعلمـه أن يـرد عـلى مـن شـمَّتَهُ بقولـه: يهديكـم اللـه ويصلـح بالكـم، ونظـل معـه حتـى يتعلـم هـذا

الخلق الإسلامي ويحفظه، ونطلب منه أن يشمِّت من عطس ويدعو له إذا حمد الله. عن أبي بُرْدَة بن نيار رضي الله عنه قال: «**دخلت على أبي موسى الأشعري وهو في بيت بنت الفضل بن عباس، فعطستُ، فلم يشمتني، وعطَسَتْ فشمَّتَها، فرجعت إلى أمي، فأخبرتها، فلما جاءها قالت: عطس عندك ابني فلم تشمِّته، وعطست فشمتَّها؟ فقال: إن ابنك عطس فلم يحمد الله فلم أشمته، وعطست فحمدت الله فشمتها، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا عطس أحدكم فحمد الله، فشمِّتُوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه**» رواه مسلم. التشميت: أن تقول لمن عطس: يرحمك الله.

* يجوز أن يلبس الطفل الخاتم والعقد، من فضة، أو من ذهب، ولدًا كان الطفل، أو بنتًا، فإذا بلغ لا يجوز له لبس الذهب والتحلِّي به، ويجوز له كسائر الرجال التحلِّي بالفضة. عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حليةٌ أهداها النجاشي، فيها خاتم من ذهب، فيه فصٌّ حبشي، قالت: فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم بعودٍ معرضًا عنه، أو ببعض أصابعه، ثم دعا أمامة بنت أبي العاص من بنته زينب فقال: تحلِّي بهذه يا بنية**» رواه أبو داود. وروى الترمذي بسنده «**كان الحسن والحسين يتختَّمان في يسارهما**» وروى الطبراني بسنده قال: «**أتى بعض بني جعفر بن أبي طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أرسل معي من يشتري لي نعلًا وخاتمًا، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بلالًا، فقال: انطلق إلى السوق، فاشترِ له نعلًا واستجدَّها، ولا تكن سوداء، واشتر له خاتمًا، وليكن فصُّه من عقيق**» **وروى الطبراني أيضًا** «**من تختَّم بالعقيق لم يزل يرى خيراً**».

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**خرجتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة من النهار، لا يكلمني، ولا أكلمه، حتى جاء سوق بني قينقاع، ثم انصرف، حتى أتى مخدع فاطمة، فقال: أثمَّ لُكَع؟ -يعني حسنًا- فظننَّا أنه إنما تحبسه أمه لأن تغسله، أو تلبسه سخابًا، فلم يلبث أن جاء يسعى، حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إني أحبُّه وأحب من يحبُّه**» رواه البخاري ومسلم، ولكع: يريد الصغير، والسخاب: القلادة، خيط ينضم فيه خرز ويلبسه الصبيان والجواري، أي البنات.

* مـن الأحـكام القرآنيـة الـواردة في البيـوت، حكـم الاسـتئذان، داخـل البيـت مـن المقيمـين فيـه، بعضهـم عـلى بعـض في خلوتهـم أو في الحجـرة الخاصـة، أو الحجـرة المغلقـة عـلى مـن فيهـا، وهـو حكـم مريـح جـدًّا للجميـع حتـى يعيـش أفـراد الأسرة داخـل البيـت الواحـد، مطمئنـين ومرتاحـين، دون الخـوف مـن انكشـاف عـورة يتحـرج الإنسـان مـن كشـفها لأقـرب مـن يعيـش معهـم مـن أهلـه. إن هـذا الحكـم الشرعـي، والتوجيـه الربَّـاني، يؤصـل في النفـوس، احـترام المشـاعر، وعـدم خـدش الحيـاء، وعـدم الإقـلاق في أوقـات الراحـة، أو في الأوقـات المعتـاد إشـباع الحاجـات الغريزيـة، والتـي لا يحـب أحـد أن يقطـع عليـه الآخـرون اسـتمتاعهم. يقـول اللـه عـز وجـل: {يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آَمَنُـوا لِيَسْـتَأْذِنْكُمُ الَّذِيـنَ مَلَكَـتْ أَيْمَانُكُـمْ وَالَّذِيـنَ لَـمْ يَبْلُغُـوا الْحُلُـمَ مِنْكُـمْ ثَـلَاثَ مَـرَّاتٍ مِـنْ قَبْـلِ صَـلَاةِ الْفَجْـرِ وَحِـينَ تَضَعُـونَ ثِيَابَكُـمْ مِـنَ الظَّهِـيرَةِ وَمِـنْ بَعْـدِ صَـلَاةِ الْعِشَـاءِ ثَـلَاثُ عَـوْرَاتٍ لَكُـمْ لَيْـسَ عَلَيْكُـمْ وَلَا عَلَيْهِـمْ جُنَـاحٌ بَعْدَهُـنَّ طَوَّافُـونَ عَلَيْكُـمْ بَعْضُكُـمْ عَـلَى بَعْـضٍ كَذَلِـكَ يُبَـيِّنُ اللَّـهُ لَكُـمُ الْآَيَـاتِ وَاللَّـهُ عَلِيـمٌ حَكِيـمٌ} [النـور: ٥٨]، فالخـدم والأطفـال غـير البالغـين لا بـد أن يسـتأذنوا عـلى الوالديـن، أو الآخريـن قبـل أن يقتحمـوا عليهـم أماكـن نومهـم أو تواجدهـم في تلـك الأوقـات التـي يتخـلَّى فيهـا الإنسـان عـادة عـن الاحتشـام أمـام الآخريـن، حتـى ولـو أولاده وأفـراد أسرتـه، فـلا يتقيـد في ملبسـه أو مجلسـه أو أوضاعـه كلهـا، ويتحـرر مـن قيـود الاحتشـاد أوقـات الراحـة والاسـتمتاع. وهـذا الحكـم في بـاب الأولى يجـب عـلى البالغـين مـن أفـراد الأسرة، وهـذا الحكـم يخـص أولاد الوالديـن، ثـم يعـم الجميـع مـن حيـث الاسـتئذان، ويراعـى أن النـص عـلى تلـك الأوقـات المعتـادة، لا يخـرج باقـي الأوقـات إذا اعتـاد أهـل البيـت خلافهـا، لأن الغايـة مـن الاسـتئذان وحكمتـه تتوفّـر في تلـك الأوقـات الأخـرى.

- مـن الجميـل أن يسـلك الكبـار مـع الطفـل الصغـير هـذا المسـلك المهـذَّب، بـأن يسـتأذنوا في الدخـول عـلى الطفـل، حتـى يتفطَّـن ويتنبّـه لهـذا الأمـر، بجانـب مطالبـة الصغـير بـأن يسـتأذن هـو عنـد الدخـول عـلى أحـد في حجرتـه، وخاصـة ألا يفتـح بابًـا مغلقًـا لحجـرة أو مـكان فيـه أفـراد مـن الأسرة، إلا بعـد أن يسـتأذن –بـدق البـاب مثـلًا- وبعـد أن يأذنـوا لـه في الدخـول. وأنـه إذا طالبـوه بالانتظـار قليـلًا فعليـه الانتظـار حتـى يأذنـوا لـه. ويفعـل ذلـك مـع الصغـير مـن صِغَـره ومنـذ أن يـدرك معنـى الاسـتئذان حتـى يكـبر وهـو يسـلك هـذا السـلوك بتلقائيـة واعتيـاد.

- يستحب إذا أصبح الطفل مميِّزًا أن ينبَّه على ألا يتنصَّت لأحاديث الكبار، إلا إذا طلبوا منه الاستماع، حتى لا يعتاد هذا السلوك ويتَّصف به، وكذلك ينبّه على أنه إذا سمع حديثًا بين اثنين أو أكثر ألا ينقله ويحكيه للآخرين، وإذا عرف سرًّا من الأسرار، أو أخبره به أحد، فلا يفشيه. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**أتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان، فسلم علينا وبعثني إلى حاجته، فأبطأت على أمِّي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجته، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سرٌّ، قالت: لا تحدِّثن بسرِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدًا، قال أنس: والله لو حدَّثتُ أحدًا لحدَّثتك يا ثابت**» رواه مسلم، وثابت هو ثابت البناني تلميذ أنس رضي الله عنهما. وعنه رضي الله عنه قال: «**كان أول ما أوصاني به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال: يا بني اكتم سرِّي تكن مؤمنًا، فكانت أمِّي وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألنني عن سرِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أخبرهن به، ولا أخبر بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدًا أبدًا**» رواه أبو يعلى والطبراني، وكانت سن أنس عند ذلك ثماني سنين.

***

الصغيرة والحجاب

* الطفلة الصغيرة، يجب على الوالدين تحبيب الحجاب إليها، حتى ترغب في تغطية شعرها وبدنها تشبهًا بوالدتها وبالنساء، والصغيرة إن كانت لا تأثم من كشف شعرها أو بعض بدنها قبل سن التكليف، وهو البلوغ، ولكنها تؤجر على الحجاب مثل باقي العبادات التي تؤديها، كما سبق بيانه، وكذلك الوالدان يؤجران على تعليمها وترغيبها في ذلك وفي فعله إن فعلته، ويأثمان ولا تأثم الصغيرة، إن هما قصَّرا معها في ذلك حتى تبلغ. ويحسن ألا نتركها حتى تكتشف مفاتنها وتحب أن تظهرها مثل الكبيرات، فالصغيرة في سن قبل المراهقة، تحب النظر كثيرًا في المرآة وتعجب بجسدها وشعرها، فإذا كانت قد تعوَّدت الحجاب، فلا خطر من ذلك عليها، ولأن الضَّغط عليها في هذه السن، إن لم تكن لبست

الحجاب قبله، يجعلها تبغضه ولا ترتاح إليه، وقد تتخلى عن لبسه إن أمكنها ذلك فيما بعد.

- من الأساليب العملية النافعة، أن نشتري للصغيرة الملابس وغطاء الرأس من الألوان الجميلة التي تحبها الصغيرة، ونترك لها اختيار ما تشاء من ذلك، كما نجعل الهدايا في المناسبات، والتي تقدّم لها، من هذه الملابس.

- صلاة الصغيرة تُعوِّدها على هذه الملابس، لأنها تلبسها عند الصلاة فتصبح مألوفة لها، ومرتبطة بالدين الذي تحبه.

- تنبيهها إلى رؤية بعض المشهورات، والجميلات، وهن يرتدين الملابس الخاصة بالحجاب يشجعها على ارتدائها وحب التشبه بهن، وكذلك رؤيتها الصغيرات من أقرانها، والثناء عليهن أمامها، وبطريقة كأنها غير مقصودة، تزيدها رغبة في الحجاب.

***

الطفل وبرُّ الوالدين

* أن يبر الطفل الصغير والديه عندما يكبر، لا يكون ذلك إلا من غرس البر في نفس الصغير من قبل الوالدين ومن تعليمه وتعويده منذ صِغَره على بر الوالدين، وسوف يأتي إن شاء الله في فصل اكتساب الخصال، المنهج العملي لاكتساب هذا الخلق. روى الشيخ ابن حبان عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**رحم الله والدًا أعان ولده على برِّه» وجاء رجل إلى ابن المبارك، فشكا إليه بعض ولده، فقال: هل دعوتَ عليه؟ قال: نعم، قال: أنتَ أفسدته**». وروى الطبراني بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**أعينوا أولادكم على البر.. من شاء استخرج العقوق من ولده**». وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**سمّاهم الله الأبرار، لأنهم برُّوا الآباء، والأمهات، والأبناء، كما أن لوالديك عليك حقًّا، كذلك لولدك**» رواه الطبراني.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «**سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت:**

ثـم أي؟ قـال: الجهـاد في سـبيل اللـه» رواه البخـاري ومسـلم، وعـن معـاذ بـن أنـس رضي اللـه عنـه أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «**مـن بـرَّ والديـه طـوبى لـه، زاد اللـه عمـره»** رواه أبـو يعـلى والطـبراني والحاكـم وقـال: صحيـح الإسـناد، وقـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: «رضـا اللـه في رضـا الوالـد، وسـخط اللـه في سـخط الوالـد» رواه الترمـذي وابـن حبـان والحاكـم والطبراني والبـزار. فهـذه الأحاديـث وغيرهـا كثـير، يجـب عـلى الوالديـن والمربـين مـن المعلمـين، ذكرهـا للطفـل الصغـير وشرحهـا لـه، ومطالبتـه بالسـلوك عـلى هديهـا، وتحذيـره مـن عقوقهـما. وكذلـك يجـب عليهـم شرح آيـات القـرآن التـي تخـص وتوجـب بـر الوالديـن والترهيـب مـن عقوقهـما.

- «**أتى رسـولَ اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم رجـلٌ ومعـه شـيخ، فقـال لـه: يـا فـلان، مـن هـذا معـك؟ قـال: أبي، قـال: فـلا تمـشِ أمامـه، ولا تجلـس قبلـه، ولا تدعـه باسـمه، ولا تستسـب لـه»** رواه الطـبراني، وهـذا تعليـم مـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم للابـن، لتوقـيره، والوفـاء بحقـه مـن الاحـترام، وواجبنـا تعليـم مثـل هـذه الأمـور لأطفالنـا حتـى يوفـوا الوالـد حقـه مـن التقديـر والتبجيـل.

- وعـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه عـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**لا تمـشِ بـين يـدي أبيـك، ولكـن امـش خلفـه أو إلى جانبـه، ولا تـدع أحـدًا يحـول بينـك وبينـه، ولا تـأكل عرقًـا قـد نظـر أبـوك إليـه، لعلَّـه قـد اشـتهاه»** رواه الطـبراني. والعـرق: عظـم عليـه لحـم. كـما روى الطـبرني بسـنده عـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم «مـا بَـرَّ أبـاه مـن سـدَّدَ إليـه الطـرف بالغضـب» أي نظـر إليـه غاضبًـا منـه.

- عـن أنـس رضي اللـه عنـه «**أن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال ذات يـوم لغـلام مـن الأنصـار: ناولنـي نَعْـلى**»، **فقـال الغـلام: يـا نبـي اللـه، بـأبي أنـت وأمـي اتركنـي حتـى أجعلهـا في رجلـك، فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: اللهـم إن عبـدك هـذا يترضَّـاك فـارضَ عنـه»** رواه الطـبراني. وهـذا الفعـل مـن الغـلام يكـون رائعًـا إن فعلـه الطفـل الصغـير مـع والديـه.

الطفل وعقوق الوالدين

* العقوق لغةً: من العق وهو الشَّق والقطع، ويقال: عق والده؛ إذا عصاه وخرج عليه، كأنه يقطع ما بينه وبين الوالدين من الحقوق، وهو ضد البر. عن أنس رضي الله عنه قال: «**ذُكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر، فقال: الشرك بالله، وعقوق الوالدين**» رواه البخاري ومسلم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه**» رواه البخاري ومسلم. فلو صدَق الوالدان بيقين أن ولدهما يرتكب كبيرة من الكبائر، إذا شتم أحدًا فشتمه الآخر، لحرص كل منهما رحمةً وشفقة على الابن ألا يسب أحدًا، أو يجعل أحدًا يسب أباه بسبب سلوكه.

- يجب على الوالدين والمعلمين تلقين الصغير، ومنذ طفولته، أن للوالدين حقوقًا عليه، وأن عليه أن يفي لهما في كبره ومستقبله معهما، وبكل ما لهما عليه من الحقوق، ومنها النفقة إن احتاج لها وهو يملكها، خاصة وقد جعلهما الله سببًا في تعليمه وتغذيته حتى كبر وأصبح قادرًا على الكسب، لذلك روى البزار والطبراني «**جاء رجل يستعدي على والده، فقال: إنه يأخذ مالي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت ومالك لأبيك**» وفي رواية «**أنت ومالك من كسب أبيك**» كما روى الطبراني بسند رجاله رجال الصحيح، وابن ماجة «**أن رجلًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن لي مالًا وعيالًا وإن أبي يريد أن يأخذ من مالي إلى ماله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت ومالك لأبيك**». فهذه الأحاديث وأمثالها يجب أن تألفها آذان الصغار، ويجب أن تتشرب معانيها قلوبهم، حتى يدركوا مدى حقوق الوالدين، وأن عدم الوفاء بهذه الحقوق من الكبائر.

- وأختم هذا الحكم الهام بهذه الواقعة المؤثرة: «**جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن أبي أخذ مالي. فقال صلى الله عليه وسلم: اذهب فأتني بأبيك، فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك: إذا جاءك الشيخ، فسله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه، فلما**

جاء الشيخ قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما بال ابنك يشكوك؟ أتريد أن تأخذ ماله؟ فقال: سله يا رسول الله هل أنفقته إلا على إحدى عمّاته، أو خالاته، أو على نفسي؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إيه، دعنا من هذا، أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذناك؟ فقال الشيخ: والله يا رسول الله ما يزال الله يزيدنا بك يقينًا، لقد قلتُ شيئًا في نفسي ما سمعته أذناي، فقال: قل وأنا أسمع، قال: قلت:

غذوتُك مولودًا ومِنْتُك يافعًا نُعَلُّ بما أجني عليك وتَنْهَلُ
إذا ليلة ضافتك بالسِّقم لم أبِتْ لسقمك إلا ساهرًا أتململُ
كأني أنا المطروقُ دونك بالذي طُرِقْتَ به دوني فعيني تهملُ
تخاف الرَّدى نفسي عليك وإنها لتعلم أن الموت وقت مؤجَّلُ
فلما بلغت السنَّ والغاية التي إليها مدى ما كنتُ فيك أؤمِّل
جعلتَ جزائي غلظةً وفظاظةً كأنك أنت المنعمُ المتفضلُ
فليتك إذا لم ترع حق أُبُوَّتي فعلتَ كما الجار المجاور يفعل
تراه معدًّا للخلاف كأنه بردٍّ على أهل الصواب موكلُ

حينئذٍ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه فقال: أنت ومالك لأبيك» رواه الطبراني في الكبير والصغير والأوسط، وروى ابن ماجة طرفًا منه.

***

الطفل وصلة الرحم

* مما عمَّت به البلوى بين المسلمين، ضعف صلة الرحم، أو قطعها، والتدابر والتباغض بين الأقارب، لذلك، وحتى نعيد الخير بين الناس، ويتقوى المجتمع المسلم، ويتآلف الأقارب ويتواصلوا، لا بد أن نبدأ من تعليم الطفل هذا الخير، وهذا الخلق الأصيل في بناء المجتمع، وترابط الأسر. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ سرَّه أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره، فليصل رحمه» رواه البخاري والترمذي ولفظه «تعلَّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر**» ومنسأة في الأثر، أي زيادة وبركة في العمر. إنها دعوة كريمة من

رسـول الرحمـة صـلى اللـه عليـه وسـلم أن نحـرص عـلى أن نتعلّـم ونحفـظ، كل أقاربنـا وأبنـاء أرحامنـا، فـلا ننسـاهم أو نهملهـم، ويجـب أن نعلـم الطفـل الصغـير ونعرفـه كل أقاربـه مـن ناحيـة والـده، ومـن ناحيـة والدتـه أصـولًا، وفروعًـا، وحـواشي، أي آبـاء، وأبنـاء، وإخـوة وأخـوات وأعـمام وعـمات، وخـالات وأخـوال، وأبناءهـم وأقاربهـم، فـكل هـؤلاء، يسـعد الصغـير بمعرفتهـم، ويعتـز بهـم وبصلتـه وقرابتـه لهـم، فقـراء كانـوا، أو أغنيـاء، كانـوا هـم واصلـين للرحـم معنـا، أو قاطعـين لهـا. إني للأسـف شـاهدت أبنـاء عمومـة يقيمـون في مدينـة واحـدة، لا يعـرف بعضهـم بعضًـا، ومَـنْ يتعـارف مـن الأقـارب في زماننـا هـذا، قـد يكتفـي بالسـؤال أو الزيـارة النـادرة، وكأنـه غريـب يـزور غربـاء. إننـا نحتـاج إلى بـث حـرارة المـودّة والقـربى في الأجيـال الصغـيرة حتـى تعيـد هـذه الأجيـال صلـة الرحـم، كأصـل مـن أصـول قـوة المجتمـع، وسـعادة الأُسر.

- مـن الأسـاليب العمليـة لتعويـد الطفـل صلـة الرحـم، أن يسـمع الخـير دائمًـا عـن أقاربـه، ولا نذكـر أمامـه مـا يبغِّضهـم لـه، ونحـدث الطفـل عـن الآبـاء والأجـداد والأعـمام والأخـوال وعـن أبنائهـم، وأيـن يقيمـون، وعـن أحوالهـم ومآثرهـم.

- ومـن الأسـاليب العمليـة ذات الأثـر الطيـب في نفـس الطفـل، اسـتضافة الأقـارب في البيـت، ودعوتهـم للمشـاركة في المناسـبات، حتـى يخالطهـم الطفـل، ويتبـع نفـس الأسـلوب عنـد كِـبَره، وفي الجانـب المقابـل نصطحـب الطفـل معنـا عنـد زيـارة الأقـارب، وتلبيـة دعوتهـم، وحضـور المناسـبات معهـم، وتهنئتهـم في الأعيـاد والمناسـبات، ومـن أفضـل الوسـائل، إرسـال الهدايـا والأطعمـة لهـم مـع الطفـل الصغـير.

- يعلِّـم الوالـدان الطفـل أن قطيعـة الرحـم ضـارة لـه في الدنيـا والآخرة، وأنـه كما أن للصلـة فوائد عظيمـة في الدنيـا والآخـرة، فـإن للقطيعـة مسـاوئ كبـيرة تلحقـه في الدنيـا والآخـرة، قـال رسـول اللـه صلى اللـه عليـه وسـلم: «**مـا مـن ذنـب أجـدر أن يعجِّـل اللـه لصاحبـه العقوبـة في الدنيـا، مـع مـا يدّخـر لـه في الآخـرة، مـن البغـي، وقطيعـة الرحـم**» رواه ابـن ماجـة والترمـذي وقـال: حديـث حسـن صحيـح، ورواه الحاكـم وقـال: صحيـح. ورواه الطـبراني وابـن حبـان وزاد فيـه «وإن أعجـل الـبر ثوابًـا، لصلـة الرحـم، حتـى إن أهـل البيـت ليكونـون فجـرة، فتنمـو أموالهـم، ويكـثر عددهـم، إذا تواصلـوا» وزاد ابـن حبـان في روايـة «ومـا مـن أهـل بيـت يتواصلـون فيحتاجـون».

- لا بأس من ترك الطفل بعض الوقت، يومًا، أو ليلة، عند الأقارب ليعتاد مخالطتهم ومعاشرتهم وتقوى الروابط معهم، وخاصة إذا كان لهم أطفال في مثل سنِّه أو قريبًا من سنه. عن ابن عباس رضي الله عنهما «**أن أباه بعثه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة، قال: فوجدته جالسًا مع أصحابه في المسجد، فلم أستطع أن أكلمه، فلما صلى المغرب، قام يركع حتى انصرف من بقي في المسجد، ثم انصرف إلى منزله، وتبعتُه، فلما سمع حسِّي قال: من هذا؟ قلت: ابن عباس، قال: ابن عم رسول الله؟ قلت: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ما تريد أن تبيت عند خالتك الليلة، قد أمسيت؟ فوافقْتُ ليلتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيتها، فعشَّتْني**» رواه الطبراني. وهكذا علمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يتواصلون، قولًا، وعملًا، وبهذه الروح التي تفوق العظمة، من المودَّة والتَّرحيب، حتى للطفل الصغير. ولذلك قال أنس رضي الله عنه: «**ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم**» رواه مسلم.

***

الطفل والرُّقْيَة

* من الإيمان بالغيب، أن نؤمن بالجن والملائكة، وأن الله تعالى بحكمته، جعل من الجن شياطين وأعداءً للإنسان، وجعل الملائكة أعوانًا وأولياء للمؤمنين، ومن الإيمان أيضًا، أن الله تعالى جعل الخير والشر، وجعل للخير أسبابًا وجعل للشر والضر أسبابًا، ظاهرة حسية تدرك بالحواس وفيها مدخل للعقل والعلم والخبرة، وجعل أسبابًا أيضًا غير ظاهرة، ولا تدرك بالحواس، وهي تؤثر فينا، وجعل الله تعالى لدفع هذه الأسباب غير الظاهرة، أسبابًا معنوية وإيمانية غيبية، أمرنا بالإيمان بها واتِّباعها والأخذ بها شرعًا، وإن لم ندرك الحكمة فيها عقلًا. من ذلك الأمراض والمصائب، التي تصيب الإنسان في بدنه، أو نفسه، أو أهله، أو ماله، فشرع الإسلام الذي يأمرنا بالتداوي وجاء في الحديث «**ما أنزل الله من داء، إلا أنزل معه دواء، فيا أيها الناس تداووا**»، هذا الشرع الحكيم أمرنا أيضًا بالتداوي بالرُّقَى الشرعية، وقاية قبل المرض، واستشفاء بعد وقوعه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا رأى أحدكم من نفسه، أو ماله، أو أخيه، ما يعجبه، فليدْعُ بالبركة، فإن العيْن حق**» رواه ابن ماجة وأحمد الطبراني ورجال أحمد والطبراني رجال الصحيح. وروى البزار بسنده عنه صلى الله عليه وسلم «**من رأى شيئًا فأعجبه قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لم يضرّه**». وعن أسماء بنت عُمَيْس رضي الله عنها قالت: «**يا رسول الله، إن ولد جعفر تسرع إليهم العين، أفأسترقي لهم؟ قال: نعم، فإنه لو كان شيء سابق القدر، لسبقتْه العين**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ورواه أحمد وابن ماجة.

* شياطين الجن لهم إلمامٌ بالبشر، وتسلُّطهم على ضعفاء الإيمان، والصغار، أشَدُّ من غيرهم، ويقول الله تعالى: {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: ٢٧]، وقد أنزل الله تبارك وتعالى علينا سورتين، هما المعوِّذتان، لدفع كيد الشياطين، وشُرِعت لنا الرُّقى للتَّوَقِّي منهم، ولرفع ما أصابنا من مسِّهم ونفثهم ونفخهم. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**إذا كان جُنْح الليل، فكُفُّوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذٍ، فإذا ذهب ساعة من العِشَاء، فخلُّوهم**» ورواه البخاري ومسلم، ورواية أبي داود «**فإن للجن انتشارًا وخطفة**» **ورواية الطبراني ورجاله ثقات** «**إذا غربت الشمس، فكفوا صبيانكم فإنها ساعة تنتشر فيها الشياطين**».

- قال سهيل بن أبي صالح «**أرسلني أبي إلي بني حارثة، ومعي غلام لنا، فناداه منادٍ من حائط باسمه، قال: وأشرف الذي معي على الحائط، فلم يَرَ شيئًا، قال: فذكرتُ ذلك لأبي، قال: لو شعرتُ أنك تلقى هذا لم أُرْسلك، ولكن إذا سمعت صوتًا فنادِ بالصلاة، فإني سمعتُ أبا هريرة يحدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الشيطان إذا نودِيَ بالصلاة، وَلَّى وله حُصَاص**» رواه مسلم. والمناداة بالصلاة: أي الأذان. والحصاص: الضِراط مع شدَّة العدو. ولعل هذا الأذان ندرك منه، سنّة الأذان في أذن المولود.

- عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «**إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجارية في بيتها رأى في وجهها سفعة -يعني صُفْرة- فقال: بها نظرة، استرقوا لها**» رواه البخاري ومسلم. والجارية: البنت الصغيرة، والنظرة: إذا أصابته العين من الجن أو الإنس، قاله ابن الأثير.

- عـن الشِّـفاء بنـت عبـد اللـه رضي اللـه عنهـا قالـت: «**دخـل عـليّ رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وأنـا عنـد حفصـة، فقـال: ألا تعلِّمـين هـذه رقيـة النَّملـة، كـما علَّمتهـا الكتابـة؟**» رواه أبـو داود. والنملـة: قـروح تخـرج عـلى الجلـد. ولا يخفـى مـا في الحديـث مـن كـون زوجـات رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ورضي اللـه عنهـن، كـن مـدارس تعليميـة حتـى لتعليـم الكتابـة.
وعـن أم سـلمة رضي اللـه عنهـا قالـت: «**دخـل علينـا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وعندنـا صبـيّ يشـتكي، فقـال: مـا لـه؟ فقلنـا: إنمـا بـه العـين، فقـال: ألا تسـترقون لـه مـن العـين**» رواه الطـبراني ورجالـه رجـال الصحيـح. اشـتكى: أي مـرض.

***

بعض الرُّقَى المأثورة

- عـن ابـن عبـاس رضي اللـه عنهـما، أن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم كان يعلمهـم رقـى الحمَّـى والأوجَـاع كلهـا «**بسـم اللـه الكبـير، أعـوذ باللـه العظيـم، مـن كل عِـرْقٍ نَعَّـار، ومـن شر حـرِّ النـار**» رواه الترمـذي، ونَعَـرَ العـرق بالـدم: إذا ارتفـع.
- «**كان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم إذا اشـتكى الإنسـان الـشيء منـه، أو كانـت بـه قرحـة أو جـرح، قـال بإصبعـه هكـذا -أي وضـع سـبَّابته عـلى الأرض ثـم رفعهـا- وقـال: بسـم اللـه، تربـة أرضنـا، بريقـة بعضنـا، يشـفى بـه سـقيمنا بـإذن ربنـا**» رواه البخـاري ومسـلم. ولفـظ أبي داود «**كان النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم يقـول للإنسـان إذا اشـتكى -يقـول بريقـة، ثـم قـال بـه في الـتراب ... وذكـر الحديـث**» ومعنـاه: أن يتفُـل -أي ينفـخ- في يديـه، بعـد القـراءة، يضـع أصبعـه في الـتراب، ثـم يمسـح المريـض بـه.
- «**أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، كان إذا أتى مريضًـا، أو أُتِيَ بـه إليـه، قـال: أذهـب البـاس رب النـاس، اشـف أنـت الشـافي، لا شـفاء إلا شـفاؤك، شـفاءً لا يغـادر سـقمًا**» البخـاري ومسـلم، وفيهـما «**أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم كان يعـوِّذ بعـض أهلـه، يمسـح بيـده اليمنـى ويقـول: ... الحديـث**».
- عـن عائشـة رضي اللـه عنهـا «**أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، كان إذا اشـتكى يقـرأ عـلى نفسـه بالمعـوِّذات، وينفـث، فلـما اشـتدَّ وجعـه كنـتُ أقـرأ عليـه، وأمسـح عليـه بيمينـه رجـاء**

بركتها» البخاري ومسلم، ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه في مرضه أعظم أطبَّاء العرب ووضعوا له الدواء وكان يشربه في مرضه الذي توفَّاه الله فيه.

- «**أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، اشتكيتَ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، فقال جبريل: باسم الله أرقيك، من كل داء يؤذيك، ومن شر كل نفس وعين، باسم الله أرقيك، والله يشفيك**» رواه مسلم والترمذي.

- «**أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبي وجع قد كاد يهلكني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: امسح بيمينك سبع مرات، وقل أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**» رواه مسلم والترمذي وأبو داود.

- «**مَنْ عاد مريضًا لم يحضر أجله، فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم أن يشفيك، إلا عافاه الله عز وجل من ذلك المرض**» رواه أبو داود الترمذي وحسَّنه.

- «**كنَّا جلوسًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ مرَّ به الحسن والحسين وهما صبيان، فقال: هاتوا ابنيَّ أعوذهما بما عوَّذ به إبراهيم ابنيه إسماعيل وإسحاق، قال: أعيذكما بكلمات الله التَّامَّة، من كل عين لامَّة، ومن كل شيطان وهامة**» رواه الطبراني، وفي رواية «**كان يعوِّذ الحسن والحسين، أعيذكما بكلمات الله التامة، من شر ما خلق وذرأ وبرأ**».

- «**إذا وجد أحدكم ألمًا فليضع يده تحت ألمه، ثم ليقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته على كل شيء، من شر ما أجد**» رواه أحمد والطبراني.

- «**بسم الله الرحمن الرحيم، أعيذك بالله الأحد الصَّمد الذي لم يولد ولم يلد ولم يكن له كفوًا أحد، من شر ما تجد**» أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

- «هذه الكلمات دواء من كل داء: أعوذ بكلمات الله التامَّة، وأسمائه كلها عامَّة، من شر السامَّة والهامة، ومن شر العين اللامَّة، ومن شر حاسد إذا حسد، ومن شر أبي قَتْرة وما ولد» أبو يعلى والبزار والطبراني، وأبو قترة كنية إبليس عليه اللعنة.

- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره عشر خلال ... وذكر الحديث وفيه الرُّقَى بغير المعوِّذات، وعقد التمائم**» رواه أبو داود والنسائي.
والتمائم: التعاويذ والحروز. وعقدها: تعليقها على الإنسان.

***

الطفل حياته غبطة وسرور .. وقبضه من أهله أجر كثير

* عن معاذ بن جبل رضي الله عنه «**أنه مات ابن له، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعزِّيه بابنه، فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فأعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر، فإن أنفسنا وأموالنا وأهلنا من مواهب الله الهسة، وعواريه المستودعة، متَّعك الله به في غبطة وسرور، وقبضه منك بأجر كثير، الصلاة والرحمة والهدى إن احتسبته، فاصبر ولا يحبط جزعك أجرك فتندم، واعلم أن الجزع لا يردّ ميتًا، ولا يدفع حزنًا، وما هو نازل فكان قد، والسلام**» رواه الطبراني.

- «**أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه إبراهيم، فقبَّله وشمَّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان، فقال ابن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: يا ابن عوف، إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى فقال: إن العين تدمع، والقلب يخشع، ولا نقول إلا ما يُرْضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم محزونون**» رواه البخاري ومسلم. فالنبي صلى الله عليه وسلم مات له أبناء وبنات وأحفاد وأزواج وأعمام وعمات، وماتت أمه ومات من قبل أبوه. فهو صلى الله عليه وسلم قدوة الخلق في كل الأمور والأحوال.

- «**لما حُضِرت بنتٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم -أي بنته زينب- أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمّها إلى صدره، ثم وضع يده عليها، فقضت وهي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبكت أم أيمن، فقال لها رسول الله صلى الله**

عليه وسلم: يا أم أيمن أتبكين ورسول الله صلى الله عليه وسلم عندك؟ فقالت: ما لي لا أبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لستُ أبكي، ولكنها رحمة، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المؤمن بخير على كل حال، تنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله عز وجل» رواه النسائي وهو حديث حسن.

- «**كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جلس، يجلس إليه نفر من أصحابه، فيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره، فيقعده بين يديه، فهلك، فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة، لذكر ابنه، ففقده النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما لي لا أرى فلانًا؟ قالوا: يا رسول الله، بُنَيّهُ الذي رأيتَه هلك، فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن بنيه؟ فأخبره أنه هلك، فعزَّاه عليه، ثم قال: يا فلان، أيُّما كان أحبُّ إليك: أن تتمتّع به عمرك، أو أن تأتي إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدتَه قد سبقك إليه يفتحه لك؟ قال: يا نبي الله، بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها لي لهو أحب إليّ، قال: فذاك لك**» رواه النسائي وإسناده صحيح.

- «**من كان له فرطان من أمتي دخل الجنة بهما، قال عائشة: فمن كان له فَرَط من أمتك؟ قال: ومن كان له فرط يا موفَّقة، قالت: فمن لم يكن له فرط من أمتك؟ قال: أنا فرط أمتي، لم يصابوا بمثلي**» رواه الترمذي وإسناده حسن، والفرط: السابق المقدَّم، وهو هنا: من مات لإنسان ولد صغير فهو فرط له. وإن سؤال عائشة توفيق من الله لها، إذ نزل جبريل فأخبر بهذا الأجر والثواب لمن مات له ابن واحد.

- عن أبي حسَّان قال: قلت لأبي هريرة: «**إنه قد مات لي ابنان، أفما أنت محدِّثي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث يطيِّب أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم، صغارهم دَعَاميصُ الجنة، يتلقَّى أحدهم أباه -أو قال أبويه- فيأخذ بثوبه -أو قال بيده- كما آخذ بصنفة ثوبك هذا، فلا ينتهي حتى يدخله الله وأباه الجنة**» رواه مسلم. الدعاميص: جمع دُعْموص، وهي دُوَيْبة من دوابِّ الماء تضرب للسواء، شبَّه الطفل بها لصغره وسرعة حركته.

- «**قال النساء للنبي صلى الله عليه وسلم: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا في نفسك، فوعدهن يومًا لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن، فكان ممّا قال لهن: ما منكن امرأة تقدِّم ثلاثة من ولدها، إلا كان لها حجابًا من النار، فقالت امرأة: واثنين؟ فقال: واثنين**» رواه البخاري ومسلم. وفي رواية «**لم يبلغوا الحنث**» أي صغارًا لم يكتب عليهم الذنوب.

- «**أتت امرأة بصبيّ لها، فقالت: يا نبي الله، ادع الله لي فلقد دفنْتُ ثلاثة، فقال: دفنت ثلاثة؟! قالت: نعم، قال: لقد احتظرت بحظار شديد من النار**» رواه مسلم. احتظرت: امتنعت.

- «**من قدّم ثلاثة لم يبلغوا الحنث، كانوا له حصْنًا حصينًا، قال أبو ذر: قدّمتُ اثنين؟ قال: واثنين، فقال أُبَيٌّ بن كعب سيِّد القراء: قدمتُ واحدًا؟ قال: وواحدًا، ولكن إنما ذلك عند الصدمة الأولى**» رواه الترمذي. أي الجزاء على الصبر عند ابتداء وقوع الموت.

- «**ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد، لم يبلغوا الحنث، إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته**» رواه البخاري والنسائي. وروى النسائي أيضًا «**من احتسب ثلاثة من صلبه دخل الجنة، فقالت امرأة: أو اثنان؟ فقال: أو اثنان، فقالت المرأة: يا ليتني قلت: واحدًا**».

- **عن بُريدة رضي الله عنه قال: «كنت عند النبي فبلغه أن امرأة من الأنصار مات ابن لها فجزعت عليه، فقام النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه، فلما بلغ باب المرأة قيل للمرأة: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يدخل يعزِّيها، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أما إنه بلغني أنك جزعت على ابنك؟ قالت: يا نبي الله، ما لي لا أجزع وأنا رَقُوبٌ لا يعيش لي ولد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما الرقوب الذي يعيش ولدها، إنه لا يموت لامرأة مسلمة، أو امرئ مسلم، نسمة، قال: أو ثلاثة من ولده يحتسبهم، إلا وجبت له الجنة، فقال عمر وهو عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم: بأبي وأمي، واثنين؟ قال نبي الله صلى الله عليه وسلم واثنين**» رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

- «**من وُلد له ثلاثة أولاد في الإسلام، فماتوا قبل أن يبلغوا الحنث، أدخله الله الجنة برحمته إياهم**» رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات.

- «**ما من مسلمين يموت بينهما ثلاثة من الولد، لم يبلغوا الحنث، إلا جيء بهم يوم القيامة حتى يوقفوا على باب الجنة، فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون: حتى يدخل** آباؤنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم» الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

حتى السقط يغفر لوالديه

* عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثة من الولد، إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته إياهما، فقالوا: يا رسول الله، أو اثنان؟ فقال: أو اثنان، قالوا: أو واحد؟ قال: أو واحد، ثم قال: والذي نفسي بيده إن السقط ليجرُّ أمَّهُ بسرره إلى الجنة، إذا احتسبته» رواه أحمد والطبراني، وروى ابن ماجة منه: إن السقط إلى آخره.

يعيش حتى يصبح كهلًا، أم يموت صغير أحب للمؤمن؟

- «**أن رجلًا كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم مع ابنه، ثم إن ابنه توفِّي، فوجد عليه أبوه قريبًا من ستة أيام لا يأتي النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا أرى فلانًا؟ قالوا: يا رسول الله، إن ابنه توفي فوجد عليه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا فلان، أتحب أن ابنك عندك كأنشط الصبيان نشاطًا؟ أتحب أن ابنك عندك أجرأ الغلمان جراءة؟ أتحب أن ابنك عندك كهلًا كأفضل الكهول؟ أو يقال لك: ادخل الجنة ثواب ما أُخذ منك؟**» رواه أحمد، وفي رواية عنده أيضًا «**ألا تحب أن لا تأتي بابًا من أبواب الجنة إلا وجدته ينتظرك؟ فقال رجلٌ: يا رسول الله: أله خاصة أم لكلنا؟ قال: بل لكلكم**» ورواه النسائي ورجال أحمد رجال الصحيح.

من لم يمت له ولد قد يتحسر يوم القيامة

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما تعدُّون الرقوب فيكم؟ قلنا: الذي لا ولد له فقال: ليس ذلك بالرقوب، ولكنه الرجل الذي لم يقدِّم من ولده شيئًا**» رواه مسلم.

الرقوب: من لا يعيش له ولد، فنقله النبي صلى الله عليه وسلم إلى من لم يمت في حياته ولد، مثل حديث الكتف إذ سأل صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها: هل بقي من الشاة؟ قالت: لم يبق إلا كتفها، قال: بل لم يَفْنَ إلا كتفها.

الصغير يُغَسّل ويُصلَّى عليه

- «**لما مات إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم، صلى عليه صلى الله عليه وسلم في المقاعد**» رواه أبو داود. والمقاعد: اسم مكان.

- «**الراكب يمشي خلف الجنازة، والماشي كيف يشاء منها، والطفل يصلى عليه**» رواه الترمذي والنسائي وأبو داود.

- «يقرأ على الطفل فاتحة الكتاب، ويقول: اللهم اجعله سَلَفًا وفَرَطًا وذخرًا وأجرًا» رواه البخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

السقط يصلى عليه

* روى أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**السقط يصلى عليه، ويُدْعى لوالديه بالمغفرة والرحمة**» وأخرجه أحمد وإسناد أبو داود صحيح.

كيف يصلى على الصغير مع غيره

* «**حضرت جنازة صبي وامرأة، فقدِّم الصبي مما يلي القوم، ووضعت المرأة وراءه، فصلِّي عليهما، وفي القوم أبو سعيد الخدري وابن عباس وأبو قتادة وأبو هريرة، فسألتهم عن ذلك؟ فقالوا: السنَّة**» رواه أبو داود والنسائي.

- «**أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على ابنه إبراهيم، فكبر عليه أربعًا**» رواه أبو يعلى.

- «**أن أبا طلحة رضي الله عنه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمير بن أبي طلحة حين توفي، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصلى عليه في منزله، فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبو طلحة وراءه، وأم سليم وراء أبي طلحة، ولم يكن معهم غيرهم**» رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

الحزن والبكاء على الطفل لا يمنع من الأجر

* عن سيرين أخت مارية القبطية رضي الله عنهما قالت: «**حضرتُ موت إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنت كلما صحتُ وأختي صاح النساء، ولا ينهانا، فلما مات نهانا عن الصياح، وحمله إلى شفير القبر والعباس إلى جنبه، ونزل في القبر الفضل بن العباس وأسامة بن زيد، وأنا أبكي، فما نهاني**» رواه الطبراني.

ما يقول من مات له ولد

* عـن أبي سـنان الحنفـي قـال: «**دفنـتُ ابنـي سـنانًا، وأبـو طلحـة الخـولاني جالـس عـلى شـفير القـبر، فلـما فرغـتُ قـال: ألا أبـشِّرك؟ قلـت: بـلى، قـال: حدثنـي أبـو مـوسى الأشـعري قـال: رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: إذا مـات ولـد العبـد، قـال اللـه تعـالى لملائكتـه: قبضتـم ولـد عبـدي؟ فيقولـون: نعـم، فيقـول: قبضتـم ثمـرة فـؤاده؟ فيقولـون: نعـم، فيقـول: مـاذا قـال عبـدي؟ فيقولـون: حمـدك واسـترجع، فيقـول: ابنـوا لعبـدي بيتًـا في الجنـة، وسـمُّوه بيـت الحمـد**» رواه الترمـذي وأحمـد. وحمـدك واسـترجع: أي قـال: الحمـد للـه عـلى كل حـال، إنـا للـه وإنـا إليـه راجعـون. فـما أعظـم الإيمـان، طفـل يمـوت عـلى الأرض، وحـوار ربـاني ملائـكي مـن أجلـه مـن المـلأ الأعـلى.

***

بعض الآداب مع الطفل

* إذا كانـت هنـاك أنصبـة يـراد توزيعهـا، أو طعـام، أو شراب، وغـير ذلـك، فالسـنة أن نبـدأ بمـن عـلى يمـين مـن يقـوم بالتوزيـع، حتـى ولـو كان مـن عـلى اليمـين طفـلًا، أو نسـتأذنه في حقـه أن نعطـي الأكـبر منـه قبلـه ويـرضى بذلـك. روى البخـاري ومسـلم «**أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أُتِيَ بـشراب فـشرب منـه، وعـن يمينـه غـلام أصغـر القـوم، وعـن يسـاره، الأشـياخ، فقـال للغـلام: أتـأذن لي أن أعطـي هـؤلاء؟ فقـال الغـلام: واللـه يـا رسـول اللـه، لا أُوثـر بنصيبـي منـك أحـدًا، فَتَلَّـهُ رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم في يديـه**» أي وضعـه في يـده. ومـع هـذا إذا كان السـاقي أو المـوزع مـن غـير الجالسـين في المجلـس فعليـه أن يبـدأ بالكبـير. «**كان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم إذا سـقى، قـال: ابـدؤوا بالكـبراء، أو قـال: بالأكابـر**» رواه أبـو يعـلى والطـبراني ورجـال أبي يعـلى رجـال الصحيـح.

- عـن عبـد اللـه بـن أبي حبيبـة رضي اللـه عنـه، وقيـل لـه: مـا تذكـر مـن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: قـال: «**جاءنـا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم في مسـجدنا بقبـاء، فجئـت وأنـا غـلام حـدث حتـى جلسـتُ عـن يمينـه، وجلـس أبـو بكـر عـن يسـاره، قـال: ثـم دعـا بـشراب، فـشرب، وناولنـي عـن يمينـه**» رواه الطـبراني وأحمـد ورجالـه ثقـات.

* وأدب الصغير في السَّيْر مع من هو أكبر منه، أن يتنحَّى عن اليمين لمن هو أكبر منه. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «**خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المربد، فخرجت معه فكنت عن يمينه، فأقبل أبو بكر، فتأخَّرتُ له، وكان عن يمينه وكنت عن يساره، ثم أقبل عمر فتنحَّيت له، وكان عن يساره، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم المربد**» رواه أحمد. المربد: المكان الذي يوضع فيه التمر حتى يجفَّ.

أول من يأكل باكورة الثمر طفل

* يراعى عند ظهور فاكهة من الفواكه، أو ثمرة من الثمار، في أول موسمها، إذا حضرت، أن يعطيها لأصغر الحاضرين من الأطفال. روى مسلم «**أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بأول الثمر، فيقول: اللهم بارك لنا في مدينتنا، وفي ثمارنا، وفي مُدِّنا، وفي صاعنا، بركة مع بركة، ثم يعطيه أصغر من يحضر من الوِلْدان**» وروى الطبراني في الكبير والصغير ورجال الصغير رجال الصحيح «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أُتيَ بالباكورة من الثمار قَبَّلها، ووضعها على عينيه، ثم قال: اللهم كما أطعمتنا أوَّله فأطعمنا آخره، ثم يأمر به للمولود من أهله**» وفي رواية «**كان إذا أُتي بباكورة الثمرة أعطاها أصغر من يحضره من الوِلدان**».

النهي عن الدعاء على الولد

* مما تعمُّ به البلوى، أن كثيرًا من الأمهات، ينفعلن فيدعين على أولادهن، وقد تقول إحداهن: هذا الدعاء ليس من قلبي، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك فقال: «**لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعةً يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم**» رواه مسلم.

بركة حضور الطفل دعاء ختم القرآن

* من أوقات استجابة الدعاء، عقب ختم قراءة القرآن الكريم، لذلك يستحب جمع الأهل والأولاد عند هذا الدعاء لتعمّهم بركته، فعن ثابت البناني «أن أنس بن مالك رضي الله عنه، كان إذا ختم القرآن، جمع أهله وولده، فدعا لهم» رواه الطبراني ورواته ثقات.

يكره التفريق بين الصغير ووالده في المجلس

* مـما يراعيـه الـشرع، الحـرص عـلى مشـاعر الأبـوّة والبنـوّة، حتـى في الصغـير مـن السـلوك، لأن الطفـل يأمـن بجانـب أبيـه، والأب يشـفق عـلى الابـن في بعـده عنـه، لذلـك روى الطـبراني بسـنده عـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم: «لا يجلـس الرجـل بـين الرجـل وابنـه في المجلـس» وهـذا التوجيـه يسـتهدى بـه في أنمـاط السـلوك والمواقـف المشـابهة، كالمتابعـة في ركـوب المواصـلات، أو عنـد اسـتضافة الوالـد وابنـه، فـلا نفـرق في الجلسـة بينهـما، وهكـذا.

يستحب البشاشة مع الأطفال

* الطفـل عـلى فطرتـه، لا يحمـل هـمًّا، ولا يحـب الهـمَّ، ويحـب المـرح والـسرور، ويكـره العبـوس والنّكـد. روى البـزار بسـنده «**كان النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم مـن أفكـه النـاس مـع صبـيّ**» وروى الترمـذي عـن عبـد اللـه بـن الحـارث «**مـا رأيـت أحـدًا أكـثر تبسُّـمًا مـن رسـول اللـه صلى اللـه عليـه وسـلم**».

تطلُّع الطفل إلى ا لطَّريف من الأشياء

الطفـل يحـب العطـاء، ويحـب مـن يعطيـه، ويحـب مـن يهتـم بـه ويقـدره، والطفـل يرتبـط بذهنـه، أن القـادم إلى البيـت سـيحضر لـه شـيئًا معـه، ويتطلـع إليـه، ولـو كان ضيفًـا، ويهـش لمجـرد حضـور مـن تعـوَّد منـه أن يعطيـه شـيئًا، وأي شيء، ولـو كان قطعـة مـن الحلـوى، أو البسـكويت، أو قلـمًا، أو مسـطرة، أو كراسـة، المهـم أنـه ينتظـر شـيئًا ويتطلـع لـه. فالمستحسـن مـن الكبـار، وخاصـة الضيـوف لبيـت فيـه أطفـال، أن يحملـوا لهـم شـيئًا معهـم، وهـي عـادة طيبـة يجـب الحـرص عليهـا وإشـاعتها، وهـذا يحسـن مـع الكبـير، فـما بـال الطفـل الصغـير، وقـد قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**تهـادوا تحابـوا**» رواه البيهقـي. وقـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**أكرمـوا أولادكـم وأحسـنوا أدبهـم**» رواه ابـن ماجـة.

- روى الخرائطـي وابـن عـدي بسـندهما عـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم: «مـن حمـل طُرفـة مـن السـوق إلى عيالـه، فكأنمـا حمـل إليهـم صدقـة حتـى يضعهـا فيهـم». إن ذلـك الأدب في التعامـل مـع الأولاد، لـه مـن الآثـار الطيبـة في نفـوس الصغـار، مـا لا يعلمـه إلا خالـق الخلـق، العليـم بمـا في النفـوس ومـا يصلحهـا.

الحرص على تحفيظ الطفل شيئًا من القرآن

* بركة القرآن في نفس الطفل وقلبه وعقله وذاكرته، لا تحتاج إلى أدلة تساق لظهورها، بجانب الثواب في الآخرة، للطفل وللوالدين والمعلمين. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**من قرأ القرآن، فاستظهره، فأحل حلاله، وحرم حرامه، أدخله الله به الجنة، وشفَّعه في عشرة من أهل بيته، كلهم قد وجبت لهم النار**» الترمذي. واستظهره أي حفظه عن ظهر قلب. وروى أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**من قرأ القرآن وعمل به أُلبس والداه تاجًا يوم القيامة، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم، فما ظنكم بالذي عمل بهذا؟**»

***

٩ العشرة الطيبة

[مع الأولاد وتربيتهم]

كيف يكتسب الطفل الصفات؟

* قلب الصغير قابل لكل ما نقش فيه.
* التدرج، وتعاطي الأفعال طريق الاكتساب.
* الطفل وخلق النظافة والترتيب: في بدنه، في ملابسه، في فراشه وحجرته، في مكتبه وحقيبة مدرسته، في الشارع والمدرسة، الوقت والترتيب.
* كيف يكتسب الطفل القدرة على التحصيل المدرسي والتفوق؟ مجتمع المدرسة، آثار دخول المدرسة قبل السن المناسبة، المطلوب للطفل من الوالدين، كيف يكتسب الطفل القدرة على الاستذكار وأداء الواجبات المدرسية؟ كيف ينظم وقت الطفل؟ الطريقة الصحيحة في التحصيل والتفوق، الطريقة العلمية لاستذكار درس أو موضوع، كيف نتعامل مع الطفل ضعيف الذكاء.
* الطفل وبر الوالدين، الخطوات العملية.
* الطفل واكتساب المعايش. كيف يتكسب الطفل منذ نشأته؟

قلب الصغير قابل لكل ما نقش فيه

- يقول الإمام الغزالي في الإحياء: اعلم أن طريق تهذيب الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبيان أمانة عند الوالدين، وقلبه جوهرة طاهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يُمال به إليه، فإن عُوِّد الخير، وعُلِّمَه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه والداه، وكلُّ معلِّم له ومؤدِّب، وإن عُوِّد الشر، وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيِّم عليه والوالي له، ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا، فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى، وصيانته بأن يؤدِّبه، ويهذبه، ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء، ولا يعوِّده التنعم، ولا يحبب إليه الزينة والرفاهية، فيضيع عمره في طلبها إذا كبر، فيهلك هلاك الأبد، وينبغي أن يراقبه من أول أمره، وأول ظهور مخايل العقل عليه، ظهور الحياء لديه، فإنه إذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الأفعال، فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه، وهذه بشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب، وهو مبشِّر بكمال العقل عند البلوغ، فالصبي المستحي لا ينبغي أن يُهمَل، بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه.

- يقول الغزالي أيضًا: ولن ترسخ الأخلاق الدينية في النفس ما لم تتعوَّد النفس جميع العادات الحسنة، وما لم تترك جميع الأفعال السيئة، وما لم تواظب عليه مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة ويتنعّم بها، ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها، والأخلاق الجميلة تكون باعتياد الأفعال الجميلة، وبمشاهدة أرباب الأفعال الجميلة ومصاحبتهم، وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح، إذ الطبع يسرق من الطبع، والشر والخير سواء في ذلك. والأصل في تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء. وكل مولود يولد معتدلًا صحيح الفطرة، وإنما بالاعتياد والتربية تتهذَّب أخلاقه. وكلما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود، فينبغي أن يُكرم عليه، ويجازى عليه بما يفرح به، ويمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك مرَّة، فينبغي أن يتغافل عنه، فإن عاد ثانيًا فيعاتب سرًّا، ولا يكثر عليه العتاب في كل حين، فإن

ذلك يهوّن عليه الملامة، ويسقط وقع الكلام من قلبه، ويحسن أن يظل للأب عنده هيبة من أن يوبِّخه، والأم تخوِّفه بالأب.

***

التدرج وتعاطي الأفعال طريق الاكتساب

* الصغير سريع القبول للعلاج جدًّا، لعدم المعارضة عنده من كبر وعناد ورياسة، فيمكن ترسيخ الخلق فيه بسهولة، عكس الكبير إذ يصعب معه التغيير، وإن كان ممكنًا، حيث يتضاعف عنده الجهد والمجاهدة، إذ عليه أن يقتلع ما رسخ في نفسه أولًا، وما اعتاده، ثم غرس صفة الصلاح واعتيادها. والصفات الحميدة متعاونة وبعضها مرتبط ببعض، والصفات الخبيثة يستدعي بعضها بعضًا، ويجر بعضها إلى بعض، ويبدأ باكتساب الصفة الحميدة الأهم، فإن المشاغل كثيرة والوقت لا يتسع لإتقان الجميع، فالحزم أن يصرف الطاقة في اكتساب أهم الصِّفات، ثم يأخذ من كل صفة أحسنها إن تيسَّر له، حتى يستكمل ما يقدر عليه فيما بعد.

- وينبغي أن يتقن الطفل والصغير الطريق الحميدة المرضية، والصفات الحسنة، حتى يشب على الأنس بها وحبها والرغبة فيها، فلا يضرّه بعد ذلك أن يعرف الطرق الأخرى، لأنه بتكوينه أصبح نافرًا منها، مصدودًا عنها.

- التَّدرُّج في التربية والتدريب والإرشاد لازم حتى يكتسب الطفل الصفة، أو المهارة، أو لترسيخ الاعتقاد والخلق. فالصفات الخلقية والمبادئ والاعتقادية، مثل المهارات العضوية، تحتاج إلى التدرج في اكتسابها، وتكرار فعلها، حتى تُكتسب وتتقن، وتؤدى بسهولة ويسر، وبلا جهد أو صعوبة، مثل من يتعلم مهنة قيادة السيارات، أو تعلم لعبة رياضية، فإنه يتعلمها شيئًا فشيئًا، وبتكرار فعلها، تصبح سهلة على من يتعلمها بعد أن كانت صعبة وشاقة، بل بكثرة التكرار يمهر فيها ويؤديها بإتقان وكفاءة، مع اليسر في أدائها، وبأقل الجهد. فاكتساب الأخلاق رياضة ومجاهدة، بأن يحمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق

المطلوب، فمن أراد أن يحصِّل خلق الجود والكرم، فطريقه أن يتكلَّف تعاطي فعل الجوَّاد، وهو البذل للآخرين، وخاصة بالمال، فلا يزال يطالب نفسه بالبذل، فيواظب على العطاء ويتكلّفه رغم مشقَّته على النفس، فيجاهدها، حتى تألف نفسه فعل البذل، ويتيسر عليها فعله، ومع التكرار والوقت، تعتاد النفس البذل فيصير طبعًا لها، ويصير بذلك جوَّادًا.

- العلم بتهذيب الأخلاق، خلاف مباشرة التهذيب، فالعلم والتحصيل دافع قوي للفضيلة والرغبة في اكتساب الخلق، ولكن لا تُكتسب الصفة والخلق بمجرد تحصيل العلم بها، إذ لا بد من مباشرة الأفعال المكسبة للصفة وللخلق، مثل ذلك مثل الإيمان، لا بد من العمل بمقتضاه، ومن الأمثلة المجربة في ذلك، ما حكاه سهل بن عبد الله التستري، وهي حكاية مفيدة، لأن التجربة تُطلع على دقائق من العلم يستغرب سماعها، مع أنه يعظم نفعها، يقول سهل رحمه الله: كنتُ وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، فقال لي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ قال: قُلْ بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير تحرّك به لسانك: الله معي، الله ناظرٌ إليّ، الله شاهدي. فقلت ذلك ليالي، ثم أعلمتُه، فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك، ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته، فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة، قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدتُ لذلك حلاوة في سرِّي، ثم قال لي خالي يومًا: يا سهل، من كان الله معه وناظرًا إليه وشاهده، أيعصيه؟ إياك والمعصية.

- يقول الإمام الغزالي: ينبغي أن يمنع الطفل من كل ما يفعل في خفية، فإنه لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح، فإن تُرك تعوَّد فعل القبيح.

- ويقول الغزالي أيضًا لتوضيح الإرشاد ودرجات الاعتقاد، علمًا وعملًا: يبدأ مع الصبي في تقديم العقائد ليحفظها حفظًا، ثم لا يزال ينكشف له معناها في كبره شيئًا فشيئًا، فابتداؤه بالحفظ، ثم الفهم، ثم الاعتقاد والإيقان. ويحصل ذلك للصبي بغير برهان، فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان، أن شرحه في أول أمره للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان، وسبيله أن يشتغل بتلاوة القرآن، وتعلم التفسير، وقراءة الحديث ومعانيه،

ويشتغل بوظائف العبادات، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخًا بما يقرع سمعه من أدلَّة القرآن وحججه، وبما يرد عليه من فوائد وشواهد الأحاديث، وبما يسطع في قلبه في أنوار العبادات، وبما يسري إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم، فيكون أول التلقين كإلقاء البذر، وتكون هذه الأعمال كالسَّقْي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر، ويقوى ويرتفع شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

***

الطفل وخلق النظافة والترتيب

* يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الله طيِّب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظِّفوا أفنيتكم، ولا تشبَّهوا باليهود**» رواه الترمذي.

فالنظافة خلق ربَّاني، والله سبحانه يحب النظافة، ويحب النظيف، والنظافة مطلوبة في كل شيء، في أبداننا وبواطننا، وفي ملبسنا وفي مطعمنا، وفي بيوتنا وأفنيتنا، في شوارعنا، وحدائقنا وأماكن أعمالنا، في مدارسنا وأماكن لعبنا، وهكذا. روى الطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**طهِّروا أفنيتكم، فإن اليهود لا تطهِّر أفنيَتَها**» فأمة الإسلام لا بد أن تتفوَّق على سائر الأمم، ومن ذلك أن تختصّ بالنظافة، وتُعرف بالنظافة. روى ابن حبان في الضعفاء عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**تنظَّفوا فإن الإسلام نظيف**» وروى الطبراني في الأوسط بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**النظافة تدعو إلى الإيمان**».

- شرع الإسلام اجتناب النجاسات الحسية والمعنوية، الحسية كالبول والبراز، والمعنوية كالشرك {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ} وجاء في الحديث عن دعاء دخول الخلاء -أي دورات المياه- «أعوذ بالله من الخُبُث والخبائث» أي ذكور الشياطين وإناثها. فالشياطين خبيثة وتحب مواطن الخبائث، والمشركون أنجاس في نفوسهم المشركة، ويعتادون مخالطة النجاسات، بعكس المؤمن الطاهر، في باطنه وفي ظاهره، والعبادات قائمة على النظافة الحسية والمعنوية، فدخول الإنسان من البداية في الإسلام من الكفر، يجب فيه الغسل

للبـدن، ثـم التوبـة مـن الـشرك بالتلفـظ بالشـهادتين، والصـلاة يجـب لهـا الطهـارة مـن الحـدث الأصغـر، ومـن الحـدث الأكـبر، وهـي طهـرة مـن الذنـوب، والـزكاة طهـرة للـمال بنـص الحديـث، ومعناهـا اللغـوي: النـماء والـزكاة أي الطهـرة، والصـوم طهـرة للنفـس والبـدن، فالصـوم جُنَّـة، أي وقايـة مـن الذنـوب والآثـام، وهـي الخبائـث المهلكـة، والحـج يلزمـه التطهـر ظاهـرًا، وباطنًـا، وحتـى النفقـة إذا كانـت حرامًـا فـلا يقبـل منـه، وهكـذا العبـد دائـم التَّطهُّـر الحـسي والمعنـوي، بطهـارة النفـس عـن رذائـل الأخـلاق ومذمـوم الصفـات. وهـم في ذلـك -أي العبـاد- في تشـبّه دائـم بخلـقُ الملائكـة المقدسـين المطهريـن، والملائكـة تحـب الطهـارة، واللـه {يُحِـبُّ التَّوَّابِـينَ وَيُحِـبُّ الْمُتَطَهِّرِيـنَ} [البقـرة: ٢٢٢] والعمـل عـلى اجتنـاب الشـهوة والغضـب والحقـد والحسـد والكـبر والعجـب والبخـل وأمثـال ذلـك، هـو تزكيـة النفـس حتـى يمكـن بعـد تخليتهـا مـن هـذه الخبائـث، تحليتهـا بصفـات الحلـم والمـودّة والتواضـع والكـرم وأمثـال ذلـك مـن محاسـن الأخـلاق. فالنظافـة إذًا نظـام الديـن ومِلاكـه.

* وواجـب الوالديـن العمـل عـلى تنظيـف الطفـل وتعليمـه وتدريبـه وتحبيبـه للنظافـة، وأن يكـون نظيفًـا، وقـد كان الرعيـل الأول مـن المسـلمين يحرصـون عـلى تنظيـف أولادهـم، عـن أسـماء بنـت عُميْـس رضي اللـه عنهـا وهـي زوجـة جعفـر بـن أبي طالـب رضي اللـه عنـه قالـت: «**لمـا أصيـب جعفـر وأصحابـه، دخـل عـليّ رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، وقـد دبغْـتُ أربعـين ميتـة، وعجنـت عجنـي، وغسـلت بنـيَّ، ودهَّنتهـم، ونظفتهـم ... الحديـث**» رواه ابـن ماجـة وأحمـد. فلـم يمنعهـا عـن تنظيـف وتطييـب أولادهـا، أنهـا قامـت بدبـغ أربعـين فـروة لأربعـين ذبيحـة، ومـن أنهـا عجنـت العجـين. وهـذه فاطمـة بنـت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ورضي اللـه عنهـا تهتـم بنظافـة وملبـس الحسـن رضي اللـه عنـه، يقـول أبـو هريـرة رضي اللـه عنـه: «**خرجـت مـع النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم في طائفـة مـن النهـار، لا يكلمنـي ولا أكلمـه. حتـى جـاء سـوق بنـي قينُقـاع، ثـم انـصرف حتـى أتى مخـدع فاطمـة، فقـال: أثـم لكـع؟ -يعنـي حسـنًا- فظَنَّنـا أنـه إنمـا تحبسـه أمُّـه لأن تغسـله، أو تلبسـه سـخابًا، فلـم يلبـث أن جـاء يسـعى حتـى اعتنـق كل واحـد منهـما صاحبـه**» رواه البخـاري ومسـلم.

وأمـا تعليـم الطفـل النظافـة فيبـدأ منـذ يميّـز الطفـل بـين مـا هـو نظيـف، ومـا هـو قـذر وغـير نظيـف.

بالنسبة لبدنه:

١- يتوضأ، أو يغسل يديه ووجهه ورجليه قبل أن ينام كل ليلة.

٢- يتوضأ، أو يغسل يديه ووجهه ورجليه بعد استيقاظه كل يوم.

٣- يغسل يديه قبل وبعد كل تناول للطعام.

٤- يغسل يديه كلما تلوَّثت.

٥- يغتسل بعد كل لعب طويل، أصابه العرق بسببه.

٦- يغتسل على فترات متقاربة صيفًا، وبانتظام شتاءً كل ثلاثة أيام.

٧- يقلِّم أظافر يديه ورجليه كلما اقتضى الأمر، بحيث يتعهدها مرة كل أسبوع، ويحسن أن يكون ذلك قبل الغسل للجمعة.

٨- يغسل شعر رأسه مرة كل يوم، ويحافظ على نظافته وتسريحه، وخاصة البنت.

٩- يتعوَّد تنظيف أسنانه بعد كل طعام، وقبل النوم، ويخصص له فرشاة أسنان.

١٠- يحتفظ معه بقدر من مناديل ورق الوجه، لتجفيف العرق، وللتَّنخُّم فيها، أو البصاق، ويضع المستعمل في سلة المهملات.

١١- يجفّف الأذنين بالقطن بعد كل اغتسال.

١٢- يخصص للطفل فوطة يجفِّف بها وجهه وبدنه، تعلق في الحمام، ولا يستخدم غيرها.

بالنسبة لملابسه:

١- تُرتَّب في مكان مخصّص لها، وبحيث لا تختلط بغيرها، ويُراعى تهويتها ونفضها قبل ارتدائها.

٢- توضع الملابس التي استعملت ويراد غسلها في مكان خارج الحجرة يخصص لها.

٣- تعلّق الملابس التي تستعمل على علاقات مخصصة للطفل تكون في متناول يديه، ويحذّر بشدَّة من وضعها غير معلقة في الأماكن المعدّة لها.

٤- يفضل أن يكون للطفل ملابس خاصة للنوم، خلاف الملابس التي يمارس فيها نشاطاته أثناء يقظته.

٥- يفضل لبس جورب جديد أو مغسول كل يوم، ويوضع المستعمل في الحال بمجرد خلعه

في المكان المخصص للغسيل.

٦- يحافظ على نظافة الحذاء، من داخله، ومن خارجه، مع دهنه بالدهان المناسب، وأن يخصص لكل طفل مكان للأحذية بالقرب من باب البيت، بحيث يضعه بمجرد خلعه، وقبل أن يدخل به حجرات البيت، ويفضل أن يكون له في نفس المكان -شبشب- يلبسه داخل البيت، ويفضل أن يعوَّد ألا يلبس حذاء، أو شبشب إخوته.

٧- يفضل أن يتدرب الطفل على كيِّ ملابسه بنفسه، وأن يتم ذلك لكل الملابس التي تكوى بمجرد غسلها، ثم وضعها في أماكنها، ولا يعوَّد على كيِّها عند ارتدائها.

٨- يجب ألا يتعوَّد تلويث ملابسه، أو ارتداء الملابس الملوثة، ويتم زجره على ذلك بعد التعليم والتفهيم المناسب.

٩- يلقَّن الطفل أن نظافة الملابس مظهر إسلامي، وخلق جميل، وأن الملابس النظيفة والبسيطة، أفضل قيمة من الملابس الثمينة، وأن العناية بالنظافة أهم من العناية بالأغلى ثمنًا في الملابس.

بالنسبة لفراشه وحجرته:

١- عدم استخدام الفراش إلا للنوم والراحة، والمحافظة عليه نظيفًا مرتبًا، بوضع الغطاء، والفرش، والمخدات، كل في موضعه، وترتيبه بعد الاستيقاظ من النوم وقبل دخول الحمام للتعوُّد على ذلك.

٢- يتم نفض الفراش عند النوم والتأكد من خلوّ الفراش والأغطية من أي شيء قد يكون علق بها.

٣- يتم تعويد الطفل أن يقوم بتهوية فراشه بنفسه، إن أمكنه ذلك، ويتعوَّد أن يغير الملاءات والأغطية بنفسه، وأن يضع المستعمل، والمراد غسله في المكان المخصص لذلك.

٤- لا يضع على الفراش أي شيء من أدواته، أو لعبه، ولا يلقي عليه أية مهملات، أو قصاصات الورق وغيره.

٥- يفضل ألا ينام الطفل إلا في فراشه، ولا ينام في فراش غيره، إلا للحاجة، وإذا نام في فراش غيره، فلا يتركه إلا نظيفًا ومرتَّبًا مثلما يفعل في فراشه.

٦- يحافظ على تهوية مكان النوم، وتجميل الحجرة بما يناسب عمر الطفل، وتنظيفها يوميًّا، وأن يشارك الطفل في ذلك، حتى ولو كان البيت فيه مَن يخدم ويقوم بذلك، وحتى يعتاد الطفل النظافة والترتيب عمليًّا في حياته بعد ذلك.

٧- يفضل أن تكون حجرة نوم الطفل مضاءة دائمًا، وحتى أثناء نومه، ولا يعوَّد على الظلام. وأن يقوم الطفل بنفسه بإطفاء اللمبات الكبيرة قبل نومه، مع بقاء لمبة صغيرة مضاءة. كما يفضل أن يوضع بالقرب منه -كشاف، أو بطارية- لاستخدامها عند انقطاع الكهرباء.

٨- يفضل أن يكون لكل طفل غطاء مستقل، بحيث لا يشترك مع إخوته في الغطاء الواحد، وخاصة أخته، ويلزم ذلك إذا بلغ أيهما سبع سنين.

بالنسبة لمكتبة وحقيبة مدرسته:

١- يمسح المكتب ويرتب ما عليه قبل الجلوس عليه.

٢- توضع عليه، وفي أدراجه، الأدوات والكتب، والكراسات، كلٌّ في موضعه، ويحافظ على أن توضع هذه الأشياء في موضع معين، لا يتغيَّر، حتى لا يبحث عنها في كل المواضع فيضيع الوقت والترتيب، ويخصص مكان للحقيبة المدرسية، أو تعلق خالية من الأدوات والكتب.

٣- لا يوضع في حقيبة الطفل المدرسية إلا المطلوب استعماله في كل يوم مدرسي، وحسب جدول الحصص المدرسية، ويشدّد في ذلك، حتى لا يحمل يوميًّا كل ما يملأ الحقيبة ويعود بها دون استعمال، وللمحافظة عليها، ولسهولة استخراج المطلوب منها. ويتم يوميًّا، وقبل النوم، وضع المطلوب استعماله في اليوم المدرسي التالي.

٤- يشدّد على الطفل، بأن لا يمزِّق شيئًا من الكتب، أو الكراسات، حتى يُنْتهى منها، فتُجنب في مكان مخصص لتصرف فيها، وحبذا لو أعيرت، أو أهديت لطفل آخر يحتاج إليه.

٥- يشدّد على الطفل، بأن لا يكتب بخطه على صفحات الكتب، أو يلوِّثها، إلا أن يكتب شرحًا، أو ملاحظة علمية مناسبة، فيكتبها منسَّقة وبخط جميل.

٦- توضع سلة مهملات قريبة من الطفل، يضع فيها ما يتخلف من قصاصات الورق أو النفايات المختلفة، أولًا بأول، ويحذر من إلقاء شيء من ذلك، على المكتب أو على أرض

الحجـرة. ويفضـل أن يوضـع عـلى المكتـب علبـة مناديـل ورق للاسـتعمال.

٧- يفضـل أن تتـم مراجعـة محتويـات الحقيبـة المدرسـية، مـع الطفـل وبموافقتـه، عنـد عودتـه مـن المدرسـة، وعنـد إعدادهـا لليـوم المـدرسي التـالي، حتـى يطمـئن الوالـدان عـلى سـلوك الطفـل، بعـدم إحضـار شيء لا يخصـه مـن المدرسـة، وللاطمئنـان عـلى وضـع كل المطلـوب لليـوم الـدراسي، ويجـب متابعـة ومراجعـة كتبـه وكراسـاته، وأدواتـه للاطمئنـان عـلى الدراسـة، ومـن أجل الإرشـاد وتوجيـه الطفـل، وإذا احتـاج الأمـر لتفتيـش الحقيبـة، أو الأدراج مـن ورائـه، فيفضـل ألا يعلـم الطفـل بهـذا التفتيـش، وقـد سـبق بيـان ذلـك في الفصـول السـابقة.

٨- يراعـى إضـاءة مـكان مذاكـرة الطفـل إضـاءة جيـدة، وتوفـير كـرسي مريـح مناسـب لعمـره، وتهويـة الحجـرة أثنـاء المذاكـرة، ويحسـن تزيـين الحجـرة والمكتـب بمـا يحبـه الطفـل حتـى يرتـاح للمـكان ولا يمـلّ الجلـوس للمذاكـرة.

٩- الأفضـل للطفـل تعليـق أشـيائه عـلى الحائـط، في حقائـب قـماش وغـيره، ليسـهل عليـه اسـتخدامها وحفظهـا. وتكـون بألـوان جميلـة ومفرحـة، ويمكـن صناعتهـا عـلى أشـكال الحيوانـات والطيـور، وحتـى تتسـع الحجـرة لـه، ولغـيره.

بالنسبة للشارع والمدرسة:

١- يخصـص في حقيبـة المدرسـة كيـس بلاسـتيك فـارغ، يضـع الطفـل فيـه كافّـة المخلّفـات، ويفرغهـا، أو يلقيـه بمـا فيـه، عنـد عودتـه مـن المدرسـة، ويحـذر مـن إلقـاء شيء في الشـارع.

٢- يحافـظ عـلى مـكان جلوسـه بالفصـل في المدرسـة، نظيفًـا، ويطالـب بمسـح المـكان بفوطـة توضـع بالمـكان، أو بمنديـل مـن الـورق، قبـل الجلـوس عليـه في بدايـة اليـوم المـدرسي.

٣- يمنـع مـن إلقـاء شيء في الفصـل، أو دورة الميـاه، أو في حـوش المدرسـة، وإذا كانـت هنـاك سـلة للمهمـلات فيمكنـه إلقـاء الأشـياء فيها.

٤- يعـوَّد، ويطالـب، ويشـجع، عـلى التقـاط مـا يلقـى في هـذه الأماكـن، وحتـى لا يـؤذي زمـلاءه، أو معلميـه، ويضعهـا في سـلة المهمـلات.

٥- يحـذر مـن قطـع شيء مـن المزروعـات والأزهـار، في المدرسـة، أو في الطريـق، ويعـوَّد المحافظـة عليهـا، فـإن أصحـاب الحضـارات الماديـة يعتـبرون تـصرف الطفـل في هـذه الحالـة دليـل مسـتوى الحضارة.

٦- يشارك الطفل في أنشطة المدرسة، للنظافة، والتجميل، والزراعة، وغير ذلك، حتى يتعلم ذلك، ويحافظ على ما بُذِل من جهد فيها، بالمحافظة عليها.

٧- يمنع الطفل من الكتابة والعبث على الحوائط، في البيت، أو الشارع، أو الفصل، أو المدرسة، وإذا أحب الطفل في مرحلة قبيل المدرسة، أو خلال فترة الدراسة، أن يعبث بالقلم -يشخبط- يفضل تخصيص كراسة تخصص لذلك، ويترك الطفل يمارس فيها هوايته، وقد يؤدّي ذلك إلى اكتشاف قدرة فنية لديه.

بالنسبة للوقت والترتيب:

* لا شك أن هناك علاقة بين الوقت والترتيب، فترتيب الشؤون، والأشياء، لا يكون إلا في وقت، والوقت بالضرورة محدود بالساعات، والأيام، والأسابيع، والشهور، والسنين. فإذا ضيعت الساعات ضاع اليوم، وإذا ضاع اليوم ضاع الأسبوع، وهكذا يضيع العمر بلا كثير فائدة.

١- يحسن أن نعوِّد الطفل على ترتيب شيء لكل وقت، حتى الراحة ترتب، فأوقات للراحة، وأوقات للنوم، وأوقات للعب، وأوقات للطعام، وأوقات للمذاكرة، وأوقات للعبادات، وأوقات للبيت، وأوقات لخارج البيت، وأوقات للزيارة، وأوقات للمدرسة، وأوقات للفسحة والتفرّج، وأوقات للهوايات والتدريب على المهارات، وهكذا بحيث لا يخلو وقت من شغل مقصود، فلا يترك شيئًا للفراغ.

٢- يوضع ذلك كله في جداول، وتتابع مع الطفل حتى يعتاد تنظيم وقته، والاستفادة منه.

٣- أعظم ما نعلمه الطفل، المحافظة على المواعيد، وضبطها، وعدم طغيان عمل على وقت عمل آخر.

*** كيف يكتسب الطفل القدرة على التحصيل المدرسي والتفّوق؟**

يقول النبي صلى الله عليه وسلم، وهو معلم البشرية: «**عَلِّموا، ويسَّروا، ولا تعسِّروا**» رواه أحمد، ويقول صلى الله عليه وسلم: «**إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلُّم، ومن يتحرَّ الخير يُعْطَه، ومَنْ يتق الشر يوقه**» رواه الطبراني.

الطفل ومجتمع المدرسة الجديد

* يبدأ الطفل مرحلة هامة ورئيسية في حياته، عند أول خطوة له إلى المدرسة الابتدائية، ويعتبر الصف الأول الابتدائي أخطر وأهم ما يؤثر في مستقبل الطفل الدراسي. فإذا تقبل الطفل مجتمع المدرسة، وأمكن أن يكون متفوِّقًا في الصف الدراسي الأول، فغالبًا ما يصاحبه التفوُّق في بقية مراحل التعليم، ما لم يطرأ له من العوارض ما يمنع هذا التفوُّق.

- والآباء والأمهات والمعلمون، يحملون عبء هذا التقبّل وهذا التفوّق من الصغير، بتوفير الطمأنينة وتجنب القلق عند الصغير، وخاصة بعدم إظهار الاهتمام الزائد، والذي يشعر الصغير بالرهبة، وأنه منتقل إلى أمر لا قبل له به، ومدفوع به إلى ما يشق عليه، وفي نفس الوقت عليهم أن يعملوا على إيجاد الثقة في نفس الصغير، بتهوين الأمر عليه، وتيسير مهمته، وتهيئة الجو المحبب إلى نفسه في البيت والمدرسة، وعلى المعلمين أن يدركوا أن المدرسة بالنسبة للصغير، عالم جديد، حيث يخالط لأول مرة مجتمعًا خارج مجتمع أسرته.

*** آثار دخول المدرسة قبل بلوغ السن**

* لهفة الوالدين على أن يلتحق الصغير بالمدرسة مبكرًا، وقبل أن يبلغ عامه السادس، كثيرًا ما تكون من عوامل الإرهاق المُضعف لذهن الصغير، ولقلة تحصيله، حيث لم يكن قد اكتمل نضجه الجسمي والعقلي بالقدر الملائم للمرحلة التعليمية، فيبدأ المرحلة ضعيفًا عن مستوى أقرانه بالصف الدراسي، مما يكون له الأثر عليه، سواء في تكيُّفه مع الأقران، أو في إحراز التفوُّق في الصفوف الدراسية التالية. وتحديد سن القبول في المرحلة الابتدائية بالعام السادس، له ما يبرره علميًّا وواقعيًّا.

*** المطلوب من الوالدين لطفل المدرسة**

* الطفل الصغير يقضي معظم وقته بالبيت، وهو محضنه الطبيعي، ويخرج للمدرسة ثم يعود للبيت، فعلى الوالدين تهيئته وإعداده قبل الخروج إلى المدرسة، ثم إحسان استقباله عند الحضور من المدرسة، وتشجيعه عند الخروج وإزالة قلقه، وتهدئته والعمل على راحته عند عودته حتى يستعيد نشاطه وطاقته النفسية.

- بخصوص الاستذكار، والتَّعويد عليه، على الوالدين في البيت ثلاثة أمور: تهيئة الجو الملائم

للاستذكار، وإعانة الطفل بالشرح والتوجيه، متابعة الطفل في دراسته، متابعة مستمرة، مع الطفل، ومع المدرسة.

١- بحسب إمكانيات الأسرة، يخصص مكان مناسب، ومكتب صغير، وكرسي، ومكتبة، أو أدراج، مع توفير سبل الراحة الكافية، والهدوء اللازم وقت الاستذكار، وتوفير الطمأنينة بإحساس الطفل بقرب أفراد أسرته منه، وعدم عزله كليًّا عنهم، وعدم إشغاله، بالنداء عليه، أو بتكليفه بأداء بعض الأعمال أثناء استذكاره.

٢- في بداية العام الدراسي على المعلمين ألا يثقلوا على التلميذ الصغير، والجديد على الدراسة، بالواجبات الدراسية، وعلى الوالدين في البيت أن يقدما العون المناسب للصغير، بالشرح والتوجيه، والمعاونة على الفهم، والتدريب والتشجيع على الجلوس للاستذكار، مع تحذير الوالدين من أن يقوم أحدهما بعمل الواجب نيابة عن الصغير، حتى لا يتعوّد على الاعتماد في ذلك على غيره، وليتعلم هو بنفسه، ويكتسب الثقة في النفس، والدُّربة على عمل الواجبات، وقد يكون الدافع للوالدين، هو إرضاء المعلم في المدرسة عن الطفل، والسرور منه لحسن وجودة كراسته، وهذا في الحقيقة هدف ثانوي إذا قُورن بالأضرار الشديدة على الطفل من جرّاء ذلك. ويكفي أن يتدخل أحد الوالدين بالمساعدة القليلة عند الاحتياج للتدخل الفعلي. كما يجب تحذير الوالدين أيضًا من مداومة الجلوس بجانب الطفل أثناء قيامه بالاستذكار، وإلا تعوَّد ألا يستذكر إلا بحبس أحد الوالدين بجانبه، حتى عندما يكبر، وليس ذلك بالطبع في مقدور أحد منهما، وتخليص الطفل من هذه العادة إذا تعوَّدها يكون صعبًا، عمليًّا ونفسيًّا. والاعتدال في ذلك، أن نطمئن على بدء الطفل في الاستذكار، ثم نتغيَّب عنه بقصد، ثم نُعاود الاطمئنان عليه، وهكذا على فترات مناسبة، ليتعود على الاستقلال بنفسه، والاعتماد على جهده، والاستغناء عن وجود الآخرين، حيث سيقوم بحل الاختبارات في المدرسة بعيدًا عن أحد الوالدين. ويجب أن يلاحظ أن الطفل قد لا يتعوّد بذل الجهد الذي في مقدوره، اعتمادًا على بذل الجهد من أحد الوالدين نيابة عنه في حل الواجب.

وهـذه الملاحظـة نفسـها قـد يَتَسـبب عنهـا وجـود مـدرس خصـوصي للطفـل. وفي هـذا خطـر إضعـاف قـدرة الطفـل، وتحريـك الدافعيـة عنـده. فيجـب عـدم المسـاعدة إلا عنـد التأكـد مـن عـدم قدرتـه بـدون مسـاعدة، وفي الحـدود التـي لا يسـتطيعها وحـده، ثـم تشـجيعه عـلى الإنجـاز المسـتقل، وتحفيـزه، وإظهـار السـرور بـه، والمديـح لـه، حتـى يصبـح الاسـتذكار مصـدرًا لسـروره وسـعادته.

٣- يجـب عـلى الوالديـن متابعـة حالـة الطفـل مـع المدرسـة، أولًا بـأول، والرجـوع إلى مـدرس الفصـل، أو المدرسـة، للوقـوف عـلى ملاحظاتـه عـلى الطفـل، مـن الناحيـة الاجتماعيـة ومـدى توافقـه ومسـايرته مجتمـع المدرسـة، وللوقـوف عـلى مسـتواه العلمـي، ومـا يراعـي مـع الطفـل بالبيـت، فقـد يكـون الطفـل ماهـرًا في أداء واجباتـه في البيـت، إلا أنـه يقـصِّر في أداء الاختبـارات في المدرسـة، فيمكـن التوصـل إلى معرفـة السـبب، مثـل أنـه تحـدث لـه رهبـة داخـل الفصـل، أو نتيجـة لتسـرّع الطفـل في الإجابـة قبـل التركيـز عـلى فهـم السـؤال، فبالتعـاون بـين الوالديـن والمعلـم يمكـن عـلاج حالتـه، بتنبيـه الطفـل مـن المعلـم عنـد الإجابـة، وبقيـام الطفـل بحـل نمـاذج الاختبـارات في البيـت بإرشـاد الطفـل لطريقـة الحـل السـليمة.

* قـد يجيـب الطفـل عـن الأسـئلة في البيـت أمـام أحـد والديـه بطريقـة سريعـة وسـهلة تـدل عـلى تفوّقـه، وفي نفـس الوقـت يحصـل في المدرسـة عـلى درجـات ضعيفـة عنـد اختبـاره بواسـطة المعلـم في الفصـل، وغالبًـا مـا يكـون وراء ذلـك، اختـلاف الطريقـة في شرح الموضـوع مـن الوالدين، ومـن المعلـم في المدرسـة، فغالبًـا مـا يكـون الوالـدان قـد تعلـما في صغرهـما بنـاء عـلى طريقـة قـد تغـيرت عـما يتعلـم بهـا طفلهـما، مـما يجعلهـما يشرحـان للطفـل بطريقـة يفهمهـا ويحـل بنـاء عليهـا أمامهـما حـلًّا سريعًـا صحيحًـا، ثـم يـؤدي الاختبـار بنـاء عـلى الطريقـة التـي تعلمهـا في البيـت، فتخالـف النتائـج والطـرق المتبعـة في المدرسـة، وبالطبـع التصحيـح يجـب أن يراعـي طـرق التدريـس بالمدرسـة، وليـس البيـت. والمثـال عـلى ذلـك، أن أم أحـد التلاميـذ ذهبـت إلى مدرسـته لتشـتكي مـن انخفـاض درجـات ابنهـا، عـلى الرغـم مـن قيامـه بالحـل الصحيـح دائمًـا في البيـت، وبمراجعتهـا وُجـد أنهـا تلجـأ إلى الطريقـة التقليديـة في شرح مـادة الحسـاب في الطـرح

مثلًا بـأن تسـأله: ١٦-٩. فيجيـب الطفـل أمامهـا: = ٧، وهـذه هـي الطريقـة التـي تعلمتهـا الأم، في حـين أن الطريقـة المتبعـة مـن المعلـم في المدرسـة طبقًـا للطريقـة الحديثـة يقـول للطفـل: إذا ذهبـت إلى محـل بقالـة لتشـتري شـيئًا ثمنـه ٩ قـروش، وفي جيبـك ١٦ قرشًـا، فهـل تخـرج لـه كل مـا معـك وهـو ١٦ قرشًـا، أم تعطيـه العـشرة قـروش فـيرد لـك قرشًـا؟ فالنتيجـة أنـك تضيـف القـرش إلى السـتة قـروش لتصبـح سـبعة. فالطريقـة القديمـة التـي تـشرح بهـا للطفـل ويجيـب بنـاء عليهـا تتكـون مـن خطـوة واحـدة، في حـين أن طريقـة المدرسـة تتكـون مـن خطوتـين. لذلـك يفضـل أن يحصـل الوالـدان عـلى كتـاب دليـل المعلـم للصـف الـذي يمـر بـه الطفـل لتعلـم طـرق التدريـس المتَّبعـة مـع الطفـل في المدرسـة.

***

كيف نحبّب القراءة إلى الطفل؟

* تعلـق الطفـل بالقـراءة ينبـع مـن تعلقـه بالكتـاب، فالمدخـل هـو أن نحبـب إليـه الكتـاب، وأن يتعـوّد عـلى قضـاء بعـض الوقـت مـع كتـاب يحبـه، مثـل توفـير بعـض الكتـب التـي لا تحتـوي إلا عـلى الصـور التـي يحبهـا للحيوانـات والطيـور وغيرهـا، فيقـوم بتصفُّحـه وتلويـن الصـور في الكتـاب، وتمليكـه للكتـاب حتـى يحـرص عليـه ويطلبـه، ومصاحبـة الطفـل لأحـد الوالديـن لـشراء هـذا الكتـاب واختيـاره بنفسـه مـن المكتبـة، وعنـد دخولـه المدرسـة يفضـل تكويـن مكتبـة صغـيرة للطفـل، تحتـوي عـلى الكتـب المصـورة، وبعـض القصـص المصـورة، وبعـض المجـالات التـي تصـدر للأطفـال، وتشـجيع الطفـل عـلى قراءتهـا ومناقشـته فيهـا، واستحسـان مـا يقولـه مـن حكايـات نقلهـا مـن الكتـب، حتـى يحـرص عـلى القـراءة وحتـى يُسْـتَمع لـه.

- يفضـل تعويـد الطفـل الجلـوس عـلى المكتـب منـذ صغـره، وخاصـة بعـد دخولـه المدرسـة، لأن ذلـك مـن أسـباب التفـوّق في الدراسـة، ولأن ذلـك يسـاعده عـلى التركيـز، وتقديـر الوقـت المناسـب للاسـتذكار، وإمـكان حسـاب الوقـت وتنظيمـه وقـد سـأل طالـبٌ أسـتاذًا مربيًـا في الجامعـة عـن كيفيـة تحقيـق حلمـه بـأن يصبـح أسـتاذًا لـلأدب المقـارن في الجامعـة، فيحفـظ

عـدة لغـات أجنبيـة ويتقنهـا؟ فأجابـه الأسـتاذ بعـد تفكـير، فقـال لـه: هـل تسـتطيع أن تجلـس عـلى مكتبـك سـت سـاعات يوميًّـا؟ إن اسـتطعت ذلـك، تحقـق لـك مـا تريـد.

***

كيف ينتظم الصغير في الاستذكار؟

* قـد يـترك الطفـل في بدايـة أمـره، لاختيـار الوقـت الـذي يـؤدي فيـه واجبـه المـدرسي، لإشـعاره بأنـه يـؤدّي شـيئًا ليـس مفروضًـا عليـه، وبـشرط أن يؤديـه يوميًّـا، وقبـل أن ينـام ليـلًا. ولكن شـيئًا فشـيئًا، نعـوِّده عـلى نظـام محـدّد، مـع مراعـاة رغباتـه وأخذهـا في الاعتبـار، طالمـا يـؤدي النظـام المتوصّـل إليـه إلى تحقيـق الغـرض بـأداء واجباتـه المطلوبـة. أمـا قراءاتـه الخاصـة، وهواياتـه، فالأفضـل تـرك تنظيـم وقتهـا للطفـل نفسـه، مـع حسـن التوجيـه لـه.

- والغالـب أن يحـضر الطفـل مـن المدرسـة مرهقًـا وجائعًـا، فيحسـن أن يتنـاول طعامـه، ثـم يسـتريح، أو يلعـب. ثـم يبـدأ في الوقـت المحـدد للاسـتذكار مـدّة كاملـة، يتخللهـا وقـت قصـير للراحـة، يمكـن أن يتنـاول خلالـه مشروبًـا منشـطًا. ويشـدّد عـلى الاعتيـاد في قضـاء الوقـت الكامل الواجـب للاسـتذكار، وحتـى ينتهـي مـن المطلـوب منـه، لأن تنظيـم الوقـت، وأداء الواجبـات بانتظـام هـما مفتاحـا النجـاح والتَّفـوُّق الـدراسي، وهـما أمـران يتحققـان بالاعتيـاد، والاعتيـاد يـأتي بالمواظبـة والتكـرار. ونحفّـز الطفـل ونشـجعه ونحقـق لـه وُعُـودَهُ كلـما التـزم وانتظـم في أداء واجباتـه في الأوقـات المحـدّدة، ويكـون ذلـك بعـد تنفيـذ مـا عليـه ومـا هـو مـن ناحيتـه، ثـم نحقـق لـه مـا هـو مـن ناحيـة الوالديـن، وليـس العكـس، فمثـلًا إذا طلـب أن يلعـب ثـم يسـتذكر، نطلـب منـه أن يسـتذكر أولًا ثـم يلعـب. وبهـذا يعتـاد أداء واجباتـه، ويتعلـم النظـام وينظـم أوقاتـه.

* يتفـق خـبراء التعليـم والمربـون، عـلى أن تنظيـم الوقـت، وأداء الواجبـات بانتظـام يوميًّـا، ومنـذ أول العـام الـدراسي، وطـوال الدراسـة، هـما أسـاس التفـوّق الـدراسي، حيـث إنـه وُجـد أن الأكثرين مـن المتفوِّقـين، ليسـوا أذكى مـن غيرهـم، كـما أنهـم ليسـوا مرتفعـي درجـة الـذكاء، إلا أنـه يغلـب

عليهـم النظـام والاسـتمرار في أداء واجباتهـم يوميًّـا، فإنهـم ينظمـون أوقاتهـم ويقومـون بشـغلها بكفـاءة واعتياد.

- تنظيـم جـدول الاسـتذكار، يبـدأ مـن أول العـام الـدراسي، ومـن الصـف الأول الابتـدائي لأهميتـه، فالطفـل يتهـاون في الدراسـة أول العـام، ويسـتطيل المـدة ويؤجـل الاسـتذكار، فيضيـع الوقـت بـلا اسـتفادة، ولا يتمكـن مـن تـدارك المطلـوب منـه، وقـد تسـتهوي إحـدى المـواد الطفـل لسـهولتها، أو لحبـه لهـا، أو لتفوّقـه فيهـا حتـى يحافـظ عـلى هـذا التفـوّق، فيـترك اسـتذكار المـواد الأخـرى، أو يؤجـل ذلـك حتـى يتفـارط أمـره، ولا يجـد في آخـر العـام الوقـت لاسـتذكارها، أو لأن المـدرس الخصـوصي للـمادة أرهقـه بالواجبـات ليضمـن نجاحـه في مادتـه عـلى حسـاب وقـت المـواد الأخـرى. لذلـك كلـه، يجـب الالتـزام بجـدول، يحـدِّد المـواد كلهـا، وتوزيعهـا عـلى الأيـام والأوقـات، وتحديـد الوقـت المطلـوب للاسـتذكار عمومًـا كل يـوم، ولـكل مـادة مـن المـواد المطلـوب اسـتذكارها، ويحـدّد وقـت الراحـة خـلال فـترة الاسـتذكار.

- يتضمـن الجـدول الأمـور التاليـة: مراجعـة الـدروس التـي أعطيـت للطفـل خـلال اليـوم الـدراسي في المدرسـة والتـي تـم شرحهـا، ويجيـب عـلى الأسـئلة المتعلقـة بهـا، وهـذه المراجعـة هـي التـي تركـز في ذاكرتـه مـا اسـتفاده مـن الـشرح، مـع ربـط موضوعـات المـادة في ذهنـه. الأمـر الثـاني: مراجعـة عامـة أوليّـة للـدروس والمـواد التـي سـتعطى لـه في المدرسـة في اليـوم التـالي، وحتـى يتعـرف عـلى النقـاط التـي يحتـاج إلى فهمهـا عنـد شرح المـدرس لهـا، فيتفتَّـح ذهنـه جيـدًا عنـد الـشرح، أو يسـأل المـدرس عـمّا غمـض عليـه ولم يقـم المـدرس بشرحـه. الأمـر الثالـث: يراجـع بعـض المـواد لـكل مـا تمـت دراسـته لهـا منـذ أول العـام، الأمـر الرابـع: تحديـد أوقـات الـدروس الخصوصيـة، وأوقـات أداء واجباتهـا بحيـث لا تطغـى عـلى أوقـات المـواد الأخـرى. ويمكـن تعديـل هـذا الجـدول خـلال العـام الـدراسي لمواجهـة الصعـاب في إحـدى المـواد، أو لحـدوث عـوارض تسـتغرق بعـض الوقـت غـير المتوقـع عنـد وضـع الجـدول مثـل المـرض أو السـفر أو غـير ذلـك مـن العـوارض.

- يُعطـى الطفـل راحـة تامـة مـن الاسـتذكار عقـب دروس الخميـس بالمدرسـة وإلى مـا بعـد ظهـر الجمعـة، ويـزاول خلالهـا الأنشـطة التـي يرغـب فيهـا، حتـى يعـود بنشـاط ورغبـة للاسـتذكار.

وينصح التربويون بـألا ينـام الطفـل وهـو مُجهـد ذهنيًّا، ولذلـك يرتـب الجـدول بحيـث ينهـي فـترة اسـتذكاره بمـادة سـهلة الفهـم، ومحبّبـة للطفـل، وأن يكـون هنـاك مـا يشـغل ذهـن الطفـل قبـل نومـه بغـير أمـور الاسـتذكار، وبـأن يقـضي بعـض الوقـت مـا بـين الانتهـاء مـن الاسـتذكار ومـا بـين النـوم.

الطريقة الصحيحة لاستذكار موضوع

* المذاكـرة النشـطة، أو التحصيـل الفعـال لـدرس أو موضـوع، يجـب أن يتَّبـع فيـه الخطـوات التاليـة:

١- فكـرة عامـة عـن الموضـوع تؤخـذ مـن خـلال تقسـيماته عـن الطريقـة الأوليـة. وهـو مـا يسـمى بالمسْـح للموضـوع أو للـدرس.

٢- يعيـد القـراءة لنفـس الموضـوع فقـرة فقـرة، ثـم يسـأل نفسـه بـين الحـين والآخـر حـول مـا يقـرؤه في نهايـة كل نقطـة هامـة في الموضـوع، ويحسـن أن يكتـب السـؤال عـلى ورقـة منفصلـة. وهـو مـا يسـمى بالتسـاؤل عـن النقـاط الهامـة التـي يتضمنهـا الموضـوع. ومـن خـلال الإجابـة عـلى هـذه الأسـئلة تـدون النقـاط الهامـة، إمـا في هامـش الكتـاب، أو في كراسـة تحضـير خاصـة، ويعيـد قـراءة الموضـوع بعنايـة، ويراجـع في ذهنـه مـا كتبـه مـن نقـاط.

٣- يعيـد عـلى نفسـه، دون النظـر في الكتـاب -أي تسـميع- تقسـيمات الموضـوع ونقاطـه الهامـة، للتأكـد مـن قدرتـه عـلى اسـترجاع الموضـوع مـن الذاكـرة، وهـذا التسـميع يظهـر تطابـق مـا حصَّلـه، أو وجـود فجـوات في الموضـوع تحتـاج إلى إعـادة قـراءة وفهـم. ويحسـن أن يكـون هـذا التسـميع بصـوت عـالٍ، أو تدويـن هـذه النقـاط في ورقـة مـن غـير نظـر في الكتـاب، ثـم يعـاود النظـر في الكتـاب ليتحقـق مـن تطابـق المعلومـات. وجديـر بالذكـر، أن القـراءة بصـوت مرتفـع لا تسـتحب إلا في الحفـظ، وعنـد التسـميع، وفي القـراءة كلهـا يجـب التعـوّد عـلى القـراءة بـدون صـوت، وهـو مـا يسـمى بالقـراءة الصافيـة.

٤- يقـوم بمراجعـة نهائيـة للموضـوع، مـع توصيـل وربـط الأجـزاء المرتبطـة بالفصـل، سـواء فيـما سـبق منـه، ومـا يلحـق مـن الموضـوع. ثـم يقـوم بتكـرار قـراءة وتسـميع النقـاط الهامـة، لأن التكـرار يثبِّـت المعلومـات في الحافظـة طويلـة الأجـل، فيمكـن الاحتفـاظ بهـا لحـين اسـتدعائها

لمدد طويلة، أما الفهم والحفظ السريع بدون تكرار، فيجعل العقل يحتفظ بالمعلومة في الذاكرة قصيرة الأجل، فتُنْسى بعد مدة قصيرة، وهذا الفارق لا يتفطن إليه الكثير، حيث يكتفي بمجرد الفهم والحفظ للمعلومة وقت الاستذكار، فيعتمد على هذا الحفظ، الذي سرعان ما يتلاشى من الذاكرة القصيرة الأجل، حيث يحل غيرها من المعلومات فيها.

٥- يحسن عند استذكار الدرس التالي، إعادة استرجاع تقسيمات الدرس السابق ونقاطه الهامة، للربط بين أجزاء الموضوع في الفصل الواحد.

*** حالة التأخر الدراسي**

* الطفل الذي بذل الجهد الدراسي الواجب عليه، قد لا يحقق طموحات الوالدين الراغبين في التفوّق، وقد يرجع ذلك لأسباب؛ منها: ضعف قدراته في التحصيل، أو عدم توافقه مع المواد التي يدرسها برغم قدراته العالية، والتي يمكن أن تحقق التفوق في مواد أخرى، أو غير ذلك من الأسباب، والواجب على الوالدين، ما دام الطفل مؤديًا للواجبات، وباذلًا الجهد الكافي، ألا يقسوان على الطفل، أو يكثران من لومه ومقارنته بغيره، حتى لا يصاب بالإحباط فتتفاقم حالته، أو يضطر إلى الغش في الاختبارات، أو يصاب بالقلق والتوتر العصبي والنفسي، فعليهما أن يبحثا عن سبب تأخره الدراسي والتغلّب عليه، أو تحويل مساره التعليمي إلى ما يناسبه، أو يرغب فيه.

***

الطفل وبرُّ الوالدين

قد يحفظ الطفل الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التي توجب بر الوالدين، ولكنه قد لا يكون بارًّا بوالديه، إما لأن الوالدين لم يكونا بارين بوالديهما، فيكون عقوق الأبناء عقوبة ربانية في الدنيا لوالديهما، وإما لأن الطفل لا يعرف كيف، وبماذا يصبح بارًّا بوالديه، وإما لعوارض أخرى، مثل قلة تديُّنه، أو لسوء الصحبة التي تصحبه من قرناء السوء. والسبيل إلى جعل الطفل بارًّا بوالديه، أن يتوب والداه من ذنب عقوق والديهما، وأن يبراهما حتى بعد موتهما كما جاءت بذلك الأحاديث، وأن يعمل الوالدان على إقناع ولدهما بالابتعاد عن قرناء السوء وصحبتهم، والعمل على انخراطه في جو التديّن والمتدينين.

وأما كيف نعلِّمهُ عمليًّا أن يكون بارًّا بالوالدين، وأن يصبح ذلك خلقًا له فذلك يكون باتباع مثل هذه الخطوات:

١- ألا يحقّر أحد الوالدين من شأن الآخر أمام الطفل، فيقل شأنه في نفسه ويعتاد عدم احترامه، وألا يدع أحدٌ منهما الطفل يغضُّ من شأن الوالد الآخر، دون أن يزجره على ذلك.

٢- أن يعوِّد الطفل أن يذكر والديه عند الخطاب بألفاظ الاحترام مثل أن يخاطبه بقوله: حضرتك.

٣- ألا يُحِدَّ النظر لوالديه، وخاصة عند الغضب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما برَّ أباه من سدَّد إليه الطرف بالغضب» رواه الطبراني.

٤- لا يمشي الطفل أمام أحد والديه، ولكن يمشي بجانبه أو خلفه، عن أبي هريرة –رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تمشِ بين يدي أبيك، ولكن امش خلفه أو إلى جانبه» رواه الطبراني.

٥- إذا رأى أحد الوالدين يحمل شيئًا، يسارع في حمله عنه، إذا كان حمله في مقدرته.

٦- إذا خاطب أحد الوالدين يخفض صوته، وإذا تحدث إليه أحدهما لا يقاطعه ويستمع إليه حتى ينهي كلامه معه.

٧- إذا دخل عليه أحد والديه الحجرة، أو البيت، وكان راقدًا، فيقوم ويجلس احترامًا له، وإذا كان جالسًا وخاطبه فيقوم يحدثه وهو قائم، ولا يحدثه جالسًا وأبوه واقف.

٨- إذا دخل على أحد والديه البيت، أو الحجرة، فيلقي عليه السلام، وإذا ألقى عليه أحدهما السلام فيرد عليه وينظر إليه مرحبًا.

٩- إذا عطس أحدهما فيشمته وهو ينظر إليه ويقول: يرحمك الله يا أمي، أو يرحمك الله يا أبي.

١٠- إذا احتج إلى النداء على أحد والديه، فلا يرفع صوته أكثر مما يسمعه، ولا يناد عليه من بُعد إلا للحاجة، وعليه الذهاب إليه والاقتراب منه، إلا إذا تعذر عليه، أو شق عليه ذلك.

١١- إذا أكل مع أحد والديه، لا يبدأ الطعام قبله، وينتظره حتى يبدأ هو، إلا إذا أذن له في ذلك.

١٢- إذا كان يجلس مع أحد والديه، وأراد ترك المجلس للنوم، أو لشيء آخر، فعليه أن يستأذنه.

١٣- إذا أراد أن ينام من آخر اليوم، فعليه أن يحيَّي والديه بمثل قوله: أتركك في رعاية الله يا والدي، أو أتركك في رعاية الله يا أمي.

١٤- إذا استيقظ صباحًا فعليه أن يحيِّي والديه بمثل قوله: أصبحت بخير يا أمي، أو أصبحت بخير يا والدي.

١٥- إذا خرج أحد والديه من البيت لمهمة، أو للعمل، فيقول له: في حفظ الله يا أبي، أو في حفظ الله يا أمي، أو يقول: أعادك الله لنا سالمًا غانمًا.

١٦- إذا حضر أحد والديه من سفر، أو بعد غيبة، فيصافحه، ويقبِّل يديه، ويلتزمه، ويقول له: الحمد لله على سلامتك يا أبي، الحمد لله على سلامتك يا أمي، ويقول: حللت أهلًا ونزلت سهلًا يا أبي، ويقول: لقد وحشتنا كثيرًا، واشتقنا لك كثيرًا، لا حرمنا الله منك ومن وجودك معنا.

١٧- إذا أراد أحد والديه ارتداء ملابسه، أو حذائه، يحضره له، ويقف به يحمله له حتى يرتديه، أو إذا أراد أن يخلع ملابسه، فيقف ويأخذ ما قام بخلعه ويعلقه أو يضعه في مكانه، ويكون جميلًا أن يعتاد في بعض المرات، أن يجعل الحذاء في رجليه، أو يخلعهما من رجليه، وفي كل الأحوال يسارع في تناول الحذاء ويضعه في مكانه، أو يسارع في إحضاره له عندما يهم بلبسه. عن أنس –رضي الله عنه- قال: «إن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لغلام من الأنصار: ناولني نعْلي، فقال الغلام: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي اتركني حتى أجعلهما أنا في رجلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إن عبدك هذا يترضَّاك فارض عنه» رواه الطبراني، فإن فعل ذلك مع الوالدين ففيه رضا الله.

١٨- إذا نادى أحد الوالدين عليه، فيسرع في إجابته بقوله: حاضر، أو نعم، ثم يلبي طلبه برضا نفس، وإذا كان مشغولًا بشيء يكره تركه، فيستأذنه في الانتهاء منه، فإن أذن له، فيحرص على سرعة إنهائه ثم يلبي طلب الوالد، فإن لم يأذن له فلا يتضرر من الطلب، ويقول في نفسه: والدي أعلم بالأصلح والأولى مني.

١٩- إذا حضر ضيوف للبيت، فيقلل من حركته ويخفض من صوته، ويحترم ضيوف الوالدين ويحبهم، ويلعب مع أطفالهم ولا يمنعهم من اللعب بلعبه، ولا يغضبهم.
٢٠- يدعو لهما، وخاصة في الصلاة، ويفعل هو الخير من أجل أن يرضى عنهما الله تعالى.
٢١- إذا مات أحد والديه، فيدعو له، ويتصدّق ويهب ثواب الصدقة له ويفعل ما استطاع من الخير ويهب ثوابه له، ويصل وُدَّ من كان يحبهم والده، ويستمر في صلته به.
٢٢- لا يسب أحدًا، حتى لا يتسبَّب في سب أحد والديه، لأن ذلك من أكبر الكبائر، ويجب التشديد على الطفل في هذا الأمر.
٢٣- إذا علم من أحد والديه سرًّا، أو سمعه، فلا ينقله إلى أحد، ويشدَّد عليه في هذا الأمر، كما يشدّد عليه في ألا ينقل كلامًا أو سرًّا سمعه من أحد، وإذا كان الطفل يميز ما يمكن وقوع الضرر منه من غيره من الحديث العادي، فلا ينقل إلا ما كان فيه منع الضرر، وإذا سمع عليهما كلامًا يكرهه فيردّه ولا يخبرهما حتى لا تتغير نفساهما.
٢٤- لا يدخل على أحد والديه إلا بعد استئذان، فإذا كان أحدهما نائمًا فلا يقلقه بحركة أو صوت، ولا يوقظه إلا لحاجة مهمة.
٢٥- يساعد والدته في الأعمال، ولا يتأفف من طلباتها منه، ولا يأخذ شيئًا من الأطعمة أو غيرها إلا بإذن.
٢٦- إذا كلّفه أحد الوالدين بعمل، أو الخروج لقضاء حاجة، فلا يتأفف ولا يشتكي من كثرة التكليفات، بل يظهر الرضا والرغبة في طاعتهما قربةً إلى الله تعالى.
٢٧- يظهر التودُّد للوالدين، وحب التقرّب منهما، ويحاول إدخال السرور عليهما بكل ما يحبانه منه، من طاعة لهما، وحسن خلق معهما، والعمل على التفوق المدرسي لإرضائهما، ويشكرهما دائمًا على ما قاما، ويقومان به نحوه ونحو إخوته وأخواته.
٢٨- لا يكثر من الطلبات منهما، ويكتفي بما يحضرانه أو يعطيانه إياه، ويكثر من شكرهما على ذلك مثل أن يقول: جزاكما الله خيرًا وزادكما من فضله.
٢٩- إذا مرض أحدهما، يلازمه ما استطاع، ويقوم بخدمته، ويحرص على راحته، ويتابع علاجه، ويكثر من الدعاء له بالشفاء.

٣٠- يفضل أن يكون حافظًا للآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي توجب بر الوالدين، وترهِّب من عقوقهما.

***

الطفل والتكسب للمعايش

* مما عمَّتْ به البلوى في عصرنا، تفشي البطالة، والفراغ، وهو مما ساعد على فساد الأخلاق، وضياع القوى، وضعف الإنتاج والدخل القومي العام. إذ الملايين من أقوياء الشباب، لا يعمل، أو يعمل في وظائف بلا إنتاج، وهو ما يسمّى بالبطالة المقنّعة. وقد ذكرت بعض التقارير: أن متوسط ساعات العمل الفعلية للموظفين بالحكومة والمؤسسات العامة وشركات القطاع العام لا يزيد على خمس وثلاثين دقيقة في يوم العمل. ومن مآسي العصر أيضًا أن أكثر من ثلث متوسط عمر الإنسان يقضيه في التعليم والتدريب، قبل أن يؤدي أعمالًا إنتاجية مادية لسدّ احتياجات الإنسان، فيظل طوال هذه الفترة عالة على الآخرين رغم محدودية دخل الكثيرين منهم.

- يجب أن يُنَشَّأ الصغير أثناء تعليمه وتدريبه، على اكتساب بعض الدخل والتدريب على ذلك، خاصة خلال فترات الإجازات المدرسية والجامعية. وهناك بالفعل بعض البلاد المصرية يقوم فيها الصغار بالكسب أثناء الدراسة، أو أثناء الإجازات، مثل مدينة دمياط، ومدينة إدكو، فالرجال، والنساء، والصغار، يعملون في الحقول، وفي الورش المنزلية التي تمتلئ بها المدينة، فيحصل الصغار على أجور ينفقونها على أنفسهم أو يدّخرونها، وأصبح ذلك خلقًا وعادة.

- وحتى لا يظل الصغير عالةً على الآخرين أكثر من ثلث عمره، وهو في قوة وفتوّة، وحتى لا يعتاد انتظار الوظيفة سنوات بعد ذلك، أو يكتفي بالقليل الذي تدرّه الوظيفة والذي لا يكفي متطلبات الاستقلال ببيت أو أسرة، لا بد من الاقتناع عمليًّا منذ الصِّغر بعدم جدوى الوظيفة إلا في حالة الاضطرار، أو لسدّ احتياج وظيفي نافع وحقيقي يعود عليه منه ما يكفيه، بجانب أن يتدرب على الكسب في الصغر في مثل هذه الأعمال المقترحة:

١- أن يتدرّب على العمل في البيت، في الأعمال العادية ومساعدة والديه فيها، بجانب التدريب والقيام ببعض الأعمال التي يحتاج إليها في البيت وتكون ذات مهارة يمكن اكتسابها مثل: أعمال السباكة، وبعض الأعمال الكهربية، أو بعض أعمال النجارة، أو دهان الأبواب والشبابيك والحوائط، وأعمال كَيِّ الملابس، وإصلاح بعض الأدوات المنزلية كالبوتاجاز، أو الدراجة.

٢- يجب تعويد الصغير، ومنذ صغره، على أن الأعمال التي يقوم بها شرف له، وأنها لا تغض من شأنه، وأن قيمة الإنسان بقدر ما ينتجه ويقدمه للمجتمع، وأن خُلُوَّ اليد من عمل يعد بطالة مكروهة شرعًا، واجتماعيًّا، حيث جاء في الحديث «**من أمسى كالًّا من عمل يديه، أمسى مغفورًا له**» رواه الطبراني، ثم نعيب أمامه من يتسكع في الشوارع بلا عمل، في الوقت الذي يقوم بالإنفاق عليه أهله لمدد طويلة. ويجب أن يعلم أن من تعلم وأنفق عليه أهله لا يبقى عاطلًا وفي إمكانه القيام بعمل، إذ إن بعض المتعلمين، أو أكثرهم في قرى مصر، يستنكفون العمل في الحقول، وفي بعض الأعمال بحجة أنهم متعلمون ويحملون مؤهلًا دراسيًّا، وكأنها رخصة البطالة والترفّع عن الأعمال، وليست شهادة بقدرتهم على ممارسة الأعمال.

٣- يجب أن يلتحق الصغير أثناء العطلات من المدارس بأحد الأعمال في المحال والورش الخاصة والمصانع، أو مشاركة والده في أعماله الخاصة، زراعية، أو تجارية، أو مهنية، ويمكن تشجيع الصغير بإعطائه مقابلًا ماليًّا حتى يحب هذا العمل ويستمر فيه برغبة، وتتم متابعة الصغير في كل العطلات بإلحاقه بتلك الأعمال حتى تزداد خبرته فيه، ويفكّر، ويرغب في القيام بمثله عند اختيار عمله مستقبلًا، حيث لا يجد بعد ذلك غضاضة في القيام بهذا العمل وأشباهه من الأعمال بعد حصوله على مؤهله الدراسي، وإن كان من الأفضل أن يكون مؤهله الدراسي في مجال العمل الذي تدرب عليه منذ صغره. بل لعله يختار دراسته لتكون في خدمة ما اختاره من عمل.

٤- يلزم تعويد الصغير على ادخار بعض المال، سواء من مصروفه الشخصي أو من مقابل ما يقوم به من عمل، وتترك في بعض المشاركات في المشاريع التي يقوم بها الكبار من

أهلـه، ويفضـل تشـجيع الصغـير عـلى ذلـك بـأن تتفـق معـه عـلى إضافـة مثـل مـا يدّخره لحسـابه الخـاص كمكافـأة عـلى قبـول مبـدأ الادخـار، وإذا لم توجـد بعـض المشروعـات التـي توضـع فيهـا هـذه المدّخـرات الصغـيرة، فيحسـن وضعهـا في أحـد المصـارف الإسـلامية، وحتـى تكـون بعيـدة عـن متنـاول يـد الصغـير، فـلا يقـوم بإنفاقهـا عنـد كل حاجـة، وحتـى يزيـد هـذا المبلـغ المسـتثمر في المـصرف، ولـكي يتعلـم الصغـير فوائـد الاسـتثمار بجانـب فوائـد الادخـار، ويتنبـه منـذ الصغـر لقيمـة المـال ونفعـه في الأعـمال، فتتكـون للصغـير بذلـك عقليـة تجاريـة واسـتثمارية.

٥- تقـوم بتعويـد الصغـير عـلى القيـام ببعـض الأعـمال التجاريـة المحـدودة، كأن يشـتري بعـض الأدوات المنزليـة، أو المعلَّبـات والمأكـولات، أو بعـض الملابـس، ثـم يقـوم الصغـير ببيعهـا مبـاشرة لبعـض الأقـارب والجـيران والمعـارف، أو المـرور بهـا عـلى بعـض المحـلات، فيتعـود أسـاليب التجـارة، وطـرق الـشراء والبيـع، ومصـادر تلـك الأشـياء وأسـواقها، وكيفيـة حفظهـا في الفصـول المختلفـة، ومواسـم الـرواج في البيـع، وعـادات الاسـتهلاك.

٦- يجـب التشـديد عـلى الطفـل وتعليمـه خلـق الأمانـة، والصـدق، والحـلال، والخـوف مـن الكسـب الحـرام والغـش في المعاملـة، ويحفـظ هـذه الأمـور والأدلّـة الشرعيـة لهـا مثـل حديـث «**ويـلٌ للصانـع مـن غـد وبعـد غـد**» رواه الديلمـي في الفـردوس فيفـي بالمواعيـد، ولتعويـده الصـدق والأمانـة وعـدم الغـش نذكـر لـه حديـث «**لا يحـل لأحـد يبيـع بيعًـا، إلا بـيَّن مـا فيـه، ولا يحـل لمـن يعلـم ذلـك إلا بينـه**» رواه الحاكـم وقـال: صحيـح الإسـناد، ورواه البيهقـي، ونذكـر لـه مـا يجعلـه يتحـرى الحـلال مثـل «**إن اللـه يحـب عبـده تعبًـا في طلـب الحـلال**» رواه الديلمـي في الفـردوس، ونعلمـه النصيحـة في المعامـلات بمثـل حديـث «**خـير الكسـب، كسـب العامـل إذا نصـح**» رواه أحمـد. وحتـى نحبِّـب إليـه العمـل وممارسـته نذكـر لـه قـول النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**قيـل: يـا رسـول اللـه، أي الكسـب أطيـب؟ قـال: عمـل الرجـل بيـده، وكل عمـل مـبرور**» رواه أحمـد والبـزار والحاكـم وقـال: صحيـح الإسـناد، ولترغيبـه في أعـمال التجـارة نذكـر لـه «**تسـعة أعشـار الـرزق في التجـارة**» رواه الحـربي ورواتـه ثقـات، ولتعويـده عـلى التكسُّـب وبغـض البطالـة نذكِّـره بقـول رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «**لأن يأخـذ أحدكـم حبلـه، فيحتطـب عـلى ظهـره، خـير مـن أن يـأتي رجـلًا أعطـاه اللـه مـن فضلـه، فيسـأله، أعطـاه، أو**

منعه» رواه البخاري ومسلم. ومثل حديث «**إن الله يحب المؤمن المحترف**» رواه الطبراني.
٧- نكرِّه إلى الصغير الفراغ والتعطُّل، لأن المباركين من خلق الله هم النافعون لغيرهم، والمستغنون بعملهم عن غيرهم. قال ابن مسعود رضي الله عنه: إني لأكره أن أرى الرجل فارغًا، لا في أمر دنياه، ولا في أمر آخرته. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما من موضع يأتيني فيه الموت، أحب إليّ من موطن أتسوَّق فيه لأهلي، أبيع وأشتري. وقال أبو قلابة رضي الله عنه: لأن أراك تطلب معاشك، أحب إليَّ من أن أراك في زاوية المسجد. وقال أبو سليمان الدَّراني رحمه الله: ليس العبادة عندنا أن تصُفَّ قدميك، وغيرك يقوت لك، ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما، ثم تعبَّد. وقال لقمان الحكيم لابنه: يا بني، استغنِ بالكسب الحلال عن الفقر، فإنه ما افتقر أحد قط، إلا أصابه ثلاث خصال: رقَّة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب مروءته، وأعظم من هذه الخصال الثلاث: استخفاف الناس به.
٨- نمدح الصغير كلما أدّى عملًا، أو اكتسب مالًا، أو تعلم مهنة، وندعو له بالصلاح والفلاح، ونشجعه، ونترك له كل ما اكتسبه مهما كنّا في حاجة إليه، ونشجعه على الادخار والاستثمار لأي مبلغ مهما كان صغيرًا، وإذا فشل في أي عمل، أو خسر مالًا، فلا نلومه حتى لا يصاب بالإحباط، بل نذكر له، أن شأن من يتاجر أو يمارس الأعمال أن يصاب بمثل ذلك، وأن الكثير من الكبار يحدث لهم مثل ذلك كثيرًا، وأن الله تعالى يختبره فإذا صبر واستمر متوكلًا على الله تعالى فسوف يعوِّضه كثيرًا.
٩- يعوَّد الصغير، ومنذ صغره على التبكير في القيام من نومه صباحًا، وأن الأفضل ألا ينام بعد صلاة الفجر، ويلزم لذلك أن يكون الوالدان لا يخالفان ما يقولانه للصغير، فتكون هذه عادتهما. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الصُّبْحة تمنع الرزق**» رواه أحمد والصبحة: النوم بعد صلاة الصبح. ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لا ينام بعد صلاة الصبح فقال: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها**» رواه أحمد والطبراني وأبو يعلى والبزار.
١٠- قال الإمام الغزالي: طلب علم الاكتساب، فريضة على كل مسلم ومسلمة، ليتميّز له المباح عن المحظور، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه كان يطوف السوق ويقول: لا يبيع في سوقنا إلا من يفقه، وإلا أكل الربا، شاء أم أبى. قال الغزالي: فيتعلم:

أ- حسن النيّة في الكسب، فينوي الاستعفاف، وأن يكفَّ نفسه عن الطمع عن الناس، والاستعانة على سلامة الدين، وكفالة نفسه ومن يعول.

ب- ينوي أن يقوم بفرض من فروض الكفايات، لأن انتظام أمر الكل بتعاون الكل، وتكفّل كل فريق بعمل.

ج- ألا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة وعن أسواق المساجد، وأن يذكر الله خلال أعماله.

د- أن يحرص على الحلال ويتحرى الحرام فيتركه ويبتعد عنه، وأن يراقب الله في كل أمره.

هـ- أن يُظهر عيب صنعته، أو بضاعته ولو كانت خفيَّة، وإلا كان ظالمًا غاشًّا، فربح الآخرة خير من ربح الدنيا، مع أن رزقها مضمون. فهذه المعاني يجب أن تترسَّخ في ذهن وقلب الصغير.

***

١٠ العشرة الطيبة

[مع الأولاد وتربيتهم]

أساليب معيبة في تربية الطفل تؤثر في شخصيته

* المشكلات التي تفرزها مرحلة الطفولة.
* أسلوب التَّسَلُّط.
* أسلوب الحماية الزائدة.
* أسلوب التفرقة في المعاملة.
* أسلوب الإهمال.
* أسلوب التدليل.
* أسلوب القسوة.

بعض المشاكل التي تفرزها مرحلة الطفولة

* ينتج عادة من اتباع أسلوب خطأ في تربية الطفل بعض المشاكل التي تصاحب أعراضُها الطفل في سائر حياته؛ إذ تؤثر في شخصية الطفل واكتسابه لبعض الصفات غير المرغوب فيها. وأشهر هذه الأساليب التربوية الخاطئة: التسلط، والحماية الزائدة، والإهمال، والقسوة، والتفرقة في المعاملة، والتدليل.

***

أسلوب التسلُّط

* والمقصود منه أن الطفل يُعامَل من والديه بصرامة، وقسوة، بأن يُمنع الطفل من تحقيق رغباته، ويقابل بالرفض الدائم لطلباته، والمنع الدائم من تنفيذ رغباته، واتخاذ أسلوب اللوم والعقاب معه في كل شؤونه، مع تحديد طريقة لأكل الطفل، ونومه، ومذاكرته، وتعيين من يصادقهم ويلعب معهم، ونوعيات الملابس التي يرتديها الطفل، دون مراعاة لرغبات الطفل، أو اعتبار أي راي له، أو إشعاره أنه يتصرف في أموره الشخصية، وبالإجمال: يكون الوالدان هما كل السلطة في إدارة أمور الطفل، وبزعم أن ذلك يعوِّده على الجدية والنظام والطاعة، ولذلك يحمِّلون الطفل بالمهام التي تفوق طاقاته، ويطلبون ذلك بالأمر والنهي وليس بأسلوب الإقناع والرفق.

- يترتب على أسلوب التسلط، أن يصبح الطفل ضعيف الشخصية، سلبيًّا، دائم الخوف، مترددًا، غير واثق من نفسه.

- والأسلوب المطلوب اتباعه سبق بيانه في الفصول السابقة، ونذكِّر، بأنه يجب الرفق في معاملة الطفل، والتسامح، وتقبل سلوك الطفل مع تشجيعه، وأن نعوده المناقشة وإبداء الرأي، وننمي فيه الثقة بالنفس، مع روح من الصداقة الوالدية معه، ومع مساعدته على الإنجاز، وتقديره والاهتمام بأعماله، ولا نكلفه ما لا يطيق من الواجبات.

أسلوب الحماية الزائدة

* عادة ما يتم مع الابن الوحيد، أو البنت الوحيدة في الأسرة، أو الذي جاء بعد تأخّر في الإنجاب، أو الطفل الأول في الأسرة، فيظهر على الوالدين القلق على سلامته، والخوف عليه من المرض، فيتم متابعة الطفل، والإشراف على جميع تصرفاته، ومراقبة سلوكه تجاه أي موضوع يواجه، مع الحرص الشديد، والتدخل في شؤون الطفل إلى درجة القيام بها نيابة عنه، فلا يتاح للطفل اتخاذ القرار بنفسه، وينم سلوك الوالدين دائمًا معه عن الخوف الشديد عليه، وحمايته حمايةً زائدة.

- هذا السلوك من الوالدين يؤدي إلى إضعاف شخصية الطفل، ويصبح دائم الاعتماد على الآخرين وغير مستقل برأي، كما يتصف بعدم التركيز، وعدم النضج، وانخفاض مستوى الطموح، وينسحب في أكثر المواقف، كما يتصف أيضًا بفقدان التحكم الانفعالي، وبرفض تحمل المسؤولية، وتسهل استثارته، ويضعف عند اتخاذ القرار.

- وبالطبع يجب تجنب هذه العيوب في السلوك معه، مع تبني تنمية قدرات الطفل، وتشجيعه على الاستقلال، وأن ندعه يتعلم من أخطائه، وأن يحل هو بعض المشكلات مع توجيهه في ذلك فقط، وأن نتركه يخوض المواقف بنفسه، مع المراقبة والمساعدة عند عجزه.

***

أسلوب التفرقة في المعاملة

* يكون ذلك بين الأولاد، بسبب الأنوثة والذكورة، أو بسبب السن، أو بسبب الترتيب الميلادي للأولاد، أو لأي سبب آخر، يدعو الوالدين، أو أحدهما لتمييز أحد الأولاد على الآخرين، وعدم المساواة بينهم في المعاملة والعطاء.

- تُنتج هذه التفرقة في المعاملة، شخصيات لديها قدر كبير من الحقد، وتمتلئ نفسها بالغيرة، والأنانية المفرطة بين الأخوة، والذي تميز من بينهم، يرغب دائمًا في أن يحظى بالاهتمام والتقدير من كل الناس، وعادة ما يطلب أن يتميز ببعض المميزات دون غيره، ويصبح شخصًا لا يكترث بالآخرين، ولا يراعي المشاعر في تعامله مع الآخرين.

- ولتفادي هذه المشاكل، على الوالدين أن يتعاملوا مع كل الأولاد بالعدل والحب والمساواة بينهم، وعدم تمييز أو تفضيل واحد دون الآخرين، ولا يمنع ذلك أن يكون أحدهم أحب إلى والديه، أو أحدهما، أكثر من الآخرين، لأن المساواة في الحب تخرج عن قدرة الإنسان، ولكن يجب على الوالدين، أو أحدهما، ألا يظهر في سلوكه مع المحبوب، ما يثير أخوته، لأن ذلك يترتب عليه محاولة الآخرين إيذاء المحبوب من بينهم، وفي قصة يوسف النبي عليه الصلاة والسلام مع أبيه يعقوب عليه الصلاة والسلام وما نتج عنه من إيذاء الأب والأخ معًا من الأخوة ما فيه معتبر لكل والد له أولاد.

***

أسلوب الإهمال

* قد يهمل الوالدان رعاية الطفل، للانشغال عنه خارج البيت، أو لعدم الاكتراث بشؤون الطفل، واللامبالاة بتربيته، أو الحرص عليه، وصور ذلك: أن يترك الطفل بلا إشباع لحاجاته، من الحنان والعطف والرعاية، أو بلا إشباع لحاجاته من النظافة والخدمة، أو عدم الاهتمام بحاجته من المطعم أو الملبس، وقد يكون الإهمال بعدم المحاسبة للطفل على سلوكه الخاطئ، أو بعدم تشجيعه وتحفيزه ماديًّا ومعنويًّا كلما أنجز عملًا، أو بالسخرية منه بدلًا من الثناء عليه.

- يخلق هذا الإهمال وينمي في الطفل نوازع ودوافع العدوان، والرغبة في الانتقام، ومشاعر الكراهية نحو الآخرين، ويفرط في شعوره بالذنب، مع زيادة حساسيته تجاه سلوك الآخرين معه، ويكون دائم القلق والانطواء، ولا يبالي بمجريات الأمور من حوله، ولا يشعر بالانتماء لأسرته، وعمومًا يصبح عديم الرضا، متسخطًا لكل شيء.

- فواجب الوالدين دائمًا، الاهتمام بالطفل ورعايته، وإظهار الحب والعطف والحنو نحوه، والقيام بقضاء احتياجاته المادية والمعنوية بلا تقصير، والتغلب على المشاغل التي تعوق القيام بهذه الواجبات، واعتبار هذا الواجب مقدمًا على غيره من الواجبات الأخرى؛ إذا تعارضت معه. وألا يقصِّر أحد الوالدين نحو الطفل، عنادًا للآخر؛ لأنه لا يؤدي واجبه معه،

فلا يؤاخذ الطفل بجريرة أحد الوالدين. ويجب على الأم التي تضطر للخروج من البيت بسبب العمل، أن تضاعف من مشاعر العطف والحنان نحو الطفل خلال الأوقات التي تصحبه فيها، في البيت، أو خارجه. كما يجب على الوالد الأب أن يعطي من الوقت الكافي كل يوم للطفل، من الملاطفة والملاعبة والمتابعة له، لأن الطفل يحتاج إلى أن يكون له أب، كما يحتاج أن تكون له أم، ولا غنى للطفل عنهما معًا، لكي ينشأ سويًّا في شخصيته.

***

أسلوب التَّدليل

* يتمثل هذا التدليل، في التَّراخي والتّهاون في معاملة الطفل، بحيث يتم إشباع حاجات الطفل في الوقت الذي يريده هو، وبالكيفية التي يرغب فيها، والمسارعة في قضاء كل ما يطلبه، مهما كان غير مقبول، وأن يصبح مَنْ حوله في طاعته ورهن إشارته، فلا يُرفض له طلب مهما كان. كما يكون التدليل بعدم توجيهه إلى تحمّل المسؤوليات والأعباء التي تتناسب مع المرحلة العمرية التي يمر بها الطفل.

- يترتب على التدليل، تأخر النضج الانفعالي والاجتماعي عند الطفل، ولا يستطيع التحري عن أمرٍ بسهولة، ولا يستطيع الشعور بالمسؤولية، ولا يقدِّرها، ولا يقاوم مشكلات الحياة، ولا يستطيع مجابهة حالات الإحباط، فهو دائمًا عرضة للاضطرابات النفسية عندما تقف في سبيله عقبة أو مشكلة، ويغلب عليه الاعتماد على الغير، مع ضعف الاعتماد على النفس. ويلجأ إلى أسلوب تجنب المشاكل، أو المخاطر، أو تأجيل الحلول وإهمالها.

- واجب الوالدين الاعتدال مع الطفل في تلبية مطالبه، فلا يكون الحرمان، أو الإهمال، ولا يصل إلى حد التدليل له. ومن الأساليب النافعة، أن يمنع الطفل عن تنفيذ بعض رغباته، رغم إمكان تلبيتها، لتعويده على أن الرغبات في الحياة لا تلبَّى كلها، وحتى يتحمل بعض الحرمان، ليتعوَّد الجلد والتحمل والصبر، لأنه لا بد في حياته، مهما كان مركزه الاجتماعي، أن يمنع من تلبية كل رغباته، أو أن يطاع له كل أمر وطلب. فإذا لم ينشأ على عدم التدليل، فإنه سيلاقي من المتاعب والمشاكل في حياته الكثير، فالأم التي تسارع دائمًا بتنفيذ رغبات

الطفـل، عمـلًا عـلى إسـعاده، وأداءً لواجبهـا، قـد تسـبب لـه بذلـك، شـقاءً ومتاعـب في حياتـه تفـوق السـعادة التـي توهمـت إدخالهـا عليـه. فـإذا أرادت أن تعطيـه دائمًـا مـا ينفعـه، ولا يـضرّه، فعليهـا أن تعطيهـا مـن الحـب والحنـان والعواطـف، لأن كثرتهـا لا تـضر وليـس فهيـا إفـراط أو تدليـل.

***

أسلوب القسوة

* يتمثـل هـذا الأسـلوب في شـتى أنـواع العقـاب البـدني، باعتـماده أسـلوبًا أساسـيًّا في التربيـة، كالـضرب بشـدة كلـما ارتكـب أي خطـأ، أو التعنيـف والقسـوة بالـضرب والحرمـان عنـد الرسـوب في الدراسـة، أو إذا لم يذعـن للأوامـر مـن الوالديـن، وأشـدّ القسـوة مـا كان فيـه إيـلام النفـس، كالتحقـير للطفـل، أو لأعمالـه، والتقليـل مـن شـأنه، أو بإظهـار الكراهيـة لـه، أو توعُّـده وتخويفـه بأمـور مخيفـة مثـل الحـرق والحبـس في الظـلام، أو تأنيبـه المسـتمر وإشـعاره بالنقـص وبالذنـب.

- يترتـب عـلى القسـوة في التربيـة، أن يتكـون عنـد الطفـل ضمـير شـديد الحساسـية، يجعلـه يحاسـب نفسـه، أو غـيره، عـلى كل صغـيرة، أو كبـيرة بتشـدّد وانفعـال، كـما يترتـب عليـه الخـوف مـن المحاسـبة، مـما يجعلـه يمتنـع أصـلًا عـن القيـام بـأي نشـاط خوفًـا مـن العقوبـة، ولا يسـتطيع المطالبـة بحقوقـه، كـما يخـشى إشـباع حاجاتـه خوفًـا مـن العواقـب المترتبـة عـلى ذلـك، وتكـون شـخصيته قلقـة، مـتردّدة، يشـعر بالعجـز في مواجهـة المواقـف.

- يجـب عـلى الوالديـن نبـذ القسـوة بـكل أسـاليبها مـع الطفـل، وإشـعاره بالطمأنينـة، والتعامـل معـه بالتسـامح، خاصـة إذا لم يتعمـد الخطـأ، أو يكـرر عـن قصـد بعـض الخطـأ، وإذا عوقـب، لا يكـون بالـضرب المـبرّح، ولا بـدوام التأنيـب لـه، ويكـون بالقـدر الـذي يشـعره بالحـزم في أخـذ الأمـور. ويجـب أن يكافـأ عـلى أعمالـه ويشـجع عليهـا، ويرغَّـب في القيـام بالمسـؤوليات بتحفيـزه ومدحـه والثنـاء عليـه كلـما أنجـز عمـلًا. ويجـب أن يجـد تقبـلًا وتسـامحًا في حـالات الإخفـاق في بعـض الواجبـات، ومطالبتـه ببـذل الجهـد الـذي يعـوض تأخـره في الأداء الناجـح للأعـمال.

- قـد يكـون أحـد الوالديـن قاسـيًا في تربيتـه للطفـل، ويكـون الآخـر متسـامحًا معـه، أو يمنـع أحدهـما الطفـل عـن سـلوك معـين، بينـما يتسـامح معـه الآخـر في نفـس السـلوك، وهذا الأسـلوب المـزدوج مـن الوالديـن، يخلـق عنـد الطفـل ازدواجيـة في تقييـم الأمـور، ويصبـح الطفـل متذبذبًـا في سـلوكه، ويصبـح دائـم القلـق لعجـزه عـن إرضـاء كلا الوالديـن، أو معرفـة السـلوك الـذي يتبعـه، وبذلـك يصبـح صاحـب شـخصية متقلبـة، بسـبب عـدم اتفـاق الوالديـن عـلى طريقـة واحـدة في تربيـة طفلهـما.

***

١١

العشرة الطيبة

[مع الأولاد وتربيتهم]

مرحلة المراهقة ومشكلاتها

* مرحلة المراهقة، قنطرة عبور إلى مرحلة الرجولة.
* مرحلة المراهقة تحتاج إلى تمهيد وإعداد.
* التغيرات والتأثيرات التي يمرّ بها المراهق.
* السلوك الصحيح مع المراهق: برنامج عملي.

مرحلة المراهقة .. قنطرة العبور إلى مرحلة الرجولة

* مرحلة المراهقة، تشمل الفترة العمرية من بداية المتغيِّرات الجسمية المرتبطة بالبلوغ الجنسي، وتبلغ حدَّتها في حوالي الخامسة عشرة، ثم تنتهي في سن الثامنة عشرة تقريبًا مع بلوغ سن السعي والشباب والرشد.

- حدّد الشرع بالبلوغ، الحدّ الفاصل بين مرحلتين في حياة الإنسان، الأولى مرحلة ما قبل البلوغ، حيث يعفى من تحمّل المسؤولية الكاملة عن أفعاله، من حيث المؤاخذة والعقاب الديني، والمرحلة الثانية تبدأ بمجرد البلوغ، فيتحمل المسؤولية كاملة عن كل أفعاله فيجازى عليها بالثواب والعقاب. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**رُفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل**» رواه الترمذي والنسائي وأبو داود. وكذلك جُعل الفاصل في الأحكام فيما يتصل بحدود العورات، حد البلوغ، يقول الله تعالى: {وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [النور: ٥٩]، يقول أنس بن مالك، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لما كانت صبيحة احتلمت، دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبرته، فقال: لا تدخل على النساء، فما أتى عليَّ يوم أشدّ منه**» رواه الطبراني. فحجبت النساء عن أنس رضي الله عنه بمجرد احتلامه، وهو علامة البلوغ، والشدّةُ التي عاناها أنس رضي الله عنه أنه لم يعد يخالط بيوت النبي صلى الله عليه وسلم، فحُرم من الخدمة لهن وحسن معاشرتهن رضوان الله عليهن. وروى الطبراني بسنده «لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فاطمة تكشف رأسها إذا دخل الغلام، فإذا دخل الرجل غطّته» وكانوا يدخلون يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم.

- يعتبر بلوغ الحلم، أو البلوغ الجنسي حدثًا هامًا في حياة الفرد، حيث يتغير إلى كائن جنسي ذي خصائص جديدة، وفترة البلوغ متداخلة مع فترة الطفولة، من حيث التحوّلات التي تحدث للفرد. والطفل لا يعتبر نفسه في فترة المراهقة طفلًا، لما طرأ عليه من تغيُّرات

أصبح يشارك فيها الكبار. ولكن يلاحظ على الوالدين والمعلمين، أن نظرتهم إليه لا تتغيَّر، حيث ينظرون إليه باعتباره طفلًا، وهذا الأمر يجعله يسلك سلوكًا غير مرغوب فيه.

- الفترة التي يكتمل فيها النضج الجنسي، هي الفترة التي يطلق عليها المراهقة، وهي فترة تختلف من شخص إلى آخر، وعادة تصل البنت إلى سن البلوغ من الثانية عشرة، والذكور من الرابعة عشرة، أو بعد ذلك، ويحتاج المراهق إلى فترة قدرها ثلاث سنين حتى يكتمل لديه النضوج الجنسي. وهذه الفترة هي أسرع الفترات في النمو الجسمي وما يطرأ فيه من تغيرات، فتشمل حجم الجسم، والنسب بين أعضائه، والنمو في الخصائص الجنسية، حتى يصل الجسم في نهاية المرحلة إلى الجسم الذي يستمر عليه طوال حياته، والتغير في الطول يسبق التغير في الوزن، وأكبر نسبة في الطول تحدث قبيل البلوغ مباشرة.

- يصاحب النمو الجسمي السريع، والتغيرات في هذه الفترة، أعراض غير ملائمة، مثل: التعب، والكسل، واضطرابات في الجهاز الهضمي، وفقر الدم وهو ما يزيد من الشعور بالتعب والكسل، كما يعاني المراهق على فترات من آلام الصداع وآلام الظهر والهزال، ويكون ذلك عند البنات أكثر شيوعًا، وخاصة أوقات الحيض. والواجب على الوالدين مراعاة هذه التغيرات والأعراض، فيتسامحون مع المراهق إذا عجز عن أداء بعض الواجبات أو رغب في النوم بقدر أكبر من المألوف منه، فإن ذلك لا يكون كسلًا إراديًّا منه، وإنما هو نتيجة للنمو السريع في الجسم مما يفوق الطاقة، فلا يقدر المراهق على دفع التعب والكسل رغم رغبته الصادقة في ذلك، حيث يبدو عليه التعب والإرهاق بشكل واضح إذا أدّى أقل ما يمكن من الأعمال، سواء في المنزل أو في المدرسة. والخطأ الذي يقع فيه الوالدان والمعلمون والكبار، أنهم يظنون أن المراهق ما دام قد كبر جسمه على النحو الذي يشاهدونه، فإنه يمكنه القيام بمسؤوليات وأعمال أكبر، وأنه يتحمل جهدًا أكبر عن ذي قبل، وهذا يؤدِّي إلى زيادة عصبية المراهق وزيادة توتره وانفعاله لعدم قدرته على القيام بهذه المسؤوليات بنجاح. فعلى الوالدين والمراهق معًا الاهتمام بالتوازن الغذائي، وتنظيم النوم، والاهتمام العام بالصحة، حتى يجتاز الفترة من الناحية الصحية والنفسية

بسلامة. وكلما كان الآخرون من حول المراهق أكثر تفهمًا لأحوال المراهق، وأكثر تعاطفًا معه، فعومل على قدر قدراته، فإن التوافق والاستقرار يحدثان له. وفي نفس الوقت يجب النظر إليه باعتباره رجلًا وليس طفلًا، على الرغم من أنه لا يطالب بمسؤوليات كبيرة، لضعف قدراته ومصاحبة الكسل والتعب طوال المرحلة، وحتى لا يتسبب في إعاقة نضجه النفسي.

***

مرحلة المراهقة تحتاج إلى تمهيد وإعداد

* مرحلة المراهقة، مرحلة تغييرات سريعة، مادية في البدن وأجهزته، وفي النفس وكل المعنويات لدى المراهق، حيث تتغير احتياجاته وسلوكياته ومعتقداته وتصوراته عن كل شيء. فواجب على الوالدين، والمعلمين، أن يهيئوا للمراهق الظروف الملائمة للمرحلة، وأن يحيطوه علمًا بكل ما سيطرأ عليه حتى يأنس بها، وعليهم بالرفق معه، والتسامح والعطف والحب له، وزيادة الارتباط به وتوثيق العلاقة معه، وبث روح الثقة لديه. وعمومًا يلزم للمراهق أن يتوافر له: المعلومات الكافية، والعطف، والثقة.

- تهيئة البنت قبل حدوث الحيض لها أمر هام جدًّا، حيث إنها ستشعر بالسعادة والمرح لكونها ستصبح أنثى كبيرة، بعكس ما إذا فوجئت بالدم ينزف منها دون سابق علم لها بموضوع الحيض، فإنه يصيبها القلق والتوتر والحياء، خاصة أن الدم يرتبط بالجراحات والقذارات في الأذهان. فيجب أن تعرف البنت أن ذلك أمر طبيعي وليس مرضًا، أو كدم سائر الجراحات، وأنه مثل البول يتخلص منه الجسم. فإذا حدث لها ذلك، فيخفّف عن نفسيتها، بأن هذا الدم منها لا يؤذي غيرها، وأن الآخرين لا يستقذرونها، وألا نبدي لها أي انزعاج أو قلق، فنتعامل معها بتلقائية فلا تظهر أي اكتراث، حتى لا تَنْزَعج هي بانزعاجنا.

عن أُميَّة بنت أبي الصلت رضي الله عنها عن امرأة من الأنصار قالت: «**أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رَحْله، قالت: فوالله لنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح، فأناخ، ونزلت عن حقيبة رحله، فإذا بها دم منِّي، وكانت أول حيضة حضتها، قالت: فَتَقَبَّضْتُ إلى الناقة واستحييت، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم**

ما بي، ورأى الدم، قال: مالك؟ لعلك نُفِسْتِ؟ قلت: نعم، قال: فأصلحي من نفسك، ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه مِلحًا، ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم، ثم عودي لمركبك، قالت: فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر، رَضَخ لنا من الفيء، قلت: وكانت لا تطهر من حيضة إلا جعلت في طهرها ملحًا، وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت» رواه أبو داود. ورضخ لنا: أي أعطانا من غير أن يضرب لنا بسهم. ونفست: أي حضت. فنرى من الحديث، كيف تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم كالأب الرفيق. فعلمها، وتعامل معها دون أن يبدي لها استقذارًا أو انزعاجًا، بل دعاها للعودة إلى الركوب معه صلى الله عليه وسلم مرة أخرى، بعد إزالة أثر الدم من موضعه.

- إذا حاضت الصغيرة قبل سن الحادية عشرة، أو تأخرت حيضتها بعد سن الرابعة عشرة، فيحسن العرض على أخصائي، أو أخصائية أمراض نساء، وكذلك يحسن العرض عليه إذا زاد الدم على ثلاثة -فوط- في اليوم، أو زادت دورة الحيض عندها على سبعة أيام في الحيضة الواحدة، أما إذا كانت الحيضة عندها متقلبة بين الزيادة والنقصان في كمية الدم، أو عدم انتظامها، فإن هذا أمر عادي لا إزعاج فيه.

- قبل حدوث الحيض عند الصغيرة بيوم، أو ساعات، تحدث بعض الآلام أسفل البطن، وآلام في الثدي، وكل ذلك يخفِّفه تناول قرصين من الاسبرين، وتحتاج إلى راحة قليلة، ولا يمنعها ذلك من ممارسة كل أنشطتها، وينصح بعدم تناول المشروبات الدافئة، وألا تستحم في البحر، أو في -البانيو- ويفضل الاستحمام تحت -الدش- ويصاحب الحيض عادة اضطراب يستمر لمدة عامين.

- تترك الحائض الصلاة، والصوم، والطواف حول الكعبة، ومس المصحف الشريف، أثناء فترة الحيض، ولها أن تذكر الله تعالى، وتمارس كل ما سوى ذلك من عبادات وأنشطة.

- يمكن للأم، أو للأب، أن يعلم المراهق، أو المراهقة، ما يتعلق بهذه الفترة، بطرق مختلفة، مثل: أن يرتب مع قرين، أو صاحبة للمراهق أو المراهقة وأن تسأله عن هذه الأمور، أو تحكي حكاية عن صغيرة بلغت هذه المرحلة وما أصابها من حيض، وما قامت بالتصرف حياله. فتسمع البنت وتتعلم دون أن يحدث لها حرج، كما يمكن أن تصحب الأمُّ البنت في

أحد الدروس الدينية، ويجيب مقدم الدرس عن الأسئلة المقدمة والتي تتعلق بالموضوع. أو يتفق مع إحدى السيدات التي ترتاح لها البنت، فتحدثها عن هذه الأمور. وكذلك يمكن إتاحة بعض الكتب لكي تُقرأ عن الموضوع. وحتى لا يلجأ المراهق إلى مصدر غير موثوق فيه، كالخدم أو قرناء السوء، أو الأفلام، مما يقوده إلى الوقوع في بعض المشكلات الجنسية، ومنها مام يطلق عليه، العادة السريِّة.

***

التغيرات والتأثيرات التي يمرّ بها المراهق أثناء المرحلة

١- يبدو على المراهق التعب بشكل واضح، ويؤدّي أقل ما يمكن من أعمال في البيت أو في المدرسة، ونذكر أن هذا الكسل نتيجة للنمو السريع في الجسم، والذي يفوق طاقة المراهق، فهو كسل ليس إراديًّا، ولا يقدر المراهق على دفعه رغم رغبته في ذلك، وعليه، فلا يجب أن يلام المراهق على كسله وتعبه، بل يشجع على القيام بما يقدر عليه، ويتسامح معه ويرفق به، حتى لا نزيد من توتره وقلقه.

٢- لعدم التكيُّف الحادث في نسب نمو الجسم، يختل المشي لديه، ويفقد رشاقته المعتادة، وتتناقص عنده القدرة الحركية، ويختل التآزر والتوازن بين أعضاء الجسم، ثم يعود الجسم لحالته المعتادة حيث يتكيف على الأوضاع تدريجيًّا.

٣- يصاحب الفترة زيادة الوعي بالجسم وأعضائه، وخاصة الأعضاء التناسلية، ويقارن بين شكل الجسم مع الآخرين، ويشغل معظم الوقت في التفكير في مسائل الجنس بسبب نمو الأعضاء التناسلية خلال فترة البلوغ، ويقرأ في الكتب عن أية معلومات تتصل بالموضوع. لذلك يشعر بالحياء وتزداد شدته خلال تلك الفترة، حتى إنه ليغضب إذا اقتحم عليه أحد خلوته، أو حجرته، وهو مستغرق في أحلام يقظته، كما إنه يحرص على تغيير ملابسه بِبُعْد، ويتحرّج عند دخوله الحمام، أو عند الاغتسال، ويرتبك عند ذلك بلا مبرر، وتطول أوقات النظر في المرآة، وخاصة البنت، لتأمل الجسم والشكل عمومًا، كما يصبح المظهر مهمًا عند المراهق، وخاصة عند حضور زائرين، أو حضور حفل عام. ويجب على الوالدين التغافل عن مثل هذه السلوكيات، وعدم معاقبته عليها.

٤- يحدث مع البلوغ، وبسرعة، أن يفقد المراهق ميله لرفاق اللعب فينسحب ويقضي معظم وقته منفردًا بداخل حجرته، وعادة ما يحدث نزاعات مع أصدقائه، كما يتوقف عن أنشطته داخل بيته وأفراد أسرته. والمراهق الذي لا يتوافق اجتماعيًّا خلال تلك الفترة مع بعض الأصدقاء، يقضي وقته خارج البيت في التسكُّع في الشوارع، وإذا اجتمع منهم البعض تحدث منهم بعض المشاغبات.

٥- يتميز المراهق بالتأمل والتفكير في المشكلات الإنسانية، والمشكلات العامة التي تتصل بالبشرية عمومًا، وكذلك المشكلات الأخلاقية، ويضع من نفسه الحلول التي يتوصل إليها بعد التأمل والتحليل، كما أنه أصبح يدرك الفرق بين الممكن والواقع. ولا يتقبل المراهق المفاهيم الخلقية دون مناقشة، وهو مستعد لمناقشة كل شيء، ويكتشف المراهق في خلال المرحلة التناقضات بين ما يجب أن يكون، وبين ما عليه الواقع، ويهتم بالتناقض بين أقوال الوالدين وبين أفعالهما، وكذلك المعلمين، وعادة لا يرحب الوالدان بانتقاداته ويضيقان بمناقشته، وذلك يزيد من عناده. ويميل المراهق إلى التفكير المجرد في مسائل الدين، والسياسة، والحرية، وطبيعة الصداقة والعلاقات الإنسانية. وواجب الوالدين والمعلمين، أن تتّسع صدورهم لمناقشات المراهق ولا يضيقون بها مهما كانت غريبة، ولا يسفهون آراءه ومفاهيمه، حتى لا يزداد عنادًا، وعادة الصبر على مناقشته ينتهي بإقناعه.

٦- يأخذ المراهق موقفًا من الأسرة، والأصدقاء، والمجتمع عمومًا، يتَّسم بالعناد والرفض ويصرّ على رفض رغبات الآخرين ومخالفتهم، بل ويعمل على إفساد سرور الآخرين ويعمل على تعكير مزاجهم، ورغم ذلك يزداد حزنًا وهمًّا، ويصاحبه الهم والحزن طوال المرحلة. وتشتد غيرته من إخوته في البيت، ويلاحقهم بالانتقادات، والتشاجر معهم دون أسباب مقنعة، لمجرد العناد، ويكثر من جدال الوالدين وغيرهما بقصد إثارة المتاعب، ويسبب ذلك المعارك مع الرفقاء خارج البيت.

٧- يظهر على المراهق اللا مبالاة والرفض للأنشطة التي كان يستمتع بها من قِبَل ما أقرانه، ويصاب بالملل الدائم، ويعتبر تلك الأنشطة صبيانية تصلح للصغار وليس لمثله. ونتيجةً لهذا الملل ينتقل من نشاط إلى آخر، ولا يشعر بالرضا عن شيء منها، ويصاحبه لذلك مشاعر القلق والتوتر، أما الولد فينزع إلى العنف البدني.

٨- يحرص المراهق جدًّا على أن يستقل في كل شؤونه، ويرغب في ذلك بحدّة ابتداء من سن الثالثة عشرة، وهذا يحدو به إلى الصراع مع الوالدين، وخاصة الأم لاتصالها الشديد به داخل البيت منذ طفولته، وحيث كان الوالدان يشكلان سلوكه الخلقي من خلال أساليب الثواب والعقاب، أما المراهق فقد أصبح يعتبر هذه الأمور مسؤولية شخصية لا يقبل تدخل أحد فيها، ولا يقبل أن يعامل معاملة الأطفال، ويتفاقم الأمر مع الأم إذا كنت متشدِّدة، وغير متفهمة للتغيرات التي تحدث للمراهق، ويعتبر المراهق الخروج على سلطة الوالدين دليلًا على رجولته، فهو لذلك يقاوم كل سلطة للوالدين، أو المعلمين، أو أي نظام لا يوافق عليه، وكلما فشل في مقاومة شيء من ذلك ازداد عنادًا وصراعًا، فإذا عومل بشدّة انسحب من الموقف، دون أن يتراجع عن عناده، وتصدر عنه لذلك أفعال مزعجة للآخرين إذا لم يتغلب على الموقف.

٩- يكون المراهق شديد الحساسية نحو الآخرين، ويفسر معظم ما يصدر عنهم على أنه موجّه إليه وبقصد الإساءة له، وأشد هذه الحساسية تكون مع أفراد أسرته وخاصة الأخوات والأخوة، وإذا قام أحد بالتعليق على موقفه تزداد حساسيته، ويشعر أن هذا النقد له، سببه أنهم يكرهونه ولم يعد أحد يحبه مثلما كان يحبه من قبل، ويعتبر الجميع ضدّه، وتزداد مخاوفه المتوهّمة، ويشعر بالقلق فيما يتعلق بكفاءته الاجتماعية، فيتحول إلى حالة كآبة، ويفقد تذوقه للفاكهة التي كان يحبها في المرحلة السابقة.

١٠- لكل ما سبق يسود لدى المراهق الشعور بنقصان كفاءته الشخصية، وعدم قدرته على التوافق الاجتماعي، فتقل ثقته بنفسه، ويختفي الزهو السابق عنده، فيحاول أن يخفي شعوره بالنقص في أنماط العناد والرفض للأعمال والمهام، والدافع وراء هذا الرفض في الحقيقة هو خوف المراهق من الإخفاق في هذه المهام. ثم يغطي هذا الإحساس بالتفاخر والتباهي بقدراته الخارقة لبعض الأعمال، فإذا ما طلب منه القيام بها انسحب بمبرر غير مقبول، وقد يتحرّج البعض أمام الأقران فيضطر لارتكاب بعض الأعمال الدّالة على كفاءته الخارقة وقدراته العظيمة مما يجعله يرتكب أعمالًا مجرّمة قانونًا.

- المراهقون يعتبرون الاستذكار والتفوّق الدراسي من الأمور المعيبة لدى الشخص، والبعض

يخفي قيامه بها حتى لا يتندّر به القرناء ويطلقون عليه لقب -موس- وهو رمز للمجدِّ في الدراسة، وقد يترك بعض المراهقين الدراسة حتى لا يتفوّقوا فتعيب عليهم جماعتهم ذلك، والمراهقون يعتبرون عدم الاهتمام بالدراسة نوعًا من البطولة لأنه -لا يهمُّه شيء- وكذلك يحرص المراهق ألا يظهر بمظهر الطيب المؤدب أمام القرناء حتى لا يعتبر عندهم طفلًا مؤدبًا، بل يأتي ببعض الأفعال المشينة ليثبت لهم أنه -ولد مخربش- على حد تعبيراتهم، وذلك دليل التفوّق والقبول لديهم، ويشار بالبطولة بينهم لمن يستطيع أن يخالف رغبات الأهل فيبقى خارج البيت لأطول وقت متأخر من الليل، وهذا الأمر يسبب التوتر والقلق للمراهق الذي يحب إرضاء الوالدين بالعودة إلى البيت مبكرًا، وجماعة الأقران التي ينتقيها المراهق يكون لها أشد الأثر في سلوكياته وقيمه، بل تفوق تأثيرات البيت، ولا يحدث عكس ذلك إلا في الحالة التي تكون الأسرة متفهمة لحالة المراهق ومتوافقة معه ولديها القدرة على مسايرته، وإلا حرص المراهق على قضاء الوقت الأكبر مع قرنائه خارج البيت.

١١- أفضل الأوقات التي تمرّ بالمراهق، هي التي يقضيها في -أحلام اليقظة- والتي عادة ما تدور موضوعاتها عن -بطل- مظلوم، مغبون الحق، يقف الجميع ضدّه، وبالطبع هو ذاته البطل، وذلك لما يتخيله من سوء الفهم له، وسوء المعاملة معه من جميع مَن حوله. وتكون هذه الأحلام هي المتنفَّس لهمومه، حيث ينتصر البطل دائمًا في النهاية، وهذه الأحلام تزيده ابتعادًا عن الواقع فيزداد تكيُّفه الاجتماعي سوءًا. وقد ينشأ عن هذه الفترة، وعدم التكيّف، أن ينتهي المراهق إلى الاتصاف بالانسحابية، أو العدوانية، أو الانحراف، وهذا يحدث للعدد القليل النادر، إذ إن الغالبية تتوافق في نهاية المرحلة، وخاصة إذا تفهم الوالدان أحوال هذه المرحلة.

١٢- من المألوف خلال المرحلة أن يظهر العداء للجنس الآخر، وترفض الإناث الذكور بشدة، ويظهر ذلك بالنقد لهم دائمًا، وبالتعليقات اللاذعة، وإظهار هذا العداء هو سمة المرحلة بين الذكور والإناث، وعلى الرغم من هذا الصراع بين الجنسين، إلا أن الميل نحو الجنس الآخر ينمو، ويزداد الاهتمام بمحاولة اختيار شخصية مناسبة من الجنس الآخر تحظى بالاهتمام البالغ من المراهق، حيث يقضي الوقت في تنميق الكلمات التي تقال له،

أو بالتفكير فيه، أو كتابة أدبيات وأشعار عنه، كما يحرص على الاهتمام بمظهره من أجل الجنس الآخر، وتزداد رغبته وحبه لتملك الملابس والأدوات، ولذلك تحتل النقود في هذه المرحلة المكانة الهامة عند المراهق، ويكثر الحديث عنها وعن القدر الواجب توفيره له لينفقه بحرية، ويحاول لذلك كسب بعض النقود لمواجهة حبه للنفقات وتقديم الهدايا، ويكون ذلك أقوى عند الذكور منه عند الإناث.

١٣- يميل المراهق إلى المحاكاة للكبار في أفعالهم، ويحاول تقمّص شخصية مشهورة تكون محبوبة له، أو مرموقة في المجتمع، وقد يترتب على هذه المحاكاة للكبار اكتساب عادات ضارة، وأشهر ذلك محاكاة المدخنين، حيث يظن أن ذلك دليل على الرجولة.

١٤- يميل المراهق إلى التقاليع الغريبة، بسبب رغبته في الخروج على العادات والتقاليد المألوفة، فيرتدي الأزياء بطريقة غير مألوفة، أو لأنواع منها غير معتادة، كما يقوم بتصفيف شعره بطريقة مخالفة للمعتاد.

١٥- رفض المراهق للواقع، يجعله يضع لنفسه، وللآخرين، معايير أخلاقية عالية وسامية، يصعب عليه هو أن يصل إليها، إلا أنه يصبح متشوِّقًا إلى الوصول للكمال والمثل العليا، وقد يجعله ذلك أخيرًا أكثر تقبُّلًا للوم عن ذي قبل، لشعوره بالذنب حين يعجز عن تحقيق تلك المعايير. كما يزيد طموح المراهق آخر الأمر إلى مستقبله الشخصي، ومستقبله الدراسي والوظيفي، فيجد وينشط في الدراسة، خاصة إذا أحب معلميه، أو تفوّق في بعض المواد الدراسية، حيث يجد في ذلك الترويح، كما يجد في المدرسة مجالًا للعبه، ويميل المراهق بإخلاص نحو من يشعر أنهم في حاجة إلى الرعاية، وهذا ما يدفعه إلى المشاركة في الأنشطة الاجتماعية بالمدرسة، أو بالبيئة، وتظهر لديه رغبة في إصلاح الأسرة والأصدقاء، حيث تبدأ أزمة المرحلة في الانفراج تدريجيًّا، فيعود المراهق لحالته الطبيعية بعد النضج الانفعالي والسلوكي والعقلي في نهاية المرحلة. وتتميز مرحلة المراهقة عمومًا بأنها فترة يقظة دينية. إلا أنه يجب على الوالدين والمعلمين أن يجيبوا على كل أسئلة المراهق، ولا ينزعجوا من مناقشته المسائل الدينية، ووضعها موضع الفحص والنقد، فإنه سرعان ما يتقبل من الذين يحترمون مناقشته، أما من يسفِّه مناقشته، أو يتهمه في معتقداته، فإن المراهق يقابل ذلك

بالعناد والرفض، وقد يخفي في نفسه إنكار تلك المعتقدات ويعتقد عدم جدواها، وينهج فيها منهج الشك، بل الواجب إطلاعه على المثل العليا في العقيدة والتشريعات الدينية، حيث تتلاقى مع رغبته في تحقيق المعايير السامية للأخلاق والقيم والمبادئ التي يتعشقها في تلك المرحلة. والتدين هام وضروري، لأنه السبيل إلى التوافق الشخصي والاجتماعي، إذ يتحقق به الشعور بالسعادة والأمن، ويعطيه القيم المطلقة المعتمدة، حيث لا يحدث عند المراهق اضطراب في العلاقات الاجتماعية، كما أن الدين يفسر له الغوامض والمعضلات، ويحل له كثيرًا من المشاكل التي لا يجد لها حلًّا بعيدًا عن التدين.

***

السلوك الصحيح مع المراهق

* كان المراهق في مرحلة الطفولة السابقة، في حاجة إلى الأمن وإشباع الحاجات عن طريق الآخرين، وهو في مرحلة المراهقة يرغب في تحقيق كل شيء بنفسه، حتى الانتماء والحب، والفهم والمعرفة. إنه يريد أن يحقق شخصيته وتفرُّده، إلا أن ذلك كله من وجهة نظره هو، حيث يفكر من خلال انفعال وجداني فلا يرى الموضوع من حيث الواقع، ويظن أن الآخرين هم الذي لا يفهمونه، شأنه في ذلك شأن المريض بمرارة الفم عندما يتذوّق الماء فيجده مُرًّا ويخبر بذلك، فإذا شرب من الماء غير المريض لا يجد له المرارة التي يخبر عنها المريض وهو غير كاذب فيما أخبر عنه، والواجب أن نقنع المريض بأن المرارة ليست في الماء، ولكنها في جهاز تذوُّقه هو لمرضه العارض، وأن واقع الماء غير مرٍّ كما يتذوَّقه هو، والدليل على ذلك أن كل غير مريض لا يجد لهذا الماء مرارة، وأنه ليس من المعقول أن يصدق المريض ويكذب كل الأصحَّاء. بهذا المنطق يجب أن يتفاهم الوالدان مع المراهق في كل الأمور، ودون انفعال معه، مهما تكرر اعتراضه، أو انفعاله، لأننا إذا انفعلنا واشتد انفعالنا عند أي مناقشة، فغالبًا ما نرى الأمور من خلال انفعالاتنا، فنشبه في ذلك المراهق.

١- يحسن أن نترك للمراهق، بعد المناقشة، أن يأخذ هو القرار في الموضوع والذي يكون مقتنعًا به، أو يرغب في اتخاذه، حتى ولو كان ما اتخذه المراهق غير ما نرغب فيه، لأن ذلك أقل ضررًا من فرض القرار عليه.

٢- نتيح لمشاعره التَّحرُّر –أي التنفيس- حتى يتخلص من التوتر والانفعال، وحتى يدرك الحلول معنا بدون تحيّز انفعالي، فيصبح أقدر على فهم المشكلة وما يناسبه من حلول، ومن مظاهر الانفعالات التي يجب التسامح معه فيها: كثرة الصياح، وبعض الأعمال العنيفة مثل غلق الباب بعنف، أو التلفُّظ بألفاظ غير مألوفة منه.

٣- يجب تقدير مشاعر المراهق، وتوفير مظاهر الاعتراف بشخصيته، بمدحه على الآراء الصائبة، وتحسين بعض سلوكياته، والإصغاء إليه باهتمام عندما يتحدث، ومناقشة ما يعرضه من آراء مهما كانت تافهة، أو غريبة، وذلك يشجعه على احترام مشاعر الآخرين.

٤- الانتباه إلى النزعات العدوانية عند المراهق، أو غير المرغوب فيها، فنطرحها للمناقشة معه، حتى نتوصل إلى علاجها قبل وقوعها، أو إقناعه بالعدول عنها، أو يكتفي بمجرد مناقشتها ويفضل أن يكون ذلك بطريقة غير مباشرة في أثناء المناقشة، وبدون إبداء النقد لهذه النزعات.

٥- نتيح للمراهق بعض المصادر، للوقوف على خطر بعض العادات والسلوكيات الجانحة التي تحدث أثناء مرحلة المراهقة مثل: التدخين، والشرب، وجنوح الأحداث، ويمكن أن نطلب من المراهق قراءة كتاب، أو بحث يتناول أيًّا من هذه الموضوعات، ونستمع إليه وهو يعرض علينا ما قرأه في الكتاب ونناقشه، فيحاول هو إقناعنا بوجهة النظر الصحيحة من خلال الكتاب. وبالتالي يتأكد عنده الاقتناع بما يعتبره وجهة نظره هو التي دافع عنها. كما يمكن مناقشة صديق للمراهق أمامه وبحضوره وهو يستمع، فنقدم للمراهق بطريق غير مباشر ما نودّ تقديمه إليه، بلا خجل، إذا كان الموضوع يحتمل الخجل منه مع الابن، وخاصة البنت المراهقة، من باب –واسمعي يا جارة- ويفضل أن نجاري ونساير مَنْ نناقشه في البداية، وننتهي بعرض ما نراه من وجهة نظرنا صحيحًا، دون أن نفرضه عليه.

٦- يجب أن يقضي الوالدان مع المراهق وقتًا يوميًّا، بالقدر الذي يشعره بالدفء العاطفي، والتواصل، والاهتمام به، وحتى يدرك المراهق أنه يقدَّر ويُحترم ممن حوله، والمطلوب أن يكون قضاء هذا الوقت معه بتلقائية وعاطفة، بحيث يشعر المراهق بالصدَّاقة الوالدية له، وهذا في الحقيقة يساعد الوالدين على اكتشاف المشاعر والأفكار عند المراهق، فيمكّن من تداركها بطرق غير مباشرة، وبحسن التوجيه.

٧- يفضل السير مع المراهق خارج البيت للنزهة والتفرج، أو لشراء بعض الاحتياجات، وخاصة احتياجات المراهق، وهذا يزيد من تأكيد الثقة في الوالدين والثقة في نفس المراهق، كما أن ذلك يملأ غروره، فيحرص عليه.

٨- يجب شغل فراغ المراهق بأنشطة يحبها، لاستنفاد الطاقات الانفعالية الزائدة عنده، مثل توفير مجالات لبعض الأعمال الاستثمارية، والتي تدرّ عائدًا سريعًا للمراهق، حيث يرغب في المال وإنفاقه في هذه المرحلة، وحتى يتخلص من السآمة والرتابة والملل الذي يلازم المرحلة.

٩- يفضل تحديد -دور- للمراهق في البيت، مثل أن يضع ميزانية مصاريف البيت الشهرية، ووضع قوائم المشتريات، وهذا بجانب إشعاره أنه هو الذي ينفق المال، وهو يحب الإنفاق في هذه المرحلة، فإن ذلك يملأ الفراغ في حياته، ويحقق له ذاتيته، وأنه لم يعد يُنظر إليه باعتباره طفلًا، ويشعر أنه شريك في البيت وليس غريبًا مضطهدًا، ويقف على محدودية دخل الأسرة، فلا يتغالى في طلباته الشخصية.

١- يُطلب من المراهق أن يتولى توجيه ومتابعة أحد أخوته الصغار، ومساعدته في أداء واجباته المدرسية، ومعاملته باعتباره الأخ الأصغر له، والرفق به، حتى يشغل بذلك بعض وقته، وحتى تستنفد منه الغيرة لأخوته، وحتى يتفطَّن إلى ما يعانيه الوالدان من الصبر في توجيه الأولاد فيعذرهم، ولا يخفى أن ذلك كله يحدث تحت متابعة ورقابة غير مباشرة للمراهق، وللصغير معًا، حتى يمكن معالجة المواقف.

١١- يجب إظهار مشاعر العطف والحب للمراهق، فيجب على الوالدين البشاشة له عند رؤيته، وسؤالهما عن أحواله، وإخباره بحبهما له، وثقتهما فيه، ولا مانع من إيثاره ببعض الأشياء من الأطعمة، أو الملابس، أو الأدوات، مع تطييب خواطر الآخرين من الأولاد، وأن نظهر العطف عليه عند مرضه، ونسأل عنه إذا غاب قليلًا عنا، ونقول له -وحشتني- ونظهر له الوقوف بجانبه في المواقف الصعبة عليه، ونقلق عليه إذا تغيب عن البيت، ونهتم به في وجوده بالبيت، ونظهر له الاستحسان بمقترحاته، ونشكره على ما يقدمه من أعمال أو آراء، ونشاركه في مزاحه وبعض ألعابه، وعلى العموم، لا يُتْرك المراهق ينفرد

بنفسـه كثـيرًا، فنؤنـس وحشـته، ونقـضي لـه حاجتـه، ونغمـره بالعطـف والشـفقة، ونؤكـد ثقتـه بنفسـه، وتجمـع الوسـائل كلهـا لتـؤدي ثلاثـة أمـور هامـة: الاهتـمام، والحنـان، والثقـة، ثـم اللـه خـير حافـظ، وهـو المسـتعان، ولا حـول ولا قـوة إلا باللـه.

- روى الطـبراني في الأوسـط بسـنده عـن رسـول اللـه صـلى الله عليه وسـلم قال: «الولد سـيِّد سـبع سـنين، وعبـد سـبع سـنين، ووزير سـبع سـنين، فإن رضيـت مكاتفته لإحـدى وعشريـن، وإلَّا فاضرب عـلى جنبـه، فقـد اعتـذرت إلى اللـه عـز وجـل»، فالحديـث حـول المراحـل الثـلاث التـي يمـر بهـا الولـد، مرحلـة الطفولـة، ومرحلـة المدرسـة، ومرحلـة المراهقـة، ثـم الاسـتقلال التـام عـن الوالدين، ففـي المرحلـة الأولى يعتـبر الطفـل سـيدًا حيث يعمـل الوالدان عـلى خدمته وقضـاء مطالبه، ثم في المرحلـة الثانيـة يكلـف الولـد بالواجبـات والمهـام، وعليه الطاعة في ذلـك، أما المرحلـة الثانية، وهي مرحلـة المراهقـة، فيطلـب مـن الوالديـن اعتبـاره وزيـرًا يتحمـل المسـؤوليات ويشـاور في الأمـور، ولا يعامـل بالأمـر والنهـي مثـل المرحلـة السـابقة، ولكنـه يسـتقل بالـرأي والمشـورة والمسـؤولية، ثـم الأمـر يـترك لـكلا الطرفـين، إن شـاءا المكاتفـة والمنـاصرة، وإن شـاءا المفارقـة والاسـتقلال الكامـل. وفي هـذا إلفـات إلى مـا يجـب أن نتعامـل بـه مـع المراهـق، والحمـد للـه رب العالمـين.

***

١- الأولاد هبة الله، وبهجة الحياة، وفخر الناس، وأمانة الخالق عند الخلق.

٢- الأولاد ثمرة جسد الزوجين، وجماع خصائص نفسين، وامتداد عمر الوالدين، ومُلْتقى آمال بشرين، وبهم عمران الحياتين.

٣- الأولاد مبخلة، مجبنة، محزنة للوالدين، والأولاد هم بهجة البيوت ومصدر حرارتها، تنبعث حياة البيت بمرحها وأصواتها، وتتلوَّن الحياة بمراحل أعمارها ومطالبها، وتنشغل القلوب والعقول باهتماماتها، وتقتصر آمال الوالدين فتتوحَّد في تحقيق آمالها.

٤- صمام أمنٍ وبقاءٍ للبيوت عند النزاع خوفًا عليهم، ومفتاح الوفاق والافتراق عند الاختلاف من أجلهم، ومصدر السعادة أو الشقاوة لنبوغهم أو فشلهم.

٥- الأولاد كالهواء والماء لصحة حال ووجدان الوالدين، إذا مرضوا شعر الوالدان بالألم، وإذا حزنوا وجَمَ الوالدان بحزنهم، وإذا ابتسموا علا الإشراق وجوههم، وإذا وفقوا ورضوا ارتاح الوالدان وانشرحت صدورهم.

مظاهر التوفيق في معاملة الأولاد

١- إظهار الشفقة والمحبة والرحمة والعطف الدائم معهم.

٢- الابتسام والفرح عند رؤيتهم أو الحديث معهم، وإظهار الامتنان بأنهم أولاده.

٣- إدامة علاقة الصحبة والمودة، وتأكيد الثقة فيهم وعندهم.

٤- تعويدهم من نفسه الصدق في الحديث والوعد والمواعيد والوفاء بذلك لهم.

٥- لا يأتي معهم بخلق سيئ يحب أن يجتنبوه، مثل الكذب أو الجبن أو البخل..

٦- يحترم ذواتهم وشخصياتهم وينميِّها عندهم، عند المناقشات، وعند الاختيارات، فلا يفرض عليهم رأيه واختياره، وعليه إرشادهم والحصول على احترامهم لرأيه واختياره، ويأخذ آرائهم في بعض أموره ليعتادوا المشاورة، ويصقلوا بالمحاورة.

٧- عليه أن يراعي الفروق الشخصية عند الأولاد، فكل فرد له خصائص ومميزات شخصية، وليس الذكر كالأنثى، فيتعامل مع كل ولد كأنه كائن مستقل، بل عليه أن يلاحظ

مراحل عمر كل ولد، فالصغير يحب اللعب والحلوى، ومن يكبر يحب الاحترام والاهتمام والاختصاص بالنجوى، ومنهم من يحتاج للمال ومن يحتاج للعطف، ومن يحتاج للثناء والمدح، أشعر كل واحد أنك لا تهتم إلا به، وأنك تعطيه ما يطلبه، وأنت في الحقيقة لا تعطيه إلا ما ينفعه.

٨- احرص على إكرامهم بتحقيق رغباتهم في حدود الإمكانيات المادية، وإقناعهم في حالة عدم الإمكانية، مع الحرص على عدم التَّدليل وتنفيذ كل ما يطلبون حتى مع المقدرة على ذلك، تربية لهم وضمانًا لمستقبل حياتهم، وإلا فسوف يعتادون من كل مَن يعاشرون بعد ذلك الاستجابة لكل رغباتهم حسبانًا أن ذلك حق لهم.

٩- يجب احترام خصوصياتهم، ومن ملابس أو مكتب أو حجرة أو مستلزمات شخصية، أو أوراق وأدراج وحقائب، فلا تتعدّى على شيء من ذلك في حضرتهم أو في غيبتهم بزعم أنهم أولادك، أو أنهم ما زالوا صغارًا أو أنك الذي اشتريته لهم، لقد أصبح ملكًا لهم وتخصهم وفيها أسرارهم، فقط اجتهد أن يثقوا فيك ويطلعوك على خصوصياتهم وأسرارهم إن شئت إرشادهم وتوجيههم.

١٠- الترغيب والترهيب مع الأولاد للتوجيه وللتعليم وليس للعقاب، وأساليب المعاقبة والإثابة المعنوية أدى وأهم وأبلغ أثرًا في التربية، والقسوة والتهاون يضرَّان ولا ينفعان، والرفق والتفاهم والتعليم أسلوب شرعي ورباني ومضمون العواقب.

١١- دع لكل من الأولاد الشعور بامتلاك حياته الخاصة، من الوقت الذي يخلو من متابعتك، وجزء من المال يتحرّر من مساءلتك، وكيفية من الهيئة في ملبسه أو مظهره بعيدًا عن مناغصتك، ورغبة طفولية أو صبيانية أو شبابية يحققها بعيدًا عن معارضتك، اجتهد في الإرشاد بلا إملال من وراء وراء، وتغافلْ أحيانًا عن بعض الهفوات ومطالب السلامة، فالمناعة لا تكتسب إلا بحقن الجراثيم.

١٢- اختيار الأصحاب والأصدقاء للأولاد أمر ممتنع عن التحقيق، الصحبة والصداقة تُفرض بأقدار يصعب تفاديها، حاول أن ترشد وتوجه، واعمل على إيجاد مواقف فيها من أقران أولادك ما تحب أن يكون لهم صاحبًا، عند الزيارات والمناسبات والرحلات واختيار أماكن الدراسات والرياضات، حتى تلتقي الإرادات بتلقائية مقصودة منك دون فرض أو مجرد

عـرض الصداقـات. وفي كل الحـالات عليـك أن تتعـرّف عـلى أصدقائهـم. وتدعوهـم إلى المنـزل وتكرمهـم وتجالسـهم حتـى تتمكّـن مـن توجيـه أولادك مـن خـلال أصدقائهـم، ولـكي يتسـنى لـك الوقـوف عـلى تصرفاتهـم.

١٣- ألا تميِّـز ولـدًا عـن ولـد، ولا تظهـر التفضيـل لمـن تحـب، ولا تعاقـب أحـدًا وتـترك الآخـر، ولا تعطـي مطلوبًـا لواحـد وتـدع غـيره، ولا تعتـد مصاحبـة ولـد دون الآخريـن.

١٤- لا تجعـل متابعتـك لأمورهـم يحرجهـم ويرهقهـم وتلطَّـف في ذلـك ونـوِّع أسـلوبك في ذلـك، وعوِّدهـم القيـام بأعمالهـم عـن طريـق الإقنـاع والقـدوة، ولا تقـم بأعمالهـم نيابـة عنهـم مثـل حـلِّ واجباتهـم المدرسـية، ولا يكـن اتصالـك بـأولادك عـن طريـق الأوامـر والتعليـمات، بـل عـن طريـق التفاهـم والتعاطـف والاهتـمام.

١٥- ضرورة اصطحابهـم خـارج البيـت في رحـلات منوَّعـة، ولـو لـشراء الاحتياجـات، فـالأولاد يفخـرون بذلـك، ويتطلَّعـون لغيرهـم مـع آبائهـم فيشـعرون بالحرمـان، وإذا خـرج معهـم يـدع لهـم حريـة التـصرّف في اختيـار مـا يشـاؤون مـن لعـب وغـيره، فقـط عليـك التوجيـه، وحبَّـذا المشـاركة معهـم إن رغبـوا في ذلـك، أكرمهـم واشـتَرِ لهـم مـا يختـارون في حـدود الإمكانيـة، واصبر عليهـم في انطلاقهـم ولعبهـم ولا تتبرَّم مـن ذلـك فتنقلـب الرحلـة إلى مضايقـات وحـزن، احـرص أن تبلـغ الرحلـة غايتهـا بـلا تنغيـص وخلافـات، تحمّـل حتـى يعـود الجميـع شـاكرين للـه ثـم لـك ولـلأم.

١٦- خصّـص بعـض الوقـت مهـما قـلَّ للعـب مـع الأولاد بكيفيـات مناسـبة لأعمارهـم، احملهـم عـلى ظهـرك واصغـر مـع الصغـار، وقبِّـل هـذا، وضـمَّ هـذا إلى صـدرك، وأربـت عـلى كتـف هـذا، ومـرِّر يـدك بحنـان عـلى شـعر هـذا، مهـما كـبر سـنهم، فقـد كان يفعـل كل ذلـك رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وهـو القـدوة الصالحـة.

١٧- وظِّـفْ بعـض الوقـت، ولـو أسـبوعيًّا، للاسـتماع إلى آرائهـم وطلباتهـم وشـكاواهم، ولا تسـفَّه آراءهـم، واهتـم بموضوعاتهـم الظريفـة وشـاركهم كأحدهـم، ويكفـي الاسـتماع إليهـم بإجـادة وجديـة لبنـاء الثقـة والتـآزر الأُسَري.

١٨- عرِّفهـم بالأقـارب مـن ناحيـة الوالديـن، واعتـد صحبتهـم عنـد زيـارات الأقـارب، وخاصـة في الأعيـاد والمناسـبات، لأن ذلـك ديـن وإثـراء لعلاقـات الحيـاة الطيِّبـة.

١٩- اجعل تعليمهم للدين بطريق الممارسة والقدوة، حتى يتشرَّبوا منكما الدين عملًا واقتداءً وتلقائية دون ضغط وإلزام طالما كانوا صغارًا، أكسب الأولاد التدين وحب الدين وحب المتدينين، فإذا كبروا على ذلك سيؤدون كل ما تحب منهم، بدلًا من الضغط عليهم والإكثار من الأوامر باسم الدين، والإلزام بأعمال الكبار وتصرفاتهم، فإذا كبروا كرهوا أوامر الدين وتركوا ما أجبروا عليه وهم صغار، فالصغار يتساهل معهم ويتغافل عنهم في كثير من تلك الأمور، دع الأولاد ذكورًا أو إناثًا يقضون فترة الطفولة أطفالًا يلعبون ويلهون، فقط حبِّبهم في الدين والمتديِّنين، عوِّدهم بالحب والرفق والقدوة.

٢٠- جنِّب الأولاد مشاكلك مع الأم، واحترم مشاعرهم مع كلاكما فلا تُقْحِمْهم في خصوصياتكما، ولا مانع من الاستماع إلى أحدهم فيما يريد أن يخبركما به من شؤونكما أو المشورة لكما.

٢١- الأولاد يكبرون في أعمارهم وعقولهم، وعادة يظل الوالدان يتعاملون معهم باعتبارهم صغارًا، تذكر أنهم كبروا ولهم شخصياتهم، فخفِّف من سلطانك الوالدي عليهم، انسحب من بعض حياتهم خوفًا أن تحرج وتُبْعد!! وعاملهم كأصدقاء.

٢٢- تذكر أنهم هدايا وأمانات عندك فتسأل عنهم يوم الحساب، اشكر الله دائمًا فهم نعمٌ تحتاج للشكر لا لشكوى، اصبر معهم وعليهم فسوف تنعم معهم في الجنة.

***

ميثاق الأولاد مع الوالدين

١- قرن الله عز وجل حق الوالدين مع حقه في العبادة فقال عز وجل: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [الإسراء: ٢٣] فأوصى الخالق المعبود بالوالدين، ولم يأت في القرآن وصية بالأولاد، لأن فطرة الوالدين غالبة في الميل للأولاد، بل إيثارهم على النفس.

٢- وصف الله يحيى عليه السلام فقال عز وجل: {وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ} وفي وصف عيسى عليه السلام بقوله عز وجل: {وَبَرًّا بِوَالِدَتِي} فعُلم أن أحسن أنواع البر يكون مع الوالدين.

٣- الإنسان من بين المخلوقات يحتاج إلى العون سنوات طويلة لعجزه في الصغر، وفي الكبر، أما في الصغر فيرعاه الوالدان صغيرًا شفقة ورحمة، وأما في الكبر فالأولاد ينشغلون بأولادهم وينشغلون عن والديهم، فجاء الشرع وطالب الأولاد ببر الوالدين قال الله عز وجل: {إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} [الإسراء: ٢٣] إنه الوفاءُ وسنّة الابتلاء.

*** المظاهر العملية لبر الوالدين**

١- التعبير عن الاحترام بدوام تقبيل اليدين عند المصافحة، وبالبدء بإلقاء السلام عند المقابلة والمفارقة، وبالحرص على تحيتهما قبل النوم وعند استيقاظهما.

٢- لا تحد النظر إليهما، واخفض صوتك أثناء التحادث معهما، وبالغ في احترام آرائهما وتلطَّف في عرض ما يخالفهما، وترفَّق في توصيل ما تريد تعليمهما، ولا تقل: أنت وأنتِ، بل قل: حضرتك. وإذا طلبت منهما شيئًا فقل: من فضل حضرتك.

٣- إذا هم أحدهما في ارتداء ملابسه، فسارع في إحضارها والوقوف أمامه وأنت تحملها، وساعده في ارتدائها ما أمكن، واحرص على إحضار الحذاء بعد تنظيفه ووضعه في متناول يدهما، وافعل مثل ذلك عند إرادتهما خلع الملابس، بحملها والمساعدة في خلعها ووضعها عنهم في المكان المخصص لذلك.

٤- لا تحدثهما وأنت راقد، وإذا تحدث أحدهما معك وأنت جالس فقم حتى ينتهي الحديث أو يجلس هو، ولا تَتَقدمهما أثناء السير معهما إلا لحاجة أو توطئة لسيرهما،

واحـرص عـلى حمـل مـا يُحمـل عنهـما، وأبْـدِ الفخـر والفـرح بالسـير معهـما وأمـام مـن تعرفـه.

٥- راعِ مظاهـر الفـرح أو الحـزن أو الغضـب عـلى أي منهـما وجاملهـما بمشـاعرك ومـا ينـاسـب مـن تصرفـات، ولا تظهـر امتعاضـك أو عبوسـك لهـما بحـال، وكـن قريبًـا حنونًـا معهـما عنـد مرضهـما.

٦- لا تكـن مصـدر إزعـاج، أو إثقـال، أو إشـكال، لأيهـما، وأعـن نفسـك بنفسـك مـا اسـتطعت للتخفيـف عنهـما، في أعــمال البيــت وترتيبــه وتنظيفــه، وفي قضــاء مطالبــك، وأدِّ واجباتــك الشـخصية والمدرسـية وغيرهـا بكفـاءة لإدخـال الـسرور عليهـما.

٧- إن رأى أحدهـما أنـك أخطـأت فاعتـذر في الحـال وإن لم تكـن مخطئًـا، وعـاوِدْ الموضـوع في مناسـبة أخـرى بلطـف ورفـق ودون إرغـام عـلى قبـول موقفـك، ولا تحـوِجْ أيهـما للاعتـذار لـك وإن كان الحـق معـك.

٨- احـرص عـلى أن تكـون متعاونًـا في البيـت معهـما ومـع إخوتـك وأخواتـك، وداوِدْ عـلى صلـة أهـل والديـك واحترامهـم، واحـترام ضيـوف البيـت والعمـل عـلى راحتهـم وخدمتهـم، وكـن أمينًـا كريمًـا مـع جـيران البيـت، ولا تُفْـشِ سرًّا اطَّلعـت عليـه لأحـد.

٩- أسـمع والديـك كثـيرًا كلـمات الشـكر والثنـاء وعرفـان الجميـل، وادع لهـما في غيبتهـما وفي صلواتـك وداوِمْ عـلى ذلـك بعـد موتهـما، اعتـذر لهـما عـن تقصـيرك في أداء حقهـما عليـك ولا تظـن أنـك أوفيـت حـق أيهـما عليـك، وإن ظننـت أن أحدهـما قـصر معـك فسـارع بالمسـامحة واسـتغفر لذنبـك ولهـما.

١٠- اسـتأذنهما في كل شـؤونك مـا اسـتطعت، وفيـما لا يـضرُّ معرفتهـما بـه، وأشـعِرْهما بثقتـك الكاملـة، واجعلهـما أول مـن تشـاور وأنـك لا تسـتغني عـن رأيهـما، ونفِّـذ آراءهـما إذا كانـت فيهـا المصلحـة، وتلطَّـف معهـما عنـد المخالفـة.

١١- تـأدَّب في طلباتـك منهـما، ولا تكـثر مـن الطلبـات وقلـل مـن احتياجاتـك حتـى لا ترهقهـما، وشـاركهما في الأعـمال التـي تخفِّـف عنهـما، وسـاعدهما في كل مـا يمكنـك عملـه مـما يلزمهـما، وكـن طـوع أمرهـما في كل مـا يطلبـان منـك عملـه مـا اسـتطعت بـدون إبـداء التـبرَّم والتَّسـخُّط والشـكوى.

١٢- كلما كبرا، أو كبر أحدهما، أو مرض أحدهما، فكن أقرب إنسان، وأشفق قلب، وأكبر مساعد لهما، كما كانا لك عندما كنت صغيرًا أو مريضًا، فالجزاء من جنس العمل، واعلم أن أبواب الجنة حينئذٍ قد تفتَّحت لك، وأن السماء وكل من فيها يراقبك، فأحسن كما أحسن الله إليك وقل: {رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء: ٢٤].

***

الفهرس

الموضوع | الصفحة

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفصل السابع: «باقة من ألوان الأزهار تتزين بها أركان الدار»

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس